شرح عين العلم لعلي القاري

﴿ الجلد الاوّل من شرح عين العلم ﴾

هذا شرح للعالم الفاضل الاديب * والكامل المدقق الاريب
﴿ علي بن سلطان محمد القاري ﴾ المكي المتوفى سنه ١٠١٤ اربع عشرة بعد الالف
روح الله مهجته في فراديس الجنان * واعلى المنزلة مابقيت آثاره على صفائح الاوان
على متن متين مسمى (بعين العلم وزين الحلم) صنفه بعض علماء الهند وصلحائهم
على ما صرح الشيخ ابن حجر في شرح المقدمة * وقيل بعض علماء بلخ ومشايخهم
والله اعلم بصحيح نيته * في اخفاء ترجمته * وهو رحمه الله تعالى وارضاه
اختصر احياء العلوم لحجة الاسلام * وبرهان الانام * مع كثرة مجلداتها
الى هذه الاوراق المعدودة وبالغ في جمعها وتهذيبها * واستقصى
في ضبطها وترتيبها * فهو لغاية الايجاز ونهاية الالغاز *
كاد ان يبلغ الى حد الاعجاز * فلله دره
رحمه الله تعالى ونفعنا
بعلومه *

طبع بالمطبعة الكريمية ببلدة قزان سنة ١٣٢٠

بمصارف صاحب المطبعة محمدجان وأخويه

طبعسينه پيتربورخ سينزورى طرفندن رخصت ويرلمشدر ١٥ نجى سنتابرده
١٩٠١ نجى يلده

Дозволено цензурою. С.-Петербургъ. 10 Сентября 1901 г.
Типографія Литографія и Словолитня Т. Д. Брат. Каримовыхъ въ Казани.

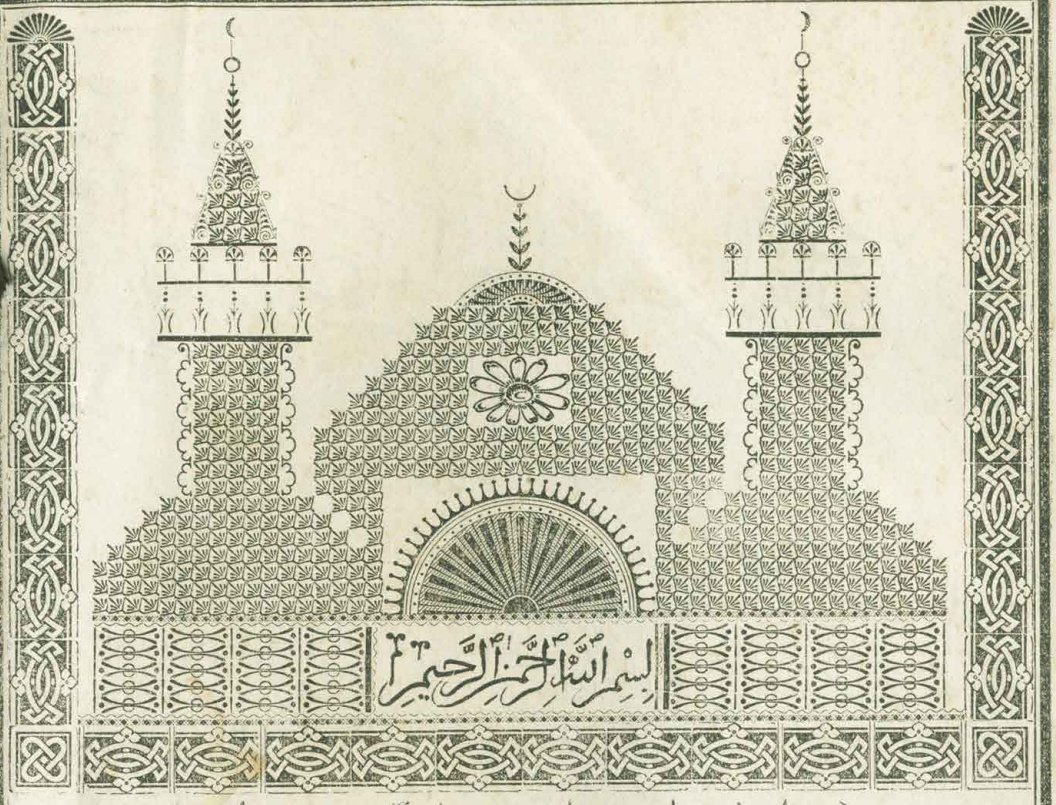

﴿ وصلى الله على سيدنا محمد * وعلى آله وصحبه وسلم ﴾

الحمد لله العلى العظيم العليم * على ما هدانا الى الطريق القويم * والصلاة والتسليم على نبيه الكريم * وعلى آله واصحابه واتباعه واحزابه المقيمين المديمين على الصراط المستقيم (اما بعد) فيقول خادم كلام ربه القديم * وحديث رسوله الفخيم على بن سلطان محمد القارى * عاملهما الله البارى * بلطفه الخفى * وكرمه الوفى ان هذا فتح شرح مجمل مجمل غير مطول ولا مخل ممل لكتاب عين العلم وزين الحلم الذى من غاية الايجاز * ونهاية الالغاز كاد ان يكون من انواع الاعجاز * وهو فى الحقيقة مختصر احياء العلوم * لحجة الاسلام وبرهان الانام * رجاء ان استغيض من بركات كلمات العلماء الاصفياء * واستفيد من نفحات صفايح المشايخ الاولياء وان اذكر فى جملتهم * واحشر فى زمرتهم * وان قصرت فى متابعتهم * وخدمتهم اغترارا بمحبتهم * واكتفاء بمودتهم (واقول كما قال القائل من ذوى الفضائل (لى سادة من عزهم اقدامهم فوق الجباه * ان لم اكن منهم فلى فى حبهم عز وجاه) ﴿ قال المصنف رحمه الله) ونفعنا ببركات علومه وتقواه وهو من فضلاء الهند وصلحائهم على ما صرح به الشيخ ابن حجر فى شرح مقدمته وقيل انه منسوب الى بعض علماء بلخ ومشايخهم والله اعلم بصحيح نسبته فى تخفية ترجمته (بسم الله الرحمن الرحيم) قد بسطنا الكلام * فى غير هذا المقام * على مفردات البسملة ومركباتها ومبانيها ومعانيها وما ورد فيها وسائر متعلقاتها (وبه نثق) اى وثوقى واعتمادى بكرمه وجوده لا بغيره اذلا

عبرة بوجوده وشهوده وقد اكتفى بالبسملة مبنى لتضمنها الحمدلة معنى (يارب) اغنى فى شدتى وهو على حذف ياء التكلم وابقاء الكسر دلالة عليها واشارة اليها وفى الابتداء به فى مقام المناجاة والدعاء بالنداء اشعار به رب العالمين عموما كمايفيد فاتحة فاتحة الكتاب ورائحة نافحة فصل الخطاب ورب كل فرد من افراد بنى آدم خصوصا كما يومى اليه حديث * ادبنى ربى فاحسن تأديبى * وقول بعضهم حسبى ربى من كل مربى ويدل عليه خبر رضيت بالله ربا ثم زاد فى مقام التأكيد ونظام التأييد لافادة اظهار العبودية فى معرض الربوبية بقوله (يارباه) بلفظ المندوب لمد الصوت المطلوب فى الندبة والمرغوب فى الفجأة والمنادى يحتمل تعلقه بثقتى والاظهر تعلقه بقوله (باسمك) اى لابغيره (ابتدى) كما هو واجب على المنتهى والمبتدى (وبك) اى بحكمك (اقتدى) وبعونك اقتدى (وبنور قدسك) اى المطهر المصور فى صدر صدرى الذى هو محل ظهور انسك اشارة الى قوله فمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه (اهتدى) ايماء الى قوله سبحانه * ومن يهد الله فهو المهتد * وقوله * قل ان الهدى هدى الله * والمعنى انه يهدى به عبده بالقاء نوره فى قلبه فيهدى الى طريق ربه ويفرق بين الحق والباطل فيختار الحق ويترك الباطل فى اعتقاده وعمله (الله الله) اى اتق الله مرة بعد اخرى فى امر الدنيا والعقبى واحذر عن مخالفة المولى فلا يراك فيما نهاك فان العاقبة للتقوى والاعادة المشيرة الى زيادة الافادة كقوله تعالى * يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون * اى ظاهرا وباطنا والتقدير استغيث بالله واستعين بطلب رضاه فيما ارجوا واخشاه والحاصل لما اهتدى بنور قدسه ودخل فى قلبه بعض انسه وتبين له الامر بكمال ظهوره ورأى نفسه متلوثة بالدنيا معرضة عن العقبى وغافلة عن المولى حذرها بقوله الله الله اى اتق الله اتق الله لقوله سبحانه وتعالى * ويحذركم الله نفسه * ولقوله عز وعلا * واتقوا الله ويعلمكم الله * وعلامة التقوى هى الزهد فى الدنيا والميل فى العقبى رجاء لمرضات المولى ولما كانت النفس بطبعها مائلة الى الدنيا وشهواتها وغافلة عما خلق له من تحصيل عباداتها قال مخاطبا لنفسه او معاتبا اوخطابا عاما لاسيما اذا كان له مصاحب (إلام) اصله الى ما بحرف الجار وما الاستفهامية وكتب الى بالالف هنا لشدة الاتصال فى مرتبته النظامية وحذف الالف من ما اكتفاء بالحركة الفتحية البيانية واقتفاء برسم المصاحف العثمانية والمعنى الى متى ايها المخاطب المعاتب (تمد) اى تطمح وتتوجه (الى زهرة الحيوة الدنيا) اى بهجتها وزينتها (عينيك) وفيه اقتباس من قوله تعالى * ولاتمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى * وقوله سبحانه * ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم لاتمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم * وروى انه عليه السلام رأى بازرعات سبع قوافل ليهود

بنى قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها فى سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم * لقد اعطيتم سبع آيات هى خير من هذه القوافل السبع يعنى قراءتها مع التأمل فى مبانيها والتعمل بمعانيها خير من تلك القوافل وما فيها بل لامناسبة بين الاموال الفانية والاحوال الباقية ومن هنا قال الصديق فى مقام التحقيق من اوتى القرآن ورأى ان احدا اوتى من الدنيا افضل مما اوتى فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وقال ابو القاسم القشيرى غار سبحانه على عينه ان يستعملها فى النظر الى غيره ويقال اذا لم يسلم له اشباع نظر ظاهره الى الدنيا فكيف يسلم له سكون قلبه الى غير المولى (ومتام) اى ومتى متى (تنكص) اى ترجع عن القيام بالاقدام على الله والاقبال على سبيل رضاه وفيه تلميح الى فعل ابليس وما وقع منه من نوع تلبيس كما اخبر الله عنه بقوله * واذ زين لهم الشيطان اعمالهم * الى ان قال * نكص على عقبيه * الآية وتلويح لى قوله سبحانه * قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون (بعد ايناس نار) اى بعد ابصار نار واستيناس انوار واحساس اسرار واخبار من ديار لبس بها بعض الاغيار (على عقبيك) اى متوجها الى دار اكدار فيها انواع حجاب وغبار وفى الكلام اقتباس من قوله تعالى * آنس من جانب الطور نارا * اى نار نوردار او المعنى بعد ظهور الحق وطريق الصدق آفارا وقيل ايناس النار كناية عن استيناس النفس بالآفات الدنيوية المانعة عن العبادات الاخروية وهذا على تقدير ان يكون على عقبيك ظرف الايناس واما على تقدير كونه متعلقا بتنكص فالمعنى الى متى ترجع على عقبيك عن طريق العبادة وسبيل اهل الارادة الذى يسلك بهم الى مقام السيادة والسعادة بعد ما علمت يقينا نار هداية الحق التى بها من نار جهنم يقينا (بجبهك) من جبهه بالتخفيف اى رده او بالتشديد اى نكس رأسه اى ابعدك عن مقام القبول ويقعدك عن طلب الوصول (الشهوات الخسيسة) اى المانعة عن المقامات النفيسة والحالات الانيسة واللهوات الفانية الحاجزة عن الدرجات الباقية (للاحجام) اى للاعراض عن الدنيا والاقبال على المولى (ام يعوقك) من عاق اوعوق اى يمنعك ويصدك (الزخارف الموهة) اى الزينات المتوهمة الملفقة (عن الاقدام) على عمل الآخرة الفاخرة المحققة (مالك) اى ما هالك او اى شئ حاصل لك فى مآلك حال كونك فى مقام اقبالك وزمان استقبالك (تسعى فى المباهات) اى المفاخرة فى غير الحالات الفاخرة التى تنفع فى الآخرة وفى نسخة المارات اى المجادلة والمخاصمة (والمجارات) اى المسابقة والمقاطعة فى المحاورات (وجمع الحطام) اى من اموال الشبهة والحرام (لنشر الصيت) اى لانتشار الجاه عند العوام كالانعام (ورفع القدر) اى بالقعود فى مقام الصدر عند معرض

القدر (وصرف وجوه الانام) اى بتردد اليك فى الليالى والايام (وتنسى نعيم جنات) اى بساتين موعودة للمتقين باقية (ونهر) اى وانهار جارية فيها عين عاقبة من آفات سارية (فى مقعد صدق) اى مكان مرضى ومجلس حق (عند مليك مقتدر) اى مقربين فى غاية الاعتبار عند من تعالى امره فى الملك والاقتدار بحيث ابهم على ذوى الافهام والاسرار فهى عندية منزلة ومكانة لا عندية منزل ومكان لعلو شانه ورفعة برهانه قال جعفر الصادق مدح المكان بالصدق فلا يقعد فيها الا اهل الصدق وهو المقعد الذى يصدق الله فيه مواعيد اوليائه بان يبيح لهم النظر الى وجهه الكريم ويشرفهم بلقائه وقال الواسطى ليس محل من اشتغل بنفسه وتلذذ بمطعمه ومشربه وملبسه كمن كان شغله بالحق وانسه والقيام بامره ونظره الى ربه * فى مقعد صدق عند مليك مقتدر * وقيل الصادق فى عبادته من لا يتعبد على ملاحظة الاطماع والاغراض ومطالبة الاعراض والاعواض (وما شانك) اى وما عذرك فى مقام حذرك (ترغب) اى تعرض وتبعد (عن علم سماه ربك الاعلى بالفقه) حيث قال تعالى * لعلهم يفقهون * وقال * فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين (والحكمة) حيث قال عز وجل * يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا (والنور) حيث قال سبحانه * قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين * وقال * افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه (والهدى) حيث قال عز وعلا * قل ان هدى الله هو الهدى * والسلام على من اتبع الهدى * وهو علم الكتاب والسنة واجماع ائمة بهم يقتدى وهو علم المعاملة واما ما سبق من قوله بنور قدسك اهتدى هو علم المكاشفة لان من كوشف فعرف الحق يتعين عليه ان يرغب فى علم المعاملة الذى يعرف به احكام الله وطريق عبادة مولاه (وترغب) اى تميل وتخوض (فيما احدثه قرون) اى طبقات بعد غير القرون من قرن الصحابة والتابعين واتباعهم (فشا فيها) اى شاع وظهر فيما بينهم (الكذب) اى فى حكاياتهم (والبدعة) فى اعتقاداتهم (والهوى) اى هوى ارباب النفوس ومشتهياتهم من العلوم التى غير نافعة ولا رافعة بل ضارة دافعة كعلم المنطق والكلام والهيئة وسائر علوم الفلاسفة (قفا) خطاب لصاحبيه كأنه شبه نفسه ان يكون فى سفر يسير مع رفيقيه فاذا بلغ منازل الاحباب وقد ارتحلوا ومضوا ودخلوا فى مقام الحجاب غلب عليه وجد فراقهم وحرارة اشتياقهم وغشيه البكاء فى ميدان البيداء فلم يتمالك فى مهالك الازمنة ان يتجاوز مسالك الامكنة فوقف لديه واستوقف صاحبيه وقال قفا (نبك) بالاتفاق على حزن الفراق وقيل اصله قف قف فحذف الثانى وعوض عنه الالف لان الفاعل كالجزء من الفعل وقيل اصله قفن ابدل نونه الفا والمعنى قفا ايها المخاطب مع الرجل المعاتب نبك (على رسوم علوم الدين) اى آثارها المندرسة فى ديارها المنقلبة بعد اقبالها الى ادبارها بقلة علماء الشريعة واخبارها (واطلال اعمال

اليقين) اى وعلى انطماس علامات اعمال اهل اليقين حيث اختلطت بافعال ارباب الرياء والسمعة ولوكانوا من المجتهدين فى امر الدين بفقد المشايخ العاملين الكاملين فى مقام الطريقة والجامعين للاخلاق الواصلين الى مرتبة الحقيقة (ودمن كمالات الاحوال) بكسر الدال وفتح الميم اى وعلى زوال آثار كمال ارباب الاحوال واصحاب الاقوال بعدم وجود اهل الشهود فى زوايا المشاهد الحقيقة والمعارف الدقيقة (وواردات مشاهدات الجمال) وكذا على صادرات مطالعات الجلال لغيبة ارباب الحضرة فى مقام التوحيد واصحاب الجذبة فى مرتبة التأبيد (غدت الديار) اى صارت ديار العلوم وجدار الفهوم (عاقية) اى خربة واهية (وظلت الآثار) اى وصارت آثار الاسلام واخبار الاحكام (باقية) وفيه ايماء الى قوله عليه السلام يأتى على الناس زمان لم يبق من الاسلام الا اسمه ومن القرآن الا رسمه مساجدهم عامرة قلوبهم خربة (واصبح لاصحاب) اى العلماء الكبار الذين بمنزلة الاصحاب الوارد فيهم * اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم (راحلين) اى مرتحلين من دار الدنيا الى دار العقبى كما يشير اليه قوله تعالى * فلا يرون انا نأتى الارض ننقصها من اطرافها * اى باخذ العلماء من اكنافها (واضحى الاعراب) اى الجهال الذين بمنزلة الاعراب الوارد فيهم قوله سبحانه * الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله (نازلين) اى فى مقام العلماء العاملين وفيه ايماء الى قرب القيامة وعلامات وقوع الساعة التى تورث الندامة لاهل الملامة كما ورد فى حديث جبريل وان ترى الحفاة العراة العالة دعاء الشاة يتطاولون فى البنيان (فيا اسفى) اى تأسفى (على منام القلوب وقيام الالسنة) اى على غفلة القلوب القاسية وحدة الالسنة الراسية وفيه اشارة الى ماورد فى ذم علماء آخر الزمان ان قلوبهم امر من الصبر والسنتهم احلى من العسل (ومضاء العلوم) اى وعلى مضى العلوم الفاخرة وذهاب علماء الآخرة (وبقاء الاوعية) اى علماء السوء الذين اكتفوا بمجرد حفظ الرواية دون ضبط الدراية والكتب البالية والحجب العالية (ويالهفى) بفتحتين اى تعطشى (على صيرورة الحال) اى حال ذوى الشمائل (كتبا ورسائل) اى مشحونة بقيل وقال واظهار فضال (وانقلاب العمل اجوبة ومسائل) اى يبحثون فيها ولا يعملون بها يخوضون فيما ليس تحتها طائل (ويا حسرتى) اى تحسرى (على انطماس المعنى عن الاسم) اى محو المعنى المراد عن المبنى والمواد (واندراس الحقيقة عن الرسم) اى رسم الشريعة والطريقة (ويا سوأتى) اى فضيحتى (على خلو القشر) الى العلوم الآلية من الاعراب والاعراب (عن اللباب) اى لباب العلوم المأخوذة من الكتاب الذى يذكره اولى الالباب فى جمع الفصول والابواب (واغترار القوم) اى اهل الزمان من ارباب الحجاب (بلامع السراب) اى الاعمال الظاهرة الخالية عن الاحوال الطاهرة وفيه تلويح الى قوله سبحانه * والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء * ولله در القائل من اهلامهم *

شعر

﴿ شعر ﴾ لا والذى حجت قريش بيته * مستقبلين الركن من بطحائها
ما ابصرت عينى هيام قبيلة * الا بكيت اصبتى بفنائها

(اما الخيام) جمع خيمة (فانها كخيامهم) اى فى منازل الحى ومقامهم (وارى نساء الحى غير نسائهم) اى الاولى التى كن فى نعت الجمال ووصف الكمال من العفة والحياء والخدمة والسخاء والمعنى انه ظهر السفهاء فى صورة الفقهاء والجهلاء فى هيئة المشايخ العرفاء (خطر ببالى) جواب شرط مقدار اى لما كان الامر كذلك خطر فى خاطرى هنالك (ان اربح ببالى) اى ادخل فى الراحة قلبى فى ميدان حب ربى وفى نسخة بالزاى اى ازيل حزن قلبى وتشتت بالى وتفرق حالى (بتفصح تلك العلوم) اى بتفحص صفحات العلوم النافعة الذاخرة فى الدنيا والآخرة (واسرارها) اى ودقايقها وحقايقها الفاخرة (وتتبع سير الرجال) اى سلوك اصاب الحال وفى نسخة مسير وفى اخرى بكسر السين وفتح الياء اى شمائل ارباب الفضائل واصحاب الفواضل (وآثارها) اى اللامعة انوارها تحت استارها (رجاء ان احث) ان احرض واحرص (على اتباعهم) بتشديد التاء اى على متابعتهم وموافقتهم فى الدنيا (وان ابعث فى اشياعهم) اى احشر فى اتباعهم فى العقبى (فامتريت طباء الطاقة) ان حاولت وعالجت صرف الوسع والقدرة (واحتملت اعباء المشقة) اى وتحملت اثقال المشاق فى طريق المحبة وسبيل المعذرة (وبالغت فى جمعها) اى ضبط افرادها (وتهذيبها) اى تنقيتها وحذف زوائدها (واستقصيت فى ضبطها وترتيبها) اى ضبط معانيها وحفظ مبانيها (مع انى سكيت نادى البيان) بكسر السين وتشديد الكاف اى كثير السكوت فى مجلس التبيان (وسكيت حلبة الرهان) بضم السين وتخفيف الكاف المفتوحة وبشدد اى واخر الخيل فى ميدان المسابقة والجولان والجريان يمتحن فيه الافراس العشرة على عرف ذلك الزمان وبرهن للسبق مال يأخذ من سبق فرسه ذلك المكان وفيه تلويح الى قول من قال عند الامتحان يكرم المرأ او يهان (وانحفت فيه) اى بتصنيفى هذا (الفرع العلى) اى الرفيع (من الاصل العلوى) اى المنسوب الى على المنيع (والغصن السنى) اى المنسوب الى اهل السنة والجماعة العزيز الوجود فيما بين السادة اوالسنى بفتح فكسر اى الشريف الجلى الحسنى (من الشجر الحسينى) وفى نسخة الحسنى اى المنسوب الى احد اولاد فاطمة الزهرى وفيه تنبيه على ان كل علوى ليس بحسينى ولاحسنى كمحمد بن الحنفية وسائر اولاد على (ارفع السراة) جمع السرى (عمادا) بكسر العين اى اعلى الاشراف اعتمادا يقال فلان رفيع العماد اى شريف سنى الذكر على الصيت وقيل العماد فى الاصل عبد ان يرفع بها البنيان فكنى بذلك عن رفعة نسبه وقوة حسبه وقيل بل يراد بها حقيقتها اى مرتفع العماد فوق البنيان ليراه الضيفان فيقعدونه وذو الحاجات فيطلبونه (واطول الكماة) جمع الكمى (نجادا) بكسر النون بعده جيم وهو

حمائل السيف وهو كناية عن طول قائمته وطول شأنه والمعنى افضل شجعان زمانه استنادا (واكثر الكرام رمادا) كناية عن كثرة الجود المستلزم لكثرة الطبخ فى منزل الشهود المستلزم لكثرة الرماد ولدوام وقود ناره ليلا فى تلال البلاد فيهتدى به الضيفان من العباد (واكبر العظام وسادا) كناية عن كونه معظما موقعا فى قلوب العباد والزهاد (وهو ابن بنى بنى عدنان) فانه عليه السلام محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصى بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لوى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان والى هنا من النسب الشريف لاخلاف فيه بين العلماء الاعيان وانما الخلاف فيما فوقه مختلف البيان ولذا يروى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا بلغ فى النسب الى عدنان امسك عما بعده من عنان البيان وقال كذب النسابون اى فى هذا الشأن قال تعالى * وقرونا بين ذلك كثيرا * قال ابن عباس ولو شاء الله ان يعلمه لعلمه وقال ابن دحية اجمع العلماء والاجماع حجة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انتسب الى عدنان ولم يتجاوزه وفى مسند الفردوس عن ابن عباس انه عليه السلام كان اذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان ثم يمسك ويقول كذب النسابون وقال السهيلى الاصح فى هذا الحديث انه من قول ابن مسعود وقال غيره كان ابن مسعود اذا قرأ قوله تعالى * الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لايعلمهم الا الله * قال كذب النسابون يعنى انهم يدعون علم الانساب ونفى الله علمها عن العباد فى الكتاب وعن ابن عباس بين عدنان واسمعيل ثلاثون ابا لا يعرفون * وسئل مالك عن الرجل يرفع نسبه الى آدم فكره ذلك وقال من اخبره بما هنالك (وسمى جده خليل الرحمن) يعنى اسم الممدوح ابراهيم كاسم جده الكريم الخليل ابى ولده الجليل اسمعيل جد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم (ركن الدين) اى المدار عليه (المشار اليه) المشهود لديه (قطب الشرع) النافع فى العقبى (المدار عليه) كالتفسير بماقبله مشيرا الى علمه ومعرفته والحاصل انه جامع بين الفضائل الدنيوية والشمائل الاخروية (طاهر الذيل عن دنس الهوى) كناية عن صلاحه وديانته (عازف القلب) اى صارفه (عن لذة الدنيا) اشارة الى ورعه وزهده وحسن رعايته (راسخ القدم فى شريعة المصطفى) ايماء الى ثباته فى امر الدين واستقامته (صارف العنان الى طريق المرتضى) اشعار بانه على مذهب الصوفى وسلوك طريقته وايماء بانه متصف بصفات الانبياء ومقامات الاولياء وانه تابع لجده الاعلى والادنى (بلغه الله الى الكمال الاعلى) اى فى الدنيا والاخرى (واوصله الى السعادة القصوى) اى والسيادة العظمى وهى رضاء المولى (وادام المجد بين ثوبيه) اى العظمة فى ذاته (واقام الكرم بين بردبه)

اى

اى السخاوة فى صفاته قال صاحب المفتاح المجد بين ثوبه والكرم بين برديه من الكناية المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف اراد القائل ان لا يصرح بتخصيص المجد والكرم بالممدوح فجعلهما بين ثوبيه وبرديه تنبيها بذلك على ان محلهما ثوبان وبردان وهما مشتملان على الممدوح فتم غرضه بذلك ذكره الطيبى وانا بحمد الله سبحانه لم اجعل تصنيفى هذا ولا ما سبق لى من تأليفى باسم احد من الامراء والوزراء وانما اردت به ابتغاء وجه الله وشفاعة نبيه يوم القيمة (فحصل بحسن لطف رحمانى وعميم فضل ربانى) اى بتوفيقه وتسهيله لهذا التأليف وتحصيله (كتاب حجمه عندى صغير) لانه فى اوراق معدودات يتم بها الكتاب غير طريف الاطناب (ليسهل الحفظ) اى بالجنان (والاستصحاب) اى مع الابدان (وعلمه) اى معلوماته (على ظنى غزير) اى كثير لاشتغاله على جميع مافى الاحياء من اربع مجلدات لكمال الاستقصاء فهو كاللباب وانما قال على ظنى هضما لنفسه فى هذا الباب ولان صاحب البيت ادرى بما فيه لعدم الحجاب (يغنى عما عداه فى الباب) اى باب التصوف وفصل الخطاب (وابوابه عشرون) بابا فيها كفاية لارباب الالباب * فالباب الاول فى الورد * والثانى فى الانفاق * والثالث فى الصوم * والرابع فى السفر * والخامس فى التزوج * والسادس فى الكسب * والسابع فى المعيشة * والثامن فى الصحبة * والتاسع فى الصمت * والعاشر فى الاناءة * والحادى عشر فى العزلة * والثانى عشر فى التواضع * والثالث عشر فى الاخلاص * والرابع عشر فى التفويض * والخامس عشر فى نفى الخواطر * والسادس عشر فى التوبة * والسابع عشر فى الصبر والشكر * والثامن عشر فى الخوف والرجاء * والتاسع عشر فى الفقر والزهد * والعشرون فى التوحيد والتوكل واليقين (قد صدرت) اى ابتدأت (بمقدمة) فى العلم والمعرفة (هى احرى) اى اليق واولى (بالتقديم وذيلت) اى ختمت واخرت (بخاتمة) فى المحبة (حق) اى اجدر واحق (ان يقع بها التتميم) لئلا يحتاج الى الترميم (واسمه المطابق للمسمى عين العلم) الذى نتيجته وثمرته ان يكون زين الحلم بل هو معدن اسرار الشريعة والطريقة ومنبع انوار المعرفة والحقيقة (واساسه) اى مزار بنائه وتبراسه (الكتاب والسنة وشيم الصحابة الشم) بضم الشين وتشديد الميم جمع الاشم اى سير الاصحاب الكبار من ذوى الافتخار وفيه الاشعار بان اجماع الصحابة واكثرهم هو الاولى بالاعتبار لافهم من اولى الايدى والابصار (معرى) اى خال ومجرد (عما احدث) اى اخترع وابتدع (من وضع غير مشروع) كالآراء الفاسدة والاهواء الكاسدة (لايسمن) ذلك الموضوع اوغير المشروع (ولايغنى من جوع) اى لايفيد الزيادة والاستزادة ولاينفع عين الافادة والاستفادة (ليس التكحل فى العينين كالكحل) بفتحتين اشارة الى ان تمويه الكتاب بالتكلف من الاعمال

المحدثة كالانكحل صفة وتهذيبه على ما اتفق عليه الجمهور من السلف كالعين المكحلة خلقة لايزول بازالة احد ولو تكلف فى مشقة وفيه تنبيه نبيه على ان طريق النجاة للانام هو متابعته عليه السلام واصحابه الكرام فى جميع احكام الاسلام كما يشير اليه قوله تعالى * قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله * وبدل عليه حديث * اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم * وخبر لاتجتمع امتى على الضلالة * وعليكم بالسواد الاعظم والله سبحانه اعلم فالحمد لله ازلا وابدا لانشرك به احدا (نحمده) فى كل آن ونشكره فى كل زمان (ونستعينه فى كل شان (ونتوكل عليه) فى كل مكان (ونعوذ بالله من شرور انفسنا) اى من الاخلاق الدنية (ومن سيئات اعمالنا) من الاحوال الردية (ونشهد ان لا اله) موجود اومعبود او مشهود (الا الله) اى الذات المستجمع لكمال الصفات فلانعبد الا اياه ولانلتفت الى ما سواه (وحده) منفردا بالذات (لاشريك له) فى كمال الصفات (ونشهد ان محمدا عبده ورسوله) وحبيبه وخليله (اعطاه الله تعالى) خير اودعاه (الوسيلة) وقد سئل عليه الصلاة والسلام عن الوسيلة فقال هى مرتبة لاينالها الا واحد ارجوان اكون انا فمن سال لى الوسيلة من الله تعالى حلت له الشفاعة (والفضيلة) اى الزيادة فى المرتبة المنيعة (والدرجة الرفيعة) فى فى المنزلة البديعة (وبعثه) اى حشره ونشره (مقاما محمودا) يحمده الاوّلون والآخرون ويغبطه النبيون والمرسلون والملائكة المقربون (الذى وعده) اى بقوله * عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا * وما وعده لم يكن الا موجودا وانما عبر به عنه بعسى للاشعار بانه لايجب على الله سبحانه شىء للعباد وان الامور انما تكون وفق ماقضاه واراد (وصلى الله عليه) اصالة (وعلى اهله) اى اهل بيته من ازواجه واقاربه واحبائه (وآله) اى من يؤل اليه امره من اتباعه واصحابه واحزابه (وسلم تسليما) اى يقرنه تعظيما وتكريما ﴿ المقدمة فى العلم ﴾ وقد ورد العلم ثلاثة وماسوى ذلك فهو فضل آية محكمة اوسنة قائمة اوفريضة عادلة والمراد بها اجماع الامة اواتفاق الائمة رواه ابوداود وابن ماجة والحاكم فى مستدركه عن ابن عمر وفى رواية الديلمى عنه العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة ماضية ولا ادرى وانما لم يذكر الاجماع لان مستنده اما الكتاب اوالسنة والحديث رواه ابوداود وابن ماجه عنه مرفوعا وقد روى ابوداود والحاكم وصححه من حديث ابى هريرة ماادرى اعزير نبى ام لا وروى احمد وابويعلى والبزار والحاكم وصحح اسناده والطبرانى من حديث جبير بن مطعم ولابن حبان ولحاكم وصححه نحوه من حديث ابن عمر انه لما سئل عن خير البقاع وشرها قال لا ادرى حتى نزل جبريل وفيه تنبيه نبيه على ان العجز عن دراك الادراك * ومنه قول الملائكة لاعلم لنا الا ماعلمتنا وقول الرسل يوم القيمة لاعلم لنا (بسم الله الرحمن الرحيم) لايحيطون به علما وهو بكل شىء عليم (العلم علمان) اى علم الآخرة اوالمعتبر فى الاحوال الفاخرة اولنافع فى المرتبة الزاهرة

اوعلم

اوعلم التصوف والاحوال الذاخرة نوعان وقد ورد العلم علمان فعلم فى القلب فذلك العلم النافع وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم رواه ابن ابى شيبة والحكيم عن الحسن مرسلا والخطيب عنه عن جابر مرفوعا ﴿علم المكاشفة﴾ وهو مايطلب منه كشف المعلوم فقط المعبر عنه بعلم الباطن مثل علم المحبة والشوق والرضاء والقبض والبسط والسحو والصحو والهيبة والانس والفناء والانتفاء واللوامع والطوالع واللوايح والروايح والاستنار والاستتار ومقابله المعاملة وهو ما يطلب منه مع الكشف العمل به (وهونور يظهر فى القلب) اما بالجذبة الالهية اوبالرياضة الشرعية عند تطهير القلب وتزكيته من الاخلاق الدنية والصفات الردية (فيشاهد به الغيب) اى ما غاب عن غيره من المعلوم المتعلقة بالرب من وجود ذاته وشهود صفاته فى مكوناته ومصنوعاته كما يشير اليه قوله عزوجل * سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق * الآية (وهومتحقق) اى ثابت الى يوم القيمة لاصحاب السلامة من الندامة والملامة (فورد) دليلا لقوله فيشاهد به الغيب (اذا دخل النور فى القلب انشرح) اى انفتح (اى عاين الغيب) من غير الريب (وانفسح) اى اى انبسط واتسع وانفتح (اى احتمل البلاء وحفظ السر) اى فى فى مقام الولاء والابتلاء وفى المعالم عند قوله تعالى * فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام * اى لقبول مافيه من الاحكام ولما نزلت هذه الآية سئل عليه السلام عن شرح الصدر قال نور يقذفه الله فى قلب المؤمن فينشرح له وينفسح قيل فهل لذلك امارة اى علامة قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت وعن على كرم الله وجهه علم الباطن سر من اسرار الله تعالى عزوجل وحكم من حكم الله تعالى يقذفه فى قلوب من يشاء من عباده رواه الديلمى وابو عبد الرحمن السلمى (ولايصرح به) اى لايمكن التعبير عن علم المكاشفة (لفقد الرواية) اى تصريحا بل روى احيانا تلويحا لانه من الامور الوجدانية فلايمكن ان يروى وينقل الا بالرموز والاشارات الايمائية الوجدانية فان العاقل يكفيه الاشارة والغافل ما يفيده الا صريح العبارة ولذا قيل العلم نقطة كثرها الجاهلون ومع هذا كل حزب بمالديهم فرحون والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة دون علم المكاشفة التى لارخصة فى ايداعها فى الكتب وان كانت هى غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر السالكين وعلم المعاملة طريق اليه ودليل عليه ولكن لم يتكلم الانبياء مع الخلق الا فى علم الطريق والارشاد الى الحق واما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه الا بالرمز والايماء على سبيل التمثيل والاجمال علما منهم بقصور افهام الخلق عن الاحتمال والعلماء ورثة الانبيا فمالهم سبيل الى العدول عن نهج التأسى ومنهاج الاقتداء (وورد ان من العلم) اى من جملته علم خفى فيه الغنون (كهيئة المكنون) من الدر المصون (لايعلمه الا اهل المعرفة بالله) رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن ابى هريرة بلفظ ان من العلم كهيئة المكنون لايعلمه الا العلماء

بالله فاذا نطقوا به لاينكره الا اهل العزة بالله عز وجل وفى هذا المقام قيل من عرف ربه كل لسانه فان بيان حقايق الذات والصفات يعظم شانه ويجل برهانه واما قول من قال من عرف ربه طال لسانه فمحمول على العلوم الظاهرة والذخائر الفاخرة من سائر الامور المتعلقة بالدنيا والآخرة وقيل من عرف الله كل لسانه فى بيان الذات وطال بيانه فى شان الصفات وقيل من عرفه بالصفات الجمالية طال لسانه ومن عرفه بالنعوت الجلالية كل بيانه (وهو) اى علم المكاشفة (الافضل) اى من علم المعاملة لان شرف العلم بشرف المعلوم ومن المعلوم اشرفية مايتعلق به سبحانه من الذات والصفات وما اخبر به من المغيبات (لانه المقصود) الاكمل والمقصود بالذات ولذا ينتقل بانتقاله حال الممات بخلاف علم المعاملة فانه ليس مقصودا بالذات بل ليعمل به فى سائر الاوقات ولذا ينتهى بانتقال صاحبه الى دار الآخرة حيث لاتكليف فيها

وعلم المعاملات

اى النوع الثانى (وهو العلم بمايقرب اليه تعالى) من المأمورات (ومايبعد عنه) من المنهيات وينقسم الى قسمين الى علم ظاهر يتعلق باعمال الجوارح والى باطن يتعلق باحوال القلوب ثم الجارى على الجوارح اما عبادة واما عادة والوارد على القلوب التى هى بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت اما محمود واما مذموم (وهو) اى علم المعاملة (مقدم) اى على العمل اوعلى علم المكاشفة وهو اظهر من حيث دليله الوارد لكن يشكل بقوله (لانه الشرط) فتدبر فانه قد تتقدم الجذبة على السلوك فى الجملة اللهم الا ان يقال انه الشرط الغالبى كما يدل عليه استثناؤه الآتى (فورد) اى فى كلامه سبحانه (والذين جاهدوا فينا) اى اجتهدوا فى طاعتنا وعبادتنا (لنهدينهم سبلنا) اى طرق معرفتنا ووصلنا اوالمعنى والذين جاهدوا فينا بما عرفوا منا لنهدينهم سبلنا التى مافهموا عنا كما يشير اليه قوله صلى الله عليه وسلم من عمل بماعلم ورثه الله علم مالا يعلم ويدل عليه قوله تعالى * والذين اهتدوا زادهم هدى (اصبت) اى ووردا صبت (فالزم حين اخبر حارثة رضى الله عنه بانكشاف الغيب) اى من احوال العقبى (بعد عزوفه) اى بعد صرف السالك قلبه واعراضه (عن الدنيا) والحديث فى الجامع الكبير لشيخ مشايخنا المرحوم جلال الدين السيوطى عن الحارث بن مالك وحارثة بن النعمان الانصارى ففى رواية الطبرانى وابونعيم عن الحارث بن مالك الانصارى قال مررت بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال كيف اصبحت ياحارث قلت اصبحت مؤمنا حقا فقال انظر ما تقول فان لكل شئ حقيقة وماحقيقة ايمانك قلت قد عزفت نفسى عن الدنيا واسهرت لذلك ليلى واظمأت نهارى وكأنى انظر الى عرش ربى بارزا وكأنى انظر الى اهل الجنة يتزاورون فيها وكأنى انظر الى اهل النار يتضاغون وفى رواية يتعاوون فيها فقال ياحارث عرفت فالزم قالها ثلاثا وفى رواية ابن عساكر قال له عليه السلام وانت

امرؤ انور الله قلبه عرفت فالزم وفى رواية العسكرى فى الامثال عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لحارثة بن النعمان كيف اصبحت الى ان قال ابصرت فالزم ثم قال عبد نور الله الايمان فى قلبه فقال يانبى الله ادع لى بالشهادة فدعا له قال فنودى يوما يا خيل الله اركبى فكان اول فارس ركب واول فارس استشهد وفى رواية ابن النجار فبلغ ذلك امه فجاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان يكن فى الجنة لم ابك ولم احزن وان يكن فى النار بكيت ماعشت فى الدنيا فقال يا ام الحارث اوحارثة انها ليست بجنة ولكنها جنة فى جنات والحارث فى الفردوس الاعلى فرجعت وهى تضحك وتقول بخ بخ يا حارثة (الا) استثنا من قوله مقدم اى لكن قد يؤخر علم المعاملة (ان جذبته العناية كما فى سحرة فرعون) فانهم واصلوا الى الحق الحقيق بدون المجاهدة فى الطريق فانه روى انهم رأوا فى سجودهم الجنة ومنازلهم فيها وقد ورد جذبة من جذبات الحق توازى عمل الثقلين ووردان لله فى ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها والحاصل ان السلوك الى الله تعالى اما بتقديم المجاهدة على الجذبة واما بتقديم الجذبة على المجاهدة كما يشير اليه قوله سبحانه (الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب) والطريق الثانى سلوك الحكماء واكثر الاولياء والاول مسلك الانبياء وبعض الاصفياء كما يدل عليه قوله تعالى * ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان * اى تفصيله فى الخطاب ومعرض البيان * ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء * اى من اهل العرفان * وابلغ منه * وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك (ولا ينفك) اى علم المعاملة (عنه) اى عن علم المكاشفة كما قدمنا من لزوم وجود احدهما مقدما او مؤخرا والحاصل ان بعد الجذبة وحصول المكاشفة يلزم علم المعاملة واما قبل الجذبة فلابد من المجاهدة فانها شرط وجود المكاشفة وخلاصته ان علم المعاملة غير لازم لحصول علم المكاشفة ابتداء واما لدوامه فلابد منه انتهاء كما ان عمر حصل له الجذبة وعلم المكاشفة ثم التزم علم المعاملة والخدمة ولو عاش سحرة فرعون لكان علم المعاملة لازما لهم ايضا لدوام علم المكاشفة والمراد بالجذبة هنا الجذبة القوية الالهية الفورية الآنية من عالم الامر والا فصاحب علم المعاملة ايضا لا يخلو عن نوع جذبة ربانية الا انها ضعيفة تدريجية من عالم الخلق وقد قال تعالى * الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين * ومن هنا قيل الطرق الى الله بعدد انفاس الخلائق الا انها تختلف باختلاف حجب الخلائق والعوائق ثم اعلم انه لا يلزم من وجود المعاملة حصول المكاشفة بخلاف العكس فى المقابلة وزبدته ان كل من سعى لم يدرك ما تمنى لكن ما ادرك ما تمنى الا من سعى فلله الآخرة والاولى (فورد) اى فى الحديث مما يدل على لزوم المعاملة بعد تقدم المكاشفة (النجاة عن دار الغرور) اى التبعد والتزهد عن الدنيا (والانابة الى دار الخلود) اى الرجوع الى زاد العقبى والاستعداد للموت قبل نزوله اشتياقا للمولى (حين سئل) اى النبى عليه السلام (عن علامة ذلك النور) كما قدمنا

(هذا) اى العلم المنقسم الى قسمين من المكاشفة والمعاملة (ماورد بفضله) اى فضل تعلمه وتعليمه (الشرع) اى المطابق للعقل والطبع من الكتاب والسنة واخبار الائمة اما الكتاب فقوله تعالى * شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم * وقوله * يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات عن ابن عباس للعلماء درجة فوق درجة المؤمنين بسبعمائة درجة مابين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقوله تعالى * قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون * وقوله * انما يخشى الله من عباده العلماء * وقوله قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب * وقوله * وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا * وقوله * وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون * وقوله * ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم * وقوله * بل هو آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم * واما السنة فقوله عليه السلام من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين متفق عليه وزاد الطبرانى ويلهمه رشده العلماء ورثة الانبياء ابو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه من حديث ابى الدرداء ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع الملوك حتى تجلسه مجلس الملوك ابو نعيم فى الحلية عن انس فقد نبه بهذا على ثمرته فى الدنيا ومعلوم ان الآخرة خير وابقى خصلتان لا تجتمعان فى منافق حسن سمت وفقه فى الدين الترمذى عن ابى هريرة افضل الناس المؤمن العالم اذا احتيج اليه نفع وان استغنى عنه اغنى نفسه البيهقى فى شعب الايمان موقوفا على ابى الدرداء الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم والعمل الحاكم فى تاريخ نيسابور عن ابى الدرداء اقرب الناس من درجة النبوة اهل العلم والجهاد اما اهل العلم فدل الناس على ما جاءت به الرسل واما اهل الجهاد فجاهدوا باسيافهم على ما جاءت به الرسل ابو نعيم عن ابن عباس لموت قبيلة ايسر من موت عالم الطبرانى وغيره عن ابى الدرداء الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا متفق عليه عن ابى هريرة يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدماء الشهداء فترجح مداد العلماء ابن عبد البر عن ابى الدرداء من حفظ على امتى اربعين حديثا من السنة يؤديها اليهم كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيمة ابن عبد البر عن ابن عمر من حمل من امتى اربعين حديثا لقى الله يوم القيمة فقيها عالما ابن عبد البر عن انس من تفقه فى دين الله كفاه الله همه ورزقه من حيث لا يحتسب الخطيب عن ابن جزء اوحى الله تعالى الى ابن ابراهيم يا ابراهيم انى عليم احب كل عليم ابن عبد البر تعليقا العالم امين الله فى الارض ابن عبد البر عن معاذ صنفان من امتى اذا صلحوا صلح الناس واذا فسدوا فسد الناس الامراء والفقهاء ابو نعيم عن ابن عباس اذا اتى على يوم لا ازداد فيه علما يقربنى الى الله فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم الطبرانى فى الاوسط وابو نعيم فى الحلية وابن

عبد البر

عبد البر فى العلم عن عائشة يشفع يوم القيمة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء ابن ماجه عن عثمان ماعبد الله بشىء افضل من فقه فى الدين الطبرانى فى الاوسط عن ابى هريرة خير دينكم ايسره وافضل العبادة الفقه ابن عبد البر عن انس اصبحتم فى زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه قليل سائلوه كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسيأتى على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل الطبرانى عن حزام بن حكيم عن عمه والمعنى اظهار العمل حينئذ خير من اظهار العلم ليقتدى الناس فلا ينافيه ماسبق من الاحاديث الدالة على افضلية العلم مطلقا يارسول الله اى الاعمال افضل قال العلم بالله عز وجل فقيل فسئل عن العمل وتجيب عن العلم فقيل ان قليل العمل ينفع مع العلم بالله وان كثيرا من العمل لاينفع مع الجهل بالله ابن عبد البر عن انس يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء ثم يقول يامعشر العلماء انى لم اضع علمى فيكم الا لعلمى بكم ولم اضع علمى فيكم لاعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم الطبرانى عن ابى موسى (فالمراد) اى فمراد الشارع (المكاشفة فيما ورد) والفاء للتعليل اى ولان المراد علم المكاشفة (فضل العالم على العابد كفضلى على امتى) ولفظ الترمذى والدارمى عن ابى الدرداء كفضلى على ادناكم وفيه مبالغة لا تخفى اى فى حديث مشهور ورد ورواه احمد والترمذى وابو داود وابن ماجه والدارمى وابن حبان ولفظه ان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر وفى لفظ الترمذى عن ابى امامة فضل العالم على العابد كفضلى على ادنى رجل من اصحابى وقال حسن صحيح وورد فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة ابن عدى عن ابى هريرة وابو يعلى عن عبد الرحمن بن عوف وروى الاصبهانى فى الترغيب والترهيب عن ابن عمر بين العالم والعابد سبعون درجة وكذا فى مسند الفردوس عن ابى هريرة واما ما فى الاحياء مائة درجة فلا اصل له (اذ غيره) اى غير علم المكاشفه وهو علم المعاملة (تبع للعمل لثبوته) اى العلم (شرطا له) اى للعمل فلا عمل بلا علم وقد يوجد علم بلاعمل والمعنى ان كلما وجد العمل لزم وجود العلم بخلاف عكسه فالعمل بغير العلم غير ممكن فعلم ان المراد بالعالم هو العالم بعلم المكاشفة والا فلو اريد منه فضل العالم علم المعامله لزم تفضيل العالم على العالم اوعلى العالم العابد وهذا فاسد فتعين ان المراد بقوله فضل العالم هو العالم بعلم المكاشفة هذا حل كلامه وبيان مرامه والظاهر ان المراد بالعالم هنا هو الجامع بين علمى المكاشفة والمعاملة على المستجمع بين علم الشريعة وعمل الطريقة المؤدى الى مرتبة الحقيقة ثم التحقيق ان العلم بدون العمل غير مفيد والعمل بغير العلم غير صحيح فلا بد للعالم من العمل وللعابد من العلم

فالمراد بالعالم فى الحديث من يعمل مايجب عليه ويصرف الى العلم مايفضل من الاوقات لديه وبالعابد من يعلم ما يجب عليه من العلم ويصرف بقية اوقاته الى العمل وانما فضل العالم على العابد لان نفع العلم متعد ونفع العمل قاصر ولان العلم اما فرض عين واما فرض كفاية وكلاهما افضل من النوافل كما لايخفى على ذوى الفضائل ولان العلم من صفات الله والعمل من صفات العبد ولان الفضيلتين خير من واحدة فان العلم ايضا عمل اى عمل وفلاصته ان زيادة العلم خير من زيادة العمل والمراد هنا العالم العامل كمايشير اليه قوله عليه السلام تعوذوا بالله من علم لاينفع رواه ابن ماجه باسناد حسن عن جابر وعن عمر من حدث بحديث فعمل به فله مثل اجر ذلك العمل ويؤيده حديث *الدال على الخير كفاعله رواه الترمذى من حديث انس عن الحسن لولا العلماء لصار الناس مثل البهايم وقال عطاء دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكى فقلت ما يبكيك قال ليس احد يسألنى عن شىء (والمعاملة) اى والمراد علم المعاملة (القلبية الواجبة فيما ورد طلب العلم فريضة على كل مسلم) رواه ابن ماجه وضعفه احمد والبيهقى وغيرهما (لامتناع ارادة غيرها) اى غير المعاملة القلبية اقول بل الحمل على المعنى الاعم هو الاتم ليشمل المعاملة القلبية الواجبة وانما يصح كلام الماتن على قضية نادرة الوقوع فحينئذ يمتنع ارادة غير المعاملة القلبية لان الفرض بعد التوحيد نوعان احدهما مايكون فرضا على العبد بحكم الاسلام فهو علم المعاملة القلبية واصلاح الباطن لازدياد الانوار النفسية وازالة الاخلاق الردية واثبات الشمائل الرضية وثانيهما لما هو فرض عليه عند تجدد الحادثة كدخول وقت الصلاة والصوم ووجوب الحج والزكاة وعلم البيع والشراء وسائر المعاملات واما العبد اذا اسلم فى وقت لم يجب عليه فيه هذه الاشياء فليس عليه ان يعلمها لانه لم يدرك وقتها وما لم يدرك وقتها لا يكون فرضا علمها اذ لو قدر موته قبل تجددها لم يطالب يوم القيمة بتعلم علمها وانما يكون الفرض عليه حينئذ علم المعاملة القلبية وتحصيل الاخلاق الزكية لان العبد بعد الاسلام لايخلو اما ان يكون متصفا برذيلة فيجب عليه ازالتها واثبات ضدها مكانها اولا يكون فيجب عليه تحصيل علم الباطن ايضا لتحصيل ازدياد اليقين ومعرفة خداع النفس وغرورها ودسائسها الخفية ومعرفة الخواطر الردية وما يكون بينه وبين الله فى ذلك الوقت من الاحوال الباطنة القلبية فلو وجد فرصة وفراغا بعد الاسلام ولم يشتغل لتحصيل علم المعاملة القلبية كان تاركا للفرض مسئولا عنه يوم القيمة وان لم يتجدد له من تلك الفروض الظاهرة شىء كالصلاة ونحوها فافهم والله اعلم وهذا بيان ما اجمل بقوله (اما التوحيد) اى علمه (ف) ليس المراد به (الحصول) اى لحصوله لكل مسلم وفيه انه لابد له من بقائه ودوامه وحفظه من تخريب نظامه (واما الصلاة) اى امتناع ارادة

الصلاة به (فالجواز ان يقـــاهلها شخص) اى يصير اهل وجوبها رجل او امرأة (وقت الضحى) بـالبلوغ اوالاسلام (ومات قبل الظهر) يعنى فلايجب على كل مسلم ويدفع بـان هذا امر نادر على انه مشروط بشرائط فى تعلقها فالحكم بعد تحققهـا (واما غيرهما) اى من التوحيد والصلاة ونحوه من علم الفقه المسمى بعلم المعـاملة (فاظهر) اى فى امتناع ارادته والجواب مـا تقدم والله اعلم وبسط الكلام فى مرام هذا المقام ان العلماء اختلفوا فى العلم الذى هو فرض عين على كل مسلم فتحزبوا فيه اكثرمن عشرين فرقة وتعصبوا ونزل كل فريق وجوبه على العلم الذى هوبصدده فقال المتكلمون هو علم الـكلام اذبه يدرك التوحيد وبه يعلم ذات الله وصفاته وقال المفسرون والمحدثون هو علم الـكتاب والسنة اذبهما يتوصل الى العلوم كلها وقال الفقهاء هوعلم الفقه اذبه تعرف العبادات والحلال والحرام من المعاملات وقال المتصوفة المراد به علم الاخلاق ومايتعلق به من علم المعاملة والمكاشفة والتحقيق ان هذه العلوم كلها من فروض الكفاية واما فرض العين على كل احد فبعضها مما تجب به الرعاية (وعلم الآخرة) اى والمراد علم ينفع فى الآخرة (مطلقا) اى مع قطع النظر عن المعاملة والمكاشفة (فيماورد) اى فى كلامه المجيد (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون لئلايفضل علماء الزمان على الصحابة) وفيه ان الظاهر فى معنى الآية عدم استواء العلماء والجهلاء واما مراتب العلماء من الانبياء والصحابة والتابعين والفقهاء والمشايخ الاولياء فمختلفة بحسب منازل مؤتلفة (فمجادلة الكلام) اى علم المنطق والكلام (والتعمق فى فتاوى نذور وقوعها محدث) اى بدعة الآن الاولى مذمومة والثانية فى الجملة محمودة (وماورد) اى والمراد علم الآخرة فيما جاء من القرآن * فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة (ليتفقهوا فى الدين لاختصاص الانذار والحذر) فى قوله سبحانه * ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون (به) اى مختص بعلم الآخرة (فالحدث مما سبق ذكره يقسى القلب) اى لعدم مدخليته فى الانذار والحذر وانما ينور القلب بذكر الرب ومايتعلق به من الترغيب والترهيب ففى العوارف لما صار الانذار مستفادا من الفقه والانذار احياء المنذر بالعلم والاحياء بالعلم رتبة الفقيه فى الدين صار الفقه فيه اكمل رتب المجتهدين وهو علم الزاهد فى الدنيا الراغب فى العقبى الطالب للمولى وهو الاعلى (وايضا) اى مما يؤيد ماقدمناه (وصف الشارع الفقيه بانه يمقت الناس) اى يبغضهم بالمعاصى (فى ذات الله) اى لاجل رضاه (ولم يقنطهم من رحمته) لقوله تعالى * لاتقنطوا من رحمة الله * وقوله * لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون * (ولم يؤمنهم من مكره) لقوله سبحانه * افأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون بل يجعل نفسه وغيره بين الخوف والرجاء ولوظهر له مقامات الاولياء لقوله تعالى * ان الله

لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء * والانسان لايخلو من العصيان ولو بالنسيان (ولم يرغب عن القرآن) اى وماهو مقتبس منه (الى غيره) اى الى غير القرآن من العلوم المحدثة (ويرى له) اى للقرآن (وجوها كثيرة) اى من ظاهر وباطن وحد ومطلع وتأويلات عبارات ورموز واشارات لفظ الوارد عنه عليه السلام انه قال * الا انبئكم بالفقيه كل الفقه قالوا بلى قال من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم ييئسهم من رحمة الله ولم يدع القرآن رغبة عنه الى ماسواه ابوبكر بن لال فى مكارم الاخلاق وابوبكر بن السنى وابن عبد البر من حديث على وقال ابن عبد البر اكثرهم يوقفونه على على وفى حديث آخر لايفقه العبد حتى يمقت الناس فى ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوها كثيرة ابن عبد البر من حديث شداد بن اوس وقال لايصح مرفوعا وروى ايضا موقوفا على ابى الدرداء مع قوله ثم يقبل على نفسه فيكون لها اشد مقتا قلت فيه ايماء الى ماقيل (وجودك ذنب لايقاس به ذنب) فظهر ان المراد بالفقه مايحصل به الانذار والحذر وهو علم الآخرة فقد سأل فرقد السنجى الحسن البصرى عن شىء فاجابه فقال ان الفقهاء يخالفونه فقال الحسن ثكلتك فريقد وهل رأيت فقيها بعينك انما الفقيه الزاهد فى الدنيا الراغب فى الاخرى البصير بدينه المداوم على عبادة الله الورع الكاف عن اعراض المسلمين العفيف عن اموالهم الناصح لجماعاتهم ثم **اعلم** انه ورد فى فضيلة التعلم والتعليم آيات واخبار كثيرة وآثار شهيرة منها قوله تعالى * فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون * وقوله عليه السلام من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة رواه مسلم من حديث ابى هريرة وقوله ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع) احمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث صفوان بن عسال وقوله لأن تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من ان تصلى مائة ركعة) ابن عبد البر من حديث ابى ذر و الخبر عند ابن ماجه بلفظ آخر وقوله * من باب العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا) ابن حبان فى روضة العقلاء وابن عبد البر موقوفا على الحسن البصرى وجاء مرفوعا بلفظ خير له من مائة ركعة) رواه الطبرانى فى الاوسط من حديث ابى ذر وقوله * اطلبوا العلم ولو كان بالصين * ابن عدى والبيهقى فى المدخل والشعبى من حديث انس وقال متنه مشهور واسانيده ضعيفة وقوله (العلم خزائن الله ومفاتيحها السؤال فاسئلوا فانه يؤجر فيه اربعة السائل والعالم والمستمع والمحب لهم) رواه ابو نعيم من حديث على مرفوعا باسناد ضعيف وقوله لاينبغى للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت عن علمه الطبرانى فى الاوسط وابن مردويه فى التفسير وابن السنى وابو نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث جابر بسند ضعيف وقوله (ومن جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الاسلام فبينه وبين الانبياء فى الجنة درجة واحدة) الدارمى وابن السنى فى رياضة المتعلمين من حديث الحسن اى ابن على او البصرى فالحديث مرسل واما قول الغزالى فى حديث ابى ذر (حضور مجلس علم افضل من صلاة

الف ركعة وعيادة الف مريض وشهود الف جنازة فقيل يارسول الله ومن قراءة القرآن فقال وهل ينفع القرآن الا بالعلم فقد ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات من حديث عمر وقال الحافظ العراقى ولم اجده من طريق ابى ذر قلت قد ذكره الحافظ السيوطى فى الجامع الكبير فى مسند ابى ذر يا اباذر لان تغدو لتعلم آية من كتاب الله خير لك من ان تصلى مائة ركعة وان تغدو فتعلم بابا من العلم عمل به اولم يعمل به خير من ان تصلى الف ركعة تطوعا رواه ابن ماجه والحاكم فى تأريخه عنه واما ورد فى **فضيلة التعليم** فمنه قوله تعالى * واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه * وهذا ايجاب للتعليم وقوله * وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون * وهذا دليل على ذم كتمان الحق والتحريم وقوله * ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا * وقوله * ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة * وقوله * ويعلمهم الكتاب والحكمة * ومنه قوله عليه السلام ما آتى الله عالما علما الا اخذ عليه من الميثاق ما اخذ من النبيين ان يبينه للناس ولا يكتمه) ابو نعيم من حديث ابن مسعود وقوله لما بعث معاذا الى اليمن لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم احمد من حديث معاذ * وفى الصحيحين من حديث سهل بن سعد انه قال ذلك لعلى رضى الله عنه * وقوله من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس اعطى ثواب سبعين صديقا) الديلمى من حديث ابن مسعود * وقوله اذا كان يوم القيمة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله انتم عندى كبعض ملائكتى اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة) ابو العباس المرهبى من حديث ابن عباس وقوله ان الله لا ينزع العلم انتزاعا من الناس بعد ان يؤتيهم اياه ولكن يذهب بذهاب العلماء فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤسا جهالا ان سئلوا افتوا بغير علم فيضلون ويضلون متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو وقوله من علم علما فكتمه الجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ابو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابى هريرة وقوله نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتنطوى عليها ثم تحملها الى اخ لك مسلم تعلمه اياها تعدل عبادة سنة) الطبرانى من حديث ابن عباس نحوه وقوله الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه او معلم او متعلم الترمذى وابن ماجه من حديث ابى هريرة وقوله ان الله وملائكته واهل السموات واهل الارض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت فى البحر ليصلون على معلم الناس الخير الترمذى من حديث ابى امامة وقوله ما افاد المسلم اخاه فائدة افضل من حديث حسن بلغه فبلغه ابن عبد البر من رواية محمد بن المنكدر مرسلا نحوه ولابى نعيم من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ اهدى مسلم لاخيه هدية افضل من كلمة تزيده هدى او ترده عن ردى ورواه البيهقى فى الشعب ايضا وقوله كلمة من الحكمة يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها خير له من عبادة سنة ابن المبارك

فى الزهد والرقائق من رواية زيد بن اسلم مرسلا نحوه وقوله على خلفائى رحمة الله قيل ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتى ويعلمونها عباد الله ابن عبد البر من حديث الحسن فقيل هو ابن على وقيل ابن يسار البصرى فيكون مرسلا ولابن السنى وابى نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث على نحوه وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فرأى مجلسين احدهما يدعون الله ويرغبون اليه والثانى يعلمون الناس فقال اما هؤلاء فيسئلون الله ان شاء اعطاهم وان شاء منعهم واما هؤلاء فيعلمون الناس وانما بعثت معلما ثم عدل اليهم وجلس معهم ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو (ثم فقه) اى حق علم المعاملة وهو اثنان وعشرون منها (العمل) والمعنى لابد للعبد من العمل بالعلم فان العلم بمنزلة الشجرة والعمل فى مرتبة الثمرة فالشرف للشجرة لكونها الأصل لكن الانتفاع بالثمرة التى هى الفرع فكذا حقيقة العلم والعمل فى قواعد الشرع والكمال هو الجمع بين العلم والعمل والتعليم لقول عيسى عليه التسليم من علم وعمل وعلم يدعى فى الملكوت عظيما وقول نبينا عليه الصلوة والسلام خيركم من تعلم القرآن وعلمه والحاصل ان العالم العامل فى منزلة النبيين واذا انضم اليه التعليم فهو فى مرتبة المرسلين (فورد) فى ذم ترك العمل (كبر مقتا عند الله الآية) والمقت اشد الغضب تمامها * ان تقولوا مالا تفعلون * وفى معناها * اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون * وانشد *

لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

ثم اعلم انه كثر فى التصانيف الخلافية ذكر الآية والحديث والبيت قبل تمامها فقد يكون الباعث على ذلك اختصار ما هنالك وقد يكون الاستدلال على المطلوب يتوقف على اواخرها وهو محفوظ ومعروف عند اهلها فيذكر صدرها ويشير الى آخرها بقوله الآية ونحوها اما بالنصب على اضمار اقرأ وهو الوجه الظاهر ويجوز الرفع بتقدير مبتدأ او خبر كالمورد والمروى والجر على تقدير الى آخر الآية وامثالها (اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه) اى لم يوفقه للعمل به ومن جملة عمله نفع غيره ان احتاج الى علمه والحديث رواه الطبرانى فى الصغير وابن عدى فى الكامل والبيهقى فى شعب الايمان من حديث ابى هريرة وورد ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات (والاحتراز) اى وحق علم المعاملة اجتناب صاحبه (عن الفتوى) اذا لم يتعين لها (لعدم قيامهم) اى الصحابة (بها الا بضعة عشر) بكسر الموحدة مابين الثلاث الى التسع وكان قبض عليه السلام عن مائة الف واربع وعشرين الفا من الصحابة الكرام فهم يسير من كثير من اهل التقوى (وورد لا يفتى الا اميرا ومأمور اومتكلف) الطبرانى عن عبادة بن الصامت وعن عوف بن مالك ايضا فالأمير هو الامام وقد كانوا هم المفتون والمأمور نائبه والمتكلف غيرهما وهو الذى يتكلف تلك العهدة من غير

حاجة فلايخلو عن الخطر فينبغي له الحذر كل الحذر وعن حذيفة انما يفتي احد ثلاثة من عرف الناسخ والمنسوخ اورجل ولي سلطان فلا يجد بدا من ذلك او متكلف ابن عساكر قال الحجة وقد كان الصحابة يحترزون عن الفتوى حتى يحيل كل واحد منهم على صاحبه وكانوا لا يحترزون اذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة وفي بعض الروايات بدل المتكلف المرائي فان من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين عليه للحاجة اليه فلم يقصد به الا طلب الجاه والمال وعن ابي حصين قال ان احدهم ليفتي في المسئلة ولو وردت على عمر بن الخطاب لجمع لها اهل بدر ابن عساكر وعن ابن سيرين ان عمر قال لابي موسى اما بلغني انك تفتي الناس ولست بامير قال بلى قال (فول حارها من تولى قارها) عبد الرزاق والديلمي في المجالسة وابن عبد البر في العلم وابن عساكر وعن عبد الله بن بشير ان علي بن ابي طالب سئل عن مسئلة فقال لا علم لي بها ثم قال وابردها على الكبد سئلت عما لم اعلم فقلت لا اعلم رواه سعد ان بن نصر وسئل مالك عن اربعين مسئلة فقال في ست وثلاثين لا ادري ومن يرد غير وجه الله بعلمه فلا تسمح نفسه بان يقر على نفسه بانه لا يدري وعن ابي يوسف سمعت ابا حنيفة يقول لولا الخوف من الله تعالى ما افتيت احدا لكون الهنا لهم والوزر علينا وسئل عن مسئلة فقال سلوا مولاي الحسن وذكر الكردري منه وناهيك عن نهي الفتوى قوله عليه السلام اجرؤكم على الفتيا اجرؤكم على النار رواه الدارمي عن ابي عبد الله بن ابي جعفر مرسلا

(والاستبصار) اي وقف علم المعاملة بعد فتوى المفتين طلب البصيرة بعين الاعتبار واخذ القول بدليل الخاص من غير استبدال بالنظر من بين اخبار (فورد استفت قلبك وان افتاك المفتون) احمد من حديث وابصة ويؤيده حديث (دع ما يريبك الى ما لا يريبك) الترمذي وصححه والنسائي وابن حبان من حديث الحسن بن علي وحديث (لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس) الترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وصحح اسناده من حديث عطية السعدي وحديث (الاثم حواز القلوب) البيهقي في شعب الايمان من حديث ابن مسعود وهو بتشديد الزاي جمع حازة وهي الامور التي تحز فيها اي تؤثر كما يؤثر الحز والحك في الشيء وهو ما يخطر فيها من المعاصي لفقد الطمانينة اليها ويروى بتشديد الواو اي يحوزها او يملكها ويغلب عليها ويروى حزاز بزايين الاولى مشددة فعال من الحز فيعتمد في العلوم على بصيرته وادراكه بصفاء قلبه لا على صحفه وكتبه ولا على تقليد ما يسمعه من غيره كما اشار اليه بقوله (ولان المقلد وعاء العلم) عطف على فورد لانه في معنى التعليل والمعنى ان الذي يقبل قول الغير ولو كان مجتهدا انما هو وعاء العلم اي ظرفه بمنزلة الرواية فليس له حظ في الدراية وانما نصيبه الرواية ومن هنا قال ابو حنيفة وغيره لا يحل لاحد ان يقول بقولنا ما لم يعلم من اين قلنا

(والشفقة فى التعليم) اى ومن حق علم المعاملة على المعلم بالنسبة الى المتعلم (فورد انا لكم مثل الوالد لولده) ابو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان من حديث ابى هريرة وقال تعالى * النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم * وفى قراءة شاذة وهو اب لهم بل هو افضل واكمل من الوالدين فان قصده انقاذهم من نار الآخرة وهو اهم من انقاذ الابوين ولدهما من نار الدنيا ولذلك صار حق المعلم اعظم من حق الوالدين فان الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية ولولا المعلم لساق ما حصل من جهة الاب الى الهلاك الدائم وانما المعلم هو المفيد للحياة الاخروية الدائمة اعنى معلم علوم الآخرة اوعلوم الدنيا على قصد الآخرة لاعلى قصد الدنيا واما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك واهلاك نعوذ بالله ثم كما ان حق ابناء الواحد ان يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد كلها فكذا حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتواد ولايكونوا الا كذلك ان كان مقصدهم الآخرة * ولايكون الا التحاسد والتباغض ان كان مقصدهم الدنيا فان العلماء ابناء الآخرة مسافرون الى الله سبحانه وتعالى وسالكون اليه والطريق هو الدنيا وسنونها وشهورها منازل الطريق والتوافق فى الطريق بين المسافرين الى الامصار سبب التواد والتحاب فكيف السفر الى الفردوس الاعلى والتوافق فى طريقه الاعلى ولا ضيق فى سعادات الآخرة فلذا لايكون بين ابناء الآخرة تنازع ولا سعة فى سعادات الدنيا فلذا لاتنفك عن ضيق التزاحم والعادلون الى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله تعالى * انما المؤمنون اخوة * وداخلون فى مقتضى قوله سبحانه * الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين * ومعزولون عن منصب قوله عليه السلام لايؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه (فلايضن) بفتح الضاد وكسرها نفيا اونهيا اى فلا يبخل على احد بعلمه لان العلم لايحل منعه (فورد من كتم علما الجم بلجام من نار) ابن ماجه وغيره من حديث ابى هريرة (الا) استثناء من قوله فلايضن اى فلايبخل بالعلم الا (عن غير اهله) وهو الذى يريد ان يتوصل الى المال والجاه ونحوه (فورد لاتطرحوا الدر فى افواه الكلاب) رواه ابن النجار عن انس ولفظه لاتطرحوا الدر فى افواه الخنازير وقال عيسى عليه السلام لاتعلقوا الجواهر فى اعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من الخنازير وقال ايضا لاتضعوا الحكمة عند غير اهلها فتظلموها ولاتمنعوها اهلها فتظلموهم وكونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء فى موضع الداء وفى لفظ آخر من وضع الحكمة فى غير اهلها فقد جهل ومن منعها اهلها فقد ظلم ان للحكمة حقا وان لها اهلا فاعط كل ذى حق حقه وسئل بعض العلماء عن شئ فلم يجب فقال السائل اما سمعت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار فقال

اترك

اترك اللجام واذهب فان جاء من يفقه فكتمته فيالجمنى وقوله تعالى * ولا تؤتوا السفهاء اموالكم * فيه تنبيه نبيه على ان حفظ العلم ممن يفسده ويضره اولى وليس الظلم فى اعطاء غير المستحق باقل من الظلم فى منع المستحق (شعر)

* فمن منح الجهال علما اضاعه * ومن منع المستوجبين فقد ظلم *

(والتعريض) اى لا التصريح (بالمنع ابقاء للهيبة وهو المأمور) اى فى المنع كما ورد فى الحديث المأثور والمعنى ان من حقوق المعلم ان يزجر المتعلم بالتعريض اذا وقع منه تقصير وقلة ادب فى القول او الفعل حال تقرير ولا يصرح ما امكن وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم بالمخالفة كما روى ابن جريج مرسلا انه عليه السلام بينما هو يخطب يوم الجمعة اذا رأى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس فلما قضى عليه السلام عارض الرجل حتى لقيه فقال يافلان مامنعك ان تجمع اليوم معنا فقال يانبى الله انى قد جمعت معكم فقال عليه السلام اولم ارك تتخطى رقاب الناس فعرض عليه السلام بالمنع عن التخطى بانه يحبط اجر عمله ولم يصرح له مع مافيه من اماله النفوس الزكية والاذهان البهية الى استنباط المعانى الخفية فيفيد فرح التفطن رغبة فى العمل به بخلاف التصريح فانه ربما يوقعه فى الاصرار على القبيح فقد روى لومنع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا مانهينا عنه الا وفيه شئ يطلب وقد قيل (الانسان حريص على مامنع) كما يشير اليه قوله تعالى حكاية * مانهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين

(والاقتصار على قدر الفهم فورد امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم) ابو داود من حديث عائشة بلفظ انزلوا الناس منازلهم وفى رواية عن ابن عمر نحن معاشر الانبياء امرنا ان ننزل الناس منازلهم ويؤيده حديث كلموا الناس بمانعرفون ودعوا ماتنكرون البخارى موقوفا على على ورفعه ابومنصور الديلمى فى مسند الفردوس من طريق ابى نعيم ويقويه حديث ماحدث احدكم قوما بحديث لايفهمونه الا كان فتنة عليهم العقيلى فى الضعفاء وابن السنى وابونعيم فى الرياضة من حديث ابن عباس باسناد ضعيف ولمسلم فى مقدمة صحيحة موقوفا على ابن مسعود نحوه وفى رواية ماانت بمحدث قوما بحديث لاتبلغه عقولهم الا كان فتنة على بعضهم وفى رواية لابى نعيم عن ابن عباس لاتحدثوا امتى من احاديث الا بما تحمله عقولهم وعن على قال حدثوا الناس بمانعرفون اتريدون ان يكذب الله ورسوله البخارى وفى رواية عنه ايها الناس تحبون ان يكذب الله ورسوله حدثوا الناس بمانعرفون ودعوا ماتنكرون الخطيب وفى رواية عنه واشار الى صدره ان ههنا لعلوما جمة لو وجدت لها حملة ولقد صدق (قلوب الابرار قبور الاسرار (وقطع الطمع) اى عن الخلق خصوصا عن التعلمين وهو سكون النفس الى منفعة مشكوكة (فورد) اى فى آيات كثيرة (قل لا اسئلكم عليه اجرا)

تمامها * ان اجرى الاعلى رب العالمين * ولان فساد الدين الطمع كما ان صلاح الدين الورع على ماروى عن الحسن (ونية العمل) بنفسه (والتعليم) لغيره فى التعلم اى لاقصد المال والجاه والاغراض الفاسدة والاعواض الكاسدة وهذا من حقوق تجب على المتعلم (فورد من تعلم للمباهاة) اى للمفاخرة (او المماراة) اى المجادلة (اولصرف وجوه الناس) اى اليه تعظيما وتكريما (فهو فى النار) ابن ماجه من حديث جابر باسناد صحيح ولفظه لاتتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو فى النار وفى رواية لابن ماجه عن ابى هريرة بلفظ من تعلم العلم ليباهى به العلماء اويمارى به السفهاء اويصرف وجوه الناس اليه ادخله الله جهنم وفى رواية لابى داود عنه من تعلم صرف الكلام ليسبى به قلوب الناس لم يقبل الله منه صرفا ولاعدلا وفى رواية الترمذى عن كعب بن مالك بلفظ من تعلم العلم ليمارى به العلماء اوليمارى به السفهاء اويصرف به وجوه الناس اليه ادخله الله النار وقد كثر طرقه بحيث كاد ان يكون متواترا (والانقطاع) عن سائر الامور التى فيها نوع من النزاع (لشغل العلائق) اى العوائق بتعلق الخلائق عن خدمة الخالق ويشير اليه قوله تعالى * وتبتل اليه تبتيلا * اى انقطع اليه واعتمد عليه واقصد الحضور لديه ولقوله تعالى ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) وقال بعضهم العلم لايعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا اعطيته كلك فانت من اعطائه اياك بعضه على خطر (والتملق) هو الافراط فى التواضع والتذلل (فورد ليس من اخلاق المؤمن التملق الا فى طلب العلم) رواه الخطيب (والتسليم) اى تسليم المتعلم للمعلم لان العالم الربانى يربى المتعلم بصغار العلم قبل كباره ولقوله (الملاك مريض لاتسليم) اى امره (للطبيب) اى فيما يحتميه وفيما يعينه (والحضور للانتفاع) اى ومن حق العلم حضور القلب مع الرب ليحصل له الانتفاع فى مقام الكسب (فورد) اى فى قوله تعالى (ان فى ذلك) اى فيما سبق من اول سورة ق اوفى القرآن (لذكرى) اى تذكرة اومنفعة وموعظة (لمن كان له قلب) اى حاضر وتمام الآية * او القى السمع وهو شهيد * اى بجميع حواسه (وترك الاستنكاف) اى الانفة عن الطلب او المطلوب منه فان العلم يؤتى ولايأتى (لانه تكبر) اى بغير حق وقد قال تعالى * سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وان يروا كل آية لايؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا (والقياس) اى ومن حق العلم ترك قياس المبتدى على المنتهى فى كثرة الطاعة وقلة اجتناب الشبهة (لاستبداله) اى لاختيار المنتهى (الحضور) اى مع الله (بالنوافل) اذ النهاية ترد الاعمال الى الباطن وتسكن الجوارح الا عن رواتب الفرائض فيترائى للناظر انه كسل وبطالة واهمال وغفلة وهيهات فذلك مرابطة القلب فى عين الشهود والحضور مع الرب (واهالة البحر) اى ولتغييره (النجاسة ماءدون الكوز) شبه المنتهى بالبحر والمبتدى بالكوز فلايقاس الملوك بالحدادين

ومن هنا قال بعض المشايخ من رأى فى البداية صار صديقا ومن رأى فى النهاية صار زنديقا (وتقديم الاهم) اى من العلوم تعلما وتعليما (فيجب أبفرض العين) اى المتعين على كل احد (وهو علم ما يجب من اعتقاد) اى اجمالا او تفصيلا تقليدا اوتحقيقا كما بينته فى شرح الفقه الاكبر تدقيقا (وفعل) اى عمل من صلاة وصوم ونحوهما (وترك) اى من قتل نفس وشرب خمر وامثالهما ومعلمها كتب الفقه (ظاهرا) وهو ظاهر (وباطنا) كترك ارادة المعصية (ثم علم الآخرة) اى معرفة تفاصيل احوالها ومواقفها واهوالها او علم لا ينفع الا فى الآخرة وآمالها والمراد به علم التصوف وتحسين الاخلاق الباطنية وتزيين الاحوال السرية (فهو المقرب اليه تعالى) اى ظاهرا وباطنا بخلاف غيره اذ قد يبعده عنه سبحانه لما يشتمل عليه من انواع التقصير واصناف التكدير من الرياء والسمعة والعجب والغرور فى التقرير والتحرير ومن هنا قال الامام مالك من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن جمع بينهما فقد تحقق (وقال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم اخاف عليه من سوء الخاتمة وادنى النصيب منه التصديق به والتسليم لاهله وقال آخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له شئ من هذا العلم بدعة وكبر وقيل من كان محبا للدنيا اومصرا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم فاقل عقوبة من ينكره ان لا يرزق منه شيئا وانشد

* وارض لمن عاب عنك غيبته * فذاك ذنب عقابه فيه *

هذا ومجمل مايجب عليك من الاعتقاد على وجه الاقتصاد فى مقام الاستفادة ان تعلم ان لك الها عالما قادرا حيا مريدا متكلما سميعا بصيرا واحدا احدا فردا صمدا لاشريك له ابدا ولاضد له ولاند ولاشبيه ليس كمثله شئ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد متصفا بصفات الكمال جامعا بين نعوت الجلال والجمال فهو ذو الجلال والاكرام وصاحب الافضال والانعام منزها عن الحدوث متفردا بالقدم خالقا لكل شئ من حيز العدم كلامه قديم وارادته وعلمه مقدسان عن كل نفس وآفة لايوصف بصفات المحدثين ولايجوز عليه مايجوز على المحدودين ولاتتضمنه الامكنة والجهات ولاتمر عليه الازمنة والساعات ولاتحل له الحوادث والعاهات وان محمدا عبده ورسوله وخليله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وهو الصادق المصدوق فيما جاء به من الله سبحانه وفيما ورد على لسانه من امر الآخرة وغرائب شانه ويجب عليه اعتقاد ماكان عليه السلف من ان الله سبحانه يرى فى الآخرة لانه موجود لكنه غير محدود وان القرآن كلام الله غير مخلوق ليس بحروف مقطعة ولا باصوات مختلفة فهو حال وهادث فينا محفوظ فى قلوبنا مقروء بالسنتنا مكتوب

بايدينا ملحوظ باعيننا وتعتقد ايضا ان لايقع فى الملك والملكوت فلتة خاطر ولا لفتة ناظر الا بقضاء الله وقدره وفق ارادته ومشيئته فمنه الخير والشر والنفع والضر والايمان والكفر وانه لا واجب على الله لاحد من خلقه وان حقه واجب على غيره وهو العبادة ثم من اثابه فهو بفضله ومن عاقبه فهو بعدله ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون وتعتقد جميع ما ثبت بالسنة من امور الآخرة كالجنة والنار والحشر والنشر وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير والصراط والميزان فهذه اصول الايمان درج السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم اجمعين على اعتقادها والتمسك بها ووقع الاجماع عليها قبل تنوع البدع وبدو الاهواء وقال الحجة علم الآخرة ينقسم الى المعاملة والمكاشفة وغاية المعاملة المكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى ولست اعنى بالمعرفة الاعتقاد الذى تلقنه العامى رواية بل ذلك نوع يقين من دراية هو ثمرة نور يقذفه الله فى قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث حتى ينتهى الى رتبة ايمان ابى بكر الصديق والله تعالى ولى التوفيق ومن اهم المهمات معرفة الواجبات ليكتسبها والسيئات ليجتنبها اذ كيف تقوم الطاعات لا تعرف ماهى او كيف يفعلها مع وجود الملاهى ام كيف يجتنب المعاصى من غير ان يعرف انها من المناهى فيجب عليكم ان تحكم احكام الشرع من الاصل والفرع فربما انت مقيم على كفر وبدعة او على غفلة مما يفسد عليك طهارتك اوصلاتك او يخرجهما عن كونهما على وفق السنة ثم مدار هذا الشان ايضا على العبادات الباطنة التى هى من فروض الاعيان من التوكل والتفويض والتسليم والرضاء والقضاء والتوبة والانابة والصبر والشكر والاخلاص فى النية ونحوها مما سيجىء ذكرها ويجب الاتصاف بها وكذا المعاصى الباطنة من السخط والغضب والحقد والحسد والبخل وطول الامل وخوف الفقر والرياء والكبر مما سيأتى بيانها ويجب اجتنابها حتى يصون النفس عما شأنها ويكون منعوته بتمازانها فان هذه المذكورات كلها فرائض الله سبحانه على الامر بها والنهى عن اضدادها فى كتابه القديم وعلى لسان رسوله القويم فقد قال تعالى * فتوكلوا ان كنتم مؤمنين * واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون * واصبروا ان الله مع الصابرين * وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين * ونحو ذلك من الآيات كما نص على الامر بالصوم والصلوة فما بالك اقبلت على العبادات الظاهرة وتركت الطاعات الزائدة والامر بها من رب واحد فى كتاب واحد على رسول واحد بل غفلت عنها ولا عرفت شيئا منها وعلى الجملة فكل ما لا يؤمن من الهلاك مع جهله فطلب علمه فرض لا يسوغ لاحد تركه (فاذا فرغ عن القيام بفرض العين علما وعملا) اى فعلا وتركا (ساغ ان يشرع فى فروض الكفاية كالتفسير) اى وما يتعلق به من علم القراءة واسباب النزول ومعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو الذى يسمى اصول الفقه ويتناول السنة ايضا وما يتوقف عليه من علم اللغة

والصرف والنحو (والاخبار) اى الاحاديث والآثار المسندة وغيرها ومعرفة رجالها وسائر احوالها (والفتاوى) اى فروع الفقه واصوله (غير متجاوز الى النوادر) اى كما نقل عن السلف الاكابر فيكفيك من التفسير وجيز الواحدى او الجلالين ووسطه المدارك او المعالم ونهايته الدر المنثور فى التفسير المأثور ومن الحديث يكفيك ما فى الصحيحين والمتوسط منه نحو المشكوة والنهاية وتيسير الوصول الى جامع الاصول والجامع الكبير للحافظ السيوطى واما الاستغراق فى علم واحد طلبا للاستقصاء فممنوع فان العلم كثير والعمر قصير (ولا مستغرق) اى بكليته فى فرض الكفاية وهى كما قال الحجة كل علم لايستغنى عنه فى قوام امور الدنيا كالطب اذ هو ضرورى فى حاجة بقاء الابدان وكالحساب فانه ضرورى فى المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها قال ولايتعجب من قولنا ان الطب والحساب من فروض الكفاية فان اصول الصناعات كذلك كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة وهى اخس الصنايع فانه لوخلا بلد عن الحجامين تسارع الهلاك اليهم وحرجوا بتعريضهم انفسهم للهلاك فان الذى انزل الداء انزل الدواء وارشد الى استعماله واعد الاسباب لتعاطيه فلايجوز التعرض للهلاك باهماله قلت واغرب من هذا ان صنعة السرابادية ايضا من فروض الكفاية (مشتغل عن المقصود) اى الذى هو الحضور بين يدى المعبود والاستغراق فى لجة بحر الشهود فقد قال الطحاوى حدثنا ابن ابى عمران قال حدثنا محمد بن مروان الخفاف قال سمعت اسمعيل ابن حماد بن ابى حنيفة يقول قال محمد بن الحسن كنت آتى عند داود الطائى فاسئله عن مسئلة فان وقع فى قلبه انها مما احتاج اليه لامر دينى اجابنى فيها وان وقع فى قلبه انها على خلاف ذلك تبسم فى وجهى وقال ان لنا شغلا (والاقتصار) اى ومن حقوق علم المعاملة الاختصار (على الواقع) اى من القضايا (والقريب منه) اى من الواقع فى البلايا (فى المناظرة) اى بطريق المشاورة (فهو المأثور) اى عن الجمهور فان الصحابة ما تناظروا ولا تشاوروا الافى مسئلة واقعة اوقريبة الوقوع غالبا (واختيار الخلوة) اى للمناظرة (لقربها الى جمع الهمة وصفاء الفكرة والبعد عن الرياء والعجب) لان فى حضور الجمع ما يحرك دواعى الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقا كان اومبطلا (وسبيل التشاور) اى واختياره لقوله عزوجل * وامرهم شورى بينهم * ولحديث ما خاب من استشار (والتعاون) لقوله تعالى * وتعاونوا على البر والتقوى (فهو المأثور) لاعلى سبيل المراء والخصومة والرياء (فيجيز الانتقال) اى فيجوز انتقال خصمه من معاونة ومشاورة (عن دليل واشكال) اى الى دليل آخر واشكال اظهر بان اعتقد اولا انه دليل واشكال قبل المشورة والتعاون فعلم بعدهما انه غير دليل واشكال فينتقل (ولايدعى علم مجهول) كما اذا قال احد المتناظرين هذا ما ظهر لى فان ظهر لك ما هو اوضح فاذكره

فيصير المعترض ويقول فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرفته ولا اذكره اذلا يلزمنى ذكره ولايعرف هذا المسكين ان قوله اما كذب ولا يعرف معنى وانما يدعيه تعجيزا لخصمه فهو فاسق كذاب عصى الله سبحانه وتكون دعواه دعوى علم مجهول اوقوله صدق فقد فسق باخفاء ما عرفه من امر الشرع وقد سأل اخوه المسلم واظهار مثل ذلك واجب كمالايخفى فيكون سكوته سكوتا عن معلوم زاعما عدم لزوم الذكر وهو قد وجب عليه وهذا معنى قوله (ولا يسكت عن معلوم زاعما) اى مدعيا (انه عالم بعد) اى بعد سؤال المناظرة و (لزوم الذكر) كما هو شان المناظرين اذا قاس المستدل على اصل بعلة يظنها فيقال له ما الدليل على ان الحكم فى الاصل معلل بهذه العلة فيقول هذا ما ظهر لى فان ظهر لك ما هو اوضح واولى فاذكره الى آخر ما سبق (فهى) اى المذكورات من عدم اجازة الانتقال والادعاء والسكوت (قواعد محدثة) اى اصطلاحات مبتدعة مستقبحة (جاذبة الى المهلكات) من الحسد والتكبر وكتمان الحق واذى المسلم وغير ذلك (يحرم التمسك بها) اى ويجب العمل بخلافها (ويشكر) اى المناظر (للمصيب ويعترف بالخطاء) فعن محمد بن كعب قال سأل رجل عليا عن مسئلة فقال فيها فقال الرجل ليس هكذا ولكن كذا وكذا قال على اصبت واخطأت وفوق كل ذى علم عليم اخرجه ابن جرير وابن عبد البر وقد ثبت ان امرأة ردت على عمر رضى الله عنه ونبهته على الحق وهو فى خطبته على ملاء من الناس فقال اصابت امرأة واخطأ رجل واستدرك ابن مسعود على ابى موسى الاشعرى فقال ابو موسى الاشعرى لاتسئلونى عن شىء وهذا الحبر بين اظهركم وذلك لما سئل ابو موسى عن رجل قاتل فى سبيل الله فقتل فقال هو فى الجنة وكان اذ ذاك امير الكوفة فقال ابن مسعود اعده على الامير فلعله لم يفهم فاعادوا عليه واعاد الجواب وقال ابن مسعود وانا اقول ان قتل فاصاب الحق فهو فى الجنة فقال ابو موسى الحق ما قال وهكذا يكون انصاف طالب الحق ولو ذكر مثل هذا الاقل فقيه لانكره واستبعده وقال لايحتاج الى ان يقال أنه اصاب الحق فان ذلك معلوم لكل احد فانظر الى مناظرى زمانك اليوم كيف تسود وجه احدهم اذا اتضح له الحق على لسان خصمه وكيف يخجل به وكيف يجتهد فى مجاهدته باقصى قدرته وكيف يذم من افحمه طول عمره ثم لا يستحيى من تشبيه نفسه بالصحابة فى تعاونهم على النظر فى الحق (ولا يهتم به) اى برأيه الخطأ لان هذا شأن الاجتهاد ولانه اذا اصاب فله اجران واذا اخطأ فله اجر فلا يخلو عن الخير بالكلية (فهو المأثور) اى المنقول عن الجمهور قبل ولا يقدر على هذه الثلاثة الا العالم الربانى او الولى الصمدانى و(لانه) دليل آخر لعدم الاهتمام اى ولان المناظر اذا كان طالب الحق (منشد ضالة فلا فرق بين ظهورها منه اومن غيره) كما يشير اليه قوله عليه السلام الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو احق بها اخرجه الترمذى عن ابى هريرة مرفوعا (ويقدم) اى

المناظر قبل البحث (افحام النفس) اى اسكات نفسه والزامها بان يحكم عليها بانها امارة بالسوء (والشيطان) وكذا افحام الشيطان (لشدة معاداتهما) قال تعالى * ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا * وقال عليه السلام اعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك ومن لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو اعدى عدوله فلا يزال يدعوه الى هلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره فى المسائل المجتهد فيها مصيب اومساهم للمصيب فى الاجر فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمخلصين فى حزب الرحمن والله المستعان هذا وقد ورد من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا فى ربض الجنة اى وسطها ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا فى اعلى الجنة) الترمذى وحسنه من حديث انس (والتمسك) عطف على اختيار الخلوة اى والاعتصام (فى الاصول) اى الاعتقاديات (بالكتاب) اذا كان مقطوع الدلالة (والسنة) اى المتواترة مبنى اومعنى (والاجماع) اى اجماع الامة واتفاق الائمة (والاعراض عن اعتراض خاطر اوناظر) اى ومن حق العلم ان يعرض عما اعترض فى خاطره اوفى قول مناظره اذا كان هذا الاعتراض مخالفا للادلة الثلاثة المذكورة (لاعتصامها عن الهوى اى هوى النفس (والوسوسة) اى وسوسة الشيطان (دون غيرها) اى بخلاف ما عداها من المقاييس العقلية ونحوها (وتأييد الاعتقاد) اى تقويته وتأكيده (بالمعاملة) والمبنى انه اذا علم واعتقد شيئا واجبا اوسنة اومندوبا فمن حقه ان يؤيد هذا الاعتقاد بالعمل به وكذا اذا اعتقد شيئا حراما اومكروها من حقه ان يؤيد اعتقاده ذلك بالترك (فهو) اى تأييده بها (طريق المكاشفة) اى الموصل الى علم المكاشفة والمشاهدة فمن اشتغل بالعلم بالهدى ولازم طريق التقوى ونهى النفس عن الهوى يفتح له ابواب الهداية ومايوصله الى مقام النهاية كما يشير اليه قوله سبحانه * والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا * وقوله * والذين اهتدوا زادهم هدى وقوله عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم مالا يعلم (وادلة القرآن) اى وتأييده بادلة القرآن خصوصا فانها قطعية لامحالة ويرجع الاجماع والسنة اليها (فبها) اى بالادلة القرآنية (كانوا) اى السلف (يحاجون) اى يباحثون من قنعه القرآن (ويقاتلون من لم يقنعه فلابيان) اى بوجه (بعد بيانه) اى بيان القرآن وقد قال تعالى * هذا بيان للناس * وقال * هذا بلاغ للناس * اى كفاية لهم فى امر دينهم ودنياهم وآخرتهم وفى الحديث من لم يتغن بالقرآن فليس منا اى من لم يستغن عن غيره ويؤيده قوله تعالى * اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون * (وصحبة الصالحين) اى وتأييد الاعتقاد بصحبة الصالحين لانه قد ينكشف لهم بنور الصلاح ما لم ينكشف لغيرهم من العلوم وقد قال تعالى * يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين * (واصغاء الوعظ) اى وتأييده باستماع الوعظ

(اللين) اى المؤثر للقلوب اما من الوعاظ اومن كتب الصوفية (وترك مجادلة الكلام) اى وتأييده بترك مجادلة علم الكلام على طريقة منطقيين والحكماء الخارجين عن دائرة الاسلام (فهو صنعة جدل) بفتح فكسر اى مجادل اوبفتحتين فان المجادلة مراء يتعلق باظهار المذاهب وهو يعرف بكراهة اصابة الخصم وارادة غطائه واظهار فضل النفس وهو موضوع (لتعجيز العامى الذى يضر) بصيغة المجهول (ضرره) اى يضر الجدل مثل ضرر العامى وضرر العامى خلل اعتقاده بواسطة المناظرة بانه يقع فى خاطره ان العلماء لما يترد دون فى المسئلة كيف نعتقدها على طريق الجزم وهذا معنى قوله (لتشويشه الحق ببعث الشبهة وتحريك العقيدة وازالة الجزم فهذا ضرره بالنسبة الى العامى واما ضرره بالنسبة الى العالم فقد بينه بقوله (وتوكيده) عطف على تعجيزه اى فهو صنعة جدل لتأكيده (الباطل بتأبيد الاصرار) اى بتقوية الاستمرار على المجادلة فى الآيات والاخبار (للعنت الجدلى) اى لطلب زلة من يجادل معه ومشقته (وحمل الافحام) اى وبجعل الالزام (على قصور الطبع) وذلك لان المماراة تصير عادة فيه طبيعة فلا يسمع كلاما الا وينبعث من طبعه داعية الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه فى ادلة القرآن والفاظ الشرع فيصرف البعض منها بالبعض ولذا ذم الجدل فى الكتاب والسنة فقد ورد ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم قرأ * ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون * الترمذى وابن ماجه من حديث ابى امامة قال الترمذى حديث حسن صحيح وقال عز وجل * وكان الانسان اكثر شىء جدلا * وفى الحديث فى معنى قوله تعالى * فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون * الآية هم اهل الجدل الذين عنى الله بقوله تعالى * فاحذروهم * متفق عليه من حديث عائشة وقال بعض السلف يكون فى آخر الزمان قوم يغلق عنهم باب العمل ويفتح لهم باب الجدل وفى بعض الاخبار انكم فى زمان المهتم فيه العمل وسيأتى قوم يلهمون الجدل ذكره الحجة وقال العراقى لم اجد له اصلا وفى الخبر المشهور ابغض الخلق الى الله تعالى الالد الخصم متفق عليه من حديث عائشة ولعله مقتبس من قوله تعالى * ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو الد الخصام * ومن هنا قيل اعتقاد العامى الذى لم يشتغل بالكلام راسخ قوى فى احكام الاسلام واعتقاد الجدلى الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل فى الهواء بل يشابه الهباء تقيه الرياح المختلفة فى الصحراء كما فى الاحياء (ومن ثمه) تكتب بالتاء لئلا تشتبه بثم ثم تقرأ بفتح المثلثة من غير تاء وصلا وهاء وقفا وغلاف ذلك عد من غلط العامة كذا فى غاية التحقيق اى ومن اجل ذلك ومايتفرع عليه هنالك (تزعزع) اى تزلزل (عقيدة المتكلم المشتغل بالنظر) اى بالادلة النظرية العقلية فقط (دون العامى المتقى) اى المعتمد على الادلة النقلية والحجج الشرعية فان المشتغل بالكتاب والسنة ومتابعة الصالحين من الائمة لايتزعزع بل يزداد رسوخا بما

سمعه من ادلة القرآن وبما يرد عليه من شواهد الحديث فى ميدان البيان وبما يسرى اليه من سير الصالحين وسلوك الصادقين (الا) استثناء من قوله لتعجيز العامى الذى يضر ضرره اى الا (فى عامى اعتقد بدعة مسموعة) اى من جماعة مبتدعة (والف الجدل حتى لا يفيده سواه) والغالب انه لا يفيده بل لا يزيده الا ضلالا وتبارا كما يشير اليه قوله تعالى * وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا * فان القرآن كالنيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين كما يومى اليه قوله تعالى * يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا (فمن ثمة) اى من اجل انه يرجى انه يفيد فى الجملة اولا قامة الحجة (صار) اى علم المناظرة (مباحا) عند بعضهم (بل من فروض الكفاية) اى عند بعض ارباب الدراية (فى زمان البدع) اى ايام ظهور انواع البدعة (صونا للعقائد) اى عن تزلزلها فى القواعد وهو انما يكون مباحا او فرض كفاية (على الذكى) اى الفطن (الفصيح) اى القادر على التقرير والتحرير (المتدين المتجرد له) اى لتحصيله هذا الفن (ليقدر على الفهم) اى اولا (والتقرير) اى التفهيم ثانيا (والتبات على الحق) اى ثالثا (والاستكمال لازالة الشبهة دون العامة) اى لا يباح لعامة الناس ان يخوضوا فى هذا البحر العظيم فان فيه من الخطر الفخيم والمراد بالعامى هنا من لم يستحكم عقائده بالكتاب والسنة واجماع الامة وسائر الادلة العقلية والحجج النقلية (لانه) اى علم النظر (دواء) فيحتاج اليه عند الحاجة كالادوية والعامى ليس له معرفة بكيفية استعمال هذا الدواء فلا حاجة اليه بل استعماله وبال عليه (بخلاف ما سبق) اى من الادلة الثلاثة التى هى الكتاب والسنة واجماع الامة (فهو غذاء) اى فانها كالغذاء للبدن فلابد للعامى منها فقد قال فتح الموصلى اليس المريض اذا منع الطعام والشراب والدواء يموت فقالوا بلى فقال هكذا القلب اذا منع عنه الحكمة والعلم ثلثة ايام يموت واما دقائق المعتقدات ومقائق المختلفات فيستغنى عنه العامى حتى لو مات قبل ان يعتقد ان كلام الله قديم وانه مرئى وانه ليس محلا للحوادث الى غير ذلك فقد مات على الاسلام اجماعا (بكلام واضح) اى هو من فروض الكفاية على الذكى الفصيح بكلام ظاهر (سديد) اى مسدد بساهر (قريب من الشرع ليقرب) اى ذلك الكلام (من الفهم) اى الذى يقتضيه الطبع (ويبعد عن ورود الشبهة والهوى) اى هوى النفس اوهوى البدعة (والوسوسة) اى الناشئة من النفس والشيطان (دون التعمق المشوش) اى ولا يباح لمن ينظر فى علم النظر ان يتعمق فيه بحيث يشوش عليه ما يعينه (والتجاوز) اى دون التعدى (الى هذيانات) اى وترهات تؤذى بها الطبايع وتمجها الاسماع (اخترعها المبتدعة) اى من الخوارج والروافض والمعتزلة ثم اعلم ان المصنف فى هذا المقام تبع حجة الاسلام فى اباحة علم الكلام واقتفاه

فى تفاصيل ما ذكره من المرام الاان السلف الكرام وجماعة من الخلف الفخام اتفقوا على
ان علم الكلام من العلوم المذمومة وهو ماتنصب فيه الادلة العقلية وتنقل فيه اقوال الفلاسفة
والحكماء الطبيعية والا فعلم العقائد بالحجج الشرعية والبراهين النقلية اشرف العلوم الدينية
لانه يبحث فيه عما يتوقف صحة الايمان عليه وتتماته اللازمة لديه فعن الشافعى لان يلقى
الله العبد بكل ذنب ماخلا الشرك خير له من ان يلقاه بشئ من علم الكلام وذكر فى غياث
المفتى عن ابى يوسف انه لايجوز الصلاة خلف المتكلم وان تكلم بحق لانه مبتدع ولا يجوز
خلف المبتدع وكان ابو حنيفة يكره الجدال على سبيل الحق حتى روى عن ابى يوسف انه
قال كنا جلوسا عند ابى حنيفة اذ دخل جماعة فى ايديهم رجلان فقالوا ان احد هذين
يقول القرآن مخلوق وهذا ينازعه ويقول غير مخلوق قال لاتصلوا خلفهما فقلت اما الاول
فنعم فانه لايقول بقدم القرآن واما الآخر فما باله لا يصلى خلفه فقال انهما ينازعان فى
الدين والمنازعة فى الدين بدعة كذا فى مفتاح السعادة ومن جملة العلوم المذمومة علم
المنطق الذى هو يسمى بدهليز الكفر فقد صنفه شيخ مشايخنا جلال الدين السيوطى رسالة
مستقلة فى تحريمه ونقل عن الائمة الاربعة مايدل على تسليمه ومن جملتها علم السحر
كما يدل عليه قوله تعالى * واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان
ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر * ومنها علم النجوم فقد ورد تعلموا من
النجوم ماتهتدون به فى ظلمات البر والبحر ثم انتهوا ابن مردويه والدارقطنى عن ابن
عمر رب معلم حروف ابى جاد دارس فى النجوم ليس له عند الله خلاق يوم القيمة الطبرانى
عن ابن عباس من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد مازاد احمد وابو
داود وابن ماجه عن ابن عباس مثل الناظر فى النجوم كالناظر فى عين الشمس كلما اشتد
نظره فيها ذهب بصره الديلمى عن ابى هريرة وعن الربيع بن بسرة الجهنى قال لما غزا
عمر واراد الخروج الى الشام خرجت معه فلما اراد ان يدلج نظرت فاذا القمر فى الدبران
فاردت ان اذكر ذلك لعمر فعرفت ان يكره ذكر النجوم فقلت له يا اباحفص انظر الى
القمر ما احسن استوائه الليلة فنظر فاذا هو فى الدبران فقال قد عرفت ماتريد ابن بسرة
تقول ان القمر فى الدبران والله مايخرج شمس ولاقمر الا بالله الواحد القهار الخطيب وابن
عساكر وعن عبد الله بن عوف بن الاحمر ان ابى مسا بن عوف بن الاحمر قال لعلى بن
ابى طالب حين انصرف من الانبار الى اهل النهر وان يا امير المؤمنين لاتسر فى هذه الساعة
وسر فى ثلاث ساعات يمضين من النهار قال على ولم قال لانك ان سرت فى هذه الساعة
اصابك انت واصحابك بلاء وضر شديد وان سرت فى الساعة التى امرتك بها ظفرت
وظهرت وطلبت فقال على ماكان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده هل
تعلم ما فى بطن فرسى هذه قال ان حسبت علمت قال من صدقك بهذا القول كذب القرآن

قال

قال الله تعالى * ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام * الآية ما كان محمد صلى الله عليه وسلم يدعى ما ادعيت علمه تزعم انك تهدى الى علم الساعة التى يصيب السؤ من سافر فيها قال نعم قال من صدقك بهذا القول استغنى عن الله فى صرف المكروه عنه وينبغى للمقيم بامرك ان يوليك الامر دون الله ربه لانك انت تزعم هدايته الى الساعة التى ينجو من السؤ من سافر فيها فمن آمن بهذا القول لم آمن عليه ان يكون كمن اتخذ دون الله ندا وضدا اللهم لاطير الاطيرك ولاخير الاخيرك ولا اله غيرك نكذبك ونخالفك ونسير فى هذه الساعة التى تنهانا عنها ثم اقبل على الناس فقال يا ايها الناس اياكم وتعلم هذه النجوم الا ما يهتدى به فى ظلمات البر والبحر انما المنجم كالكافر والكافر فى النار والله لئن بلغنى انك تنظر فى النجوم وتعمل بها لاخلدنك فى الحبس ما بقيت وبقيت ولامرمنك العطاء ماكان لى سلطان ثم سار فى الساعة التى نهاه عنها فانى اهل النهروان فقتلهم ثم قال لو سرنا فى الساعة التى امرنا بها فظفرنا اوظهرنا لقال قائل سار فى الساعة التى امر بها المنجم ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده ففتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وسائر البلدان ايها الناس توكلوا على الله وثقوا به فانه يكفى ما سواه الحارث والخطيب وعن على ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يا على لاتجالس اصحاب النجوم الخرائطى فى مساوى الاخلاق والديلمى * ومنها علم الرمل والفال ولو من المصحف فانه من قبيل الازلام المنصوص فى القرآن انه من الحرام وعن معاوية ابن الحكم مرفوعا كان من الانبياء يخط فمن وافق خطه فذاك (احمد ومسلم وابو داود ومنها علم النسب والتوغل فى الصرف والنحو ونحوهما فمن ابى هريرة مرفوعا تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم ثم انتهوا وتعلموا من العربية ما تعرفون به كتاب الله ثم انتهوا (البيهقى وعن ابى هريرة مرفوعا علم النسب علم لا ينفع وجهالة لاتضر (ابن عبد البر وعن ابن عباس مرفوعا كذب النسابون قال الله تعالى * وقرونا بين ذلك كثيرا * ابن سعد وابن عساكر وفى رواية الديلمى عن عطاء عن ابن عباس وابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فرأى جمعا من الناس على رجل فقال ما هذا قالوا يا رسول الله رجل علامة قال وما العلامة قالوا اعلم الناس بانساب العرب وبالشعر وبما اختلف فيه العرب فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذا علم لا ينفع وجهالة لاتضر (الديلمى ومنها علم الطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات كالكيميا والسيميا واما المباح فالعلم بالاشعار التى لاسخف فيها وتواريخ الاخبار وما يجرى مجراه ومنها الشطحيات وهى الدعاوى الطويلة العريضة فى العشق مع الله والوصال المغنى عن الاعمال الظاهرة حتى ينتهى قوم الى دعوى الالحاد من العينية والحلول وغيرهما من انواع الالحاد ودعوى ارتفاع الحجب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا ويتشبهون فيه بالحسين بن المنصور الحلاج الذى صلب لاجل اطلاقه كلمات من هذا الجنس ويستشهدون

بقوله انا الحق وبما حكى عن ابى يزيد البسطامى انه قال سبحانى وهذا فن من الكلام عظيم ضرره فى العوام حتى ترك جماعة من اهل الفلاحة فلاحتهم واظهروا مثل هذه الدعاوى فان هذا الكلام يستلذه الطبع اذ فيه البطالة من الاعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والاحوال فلا يعجز الاغبياء عن دعوى ذلك لانفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة ومهما انكر عليهم لم يعجزوا ان يقولوا ان هذا انكار مصدره العلم والجدل والعلم حجاب والجدل عمل النفس وهذا الحديث لا يلوح الا من الباطن بمكاشفة نور الحق فهذا ومثله قد استطار فى بعض البلاد شره وعظم فى العوام ضرره حتى من نطق بشئ فقتله افضل فى دين الله من احياء عشرة واما ابو يزيد البسطامى فلا يصح عنه ما حكى وان سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله عز وجل فى كلام يردده فى نفسه كما لو سمع وهو يقول * انني انا الله لا اله الا انا فاعبدنى * فانه كان لا ينبغى ان يفهم ذلك منه الا على سبيل الحكاية كذا فى الاحياء ومنها قراءة كتاب الفصوص المخالف للنصوص فانه مشتمل على انواع من كفريات صريحة التى ليس لها تأويلات صحيحة وقد قال ابن المقرى فى الارشاد ان طائفة ابن العربى شر من اليهود والنصارى وقد عملت فى هذه المسئلة رسالة مستقلة وقد حرم بعض فقهائنا مطالعة تفسير الكشاف لما فيه من الاعتزال وكذا ينبغى الاحتراز عن مواضع فى البيضاوى تبع فيه مذاهب الحكماء والله سبحانه وتعالى اعلم بحقايق الاشياء ومنها الطامات وهو صرف الفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة الى امور باطنة لا تسبق منها الى الافهام كدأب الباطنية فى التأويلات فهذا ايضا حرام وضرره عظيم فان الالفاظ اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع من غير ضرورة تدعو اليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالالفاظ ويسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فان ما سبق منه الى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى وهذا ايضا من البدعة الشائعة العظيمة الضرر وانما قصد اصحابها الاغراب لان النفوس مائلة الى الغريب ومستلذة له وبهذا الطريق توصل الباطنية الى هدم جميع الشريعة بتأويل ظاهرها وتنزيلها على رأيهم كما حكى الغزالى من مذاهبهم فى كتاب المستظهرى المصنف فى الرد على الباطنية ومثال تأويل اهل الطامات قول بعضهم فى تأويل قوله تعالى * اذهب الى فرعون انه طغى * اشارة الى قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغى على كل انسان وفى قوله * وان الق عصاك * الى كل ما يتوكأ عليه وما يعتمده مما سوى الله فينبغى ان يلقيه وفى قوله عليه السلام تسحروا فان فى السحور بركة اراد به الاستغفار فى الاسحار وامثال ذلك حتى تحرفوا القرآن من اوله الى آخره عن ظاهره وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعا كتنزيل

فرعون على القلب فان فرعون شخص محسوس تواتر الينا النقل بوجوده ودعوة موسى له كابي جهل وابي لهب وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين والملائكة ومالم يدرك بالحس حتى يتطرق التأويل الى الفاظها وكذلك حمل السحور على الاستغفار فانه كان عليه السلام يتناول الطعام في السحر كما في البخاري ويقول تسحروا وهلموا الى الغداء المبارك كما رواه ابوداود وغيره فهذه امور تدرك بالتواتر والحس وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك في امور لايتعلق بها الاحساس فكل ذلك مرام وضلالة وافساد للدين على الخلق ولم ينقل شيء من ذلك على الصحابة ولاعن التابعين ولاعن الحسن البصري مع اكبابه على دعوة الخلق ووعظهم فلايظهر لقوله عليه السلام في الترمذي وسننه من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار معنى الاهذا النمط وهو ان يكون غرضه ورأيه تقرير امر وتحقيقه فيستجر شهادة القرآن عليه ويحمله عليه من غير ان يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية اونقلية اولغوية ولا ينبغي ان يفهم من الحديث انه يجب ان لايفسر القرآن بالاستنباط والفكر فان من الآيات مانقل عن الصحابة والتابعين خمسة معان وستة وسبعة واكثر ونعلم قطعا ان جميعها غير مسموعة عن النبي صلى الله عليه وسلم فانها قد تكون متنافية لاتقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطا بحسن الفهم وطول الفكر ولذا قال عليه السلام لابن عباس (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل كما رواه احمد وابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد ومن يستجيز من اهل الطامات مثل هذه التأويلات مع علمه بانه غير مرادة بالالفاظ ويزعم انه يقصد بها دعوة الخلق الى الحق يضاهي من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هو في نفسه حق ولكنه لم ينطق به الشرع كمن يضع في كل مسئلة يرى انها حق حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك ظلم وضلال ودخول في الوعيد المفهوم في قوله عليه السلام في الصحيحين من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار بل الشرق تأويلات هذه الالفاظ اطم واعظم لانها مبطلة للفقه بالالفاظ وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية واما اذا اورد الالفاظ والمباني على مراد الشرع من المعاني بحسب العبارات ثم زاد على ظواهرها مما يستفاد من سرائرها بطريق الاشارات فذلك نور على نور وجمع بين بطون وظهور * ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور * (وفي الفروع) عطف على في الاصول اي ومن حق العلم التمسك في علم الفروع المسمى بالفقه (بالمجمع عليه) اي ان وجد اجماعا او بالمتفق عليه بين الاربعة مثل تعجيل صلاة المغرب (ثم الاحوط) كمسح كل الرأس فان الخروج عن الخلاف مستحب بالاجماع وكذا اذا كان حنفيا ومس ذكره اولمس امرأة يتوضأ واذا كان شافعيا لايتوضأ من القلتين واذا رعف او افتصد اوفعل نحوه يتوضأ وهذه الطريقة

السنية طريقة الصوفية حتى قيل ان هذا مذهب خامس فى القواعد الفقهية (ثم الاوثق) اى اذا لم يمكن الاهوط للتعارض فيتمسك بالاقوى (دليلا) كالاسفار بالفجر دون الغلس ووضع اليمين دون الارسال وقد بينا الادلة بيننا وبين المخالفين معنا فى شرح النقاية والله ولى الهداية فى البداية والنهاية (ثم قول من ظن) اى اذا لم يكن مجتهدا اولم يظهر له دليل ولا بد له ان يقلد فيتمسك بقول من غلب على ظنه (انه افضل) وفى مقام الفقه اكمل لان نفسه حينئذ ينقاد الى قوله ويخضع لرأيه ويتبادر الى امتثال امره ونهيه وزاد ابن حجر فى نسخة اصله قوله والعمل به اكيد وهذه زيادة فائدة ان صحت لها منفعة عائدة ثم قال وكل من ابى حنيفة ومالك والشافعى امتاز باقليم لايعرف فيه غير اتباعه اويكون فيه اتباعه اكثر كاقليم الحجاز واليمن ومصر والشام وحلب وعراق العرب والعجم بالنسبة للشافعى وكالغرب على سعته بالنسبة الى مالك وكالروم والهند وماوراء النهر بالنسبة لابى حنيفة انتهى ولايخفى ان المغرب مختص بالامام مالك واما ماذكره من اقليم الحجاز وما بعده فيخلوط بالشافعية والحنفية والمالكية والحنبلية فان الحنابلة موجودون فى النجد وتوابعه وكذا فى البصرة وبغداد والاحصاء ونواحيها واما شمس علم ابى حنيفة فقد اشرق على الشرق وغلب على فرق اكثر الفرق فان كثرة الاروام وغلبة الهنود والاعجام ربما يكون اضعافا مضاعفة على اتباع مالك والشافعى والظن ان الحنفية تكون ثلثى اهل الاسلام كما يكون المؤمنون ثلثى اهل الجنة فى دار المقام ثم الكثرة اصل معتبر عند العلماء الاعلام كما يشير اليه ما روى عليكم بالسواد الاعظم والله اعلم (كابى حنيفة عندنا) معشر الحنفية وكغيره من الائمة الاربعة عند غيرنا فقد علم كل اناس مشربهم وتبع كل طائفة مذهبهم (فورد) اى من طرق لكنها كلها واهية (ابو حنيفة سراج امتى) حديث موضوع كما قاله الصغانى وغيره بل قال السيوطى وما يورد فى ذكر ابى حنيفة من الاحاديث فباطل كذب لااصل له نعم اخرج الشيخان عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال * لوكان العلم عند الثريا لتناوله رجال من ابناء فارس قال السيوطى هذا اهل صحيح يعتمد عليه فى البشارة بابى حنيفة وفى الفضيلة التامة له قلت مع زيادة كونه من التابعين اتفاقا على اختلاف فى انه هل روى عن الصحابة ام لا كما بينه فى شرح مسند الامام وقد ورد خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ومما يصلح للاستدلال به على عظم شان ابى حنيفة ما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال * ترفع زينة الحيوة الدنيا سنة خمسين ومائة ومن ثمه قال شمس الائمة الكردرى ان هذا الحديث محمول على ابى حنيفة لانه مات تلك السنة كذا ذكره ابن حجر المكى فى الخيرات الحسان فى مناقب ابى حنيفة النعمان وقد ثبت ان اباه ثابتا ذهب به الى على بن ابى طالب كرم الله وجهه وهو صغير فدعا له بالبركة فيه وفى ذريته (وسمع) بصيغة المجهول والمعلوم

(فى المنام) انه عليه السلام قال بعد ما قيل اين اطلبك يارسول الله (انا عند علم ابى حنيفة) وفى شرح ابن حجر وسمع فى المنام البارى تعالى يقول انا عند علم ابى حنيفة اى بالحفظ والقبول وانزال البركة فيه وفى الآخذين به (وسلم المخالفون) كمالك والشافعى وغيرهما (سبقه فى الفقه) اى غلبته فى هذا الفن اصولا وفروعا فقد قال الشافعى قيل لمالك هل رأيت ابا حنيفة قال نعم رأيت رجلا لو كلمك فى هذه السارية ان يجعلها ذهبا لقام بحجته وهذا من كمال انصاف مالك مع علو مقامه هنالك وغاية مبالغة فى بلاغة الامام وبيان المرام فى جميع المقام وقال الشافعى الخلق كلهم عيال ابى حنيفة فى الفقه وفى رواية عنه من اراد ان يتجر فى الفقه فهو عيال على ابى حنيفة وقال ايضا من اراد ان يعرف الفقه فليلزم ابا حنيفة واصحابه ذكره ابن حجر وذكر ايضا ان الشافعى لما دخل بغداد وزار قبره يصلى عنده ركعتين فلم يرفع يديه فى التكبير وفى رواية ان الركعتين كانت الصبح وانه لم يقنت فقيل له فى ذلك فقال ليس ادبنا مع هذا الامام ان نظهر خلافه بحضرته والفضل ما شهدت به الاضداد وقال النضر بن اسمعيل كان الناس نياما عن الفقه حتى ايقظهم ابو حنيفة ودخل على امير المؤمنين المنصور وعنده عيسى بن موسى العابد الزاهد فقال للمنصور هذا عالم الدنيا فقال له المنصور عمن اخذت العلم قال عن اصحاب عمر وعن اصحاب على وعن اصحاب ابن مسعود فقال له المنصور لقد استوثقت وكان يقول اذا جاء الحديث عن رسول الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين وعن اصحابه اخذنا بعض اقوالهم ولم نزاحمهم وعن التابعين نزاحمهم فهم رجال ونحن رجال وذكر الامام الاسفرائينى باسناده الى على ابن المدينى وهو من اساتذة البخارى وهو الذى طعن فى حديث الثلثين سمعت عبد الرزاق يقول قال معمر ما اعرف احدا بعد الحسن اى البصرى يتكلم فى الفقه احسن معرفة من ابى حنيفة ومجمل الكلام فى مرام هذا المقام اى تقليد الافضل افضل باتفاق علماء الاعلام وقيل بل يتعين ثم تقليد الاقدم فى الاستنباط اولى واتم فالامام الاعظم والهمام الاقدم هو ابو حنيفة فانه افضل زمانا واكمل شانا فانه من التابعين دون سائر المجتهدين ثم انه اقدم برهانا واتم بيانا لتقدمه واختصاصه بتدوين الفقه اصلا وفرعا فانه صور المسائل واجاب عنها واوضح الاسباب والعلل منها وبنى ما يتفرع عليها فهو الذى اخذ الماء من عين المأخذ وغض عليها بالنواجذ وغيره انما التقط ما من اقلامه سقط ومع هذا ينبغى ان لا يعتقد ان اصحابنا مصيبون قطعا وان مخالفيهم يخطئون جزما فان المجتهد يخطئ ويصيب والحق عند الله واحد على ما ذكر فى المصفى وشرح البزدوى ولا يتمكن المجتهد من اصابة الحق قطعا بل على غلبة الظن حتى اذا سئلنا عن مذهبنا ومذهب مخالفينا فى الفروع نجيب بان مذهبنا صواب يحتمل الخطأ ومذهب مخالفينا خطأ يحتمل الصواب على ما فى جواهر الفقه وغيره وهذا لا ينافى قولنا الاجمالى ان مذهب

الاربعة حق لاتفاقهم على مأخذهم من الكتاب والسنة واما قول بعضهم يجيب ان تجيب بما قدمنا فليس فى محله اذلم يظهر دليل وجوبه نعم ينبغى ان يقول كذا بناء على غلبة ظنه ثم فى الاصول نقول نحن على الحق ومخالفنا على الباطل كالمعتزلة وامثالهم من اهل البدعة لمنابذتهم ظواهر الكتاب والسنة (وكان يقوم كل الليل) بعد ان كان يحيى نصفه فاشار اليه انسان وهو يمشى فقال هذا هو الذى يحيى الليل كله فلم يزل بعده يقوم الليل كله وقال انا أستحيى من ان اوصف بعبادة ليست فى يعنى احترازا من دخوله فى قوله تعالى (يحبون ان يحمدوا بمالم يفعلوا (وسمع هاتفا) اى فى المنام كما قاله ابن حجر اوبين النوم واليقظة كالالهام (فى الكعبة) اى بعد ان ختم القرآن فى ركعتين (ان يا ابا

حنيفة اخلصت خدمتى واحسنت معرفتى فقد غفرت لك ولمن تبعك الى قيام الساعة) ذكر فى آخر خزانة المفتين انه حكى ان ابا حنيفة لما حج حجة الوداع دخل الكعبة وقام بين العمودين على رجله اليمنى حتى قرأ نصف القرآن وركع وسجد ثم قام على رجله اليسرى وقد وضع قدمه اليمنى على ظهر رجله اليسرى حتى ختم القرآن فلما سلم بكى وناجى وقال الهى ماعبدك هذا العبد الضعيف حق عبادتك ولكن عرفك حق معرفتك فهبه نقصان عبادته لكمال معرفته فهتف هاتف من جانب البيت :«قد عرفت واخلصت المعرفة وخدمت واحسنت الخدمة فقد غفرنا لك ولمن تبعك وكان على مذهبك الى قيام الساعة» انتهى ولايخفى ان الصلاة على قدم واحدة مكروهة فلعل فعله هذا قبل ان تتبين له هذه المسئلة او الكراهة مختصة بالفريضة فان امر النوافل مبنى على التوسعة وههنا اشكال آخر حيث قال الامام عرفناك حق معرفتك والمشهور على السنة العوام وسائر الاعلام ما عرفناك حق معرفتك والجواب انه اراد حق المعرفة قدر ما اوجبه الله تعالى عليه بحسب الوسع والطاقة وانهم ارادوا نهاية المعرفة وغاية العلم المعبر عنه بالاحاطة وقد قال تعالى * ولايحيطون به علما * وقال * وما اوتيتم من العلم الاقليلا * ولايحيطون بشىء من علمه الابما شاء * واما العبادة حق العبادة المعبر عنه بالتقوى حق تقاته المعبر بان يطاع ولايعصى ويذكر فلا ينسى فكل احد عاجز عن ذلك كما اخبر الله به عنه بقوله تعالى * كلا لما يقض ما امره * فالانسان محل النسيان والمخلوق فى مقام النقصان والله المستعان وهو ضعيف لعموم قوله سبحانه «فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون * وقوله عليه السلام «اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم * ولذا قيل «من تبع عالما لقى الله سالما (وتلمذ له كبار من المشايخ) مثل ابراهيم بن ادهم وفضيل بن عياض وداود الطائى وابن المبارك والليث بن سعد والامام مالك على ماذكره ابن حجر ونحوهم لكن لايخفى ان تلمذ مالك لابى حنيفة غير ظاهر نعم قد يكون كل منهما اخذ عن صاحبه والله اعلم بحقيقة منصبهما واما مشايخه فذكر الكردرى ان ابا حنيفة ادرك الامام محمد بن على بن حسين

بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم ويسمى محمد الباقر لتبقره فى العلوم وتبحره وكذا ادرك ولده الامام جعفر الصادق وكذا زيد بن اسلم مولى امير المؤمنين عمر بن الخطاب وكذا ربيعة الراى شيخ الامام مالك وكذا شعبة بن الحجاج الذى يقال له امير المؤمنين فى الحديث ومنهم الامام الاوزاعى امام اهل الشام وكان من جلالته ان مالكا والثورى احدهما يقود حماره والآخر يسوقه ومنهم عطاء ابن ابى رباح المكى كان جعد الشعر اسود افطس اشل اعور ثم عمى بعد ذلك قال ابو حنيفة ما رأيت افقه من حماد ولا اجمع من عطاء ومنهم ابو بكر بن عاصم بن ابى النجود بفتح النون وضم الجيم الامام فى القراءة تابعى جليل القدر ومنهم عامر بن شرحبيل الشعبى قال ادركت خمسمائة من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وكان يعجبه هذا البيت *

(شعر) ليست الاحلام فى حال النهى * انما الاحلام فى حال الغضب *

قلت وهو مقتبس من قوله عليه السلام الصبر عند الصدمة الاولى وفى الجملة بلغ عدد مشايخ امامنا اربعة آلاف واما اصحابه فلا تعد ولا تحصى بلا خلاف وقد نظم بعضهم هذا المعنى تحسينا للمبنى *

(شعر) غدا مذهب النعمان خير المذاهب * كما القمر الوضاح خير الكواكب *
تفقه فى خير القرون مع التقى * فمشربه لاشك خير المشارب *
ثلاثة آلاف والف شيوخه * واصحابه مثل النجوم الثواقب *

(وتحمل لتقلد القضاء) بان يكون قاضى قضاة جميع الدنيا وكذا التولية مفاتيح خزائن بيت المال شرقا وغربا وعجما وعربا (ما تحمل) اى من الضرب والحبس والشتم ايثارا لعذاب الدنيا على عقاب العقبى من كمال التقوى وعن الامام احمد انه ذكر ابا حنيفة فقال كان زاهدا ورعا وضرب على القضاء احدى وعشرين سوطا فابى وعن سهل بن مزاحم بدلت له الدنيا بجذافيرها وضرب عليها بالسياط فلم يقبلها من قليلها ولا كثيرها (وما غالط الظلمة) اى باختياره (وما قبل منهم شيئا) لكمال اقتداره عن النضر بن محمد الرقى قال لقيته ببغداد وانا اريد الكوفة فقال قل لابنى حماد قوتى فى الشهر درهمان من سويق وقد حبسته سغى فعجله الى وكان فى ذلك اليوم حبسه المنصور للقضاء ببغداد وروى ان المنصور كان يريد ان يقرب الامام فيقول الامام لا لانك ان قربتنى افتتنى وان ابعدتنى اغزيتنى وليس عندك ما ارجوك له وليس عندى ما اخافك عليه وانا غنى بمن اغناك فلن اغشاك فيمن يغشاك ومثله ذكر عن الامام محمد بن الحسن انه قال لعيسى بن موسى والى الكوفة وزاد فى آخره مما انشأ قائلا

(شعر) كسرة خبز وقعب ماء * وفرد ثوب مع السلامة *
خير من العيش فى نعيم * يكون من بعده ندامة *

ثم ما ذكرنا من افعال المنصور بالامام فعل يزيد بن هبيرة والى الكوفة مثله ايضا فى زمان المراوغة كما رواه العسكرى وغيره عن يحيى بن اكثم عن ابى داود قال اراد ابن هبيرة ان يولى الامام قضاء الكوفة فابى فحلف ابن هبيرة ان لم يقبله يضربه بالسياط على رأسه ويحبسه فحلف الامام على انه لا يلى منه فقيل

له انه حلف على ان يضربك قال ضربه فى الدنيا اهون من معالجة مقامع الحديد فى العقبى والله لاافعل ولوقتلنى فقيل انه حلف لايخليك وانه يريد بناء قصر فتول له عد اللبن فقال لوسألنى ان اعد له ابواب المسجد ما فعلت فذكر للامير فقال ابلغ قدره ان يعارضنى فى اليمين فدعاه فشافهه وحلف ان لم يقبل يضرب على رأسه عشرين سوطا فقال اذكر مقامك بين يدى الله تعالى فانه اذل من مقامى هذا ولا تهددنى فانى اقول (لا اله الا الله محمد رسول الله والله يسألك عنى حيث لا يقبل منك الجواب الا بالحق فاومأ الى الجلاد ان امسك وبات فى السجن واصبح وقد انتفخ وجهه من الضرب وعن ابن المبارك ان الرجال فى الاسم سواء حتى يقعوا فى البلوى فقد ضرب ابو حنيفة على رأسه فى السجن حتى يدخل فى الحكم فصبر على الذل والضرب فى الحبس طلبا للسلامة فى دينه وعن ابى عبد الله بن حفص الكبير البخارى ان الفتنة لما ظهر بخراسان دعا ابن هبيرة العلماء كابن ابى ليلى وابن شبرمة وداود بن هند وولى كل واحد منهم شيئا من عمله وعرض على ابى حنيفة ان يكون الخاتم فى يده لا ينفذ كتابا الا من تحت امره فابى فحلف الامير انه ان لم يله يضربه فى كل جمعة سبعة اسواط فقال الفقهاء لابى حنيفة انا اخوانك نناشدك على ان لاتهلك نفسك وكلنا نكره عمله ولكن لم نجد بدا منه فقال لو اراد منى ان اعد ابواب مسجد واسط لم اعد له فكيف وهو يريد منى ان يكتب فى دم رجل واختم له والله لا ادخل فى ذلك فقال ابن ابى ليلى دعوه فانه مصيب فحبسه الشرطى جمعتين وضربه اربعة عشر سوطا ثم اجتمع مع الامير فقال الاناصح لهذا ان يستمهلنى فاستمهله وقال اشاور اخوانى فخلاه فهرب الى مكة فى سنة مائة وثلاثين الى ان صارت الخلافة للعباسية اقام بهما فقدم الكوفة فى زمن المنصور فعظمه وامر له بجائزة عشرة آلاف الف درهم وجارية فلم يقبلها وروى انه كان يتمثل كثيرا

شعر

* اعطاء ذى العرش خير من عطائكم * وسيبه واسع يرجى وينتظر *
* انتم بكدر ما تعطون منكم * والله يعطى فلا من ولا كدر *

وروى انه لما ارسل اليه ابو جعفر المنصور بعشرة آلاف درهم على يد الحسن بن قحطبة ولم يمكنه ردها اوصى ابنه حمادا انه اذا مات ودفن يردها للحسن ففعل فقال رحمة الله على ابيك لقد كان شحيحا على دينه (وما اشتغل بالدعوة) اى بدعوة الناس الى مذهبه (الا بالاشارة النبوية فى المنام) اليه ليدعوهم الى مذهبه (بعد ما قصد الانزواء اى الاستخفاء عن الانام وحكاية رؤيا الامام مشهورة بانه ينبش قبره عليه السلام ويؤلف العظام الكرام بوضع بعضها فى موضع مناسب للمقام فعبر ابن سيرين من اجلاء التابعين للمنام ان صاحبها رجل يحيى به الله سنن الاسلام مما اميتت فيما بين الانام والاظهر ان يقال مما

تفرقت بين الصحابة الكرام والتابعين العظام فجمعها الامام ورتبها اصولا وفروعا يلتئم به الاحكام على وجه الاحكام (وما استظل بحائط المديون حين اتاه متقاضيا) اى طالبا لقضاء دينه فعن يزيد بن هارون رأيته يوما بفناء دار غريم له قد قام فى الشمس فانكرت فقال لى على مالكه مال اخاف ان اجلس فى ظله ومثله عن يحيى بن زائدة الا انه قال حلفته بالله العظيم عن مانع الاستظلال فقال اخاف ان يكون قرضا جر منفعة قال وما اراه على الناس لكن على العالم ان يأخذ بعلمه اكثر مما يدعو اليه والمعنى انه ينبغى له ان يعمل بالتقوى لا بظاهر الفتوى كما يشير اليه قوله عليه السلا استفت قلبك وان افتاك المفتون وقد اغرب شمس الائمة حيث رد هذا فى كتاب الصرف وقال انه من التكلف لامن التزهد انتهى وهذا جرأة عظيمة منه وجريمة جسيمة عنه ومما يرد عليه ما ذكر فى صفات الصالحين ان امرأة سألت الامام احمد ان شموع آل طاهر تعبر من محلنا ونغزل فى ضوئه ونحن على السطوح طاقة او طاقتين فهل يحل لنا ثم من ذلك الغزل فقال الامام احمد من انت قالت اخت بشر الحافى قال ما زال هذا الورع الصافى يخرج من آل بشر فعلم بهذا ان دقائق الورع مما لا غاية لها ولا نهاية فلا يقاس الملوك بالحدادين (وتصدق بجميع مال اتى به وكيله لما غلط به من ثوب معيب مبيع مخفيا) كان حفص بن عبد الرحمن شريك الامام فبعثه الى تجارة وقال له فى ثوب كذا عيب فباع بلا بيانه وجاء بربح فتصدق بحصته وفاسخه الشركة قال المرغينانى وكان الربح خمسة وثلاثين الف درهم وعن ابن المبيح انه قال الامام ما ملكت اكثر من اربعة آلاف درهم منذ اكثر من اربعين سنة الا اخرجتها وانما امسكتها لقول على رضى الله عنه اربعة آلاف درهم وما دونها نفقة ولولا انى اخاف ان النجى الى هؤلاء ما تركت واحدا منها (وترك لحم الغنم) اى اكله (لما فقدت شاة فى الكوفة) فعن ابن المبارك وقعت اغنام من العارة فى الكوفة فسأل عن مدة حياة الغنم فقيل سبع سنين فما اكل اللحم سبع سنين وهذه المذكورات بعض مناقبه وندرة يسيرة من جملة مراتبه منضمة (الى مناقب) اى كثيرة (يعسر تعدادها) اى قصد استيفاء ايرادها وقد لخصت مناقبه العلية ومناقب اصحابه الجلية وذيلته بطبقات اتباعه الحنيفية وسميته بالاثمار الجنية فى الاحمار الحنفية واختصرت على مناقب الامام هنا تبعا للمصنف اختصارا وقد اوردت مناقب الامام فى شرح المشكوة استكثارا

(الباب الاول فى الورد)

اصل الورد قصد الماء ومنه قوله تعالى * ولما ورد ماء مدين * والماء المرشح المعد المهيأ للورود ومنه قوله سبحانه * بئس الورد المورود * ويسمى كل قول وفعل يأتيه الانسان فى وقت معين على وجه مبين وردا وهو المراد هنا واما حديث صاحب الورد ملعون وتارك

الورد ملعون فباطل لا اصل له (ورد) اى قوله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) اى ليعرفونى فيعبدونى اوليعبدونى فيعرفونى كما هو شأن المراد والمريد فى مسالك المناسك المعبر عنهما بالمجذوب والسالك (وهى) اى العبادة المأخوذة من يعبدون (انواع) اى اصناف ستة (منها الصلاة) وهى افضلها واكملها واشملها واجملها (فورد ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد) اى الايمان بالله ورسوله (احب اليه من الصلاة) كذا فى الاحياء مع زيادة ولوكان شئ احب اليه منها لتعبد به الملائكة فمنهم راكع ومنهم ساجد وقائم وقاعد وقال العراقى لم اجده هكذا وآخر الحديث عند الطبرانى من حديث جابر وعند الحاكم من حديث ابن عمر (من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر) البزار من حديث ابى الدرداء باسناد فيه مقال ذكر العراقى فى رواية الطبرانى عن ابن عباس من ترك الصلوة لقى الله وهو عليه غضبان وفى الاوسط عن انس من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر جهارا (اى قارب الكفر) لان المعاصى بريدة (يقال دخل البلدة لمن قاربها) فالمراد به المعنى المجازى المعبر عنه بالمشارد خلافا للخوارج ومن تبعهم فى حمله على الكفر الحقيقى اومعناه كفر نعمة الله بترك عبادة مولاه اوعمل عمل الكفرة اوكفر فى عاقبة امره اومحمول على مستحل تاركه اومنكر فرضيته وفى رواية احمد والبيهقى من حديث ام ايمن ورجال اسناده ثقات من ترك الصلوة متعمدا فقد برئ من ذمة محمد صلى الله عليه وسلم وفى رواية الطبرانى فى الاوسط من حديث انس اول مايحاسب به العبد الصلاة فان فسدت فسد سائر عمله والاحاديث فى هذا الباب كثيرة شهيرة وناهيك فى شرفها قوله تعالى * ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر * (وحقها) اى حق الصلاة اللائق بها (ان يطهر الظاهر) اى ظاهره (عن الحدث) اى النجس الحكمى من الاصغر والاكبر بدنا (والنجس) اى الحقيقى المسمى بالخبث بدنا وثوبا والنجس بالفتح عين النجاسة وبالكسر المتنجس (والجوارح عن الجريمة) اى واعضاءه عن اكتساب الاعمال الظاهرة الذميمة (والقلب عن الذميمة) اى الاخلاق الباطنة الدنية والاحوال الواردة الردية (والسر) اى الذى لايطلع عليه الا الله (عما سواه تعالى) اى يطهره عن حضور غير الله وخطوره لاستهلاك غيره فى عين تجلى نوره والغاية القصوى فى عمل السر ان ينكشف له جلال الله وعظمته ولن تحل معرفة الله بالحقيقة فى السر مالم يرحل ماسوى الله تعالى عنه ولذا قال عز وجل * قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون * لانهما لايجتمعان فى قلب واحد وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه واما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالعقائد السنية السنية وبالشمائل البهية الرضية ولم يتصف بها مالم ينتظف عن نقايضها من العقائد الفاسدة والاخلاق الكاسدة فتطهيرها احد الشطرين وهو الشطر الاول الذى هو شرط فى الثانى فكان الطهور

شطر الايمان بهذا المعنى وكذا تطهير الجوارح عن المناهى والملاهى احد الشطرين وعمارتها بالطاعات الشطر الثانى وخلاصته ان التخلية نصف الايمان والتحلية نصف الايقان وبهما كمال العرفان فهذه مقامات الايمان ولكل مقام طبقة من طبقات الاتقان ولن ينال العبد الطبقة العالية الا ان يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل الى طهارة السر عن الصفات المذمومة وعمارته بالخلق المحمودة ولن يصل الى ذلك مالم يفرغ عن طهارة الظواهر عن المناهى وعمارتها بالطاعات كما هى وكلما عز المطلوب وشرف المحبوب صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته فلا تظنن ان هذا الامر يدرك بالمنى اوينال بالهوينا قال تعالى * ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب * الآية (هذا) اى المذكور من الطهارة من كل رتبة (نصف) اى نصف حق عمل الصلوة (والآخر) اى النصف الثانى (هو العمارة بالطاعة ظاهرا وباطنا) اى عمارة الجوارح والجوانح بالعبادة المختلفة من القيام والقراءة والركوع والسجود والقعود وسائر الاحوال المؤتلفة (فورد الطهور) بفتح الطاء وضمها بمعنى المصدر اوما يطهر به (نصف الايمان) احمد ومسلم والترمذى عن ابى مالك الاشعرى فى حديث طويل والمعنى ان الايمان يطهر نجاسة الباطن والطهور يطهر نجاسة الظاهر كذا فى النهاية وقيل المراد بالايمان الصلوة كما قال تعالى * وما كان الله ليضيع ايمانكم * اى صلاتكم الى بيت المقدس فيراد بنصفها شطرها وبعضها فانه اقوى شرطها (والاصل) اى فى التطهير الذى عليه مدار العمل (طهارة الباطن) لانه محل النظر الالهى حيث ورد ان الله لاينظر الى صوركم واعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واحوالكم (فهم) اى الصحابة (كانوا يبالغون فيها) اى فى طهارة الباطن (ويساهلون فى الظاهر) اى يتسامحون فى طهارة الظاهر (حتى كانوا) اى احيانا (يمشون حفاة) اى بلانعل (فى الطين) اى طين الازقة ويجلسون عليها (ويصلون معه) اى من غير غسله ويأكلون من دقيق البر وهو يداس بالدواب وتبول عليه ولا يحترزون عن عرق الابل والخيل والحمير مع كثرة تمرغها فى النجاسات وقد انتهت النوبة الآن الى طائفة يمعن احدهم فى طهارة الظاهرة ويستقصى فى مجاريها ويستوعب جميع اوقاته فى الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنا منه بحكم الوسوسة وخبل العقل ان الطهارة المطلوبة المشرفة هى هذه فقط وجهالة بسيرة الاولين واستغراقهم جمع الهم والفكر فى تطهير القلب وتساهلهم فى امر الظاهر حتى ان عمر رضى الله عنه مع علو منصبه توضأ من ماء فى جرة نصرانية وحتى انهم ما كانوا يغسلون اليد من الدسمات والاطعمة بل كانوا يمسحون اصابعهم باخمص اقدامهم وعدوا الاشنان ونحوه من الغسول والصابون من البدع المحدثة وكانوا يقتصرون على الحجارة فى الاستنجاء (وصلى عليه السلام متنعلا) اى لابسا نعله اى مرة (فاخبره) اى اخبره جبريل عليه السلام (بتلطخ) اى باصابة نجاسة (فنزع) اى نعله بعمل قليل (واتم)

اى صلاته من غير استيناف ولا اعادة والحديث رواه ابو داود والحاكم وصححه من حديث ابى سعيد الخدرى وقد قال بعضهم الصلاة فى النعلين افضل اذ لما نزع رسول الله صلى الله عليه وسلم نعليه باخبار جبريل عليه السلام له ان عليها نجاسة وخلع الناس نعالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم خلعتم نعالكم قالوا رأيناك خلعت فخلعنا نعالنا وقال النخعى فى الذين يخلعون نعالهم وددت لو ان محتاجا جاء فاخذها منكرا لخلع النعال واما اهل زماننا فلو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر اومشى على الارض حافيا اوصلى على الأرض اوعلى بوارى المسجد من غير سجادة مفروشة اومشى على الفرش من غير غلاف القدم من ادم ونحوه اوتوضأ من آنية عجوز اورجل غير منقش اقاموا عليه النكير ولقبوه بالقذير واستنكفوا عن مؤاكلته واستكرهوا عن مخالطته فسموا البذاذة التى هى من الايمان قذارة والرعونة نظافة فانظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس تحقيقه وعلمه ولم يبق الا اسمه ورسمه (ولكن للظاهر) اى لطهارته ايضا (اثر فى تنوير الباطن) للارتباط الذى بينهما ولذا قيل الظاهر عنوان الباطن حتى ان المجامع فى حال مباشرته لواد من النظر الى بياض مشرف اوحمرة قانية الى ان غلبت تلك الصورة على نفسه مال لون المولود الى ذلك اللون الذى غلب عليه وان الجنين اذا تحرك فى البطن وكانت الام مشاهدة فى تلك الحال لصورة حسنة من الجمال بحيث غلبت تلك الصورة على نفسها فى علم الخيال من باطنها فنزعت صورة ذلك الجنين الى تلك الصورة الحسنة التى شاهدتها امه فعلم من هاتين الصورتين ان للظاهر اثرا فى عالم الباطن (كما يصادق) اى يوجد اثره (عند اسباغ الوضوء) بفتح الواو اوضمها اى اكماله واسباغه (وسائر الاعمال الظاهرة) اى حيث تتأثر بها الاحوال الباطنة (لارتباط الملك) اى عالم الظاهر السفلى (بالملكوت) وهو عالم الباطن العلوى كما اذا كان شخص يرشح كل يوم بالماء جانب جداره البرانى فلا شك ان اثر ذلك الترشيح يظهر فى الجدار من جانب الطرف الداخلانى وقد ورد مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار عذب على باب احدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فما يبقى ذلك من الدنس احمد ومسلم عن جابر وفى الاحياء ان الانسان اذا اسبغ الوضوء واستشعر نظافة ظاهره وجد فى قلبه صفاء وانشراحا لم يكن يصادفه قلبه وذلك النظافة العلاقة التى بين عالم الشهادة وعالم الملكوت فان ظاهر الانسان من عالم الملك والشهادة وقلبه من عالم الملكوت والغيب فان كنت لاتصادق بعد الطهارة واسباغ الوضوء شيئا من الصفاء الذى وصفناه فاعلم ان الجدار الذى استولى على قلبك من كدورات شهوات الدنيا وشواغلها اقتضى كلال حس القلب فصار لا يحس باللطائف والاشياء الخفية ولم يبق فى قوته الا ادراك الامور الجلية فاشتغل بجلاء قلبك وتصفية باطنك فان ذلك اوجب عليك من كل شىء انت فيه (ومن ثمة) اى ومن اجل ارتباط الملك بالملكوت (تصدق رؤيا من

اعتاد الصدق) اى وتكذب رؤيا من اعتاد الكذب كما قيل كل اناء يترشح بما فيه (فتداوم) تفريع على قوله لكن للظاهر اثر فى تنوير الباطن والمعنى اذا كان كذلك فتواظب (على الوضوء) فقد ورد دم على الطهارة يوسع عليك الرزق بل ينبغى ان يجدد الطهارة لكل صلوة كما كان يفعله عليه السلام نظرا الى ظاهر الآية وانما صلى عليه السلام عام الفتح خمس صلوات بوضوء واحد فسأله عمر عن ذلك فقال عمدا صنعت ياعمر يعنى ليعرف انه ليس بفرض فتقدير الآية اذا قمتم الى الصلاة وانتم محدثون لان الاصل فى الامر ان يكون للوجوب والحديث من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات ابوداود والترمذى وابن ماجه من حديث عمر باسناد ضعيف والضعيف يعمل به فى فضائل الاعمال اتفاقا مع ان كثرة الطرق ترقى الضعيف حسنا وفاقا واما حديث الوضوء على الوضوء نور على نور فقال العراقى لم اجد له اصلا وتعقبه العسقلانى بقوله رواه رزين فى مسنده وهو حديث ضعيف وينبغى ان يستنجى لمقعدته بثلاثة احجار فان انقى بها كفى والا استعمل رابعة فان انقى بها والا استعمل خامسة لان الانقاء واجب والايتار مستحب قال عليه السلام من استجمر فليوتر متفق عليه من حديث ابى هريرة فيأخذ الحجر بيساره ويضعها على مقدم المقعدة قبل موضع النجاسة ويمرها بالمسح والادارة الى المؤخرة ويأخذ الثانية ويضعها على المؤخرة وكذا يمرها الى المقدمة ويأخذ الثالثة فيديرها حول المسربة ادارة ثم يأخذ حجرا كبيرا بيمينه والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه ويحرك اليسار فيمسح ثلاثا فى ثلاثة مواضع اوفى ثلاثة احجار اوفى ثلاثة مواضع من جدار جاز له ذلك الى ان لايرى الرطوبة فى محل المسح ثم ينتقل من ذلك الموضع الى موضع آخر ويستنجى بالماء بان يفيضه على محل النجو وبذلك باليسرى حتى لايبقى له اثر تدركه الكف بحس المس ويترك الاستقصاء فيه بالتعرض للباطل فان ذلك ينبع للوسواس لاكثر الناس ويقول عند دخوله فى المطهر بسم الله اللهم انى اعوذبك من الخبث والخبائث واذا فرغ عنه غفرانك الحمد لله الذى اذهب عنى ما يؤذينى وابقى على ما ينفعنى واذا فرغ من الاستنجاء اللهم طهر قلبى من النفاق وحصن فرجى من الفواحش والجمع بين الماء والحجر مستحب فقد روى انه لما نزل قوله تعالى * فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قباء ما هذه الطهارة التى اثنى الله بها عليكم فقالوا كنا نجمع بين الماء والحجر كذا فى الاحياء وقال العراقى الحديث فى اهل قباء وجمعهم بين الماء والحجر والبزار من حديث ابن عباس بسند ضعيف ورواه ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث ابى ايوب وجابر وانس فى الاستنجاء بالماء ليس فيه ذكر الحجر فقول النووى تبعا لابن الصلاح ان الجمع بين الماء والحجر فى اهل قباء لا يعرف مردود بما تقدم والله اعلم (ويتوضأ بعد) نحو (الغيبة) وهى بكسر الغين ان تذكر اخاك بما يكرهه فى الغيبة وقد ورد الغيبة تنقض

الوضوء والصلوة رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن ابن عمر وفى معناها الكذب والنميمة وسائر الاقوال الذميمة بل قال بعض المشايخ اذا ذكرت الدنيا اتوضأ واذا ذكرت الآخرة اغتسل يعنى ان الدنيا هى الشهوة الصغرى والعقبى هى الكبرى وكل منهما مانع عن كمال التوجه الى حضرة المولى وفى شرح المنية والمستحب ان يتوضأ لكل صلوة وان كان على طهارة لانه ربما جرى على لسانه كذب اوغيبة اوسيئة بها يأثم قلبه فينبغى ان يجدد الوضوء لدفع ذلك كما يتوضأ لدفع الحدث الظاهر فان كان لايمكنه الوضوء فانه يتيمم وينوى بتيممه رفع الاثم وفى العوارف تجديد الوضوء مستحب بشرط ان يصلى بالوضوء ماتيسر والافمكروه (والقهقهة وان لم تكن فى الصلوة) اى فانها اذا كانت فى الصلوة تنقض الوضوء عندنا (ولكل صلوة قبل الوقت) عملا بقوله تعالى * وسارعوا الى مغفرة من ربكم * الآية فى شرح السنة من المستحب اذا فرغ من البول اوالغائط ان يتيمم الى ان تبلغ الماء فتتوضأ هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ففى الاحياء فى بيان طول الامل وقصره انه عليه السلام كان يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضى ساعة وقال لعلى لا ابلغه وحكى عن ذى النون المصرى انه كان على شط النيل يتيمم ويقول اخاف ان يدركنى الموت قبل ان اتوضأ كما فى شرح السنة (ويملأ الاناء للآتية) اى استعدادا للصلوة الآتية ويكره ان يستخلصها لنفسه كذا فى السراجية (ويطيل الغرة والتحجيل) اى عند غسل وجهه ويديه ومرفقيه والغرة بياض الجبهة والتحجيل بياض قوائم الفرس ونحوه وقد وردان هذه الامة يحشرون يوم القيمة غرا محجلين من آثار الوضوء وقال عليه السلام من استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل متفق عليه من حديث ابى هريرة وروى يبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء اخرجه مسلم من حديثه (ويستقبل القبلة) اى حين الوضوء فورد اشرف المجالس ما استقبل به القبلة الطبرانى عن ابن عباس (ولايستعين بغيره) اى مهما امكن فانه افضل اذ الاجر على قدر المشقة (ولايتكلم بكلام الدنيا والبشر) اى فى اثناء الوضوء وفى فتاوى الحجة التكلم فى اثناء الوضوء مكروه وفى الاغتسال اشد كراهة وفى العوارف ادب الصوفية فى الوضوء حضور القلب فى غسل الاعضاء سمعت بعض الصالحين يقول اذا حضر القلب فى الوضوء يحضر فى الصلاة واذا دخل السهو فيه دخلت الوسوسة فى الصلوة وينوى رفع الحدث اواستباحة الصلوة اوالقربة الى الله سبحانه ويبدأ بتسمية الله فقد ورد لاوضوء لمن لم يسم الله الترمذى وابن ماجه من حديث سعيد بن زيد احد العشرة والتسمية فى اول الوضوء سنة عند الجمهور وواجب عند احمد بهذا الحديث ويستحب ان يقدم على البسملة التعوذ ويقول اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون بسم الله العظيم والحمد لله على دين الاسلام ويغسل يديه ثلاثا قبل ان يدخلهما الاناء لقوله عليه السلام اذا استيقظ احدكم من منامه فلا يغمسن

يده فى الاناء حتى يغسلها ثلاثا فان احدكم لايدرى اين باتت يده مالك والشافعى واحمد والشيخان والاربعة عن ابى هريرة ويقول عند غسل يده اللهم انى اسالك اليمن والبركة واعوذ بك من الشؤم والهلكة ثم يتمضمض ثلاثا ويبالغ فيه الا ان يكون صائما كما ورد به الخبر ويقول اللهم اعنى على ذكرك وشكرك وتلاوة كتابك ويستنشق ثلاثا ويقول اللهم ارحنى رائحة الجنة مع الابرار واعذنى بك من روائح اهل النار ويستنثر ثلاثا فورد اذا استيقظ احدكم من منامه فتوضأ فليستنثر ثلاث مرات فان الشيطان يبيت على خياشيمه الشيخان عن ابى هريرة ويغسل وجهه ثلاثا ويقول اللهم بيض وجهى بنورك يوم تبيض وجوه اوليائك ولاتسود وجهى يوم تسود وجوه اعدائك (ويفتح العين) اى عند غسل الوجه هو غير معروف بل قيل انه فيه خطر العمى فهو حرج مدفوع عنه نعم يدخل الاصبع فى محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل وينقيهما فقد روى انه عليه السلام فعل ذلك اخرج احمد من حديث ابى امامة كان يتعاهد الماقين وروى الدارقطنى من حديث ابى هريرة باسناد ضعيف اشربوا الماء اعينكم اى حواليها لما تقدم والله اعلم ويغسل اللحية اللطيفة والكثيفة ويخللها فقد ورد خللوا لحاكم وقصوا اظفاركم فان الشيطان يجرى بين اللحم والظفر الخطيب فى الجامع وابن عساكر عن جابر ويجب ايصال الماء الى منابت اللحية الخفيفة اعنى ما يقبل من الوجه واما الكثيفة فلا بل يفيض الماء على ظاهر ما استرسل من اللحية وقد ورد كان عليه السلام اذا توضأ خلل لحيته بالماء رواه احمد والحاكم عن عائشة وفى رواية ابى داود والحاكم عن انس كان اذا توضأ اخذ كفا من ماء فادخله تحت حنكه فخلل به لحيته وقال هكذا امرنى ربى وفى رواية ابن ماجه عن ابن عمر كان اذا توضأ حرك عارضيه بعض المعرك ثم شبك لحيته باصابعه من تحتها والعرك المعالجة والدلك ثم يغسل يديه مع مرفقيه ثلاثا ثلاثا فورد انه عليه السلام اذا توضأ ادار الماء على مرفقيه الدارقطنى عن جابر وفى رواية ابن ماجه عن ابى رافع كان اذا توضأ حرك خاتمه ويبدأ باليمنى ويقول اللهم اعطنى كتابى بيمينى وحاسبنى حسابا يسيرا وعند اليسرى اللهم اعوذ بك ان تعطينى كتابى بشمالى اومن وراء ظهرى ثم يستوعب رأسه بالمسح ويقول اللهم غشنى برحمتك وانزل على من بركاتك واظلنى تحت عرشك يوم لاظل الاظلك ثم يمسح اذنيه ظاهرهما وباطنهما ويقول اللهم اجعلنى من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اللهم اسمعنى منادى الجنة ثم يمسح الرقبة لقوله عليه السلام مسح الرقبة امان من الغل يوم القيمة ابو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر وهو ضعيف ويقول اللهم فك رقبتى من النار واعوذ بك من السلاسل والاغلال ثم يغسل رجله اليمنى ثلاثا ويقول اللهم ثبت قدمى على الصراط يوم تزل فيه الاقدام ويقول عند غسل اليسرى اللهم اعوذ بك ان تزل

قدمى على الصراط يوم تزل اقدام المنافقين فى النار ويخلل باليد اليسرى من اصابع الرجل اليمنى ويبدأ بالخنصر من الرجل اليمنى ويختم بالخنصر من الرجل اليسرى فقد ورد خلل اصابع يديك ورجليك احمد عن ابن عباس وفى رواية الدار قطنى عن ابى هريرة خللوا بين اصابعكم لايخللها الله بوم القيمة بالنار وفى رواية الطبرانى عن وائلة من لم يخلل اصابعه بالماء خللها الله بالنار يوم القيمة (ويسمى فى كل عضو) وقيل ويسلم ايضا على النبى صلى الله عليه وسلم (ويتشهد فيه) اى فى كل عضو ففى المحيط من الادب ان يقول عند كل عضو اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله (وبعد الفراغ) اى ويتشهد بعد فراغ الوضوء ايضا فقد ورد من توضأ فاحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت عملت سوءا وظلمت نفسى استغفرك واتوب اليك فاغفر لى وتب على انك انت التواب الرحيم اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين واجعلنى من عبادك الصالحين واجعلنى عبدا صبورا شكورا واجعلنى اذكرك ذكرا كثيرا واسبحك بكرة واصيلا يقال ان من قال هذا بعد الوضوء ختم على وضوئه ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك الى يوم القيمة كذا فى الاحياء وقال العراقى حديث من توضأ باحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء ابو داود من حديث عقبة بن عامر وهو عند مسلم دون قوله ثم رفع (ويشرب بقية الماء) اى فضل الوضوء كله اوبعضه (قائما مستقبلا) لما ورد فى اثر على موقوفا ومرفوعا فعن شمس الائمة الحلوانى وان شاء قائما وان شاء قاعدا وذكر شيخ الاسلام المعروف بخواهر زاده انه يشرب ذلك قائما ولا يشرب قائما الا فى موضعين احدهما هذا والثانى عند زمزم والله اعلم (ويسرح اللحية بعده) اى بعد فراغ الوضوء الترمذى فى الشمائل من حديث انس كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته وفى الشمائل ايضا باسناد حسن انه عليه السلام كان يترجل غبا وعند ابى داود والترمذى والنسائى من حديث عبد الله بن مغفل النهى عن الترجل الا غبا باسناد صحيح وفى الخبر المشهور انه عليه السلام كان لا يفارقه المشط والمدرى والمرآة فى سفر ولا حضر وهى سنة العرب كذا فى الاحياء والمدرى القرن يقال له ادرى رأسه حكه قال العراقى حديث كان لا يفارق المشط والمدرى فى سفر ولا حضر ابن طاهر فى كتاب صفة التصوف من حديث ابى سعيد كان لا يفارق مصلاه سواكه ومشطه ورواه الطبرانى فى الاوسط من حديث عائشة واسنادهما ضعيف قال الحجة وفى حديث غريب انه كان يسرح لحيته فى اليوم مرتين وقال العراقى تقدم حديث انس كان يكثر تسريح لحيته وللخطيب فى الجامع من حديث الحاكم مرسلا كان يسرح لحيته بالمشط وكان

عليه السلام

عليه السلام كث اللحية قد ملأت ما بين منكبيه وكذلك كان ابو بكر وكان عثمان طويل اللحية رقيقها وكان على عريض اللحية قد ملأت ما بين منكبيه ذكره فى الاحياء وقال العراقى حديث كان كث اللحية الترمذى فى الشمائل من حديث هند بن ابى هالة وابو نعيم فى دلائل النبوة من حديث على واصله عند الترمذى قال وفى حديث اغرب منه قالت عائشة رضى الله عنها اجتمع قوم الى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فرأيته يطلع فى الجب يسوى من رأسه ولحيته قلت او تفعل ذلك يا رسول الله فقال نعم ان الله يحب من عبده ان يتجمل لاخوانه اذا خرج اليهم قال العراقى ابن عدى وقال حديث منكر هذا وقيل لداود الطائى لم لا تسرح لحيتك قال انى اذا الفارغ وفى قوت القلوب قال السرى فى اللحية شرك ان كان تسريحها لاجل الناس وتركها لاجل اظهار الزهد رياء وقال لو دخل على داخل فمسحت لحيتى لاجله لظننت انى مشرك وتحقيقه ما قال الحجة ان الجاهل ربما يظن ان فعله عليه السلام ذلك من حب التزين للانام قياسا على اخلاق غيره فى الدين وتشبيها للملائكة بالحدادين وهيهات فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مأمورا بالدعوة وكان من وظائفه ان يسعى فى تعظيم امر نفسه فى قلوبهم كيلا تزدريه نفوسهم وفى تحسين صورته فى اعينهم كيلا تستصغره اعينهم فينفرهم ذلك ويتعلق المنافقون بذلك فى تنفيرهم وهذا القصد واجب على كل عالم يتصدى لدعوة الخلق الى الحق وهو ان يراعى من ظاهره مالا يوجب نفرة الناس عنه والاعتماد فى مثل هذه الامور على النية فانها فى انفسها اعمال تكتسب الاوصاف من المقصود فالتزين على هذا القصد محبوب وترك الشعث باللحية اظهارا للزهد وقلة المبالاة بالنفس محذور وتركه شغلا بما هو اهم منه محبوب ومشكور وهذه احوال باطنة بين العبد وبين الله تعالى والناقد بصير والتلبيس غير رابح عليه بحال وكم من جاهل يتعاطى هذه الامور التفاتا الى الخلق وهو يلبس على نفسه وغيره ويزعم ان قصده الخير فيرى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون ان قصدهم ارغام المبتدعة والمخالفين والتقرب الى رب العالمين وهذا امر ينكشف يوم تبلى السرائر ويوم يبعث من فى القبور ويحصل ما فى الصدور * فعند ذلك تتميز السبيكة الخالصة من النبهرج فنعوذ بالله من الخزى يوم الفزع الاكبر (ويجتنب اناء يتأذى من ريحه الملائكة كالصفر) ومثله النحاس تبع الاحياء لكن ورد انه عليه السلام كان يعجبه ان يتوضأ من مخضب من صفر ابن سعد عن زينب بنت جحش لكن يؤيد بما فى شرح السنة من الادب ان يتوضأ من اناء الخزف ولا يتوضأ من النحاس والصفر لان الوضوء به منهى عنه وفيه ايضا روى عن ابن عمر انه كره الوضوء فى اناء صفر وفى الشرعة لا يتوضأ من اناء نحاس وصفر قالوا الملائكة تنفر ون من ريحهما (والماء المشمس) اى ويجتنبه لانه يورث البرص اذا كان فى اناء نحو الصفر فى بلاد حارة وهذا فى الاوانى

دون الحياض وفى الاحياء ويكره ان يتوضأ فى اناء صفر وان يتوضأ بالمشمس وذلك من جهة الطب وروى عن ابن عمر وابى هريرة كراهية الاناء الصفر وقال بعضهم اخرجت لشعبة ماء فى اناء صفر فابى ان يتوضا منه ولعل كراهية ذلك عن ابن عمر انتهى وفى الشرعة لا يتوضأ بالماء المسخن بالشمس وفى درر البحور ولا يكره الوضوء بالماء المسخن بالنجاسات وبه قال ابوحنيفة خلافا لمالك واحمد ولا بماء زمزم وبه قال ابوحنيفة ومالك خلافا لاحمد ولا بأس بالمشمس فى البرك والبحار والانهار وفاقا (والاسراف فى الماء) قال تعالى * ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين * وتوضأ عليه السلام ثلاثا وقال من زاد فقد ظلم واساء ابوداود والنسائى واللفظ له وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن جده وقال عليه السلام سيكون قوم من هذه الامة يعتدون فى الدعاء والطهور ابوداود وابن حبان والحاكم من حديث عبد الله ابن مغفل (والضرب به) اى ويجتنب لطم وجهه بالماء (ونشفه على وجه) اى قول (فهو يوزن) اى فى ميزان العمل (دون وجه) اى قول آخر (فهو مروى) ففى الاحياء كره قوم التنشيف وقالوا الوضوء يوزن قاله سعيد بن المسيب والزهرى لكن روى معاذ انه عليه السلام مسح وجهه بطرف ثوبه وروت عائشة انه كانت له منشفة ولكن طعن فى هذه الرواية عن عائشة قال العراقى حديث معاذ الترمذى وقال غريب واسناده ضعيف وحديث عائشة الترمذى وقال ليس بالقائم قال ولا يصح عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب شئ (ونفض اليد) اى ويجتنبه ففى الاحياء ويكره ان ينفض اليد فيرش الماء (ويواظب على السواك) اى استعماله اوعلى الاستياك (من الاراك) اى خصوصا فهو الافضل الوارد والافيجوز من كل شجرة مرة لانه اطيب لنكهة الفم وازال للبلغم وانقى للصدر واقوى للمعدة واهضم للطعام وليكن رطبا مستويا قليل العقد طول الشبر وغلظ الخنصر ولايقوم الاصبع مقام الخشبة عند وجودها (طولا وعرضا) وان اقتصر فعرضا (فى كل صلوة) حتى عند بعض ائمتنا ايضا (ووضوء) اى فى كل وضوء اتفاقا ومحله ابتداء الوضوء كما فى الاحياء اوحال المضمضة لانه من تكميلها وقد قال عليه السلام صلوة على اثر سواك افضل من خمس وسبعين صلوة بغير سواك ابونعيم فى كتاب السواك من حديث ابن عمر باسناد ضعيف ورواه احمد والحاكم وصححه والبيهقى وضعفه من حديث عائشة بلفظ من سبعين صلوة وقال لولا ان اشق على امتى لامرتهم بالسواك عند كل صلوة متفق عليه من حديث ابى هريرة وفى رواية لامرتهم بالسواك مع كل وضوء مالك والشافعى والبيهقى عن ابى هريرة وفى رواية احمد والنسائى عن ابى هريرة لامرتهم عند كل صلوة بوضوء ومع كل وضوء بسواك وفى رواية الحاكم عن العباس لفرضت عليهم السواك عند كل صلوة كما فرضت عليهم الوضوء وفى رواية الحاكم والبيهقى عن ابى هريرة

لفرضت

لفرضت عليهم السواك مع الوضوء وفى رواية ابى يعلى عن مكحول مرسلا لامرتهم بالسواك والطيب عند كل صلوة وفى رواية ابى نعيم عن ابن عمر لامرتهم ان يستاكوا بالاشجار (وعند قراءة القرآن) فقد ورد ان افواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك ابو نعيم فى الحلية فى حديث على ورواه ابن ماجة موقوفا على على وكلاهما ضعيف ورواه البزار مرفوعا واسناده جيد (وتغير الفم بنحو الجوع والنوم) ونحوهما من طول الصمت او اكل مايكره رايحته فورد مالى اراكم تدخلون على قلحا استاكوا والقلح (محركة) صفر الاسنان البزار والبيهقى من حديث العباس بن عبد المطلب واحمد والبغوى من حديث تمام بن العباس والبيهقى من حديث ابن عباس وهو مضطرب وكان عليه السلام يستاك فى الليلة مرارا مسلم من حديث ابن عباس وهذا يدل على ان السواك مستقل غير متعلق بالوضوء والصلوة وعن ابن عباس انه قال لم يزل صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالسواك حتى ظننا انه سينزل عليه فيه شئ ورواه احمد وقال عليه السلام عليكم بالسواك فانه مطهرة للفم ومرضاة للرب البخارى تعليقا مجزوما من حديث عائشة والنسائى وابن خزيمة موصولا وقال على السواك يزيد فى الحفظ ويذهب البلغم وكان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يدورون والسواك على آذانهم الخطيب فى كتاب اسماء من روى عن مالك وعن ابى داود والترمذى وصححه ان زيد بن خالد كان يشهد الصلوات وسواكه على اذنه موضع القلم من اذن الكاتب وفى شرح السنة اما كيفية الاستياك فينبغى ان يبدأ بالجانب الايمن من الاعلى والاسفل ثم بالايسر كذلك ثم فى مابين ذلك ويستاك بالوتر لان الله وتر يحب الوتر وفى الخلاصة كيفيته ان يعالج المسواك بعرضه للاسنان الظاهرة وبطوله لغيرها وبعده للعليا من جانب الايمن وللسفلى من جانبها ثم للعليا من جانب الايسر ثم للسفلى من جانبها وفى شرح السنة واما النهى فيه فينبغى ان لايستاك قائما ولا بين القوم ولا فى الحمام ويكره عند الشافعية بالعشى للصائم وتحقيقه فى غير هذا المقام وفى الخانية عن ابن المبارك لو انكر اهل بلدة السواك لقاتلتهم كما يقاتل المرتدين (ويحافظ الجماعة) عطف على يداوم على الوضوء اى ويراعى صلوة الجماعة فورد صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة متفق عليه من حديث ابن عمر (فى اقرب المساجد الا ان يكون فى الابعد فضيلة) اى صالحة للعدول عن الاقرب كحضور عالم وشيخ واعظ وكونه اقدم المساجد او عمر بالمال الحلال ونحوه من الاحوال ففى الكبرى مسجدان يصلى الرجل فى اقدمهما بناء لان له زيادة حرمة فان كانا سواء ففى اقربهما وان استويا فهو مخير لانه لاترجيح لاحدهما وان كان قوم احدهما اكثر فان كان هو فيها يذهب الى الذى قومه اقل ليكثر الناس بذهابه الى ذلك المسجد وان لم يكن يذهب حيث احب رجل فى محلته مسجد فحضر

المسجد الجامع لكثرة جماعته فالصلوة فى مسجده افضل قل اهل مسجده اوكثر لان لمسجد حقا عليه وليس لذلك المسجد حقا عليه فلم يقع الترجيح بكثرة الجمع وفى الخانية اذا كان امام الحى مرابيا يأكل الربوا له ان يتحول الى مسجد آخر (ساعيا اليه) اى حال كونه ماشيا الى المسجد مطلقا لقوله تعالى * فاسعوا الى ذكر الله (بنية اجابة النداء) اى نداء الداعى الى عبادة رب السماء قال تعالى * ومن احسن قولا ممن دعا الى الله * الآية فقد قال ابن عباس من سمع النداء ثم لم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به وقال ابو هريرة لان يملأ اذن آدم رصاصا مذابا خير له من ان يسمع النداء ثم لا يجيبه (خاشعا) متواضعا متذللا فى طريقه (غير متخطى رقبة) اى عند دخوله (ولا مار بين يدى مصل) فقد ورد لو يعلم المار بين يدى المصلى ماذا عليه لكان ان يقف اربعين خيرا له من ان يمر بين يديه مالك واصحاب الكتب الستة عن ابى جهيم وفى رواية ابن ابى شيبة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن مرسلا لو يعلم المار بين يدى المصلى لاحب ان ينكسر فخذه ولا يمر بين يديه والمختار ان المرور حرام اذا وقع بين المصلى ومسجده سواء كان له سترة اولا ويحمل عليه ما روى الطحاوى من ان المرور بين يدى المصلى بحضرة الكعبة يجوز او يحمل على انه فى وقت غير قيام الفرض واعتدال صفة بان يصلى فى طريق الطائفين فانه لا حرمة له حينئذ واما اذا كان بينهما فرجة فلا بأس لما روى ابوداود والنسائى وابن ماجة عن المطلب بن ابى وداعة قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فى المسجد الحرام مما يلى باب بنى سهم والناس يطوفون بينه وبين القبلة مما بين يديه ليس بينه وبينهما سترة (ولا يتكلم فيه بكلام الدنيا) فروى فى الاثر اوفى الخبر الحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش * كذا فى الاحياء وقال العراقى لم اقف له على اصل قلت ومعناه صحيح اذ قد ورد * تأتى فى آخر الزمان ناس من امتى يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحبر الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة ابن حبان من حديث ابن مسعود والحاكم من حديث انس وقال صحيح الاسناد (ويؤدى فى الصف الاول) فانه الافضل (بازاء الامام) اى بحذائه فهو الافضل لا غنه الحظ من الجانبين (او عن يمينه) وقد يكون يساره افضل اذا كان الناس هناك اقل (ويتم الاركان) اى حد الامكان (ويراعى السنن) اى الرواتب اوسنن الصلوات (والآداب) اى المستحبات فى جميع الابواب (فورد فى الكل) اى فى كل ماذكر (فضائل) اى فى الصف الاول لقوله عليه السلام لو تعلمون ما فى الصف الاول ما كانت الاقرعة مسلم وابن ماجة عن ابى هريرة واما فى اتمام الاركان فقوله اتموا الركوع والسجود فوالذى نفسى بيده انى لاراكم من وراء ظهرى اذا ركعتم واذا سجدتم احمد والشيخان عن انس واما فى السنن فقوله من

صلى

صلى فى اليوم والليلة اثنى عشرة ركعة تطوعا بنى الله له بيتا فى الجنة مسلم وغيره عن ام حبيبة وتفصيله ماورد فى حديث آخر ركعتان قبل الفجر وبعد الظهر والمغرب والعشاء واربع قبل الظهر (ولايدافع الامامة) فانه من امارة القيامة فقد ورد عن سلامة بنت الحر قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اشراط الساعة ان تتدافع اهل المسجد لايجدون اماما يصلى بهم احمد وابوداود وابن ماجة وروى عبد الرزاق فى مسنده حديثا بلفظ تنازع ثلاثا فى الامامة فخسف بهم ومحله اذا علم فى نفسه القيام بشروطها والقوم لايكرهونه وليس وراءه احد هو افضل منه (وكان مدافعتهم) اى ممانعة بعض الصحابة من ذوى التقوى (لايثار الاولى) اى بذلك المقام الاعلى (اوخوف السهو) اى فى المبنى (اوالتشويش) اى تشويش الخاطر فى حضور المعنى واحتياجه الى اخلاصه فى تطويل الصلوة وتحسينها لاسيما اذا لم يكن له عادة الامامة وكان مستحييا فى تلك الاقامة (وهى) اى الامامة (افضل من الاذان فهو عليه السلام وخلفاؤه) اى اصحابه الكرام (اختاروها) اى من بين الانام (وما ورد) اى كلما رواه البخارى فى التاريخ العقيلى فى الضعفاء والطبرانى فى الاوسط عن ابن عباس باسناد ضعيف انه عليه السلام قال له رجل يارسول الله دلنى على عمل ادخل به الجنة فقال (كن مؤذنا فان لم تستطع فكن اماما) وفى رواية فقال لا استطيع فقال كن اماما فقال لا استطيع فقال صل بازاء الامام فلعله (محمول على ان القوم كانوا لايرضون امامته) اذالاذان اليه والامامة الى الجماعة وتقديمهم لها ثم بعد ذلك توهم انه ربما يقدر عليها (فورد فيه ان لاتجاوز الصلوة الرأس) اصل الحديث هذا من ام قوما وهم له كارهون فان صلاته لاتجاوز ترقوته اى حلقه ورأسه رواه الطبرانى عن جنادة وفى رواية العقيلى عن ابن عمر من ام قوما وفيهم من هو اقرأ منه لكتاب الله واعلم لم يزل فى سفال الى يوم القيمة (ويراعى الاعمال الباطنة) فانها اهم ونفعها اتم (وهى) ستة (الحضور) اى مع الرب (وهو استغراق القلب بما هوفيه) اى بالركن الذى شرع فيه (والافراغ) اى تفريغ القلب وتخليصه (عن غيره) اى غيرما هوبصدده مما يوافقه اوينافيه (وهو) اى الافراغ انما يكون (بصرف الهمة) اى الاهتمام (اليه) اى الى ذلك الركن الواجب عليه (فهى) اى الهمة (تستتبع القلب) فى صرفه الى ذكر الرب (وهو) اى صرف الهمة (بذكر منافعها) اى فوائد الصلوة ومرافقها (كقربه تعالى ورضاه) اى بالمقام الاعلى (والمكاشفة) اى القريبة بالمشاهدة التى هى المرتبة الاجلى (عاجلا) اى فى الدنيا (والفوز بالسعادة الابدية) اى والسيادة السرمدية (والنظر الى وجهه الكريم) الذى هو اعلى مراتب النعيم (آجلا) اى فى العقبى (وخساسة الدنيا ومهماتها) اى وبذكر كثافتها وانقلاباتها فانها كثيرة العناء قليلة الغناء دنية الشركاء

سريعة الفناء عديمة البقاء (والفهم) اى الادراك لمعنى الكلام وهو امر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ والمعنى فاشتمال القلب على العلم ببعض اللفظ هو الذى اريد بالتفهم وهذا معنى قوله (وهو اشتماله) اى القلب (على المعنى وهو) اى اشتماله (بتوجيه الذهن الى الذكر) من الثناء والحمد والقراءة والتسبيح والدعاء ونحوها (وهذا ومة الفكر) اى فى لفظ الذكر ومبناه ليفهم معناه (ودفع الخواطر) اى المانعة عن فهم مقتضاه وهذا مقام يتفاوت الناس فى ادناه واقصاه فكم من معان لطيفة ومعارف شريفة يقيمها المصلى فى اثناء صلاته وذكره ولم يكن خطر ذلك قبله بباله وفكره ومن هذا الوجه كانت الصلوة ناهية عن الفحشاء وماهية عن المنكر فان تفهم تلك الامور تمنع من الفحشاء لامحالة فقد ورد من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا الطبرانى وابن ابى حاتم فى تفسيره من حديث عمران بن الحصين وابن جرير فى تفسيره من حديث ابن مسعود ومن مرسل الحسن واحمد فى الزهد عن ابن مسعود مرفوعا (والتعظيم) اى عرفان المرتبة وعنوان المنزلة المرتبة على المحبة (وهو بذكر عظمته تعالى) مع رفعة الجلالة (وحقارة النفس) اى مع رداءتها وكمالها فى الرذالة والسفالة والجهالة وهو امر وراء الحضور والفهم اذ الرجل يخاطب غيره بكلام هو حاضر القلب فى مبناه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له فالتعظيم امر زائد عليهما (والهيبة وهى خوف ينشأ عن التعظيم) كما روى انه عليه السلام من رآه فجأة هابه ومن خالطه احبه (وهو) اى الخوف المسمى بالهيبة (بذكر نفاذ قدرته تعالى) وفق مشيئته وحكمته (وقهره مع عدم المبالاة) بجميع من فى يد قبضته كما ورد خلقت هؤلاء للجنة ولا ابالى وخلقت هؤلاء للنار ولا ابالى وتحقيقه ان من لا يخاف لايسمى هائبا والمخافة من العقرب وسوء خلق العبد وما يجرى مجراه من الاسباب الحسية لايسمى مهابة بل الخوف من السلطان المعظم تسمى مهابة فالهيبة خوف مصدره الاجلال (والرجاء) اى الامل (وهو) الوثوق (بذكر عموم رحمته) اى شمول رفقه ورأفته (وسبقها غضبه) كما ورد سبقت رحمتى غضبى وفى لفظ غلبت (وصدق مواعيده) اى عدم تخلف اخباره لعباده من وعده ووعيده لقوله سبحانه * ان الله لا يخلف الميعاد * ولا شك انه امر زائد فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه اذ يخاف سطوته ولكن لا يرجو مبرته والعبد ينبغى ان يكون راجيا بصلاته ثواب الله كما انه يخاف بتقصيره عقاب الله ومنه قوله تعالى * يدعوننا رغبا ورهبا * وادعوه خوفا وطمعا * (والحيا) وهو انكسار النفس من الحجالة وظهور التقصير وعند بعض الصوفية استتار من مشاهدة شدة التنوير (وهو بذكر العجز والتقصير عن شكره تعالى) فان العجز عن درك الادراك ادراك كما قاله الصديق ومنه قوله عليه السلام * سبحانك لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك * وهو زائد على الجملة لان مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب وبقصور التعظيم والرجاء

من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب صغير او كبير (فان تعسر المراعاة) بان لم تتيسر مراعاة الاعمال الباطنة المذكورة وما يتعلق بها من ظهور الحقايق (يجتهد فى قطع العلايق) اى لتعلقات ودفع العوايق المشغلات المتعلقة بالخلايق ليخلص له حضور القلب مع الخالق (فظاهرا) بتسعة اشياء (بضم العين) اى فى النوافل دون الفرائض وانما كره فى الفرائض دون النوافل مع ان التغميض لدفع الشواغل لان مبنى النوافل على الرغبة والنشاط والرخصة ولذا جوز اداؤها قاعدا وراكبا من غير عذر فيها (والاداء فى بيت مظلم قريب الجدار) ومنه الخلاوى الصوفية الابرار حتى لا يتسع مسافة بصر النظار (والاحتراز عن البيت المنقش) اى بانواع الزينة والكتابة والآنية (والفراش المصبوغ) اى بالالوان والاشكال وكذا لا يترك بين يديه ما يشغل حسه لديه وكان ابن عمر لا يدع فى موضع الصلوة مصحفا ولا سيفا الا نزعه ولا كتابا الا محاه ومسحه وقد قال عليه السلام لعثمان ابن ابى شيبة انى نسيت ان اقول لك تخمر القدرين اللذين فى البيت فانه لا ينبغى ان يكون فى البيت شئ يشغل الناس عن صلاتهم كذا فى الاحياء وتعقبه العراقى بان الحديث رواه ابو داود من حديث عثمان الحجبى وهو عثمان بن طلحة كما فى مسند احمد فقوله لعثمان بن ابى شيبة وهم (وكونه حاقنا) اى محبوس البول لحديث ابن ماجة من حديث ابى امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يصلى الرجل وهو حاقن ولابى داود من حديث ابى هريرة لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر ان يصلى وهو حاقن ولابى داود قال والترمذى وحسنه نحوه من حديث ثوبان (وحاقبا) بالموحدة محبوس الغائط او الريح لحديث مسلم عن عايشة لا صلوة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الاخبثان واما حديث النهى عن صلوة الحاقب ففى الاحياء وقال العراقى لم اجد بهذا اللفظ (وحازقا) ضيق الخف وفى معناه السروال وقد ورد النهى عن صلوة الحازق وعزاه رزين الى الترمذى لكن قال العراقى لم اجده عنده والذى ذكره صاحب الغريب حديث لا رأى لحازق وهو صاحب الخف الضيق (وجايعا) لحديث اذا حضر العشاء والعشاء واقيمت الصلوة فابدأوا بالعشاء متفق عليه وفى معناه اذا كان عطشان وانحس منهما ان يكون شبعان (وغضوبا) اى ممتلئ الغضب بحديث لا يدخل احدكم الصلوة وهو مغضب ولا يصلين احدكم وهو غضبان كذا فى الاحياء وقال العراقى لم اجده (ونحوها) اى من كل فعل خطر للمصلى ان يفعل بعد الصلوة فيفعله قبلها ان امكن (وباطنا) بخمسة اشياء (بتذكر الآخرة) وتصور مواقفها واهوالها وشدائد اهوالها وتفاوت منالها فى آمالها (وموقف المناجاة) اى مع قاضى الحاجات فورد المصلى يناجى ربه (وخطر المقام) اى بين يدى الملك العلام المذكر يوم الدين يوم يقوم الناس لرب العالمين (ودفع الخواطر) اى المشتغلة للسرائر والضمائر (وصرف النفس الى الفهم) اى ودفعها عن خطرات الوهم (ويبلغ فيه) اى فى دفع العوائق عن عمل الباطن ومراعاته (فكانوا) اى السلف (يبالغون)

اى فى تحسين حالاته وتزيين مقاماته (حتى لوكان يشغلهم ذكر مال) عن فكر مال (يتصدقون به تكفيرا وان كان) اى المال (خطيرا) اى عظيما كثيرا فروى ان ابا طلحة الانصارى صلى فى حائط له فيه شجر فاعجبه دبسى طار فى الشجر يلتمس مخرجا فاتبعه بصره ساعة ثم لم يذكركم صلى فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما اصابه من الفتنة ثم قال يا رسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت رواه مالك عن عبد الله ابن ابى بكر وعن رجل آخر انه صلى فى حائط له والنخل مطوقة بثمرها فنظر اليه فاعجبه فلم يدرك كم صلى فذكر ذلك لعثمان وقال هو صدقة فاجعله فى سبيل الله فباعه عثمان بخمسين الفا وكان يفعلون ذلك قطعا لمواد الفكر به وكفارة لما جرى من نقصان الصلوة بسببه فاذا اردت الخلاص من الآفات فاقلع شجرة لشهوات فانها اذا تفرعت باغصانها انجذبت اليها الافكار انجذاب العصافير الى الاشجار فلا تطمعن ان تصفو لك لذة المناجاة فى الصلوة مع تلك الشهوات (فالاصل) اى فى مراتب العبادة (عمل الباطن) لانه النافع فى مقام الزيادة للسعادة (فورد اقم الصلوة لذكرى) اى لاجل ذكركم آياتى اولاجل ذكرى اياكم ولذكر الله اكبر فاذكرونى اذكركم او وقت ذكركم صلاتى وفكركم صلاتى وفى الاحياء ظاهر الامر للوجوب والغفلة بضاد الذكر فمن غفل جميع صلاته كيف يكون مقيما للصلوة لذكره وقوله سبحانه * ولاتكن من الغافلين * نهى وظاهره التحريم (لاتقربوا الصلوة وانتم سكارى اى من حب الدنيا) اوهيارى فى غير ذكر المولى (اومن كثرة الهموم) فى الامر المقسوم وقد ورد من جعل الهموم هما واحدا هم الدين كفاه الله هم الدنيا والآخرة وقوله حتى تعلموا ما تقولون تعليل لنهى السكران وهو مطرد فى الغافل المستغرق الهم بالوسواس وافكار الدنيا واشغال النفس (لاينظر الله الى صلوة) اى نظر قبول ورحمة اونظر رعاية وعناية (لايحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه) اى عند عبادة ربه لم اجد له اصلا بهذا اللفظ قاله العراقى (ان العبد ليصلى الصلوة وانما يكتب ماعقل منها) وفى الاحياء ليس للعبد من صلاته الا ماعقل منها قال العراقى لم اجده مرفوعا وروى محمد بن نصر المروزى فى كتاب الصلوة من رواية عثمان بن ابى دهرش مرسلا لايقبل الله من عبد عملا حتى يشهد قلبه مع بدنه ورواه ابو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابى بن كعب ولابن المبارك فى الزهد مرفوعا على عمار لا يكتب للرجل من صلاته ماسها عنه والتحقيق فيه ان المصلى يناجى ربه متفق عليه والكلام مع الغفلة ليس بمناجات البتة فمتى يكون فى قوله اهدنا الصراط المستقيم داعيا وسائلا اذا كان قلبه ساهيا وغافلا ووردكم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب وما ارادبه الا الغافل كذا فى الاحياء وقال العراقى رواه النسائى وابن ماجة من حديث ابى هريرة * رب قائم ليس له من قيامه الا السهر * ولاحمد * رب قائم حظه من صلاته السهر * واسناده حسن (هذا)

اى خذ هذا او الامر هذا (وانما يكون القول) كالقراءة ونحوها (والفعل) كالركوع والسجود (عبادة للمعنى) فى القول (والتعظيم) فى الفعل (دون اللفظ) اى غير تلفظ الانسان باللسان (والحركة) اى التحرك بالجوارح والاركان فقد قال بعض اهل الشان فى معرض هذا البيان *

ان الكلام لفى الفؤاد وانما * جعل اللسان على الفؤاد دليلا *

قيل لما سمع الجنيد هذا اعاد صلاة ثلاثين سنة صلاها بلا حضور الجنان وفى الاحياء لو حلف انسان والله لاشكرن فلانا ولاثنين عليه ولاسألنه حاجة ثم جرت هذه الالفاظ الدالة على هذه المعانى على لسانه فى النوم لم يبر فى يمينه وكذا لو جرى على لسانه فى ظلمة وذلك الانسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه يصير بارا فى يمينه اذ لا يكون كلامه خطابا ونطقا معه مالم يكن حاضرا فى قلبه ولو كانت تجرى هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر فى بياض النهار الا انه غافل لكونه مستغرق الهم بفكر من الافكار ولم يكن له قصد وتوجيه الخطاب اليه عند نطقه لم يصر بارا فى يمينه ولا شك فى ان المقصود من القراءة والاذكار والحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله تعالى وقلبه بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة وما ابعد هذا عند المقصود بالصلوة التى شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الرب ورسوخ عقد الايمان به فهذا مما يدل من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب مع الرب (فان قلت فعلى هذا) الذى ذكرته من جعل القول والفعل للمعنى والتعظيم (تبطل) الصلوة (دون الحضور) اى عند عدم حضور القلب حيث جعلته شرطا فى صحتها (وهو خلاف الاجماع) اى اتفاق الفقهاء لما سيأتى من مخالفة بعض العلماء فالمراد اتفاق الجمهور فانهم لم يشترطوا حضور القلب فى صحتها الا عند التكبيرة الاولى المقرونة بالنية الاعلى (قلت انه) اى ادعاء الاجماع (ممنوع) والاتفاق مدفوع (لبطلانها عند سفيان) اى الثورى (فى رواية) اى كما نقل بشر بن الحارث فيما روى عنه ابو طالب المكى عن الثورى انه قال (من لم يخشع قلبه) فى صلوته (فسدت صلاته) قلت ويؤيده قوله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلوتهم خاشعون (وعن الحسن) اى البصرى (انها) اى الصلوة (بلا حضور القلب توجب العقوبة) قلت واى عقوبة اقوى من الغفلة وقد قيل الحجاب اشد العذاب قال تعالى * كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون * وفى الاحياء روى عن الحسن انه قال كل صلوة لا يحضر فيها القلب فهى الى العقوبة اسرع وفيه ان الصلوة يشترط فيها النية ولا تحصل النية الا لحضور الطوية واما استيعاب الحضور فغير مفهوم من كلامه ومن كلام غيره فيمكن الجمع بين قولهما المذكور وبين قول الجمهور وعن معاذ بن جبل انه قال من عرف من على يمينه وشماله متعمدا وهو فى الصلوة فلا صلوة له اى كاملة وروى ايضا مسندا كذا فى الاحياء وسكت عنه العراقى وقال عليه السلام ان العبد ليصلى الصلوة لا يكتب

له منها سدسها ولا عشرها وانما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها ابو داود والنسائى وابن حبان من حديث عمار بن ياسر بنحوه (وان كلامنا فى المنفعة الاخروية) هذا جواب آخر وبيانه ان الفقهاء لايتصرفون فى الباطن ولامطلع لهم على ما فى القلوب ولايتكلمون فى طريق الآخرة بل يتبعون ظاهر احكام الدنيا على ظاهر اعمال الجوارح فظاهر الاعمال كاف بسقوط تعزير السلطان فاما انه هل ينفع فى الآخرة فليس هذا من حدود الفقه (وعن عبد الواحد بن زيد وقوع الاجماع على عدم النفع) اى النفع الكامل قال الحجة فجعله اجماعا وما نقل من هذا الجنس عن الفقهاء المتورعين وعن علماء الآخرة اكثر من ان يحصى والحق الرجوع الى ادلة الشرع والآيات والاخبار والآثار ظاهرة فى هذا الشرط وهذا معنى قوله (وان اشتراط الشرع اياه) اى الحضور (ظاهر غير ان مقام الفتوى فى تكليف الظاهر على حسب قصور الخلق) بفتح الخاء والسين اى يتقيد بقدره (فلو اشترط) اى الحضور (للجواز) اى لصحة الصلوة (لوقعوا) اى الجمهور (فى حرج) اى عظيم يؤدى الى المحظور لعجزهم عن كمال الحضور (وادى) اى ولافضى اشتراطه (الى تركها رأسا) وهو المحذور (وهو التحقيق) اى فى مقام التدقيق فانه لايمكن ان يشترط على الناس كلهم احضار القلب فى جميع الصلوة فان ذلك يعجز عنه كل البشر الا الاقلين واذا لم يكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلامرد له الا ان يشترط منه ماينطلق عليه الاسم ولوكان فى لحظة واحدة واولى اللحظات به اول الصلوة فاقتصر على التكليف لذلك ومع ذلك فرجوا ان لا يكون حال الغافل فى جميع صلاته مثل حال تارك الصلوة بالكلية فانه بالجملة اقدم على الفعل ظاهرا فاحضر القلب لحظة وكيف لا والذى يصلى مع الحدث ناسيا فصلاته باطلة عند الله تعالى ولكن له اجرا ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره وعلى هذا الرجاء فقد يخشى ان يكون حال الغافل اشر من حال التارك وكيف لا والذى يحضر الخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحقر اشد حالا من الذى يعرض عن الخدمة ويتهاون بالحضرة فاذا تعارض اسباب الخوف والرجاء صار الامر مخطرا فى نفسه فاليك الخيرة بعده فى ترك الاحتياط او التساهل ومع هذا فلا مطمع لاحد فى مخالفة الفقهاء فيما افتوا به من الصحة مع الغفلة فان ذلك من ضرورة الفتوى الناشئة من عموم البلوى هذا وروى من احب غير الله فلاتصفوله صلاة عن الخواطر المذمومة فان من احب شيئا اكثر ذكره كما ورد فى الخبر فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة فتدبر فخذ ما صفا ودع ما كدر (ثم من امعن) اى اشبع النظر واسبغ الفكر (فيما وردان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وانما الصلوة تمسكن وتواضع وتضرع) حيث جاء بصيغة الحصر رواه الترمذى والنسائى من حديث الفضل بن العباس باسناد مضطرب (علم انها) اى الصلوة

(هو الحضور) اى بكمال الشعور والافصلاة الغافل لاتمنعه عن الفحشاء وقد انقسم الناس الى غافل يتم صلاته ولم يحضر قلبه فى لحظة منها والى من يتمها ولم يغب قلبه فى لحظة عنها بل ربما كان مستوعب الهم بها بحيث لايحس بمايجرى بين يديه ومن هنالم يحس مسلمة بن يسار بسقوط اسطوانة فى المسجد اجتمع الناس عليها وبعضهم حضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من على يمينه وشماله وكان وجيب قلب ابراهيم عليه السلام يسمع من ميلين وجماعة كان تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم (هذا) اى مضى هذا اوخذ هذا (والاولياء انما يكاشفون فيها) اى فى الصلوة مع حضورها ودوام نورها (لاسيما فى السجود) فانه اقرب مقام الى واجب الوجود وصاحب الكرم والجود (على حسب الصفاء) اى على تفاوت درجات ارباب الوفاء ومن هنا قال بعض الصحابة يحشر الناس يوم القيمة على مثل هيئاتهم فى الصلوة من الطمانينة والهدو ومن وجود النعيم واللذة ولقد صدق فانه يحشر كل على مامات عليه ويموت على ماعاش عليه وقد قيل كما تعيشون تموتون وكما تموتون تحشرون (ثم اعلم ان كل مايشغله عن صلاته فهو ضد دينه فليتخلص منه باخراجه عن طينه ليقوم فى مرتبة يقينه كما روى عنه عليه السلام لما لبس الخميصة التى اتاه بها ابوجهم وعليها علم وصلى فيها نزعها بعد صلاته وقال اذهبوا بها الى ابى جهم فانها الهتنى عن صلاتى وائتونى بانبجانية ابى جهم متفق عليه من حديث عائشة وامر صلى الله عليه وسلم بتجديد شراك نعله ثم نظر اليه فى الصلوة اذكان جديدا فامر ان ينزع عنها ويرد الشراك الخلق فيها ابن المبارك فى الزهد من حديث ابى النصر مرسلا باسناد صحيح وكان عليه السلام قد اهتدى نعلا فاعجبه حسنها فسجد فقال تواضعت لربى كيلا يمقتنى ثم خرج بها فدفعها الى اول سائل لقيه ثم امر عليا ان يشترى له نعلين سبتيتين جرداوين فلبسهما ابو عبد الله بن خفيف فى شرف الفقراء من حديث عايشة باسناد ضعيف وكان فى يده خاتم ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه وقال شغلنى هذا نظره اليه ونظره اليكم كذا فى الاحياء وقال العراقى اخرجه النسائى من حديث ابن عباس باسناد صحيح وليس فيه بيان ان الخاتم كان ذهبا اوفضة انما هو مطلق والحاصل ان الاكابر اجتهدوا ان يصلوا ركعتين ولايحدثون انفسهم فيها بشىء من امور الدنيا فعجزوا عن ذلك فاذا لامطمع لامثالنا خلاى ماهنالك وليته سلم من الصلوة شطرها اوثلثها من الوسواس والخواطر المنقلبة بالرأس فنكون فيمن خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وعلى الجملة فهم الدنيا وهم الآخرة فى القلب مثل الماء الذى يصب فى قدح مملوء فيه خل فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج الخل منه لامحالة فلا يجتمعان والله المستعان (ومنها) اى من انواع الورد ﴿قرأة القرآن﴾ (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) البخارى من حديث عثمان ومن قرأ القرآن ثم رأى ان احدا اوتى افضل مما اوتى فقد استصغر

ما عظمه الله الطبرانى من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف ولعله مقتبس من قوله سبحانه * ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم لاتمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم ومن هنا قال الفضيل ينبغى لحامل القرآن ان لايكون له الى احد حاجة ولا الى الخلفاء فمن دونهم ويؤيده حديث من لم يستغن بالقرآن فليس منا اى من لم يستغن به عن غيره وورد من شغله القرآن عن ذكرى ومسألتى اعطيته افضل ما اعطى السائلين الترمذى من حديث ابى سعيد وقال حسن غريب افضل عبادة امتى قراءة القرآن ابونعيم من حديث النعمان بن بشير اهل القرآن اهل الله وخاصته النسائى وابن ماجه والحاكم من حديث انس باسناد حسن (وحقها) اى القراءة (ان يغوى ايناس وحشة الدنيا) اى بذكر العقبى والدرجات الحسنى (وقضاء حق الشوق الى المولى) لان المناجاة والمكالمة معه تعالى فيه ينتهى به الى الشوق وزيادة الذوق الى قربه الاعلى (وضبط احكام العبودية) بحفظ حقوق المقام الربوبية (ويتوضأ) اى يتطهر (ويتطيب) بأى طيب كان او يتنظف فى جميع الاركان (ويتأدب) بقدر الامكان (ويجوز الاضطجاع فورد الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) قال على رضى الله عنه من قرأ القرآن وهو قائم فى الصلوة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأ وهو جالس فى الصلوة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأ فى غير الصلوة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرأ على غير وضوء فعشر حسنات ومن على اقرؤا القرآن على كل حال الا وانت جنب ابو الحسن بن صخر فى فوائده (والافضل فى الليل) لانه اقرب الى النيل (فالقلب فيه افرغ) قال تعالى * ان ناشئة الليل هى اشد وطأ واقوم قيلا ان لك فى النهار سبحا طويلا * اى شغلا كثيرا (وفى المصحف افضل فهو يضعف الاجر لاعمال الجوارح) اى من اللسان والعين والاذن لزيادة حظ النظر من الحواس وافادة نقص الوسواس من اشتغال الناس ومع هذا لابد من حضور القلب وشعوره بكلام الرب وقد قيل الختمة فى المصحف بسبع وقد غرق عثمان رضى الله عنه مصحفين لكثرة قراءته فيهما وكان كثير من الصحابة يقرؤن القرآن من المصحف ويكرهون ان يخرج يوم ولم ينظروا فى المصحف ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعى فى السحر وبين يديه المصحف فقال شغلكم الفقه عن القرآن انى لاصلى العتمة واضع المصحف بين يدى فلا اطبقه حتى اصبح وقد ورد اعطوا اعينكم حظها من العبادة النظر فى المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجايبه الحكيم الترمذى والبيهقى عن ابى سعيد (ويستظهره) اى وحقها اى ويحفظه غيبا ويضبطه قلبا كما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم واكثر اصحابه رعاية لقوله تعالى * انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون * وقد قيل كن حافظا تقيا لامصحفيا نقيا (فورد فيه) اى فى الاستظهار (تخفيف العذاب عن

الوالدين وان كانا مشركين) لم اجده وقد روى ابوداود عن سهل بن معاذ عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن وعمل بما فيه البس والداه تاجا يوم القيمة ضوءه احسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا لوكانت فيكم فما ظنكم بالذى عمل بما فيه وفى رواية البس والداه حلة لاتقوم بها الدنيا وما فيها وورد * اقرؤا القرآن فان الله تعالى لايعذب قلبا وعى القرآن * تمام فى رواية عن ابى امامة مرفوعا لوكان القرآن فى اهاب ماسسته النار احمد والدارمى والطبرانى (ولاينساه فورد انه يذنب) اى ذنب كبير فهو خبر ان وزيدت الباء فيه لان الكلام فى قوة اليس نسيان القرآن بذنب ونظيره قوله تعالى * اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن بقادر * وقد يقال انه اطلق المصدر واراد به الفاعل على طريقة رجل عدل اى فورد انه مذنب وفى نسخة يذنب اى يصير ذاذنب عظيم وروى من اعظم الذنوب ان يتعلم الرجل آية من القرآن ثم ينساه قيل ونزل قوله تعالى فى حقه * ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى * مع ان العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب ونسيانه عندنا محمول على انه لم يقدر ان يقرأ نظرا وعند الشافعى ومن تبعه ان ينسى غالبه حفظا وهو كبيرة اتفاقا (ولايختم فى اقل من ثلاثة ايام فورد انه يمنع الفقه) ولفظ الحديث من قرأ القرآن فى اقل من ثلاث لم يفقهه رواه اصحاب السنن من حديث عبد الله بن عمرو وصححه الترمذى وذلك لان الزيادة عليه تمنع الترتيل وتدفع ادراك مافى التنزيل وقد قالت عائشة لما سمعت رجلا يهذ القرآن هذا ان هذا ماقرأ ولاسكت (وجاء فى اربعين) وهو يناسب الاربعينات الصوفية الصفية وقد ورد اقرؤا القرآن فى اربعين الترمذى عن ابن عمرو ومنهم من يختم فى الشهر مرة يقرأ كل يوم جزأ من ثلاثين اجزأ ورد اقرأ القرآن فى كل شهر اقرأه فى عشرين ليلة اقرأه فى عشر اقرأه فى سبع ولاتزد على ذلك رواه الشيخان وابوداود عن ابن عمر وفى رواية الطبرانى عنه اقرؤا القرآن فى خمس وبعضهم قرأه فى اليوم والليلة مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم الى الثلاث (وفى اسبوع) وقد امر النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو ان يختم القرآن فى كل سبع متفق عليه من حديثه وكان جماعة من الصحابة يختمون القرآن فى كل جمعة كعثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وابى بن كعب ففى الختم اربع درجات الختم فى كل شهر والختم فى يوم وليلة وقد كرهه جماعة وكانه مبالغة فى الاقتصار كما ان الاول مبالغة فى الاستكثار وبينهما درجتان معتدلتان اختارهما الابرار احديهما فى الاسبوع مرة وهى الاولى والاخرى والثانية فى الاسبوع مرتين تقريبا من الثلاث وهو الرخصة فى الكثرة (والاحزاب المروية سبعة) اى الاوراد المأثورة سبعة اقسام (ثلاث سور) وهى بعد الفاتحة البقرة وآل عمران والنساء (ثم خمس) وهى

المائدة والانعام والاعراف والانفال والتوبة (ثم سبع) وهى يونس وهود ويوسف والرعد وابراهيم والحجر والنحل (ثم تسع) وهى بنى اسرائيل والكهف ومريم وطه والانبياء والحج والمؤمنون والنور والفرقان (ثم احدى عشرة) وهى الشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة والاحزاب وسبأ وفاطر ويس (ثم ثلاث عشرة) وهى والصفات وص والزمر وحواميم السبع والقتال والفتح والحجرات ففى كل مرتبة بزيادة سورتين (ثم الباقى) وهى ق الى الناس وينسب الى على كرم الله وجهه انه اشار الى هذا الترتيب بطريق الرمز والايماء حيث قال * فمى بشوق * فالفاء فاتحة والميم مائدة والياء يونس والباء بنى اسرائيل والشين الشعراء والواو والصفات والقاف ق وقد قال العراقى تحزيب القرآن على سبعة احزاب رواه ابو داود وابن ماجه من حديث اوس بن حذيفة قال اوس فسألت اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تحزبون القرآن قالوا ثلاث وخمس وسبع وتسع واحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل وفى رواية الطبرانى فسألنا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزئ القرآن فقالوا كان يجزيه ثلاثا فذكره مرفوعا باسناد حسن (وكان عثمان رضى الله عنه يبتدئ ليلة الجمعة) فانها فى الليالى افضل والقراءة بالليل امثل (ويتم المائدة) اى فى ليلته وبقيته يوم جمعته (ثم هود) اى يبتديه فى ليلة السبت اونهاره (ثم مريم ثم طس ثم ص ثم الرحمن ثم الباقى) وهو يحتمل ان يكون باجتهاده حيث لم يبلغه ماسبق مرفوعا اوهو رواية اخرى عنه عليه السلام وان كان فى الظاهر موقوفا (وهذا) اى التحزيب بهذا الترتيب (للعامل ظاهرا) فى مقام التهذيب من الصوم والصلاة والتلاوة والاذكار (واما صاحب الباطن) اى المراعى لاحوال القلب وحضوره مع الرب (فعلى حسب حاله) اى مايقتضيه من الكثرة والقلة فى قراءته كسائر افعاله فانه ان كان من العابدين السالكين بطريق العمل فلا ينبغى ان ينقص عن ختمتين فى الاسبوع وان كان من السالكين باعمال القلب وضروب الفكر اومن المشغولين بنشر العلم فلا بأس ان يقتصر فى الاسبوع على مرة وان كان ناقد الفكر فى معانى القرآن ومبانى الفرقان فقد يكتفى فى الشهر بمرة لحاجته لكثرة الترديد والتأمل فى الوعد والوعيد (ويرتل) اى يترسل ويتمهل (لتوقف التدبر عليه) وقد قال عز وجل * كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب * (وكونه اقرب الى التعظيم والتأثير) اى تعظيم الرب وتأثير القلب قال تعالى * ورتل القرآن ترتيلا * وهو المستحب فى قراءته وقال عز وعلا * الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته (وهو المروى) فقد نعتت ام سلمة قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءة مفسرة حرفا حرفا ابو داود والنسائى والترمذى وقال حسن صحيح وقال ابن

عباس لان اقرأ البقرة وآل عمران ارتلهما واتدبرهما احب الى من ان اقرأ القرآن كله هذرمة وقال ايضا لان اقرأ اذا زلزلت والقارعة اتدبرهما احب الى من ان اقرأ البقرة وآل عمران مهذرما (ويبكى) فانه مستحب قال تعالى حكاية عن الانبياء والاصفياء * اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا * وقال * ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان الى قوله يبكون ويزيدهم خشوعا * ومن هنا قال ابن عباس اذ اقرأتم سجدة سبحان فلاتعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه قلت وكذا اذا قرأ سجدة مريم ولابد من البكاء والتباكى او الحزن على فقدهما (فوردا تلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا) ابن ماجه من حديث سعد ابن ابى وقاص (فاذا قرأتموه فتحازنوا) صدر الحديث ان القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا ابو يعلى وابو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف ويقويه حديث ان الله يحب كل حزين الطبرانى والقضاعى بسندهما الى ابى الدرداء مرفوعا ويؤيده قوله سبحانه * ان الله لا يحب الفرحين * ويعضده حديث اقرؤا القرآن بالحزن فانه نزل بالحزن رواه ابو يعلى وابو نعيم فى الحلية والطبرانى فى الاوسط عن بريدة وعن الحسن والله ما اصبح اليوم عبد يتلوا هذا القرآن يؤمن به الا كثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه وقل ضحكه وكثر نصبه ومشغلته وقلت راحته وبطالته وقال عليه السلام لابن مسعود اقرأ على قال فافتتحت سورة النساء فلما بلغت * فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنابك على هؤلاء شهيدا * رأيت عيناه تذرفان بالدمع فقال لى حسبك الآن (وهو) اى وجه احضار الحزن انما يحصل (بالتامل فى مواعيده) من التهديد والوعيد (ومواثيقه) من العهد الاكيد (والتقصير فيما) اى فى لوازمها من الاوامر والزواجر فيحزن له لا محالة ويبكى (والا) اى فان لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر ارباب القلوب الصافية والصدور الوافية (فيبكى على فقدان بكائه) اى فليبك على فقد حزنه وبكائه (فهو اعظم المصائب) فى مقام بلائه (ويتعوذ فى الافتتاح) اى ابتداء القراءة مطلقا (فقد ورد فاذا قرأت القرآن) اى اردت قراءته وقيل بعد فراغه ولامنع من الجمع (فاستعذ بالله) اى من الشيطان الرجيم والامر للاستحباب عند الجمهور وقيل للايجاب (ويفتتح) اى يبتدئ (ختمة اخرى (عند الختم) اى الختمة الاولى (رغما للشيطان) اى ورضى للرحمن ولقوله تعالى * فاذا فرغت * اى عن عبادة * فانصب * اى فاتعب فى اخرى وللآخرة خير لك من الاولى (فهو مأثور) بل مروى مشهور فعن زرارة بن ابى اوفى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل اى الاعمال افضل فقال عليه السلام * الحال المرتحل اى عمله فقيل ما الحال المرتحل فقال الخاتم المفتتح وفى رواية فتح القرآن وختمه

صاحب القرآن يضرب من اوله الى آخره ومن آخره الى اوله كلما حل ارتحل ورواه البيهقى فى شعب الايمان بسنده مرفوعا ولفظه عليكم بالحال المرتحل ووافقه الطبرانى فى مسنده فينبغى انه اذا قرأ سورة الناس ان يقرأ سورة الفاتحة وصدر سورة البقرة الى المفلحون ويدعو بما كان يقوله عليه السلام عند ختم القرآن اللهم ارحمنى بالقرآن واجعله لى اماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرنى منه ما نسيت وعلمنى منه ما جهلت وارزقنى تلاوته آناء الليل والنهار واجعله حجة لى يارب العالمين ابو منصور المظفر بن الحسين الارجانى فى فضائل القرآن وابو بكر ابن الضحاك فى الشمائل كلاهما من طريق ابى ذر الهروى من رواية داود بن قيس مفضلا (ويسأل امرا مرجوا عليه ويتعوذ عن مخوف) اى اذا وصل اليه اوقرئ لديه (ويوافق ذكرا) اى فيذكر نبذة وكذا يوافق تسبيحا وتكبيرا كما اذا قرأ * يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا * فيذكر ثلاث مرات او اكثر ويسبح كذلك (او دعاء) اى دعا كما اذا قرأ * ادعونى استجب لكم واجيب دعوة الداع اذا دعان * وكذا استغفر فى مقام يليق به كقوله تعالى * استغفروا ربكم انه كان غفارا * (فالكل مأثور) بل مروى مذكور قال مذيفة صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدأ سورة البقرة فكان لايمر بآية عذاب الا استعاذ ولا بآية رحمة الا سأل ولا بآية تسبيح الا سبح رواه مسلم باختلاف لفظ (ويسر) اى ويخفى القراءة (ان خاف الرياء) اى على نفسه (او تشويش مصل) فى محضره والا فجوز الجهر به لتلذذ الآذن بسببه وحصول الاستماع لغيره (فورد يفضل عمل السر على العلانية سبعين ضعفا) البيهقى فى الشعب من حديث عائشة وفضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية وفى لفظ آخر الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة ابو داود والنسائى والترمذى وحسنه من حديث عقبة بن عامر وخير الرزق مايكفى وخير الذكر الخفى احمد وابن حبان من حديث سعد بن ابى وقاص وفى الخبر لايجهر بعضكم على بعض فى القراءة بين المغرب والعشاء وللبيهقى فى الشعب من حديث على قبل العشاء وبعدها وفيه الحارث الاعور وهو ضعيف وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة فى صلاته وكان حسن الصوت فقال لغلامه اذهب الى هذا المصلى فقل له يخفض من صوته فقال الغلام ان المسجد ليس لنا وللرجل فيه نصيب فرفع سعيد صوته فقال يا ايها المصلى ان كنت تريد الله عز وجل بصلاتك فاخفض صوتك وان كنت تريد الناس فانهم لن يغنوا عنك من الله شيئا فسكت عمر وخفف فلما سلم اخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ امير المدينة (والا) اى وان لم يكن خوف رياء ولا تشويش مصل (فيجهر) اى جوازا او استحبابا (فهو ينبه القلب) اى يوقظ قلب القارى (ويجمع الهمة) فى ذكر الرب البارى (ويصرف السمع اليه وينفى النوم والكسل) اى فيتلذذ باستماعه لديه (ويزيد فى النشاط) اى نشاط النفس اليه (ويوقظ الراقد)

اى فى اوّل الليل وآخره فيكون هو سبب احيائه وباعث ذكره ودعائه (ويرغب فى العبادة) اى من سمعه من اهل الطاعة والسعادة (فورد ان الملائكة) صدر الحديث اذا قام احدكم من الليل يصلى فليجهر بقراءته فان الملائكة اى الحفظة (وعمار الدار) بضم العين وتشديد الميم جمع عامر اى ساكنوها اى من مسلمى الجن (يستمعون قراءته ويصلون بصلاته) رواه بنحوه بزيادة فيه ابو بكر البزار ونص المقدسى فى المواعظ من حديث معاذ بن جبل وهو حديث منكر ومنقطع (والمتعدى) اى العمل الذى يتعدى ثوابه الى الغير (افضل) من العمل اللازم القاصر على صاحبه (وتضاعف النية يضاعف الاجر) فمهما حضره شىء من النيات المتقدمة فالجهر افضل وان اجتمعت النيات المتعددة تتضاعف الاجر والمثوبة وبكثرة النيات فى العبادات يزكو عمل الابرار ويزيد فى الدرجات (والاعب) فى السر والجهر (النظر الى صلاح القلب) اى فى حضوره مع الرب (فصوب عليه السلام ابابكر فى الاسرار وعمر فى الجهر بعد الفحص عن النية) روى انه عليه السلام مر على ثلاثة نفر من اصحابه مختلفى الاحوال فمر على ابى بكر وهو يخافت فسأله عن ذلك فقال ان الذى اناجيه هو يسمعنى ومر على عمر وهو يجهر فسأله عن ذلك فقال اوقظ الوسنان وازجر الشيطان ومر على بلال وهو يقرأ آيا من هذه السورة وآيا من هذه السورة فسأله فقال اخلط الطيب بالطيب فقال كلكم قد احسن ابو داود من حديث ابى هريرة باسناد صحيح نحوه وفى رواية انه عليه السلام قال لابى بكر لم خفضت صوتك فقال اسمعت من ناجيت وقال لعمر ولم رفعت صوتك قال اوقظ الوسنان واطرد الشيطان فقال لابى بكر ارفع قليلا وقال لعمر اخفض قليلا وهو مناسب دليلا لقوله سبحانه * ولاتجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا * ولعله عليه السلام دعاهما لمقام جمع الجمع فان الصديق كان فى جمع الصرف والفاروق فى منع التفرقة وقيل لئلا يكون كل منهما عاملا الا بمتابعته فى جميع حالته (ويحسن الصوت) اى بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم (به) اى بالقرآن (فورد ما اذن الله لشىء) اى ماسمع وقبل واقبل (اذنه) بفتحتين منصوبا (لشىء) اى من المسموعات اى مثل سماعه وقبوله واقباله (لحسن الصوت بالقرآن) متفق عليه من حديث ابى هريرة بلفظ ما اذن الله لشىء ما اذن لنبى يتغنى بالقرآن زاد مسلم لنبى حسن الصوت وفى رواية كاذنه لنبى يتغنى بالقرآن وقال عليه السلام زينوا القرآن باصواتكم ابو داود والنسائى وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث البراء بن عازب وقال من لم يتغن بالقرآن فليس منا اى من لم يترنم وهو اقرب لغة من معنى الاستغناء (وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ليلة ينتظر عائشة فابطأت عليه فقال ماحبسك قالت يا رسول الله كنت اسمع قراءة رجل ماسمعت احسن صوتا منه فقام عليه

السلام حتى استمع اليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم مولى ابى حذيفة الحمد لله الذى جعل فى امتى مثله ابن ماجه من حديث عائشة ورجال اسناده ثقات واستمع عليه السلام ايضا ذات ليلة الى عبد الله بن مسعود ومعه ابوبكر وعمر فوقفوا طويلا ثم قال من اراد ان يقرأ القرآن اغضا كما انزل فليقرأ على قراءة ابن ام عبد احمد والنسائى فى الكبرى من حديث عمر والترمذى وابن ماجه من حديث ابن مسعود ان ابا بكر وعمر بشرا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب ان يقرأ القرآن الحديث قال الترمذى حسن صحيح وقال عليه السلام لابن مسعود اقرأ على فقال يارسول الله اقرأ عليك وعليك انزل فقال انى احب ان اسمعه من غيرى فكان يقرأ ورسول الله صلى الله عليه وسلم عيناه تفيضان متفق عليه من حديث ابن مسعود (واستمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قراءة ابى موسى فقال لقد اوتى هذا مزمارا من مزامير آل داود متفق عليه من حديث ابى موسى وفى الخبر كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمعوا امروا احدهم ان يقرأ سورة من القرآن وقال عليه السلام من استمع الى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نورا يوم القيمة احمد من حديث ابى هريرة (مكتفيا على الترغيب) اى على قدر الرغبة (والتاثير) اى وتاثير النسبة فورد اقرؤا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا اختلفتم فاستم تقرؤنه وفى بعضها فاذا اختلفتم فقوموا عنه كذا فى الاحياء وقال العراقى متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله البجلى باللفظ الثانى دون قوله ولانت جلودكم قلت ولعل الحديث مقتبس من قوله تعالى * الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله * وورد ان من احسن الصوت بالقرآن الذى اذا سمعته يقرأ رأيت انه يخشى الله تعالى ابن ماجه من حديث جابر بسند ضعيف ولانسمع القرآن من احد اشهى منه من يخشى الله تعالى الحاكم ابو عبد الله (غير مغير نظمه) اى مبناه بتغيير مخرج حروفه وصفاتها وتبديل حركاتها وسكناتها وزيادة فى مداتها وكيفياتها (ولامراع قواعد الموسيقى فى نغماتها المذمومة) فى الشريعة (المنسوبة الى المبتدعة) بل الى الكفرة الفجرة كما يشير اليه قوله تعالى * افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون * اى مغنون وهامدون وخامدون (ولامشتغل عن التدبر) فى آية وآلائه وقصص رسله وانبيائه وانواع بلائه لاهل ولائه ثم اهلاك اعدائه وانجاء احبائه والتامل فى احكامه من اوامره وزواجره والتفكر فى مبدأ امره ومنتهى عمره ومواقف القيامة واهوالها ودرجات الجنة وحسن آمالها ومنالها ودركات النار واغلال اهوالها (ويعظمه) اى كما كان عكرمة بن ابى جهل اذا نشر المصحف غشى عليه ويقول هو كلام ربى هو كلام

ربى (فورد لوانزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) وتمام الآية وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون (من قرأ القرآن فرأى أن أحدا اوتى افضل مما اوتى فقد استصغر ماعظمه الله) اى واستعظم ماصغره الله وقد سبق الكلام على معناه ومعناه (ويحضر القلب) فى التلاوة (لما سبق) فى حق الصلوة (انه الاصل) فى معرفة الرب (وبه فسر ماورد) فى التنزيل (يايحيى خذ الكتاب بقوة) اى بقوة القلب واحضاره فى مكتب الرب (ويتدبر فورد) فى التنزيل (ليدبروا آياته) تمامه وليتذكر اولوا الالباب فالتدبر سبب التذكر (وكان اهتمامهم بالتفقه) اى الدراية (دون اللقلقة) اى كثرة القراءة والرواية قال على لاخير فى عبادة لافقه فيها ولافى قراءة لاتدبر فيها وكان بعضهم يقول كل آية لاافهمها ولايكون قلبى فيها لا اعد ثوابا لها وقد روى عن عامر بن قيس انه قال الوسواس يعترينى فى الصلوة فقيل له افى امر الدنيا فقال لان اختلف فى الاسنة احب الى من ذلك ولكن يشتغل قلبى بموقفى بين يدى ربى واين اذهب وكيف تصرف قال الحجة فانظر كيف عد ذلك وسواسا وهو كذلك لانه يشغلهم عن فهم ماهو فيه والشيطان لايقدر على مثله الا ان يشغله بمهم دينى ولكنه يمنعه عن الافضل ولما ذكر ذلك للحسن فقال ان كنتم صادقين عنه فما اصطنع الله ذلك عندنا هذا وقد كثر اعتناء الصحابة بالقرآن من حيث معناه دون حفظ مبناه (حتى لم يستظهره) اى لم يحفظ جميعه (الا بضعة عشر) صحابيا من اكابر الصحابة واجلاهم فى القراءة كالخلفاء الاربعة وابى بن كعب وابن مسعود وزيد بن ثابت وسالم مولى ابى حذيفة وفى الاحياء مات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين الفا من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم الا ستة اختلف منهم فى اثنين قال العراقى قوله مات عن عشرين الفا لعله اراد بالمدينة والا فقد رويناعن ابى زرعة الرازى انه قال قبض عن مائة الف واربعة عشر الفا من الصحابة ممن روى عنه وسمع انتهى واما من حفظ القرآن فى عهده ففى الصحيحين من حديث انس قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اربعة كلهم من الانصار ابى بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد وابو زيد قلت من ابو زيد قال احد عمومتى وزاد ابن ابى شيبة فى المصنف من رواية الشعبى مرسلا وابى الدرداء وسعيد ابن عبيد وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر استقرؤا القرآن من اربعة من عبد الله بن مسعود وسالم مولى ابى حذيفة ومعاذ بن جبل وابى بن كعب (بل الكثير منهم لم يحفظ الا سورة) كالبقرة (اوسورتين) كالزهراوين وكان الذى يحفظ البقرة والانعام من علمائهم وروى ابن الانبارى بسنده الى عمر قال كان الفاضل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدر هذه الامة من يحفظ من القرآن السورة او نحوها الحديث وسنده ضعيف والترمذى وحسنه من حديث ابى هريرة قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا وهم

ذوعدد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل مامعه من القرآن فاتى على رجل من احدثهم سنا فقال مامعك يافلان قال معى كذا وكذا وسورة البقرة فقال امعك سورة البقرة قال اذهب فانت اميرهم الحديث (ويردد مرارا) اى من حق القرآن ان يكرر المقرو مرة بعد مرة (فقد قام عليه السلام ليلة بآية) واحدة يرددها وهى * ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفرلهم فانك انت العزيز الحكيم * النسائى وابن ماجه بسند صحيح عن ابى ذر (وقرأ عليه السلام آية بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة ابوذر الهروى فى معجمه عن ابى هريرة بسند ضعيف وقام تميم الدارى ليلة بهذه الآية * ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات * الآية وقام سعيد بن جبير ليلة يردد هذه الآية * وامتازوا اليوم ايها المجرمون (ويتفهم) بان يتكلف ضبط مبانيه وفهم معانيه ويستوضح من كل آية مايليق بها اذالقرآن يشتمل على ذكر ذات الله وصفاته وافعاله ومصنوعاته وذكر احوال انبيائه واوليائه وبيان حال اعدائه وذكر اوامره وزواجره وبيان درجات جنته ودركات ناره (وهو يتفاوت بحسب صفاء الباطن) وانواره (وظهور المكاشفة) للقلب واسراره (فوردان للقرآن ظهرا وبطنا) تمامه وحدا ومطلعا ابن حبان فى صحيحه من حديث ابن مسعود وروى عن ابن مسعود مرفوعا ايضا ان القرآن انزل على سبعة احرف لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حرف حد ومطلع فالظاهر تلاوة المبنى والباطن تفهم المعنى والحد احكام الاحكام والمطلع ماينكشف من المرام بعد هذا المقام واخرج النسائى من رواية ابى جحيفة قال سألنا عليا رضى الله عنه فقلنا هل عندكم من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شئ سوى القرآن فقال لا والذى فلق الحبة وبرئ النسمة الا ان يعطى الله عزوجل عبدا فهما فى كتابه الحديث وهو عند البخارى بلفظ هل عندكم شئ ما ليس فى القرآن وقال مرة ماليس عند الناس (لايفقه العبد) اى كل الفقه (حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة) قال ابو الدرداء لايفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها وعن الامام جعفر الصادق ان كتاب الله على اربعة اشياء العبارة والاشارة واللطائف والحقايق فالعبارة للعوام والاشارة للخواص واللطائف للاولياء والحقايق للانبياء اقول وفى الحقيقة لايعرف حقايق كلامه ودقايق مرامه غيره سبحانه بتمامه لان كلامه الازلى من نعته العلى وكما لانهاية لذاته لاغاية لصفاته فان تحت كل حرف من حروفه بحرا من بحار الاسرار ونهرا من انهار الانوار وقد قال عز من قائل ايماء الى عجز معرفة من سواه * ولوان ما فى الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله * اى طرائف مبانيها ولطائف معانيها ومن هنا قال على لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب وقد قيل لايكون المريد حتى يجد فى القرآن كل ما يريد ويعرف منه النقصان من المزيد

ويستغنى بالمولى عن العبيد وفى الخبر لولا ان الشياطين يحدقون على قلوب ابن آدم لنظروا الى الملكوت ومبانى القرآن من جملة الملكوت رواه احمد عن ابى هريرة (اقرأوا القرآن والتمسوا غرايبه) ابن ابى شيبة فى مصنفه وابو يعلى الموصلى والبيهقى فى شعبه من حديث ابى هريرة بلفظ اعربوا وسنده ضعيف وعن ابن مسعود من اراد علم الاولين والآخرين فليتدبر القرآن هذا وقد شرط الله عز وجل الانابة فى الفهم والتذكر فى العلم فقال * تبصرة وذكرى لكل عبد منيب * وقال * وما يتذكر الا من ينيب * وقال * انما يتذكر اولوا الالباب * والذى آثر غرور الدنيا على سرور العقبى فليس من ذوى الالباب فلذا لا ينكشف له اسرار الكتاب وانوار الخطاب وقد ورد اذا عظمت امتى الدينار والدرهم نزعت منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر حرموا بركة الوحى قال الفضيل يعنى حرموا فهم القرآن كذا فى الاحياء وقال العراقى رواه ابن ابى الدنيا فى كتاب الامر بالمعروف مفضلا من حديث الفضيل ابن عياض قال ذكر عن نبى الله صلى الله عليه وسلم وقد قال تعالى * واوحى الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ * قال محمد بن كعب القرظى من بلغه القرآن فكأنما كلمه الرحمن وقال بعض اهل الفضائل هذا القرآن رسائل اتتنا من قبل ربنا بعهود لنتدبرها فى الصلوات فنقف عليها فى الخلوات ونتعبد بها فى الطاعات بالسنن المتبعات وكان مالك بن دينار يقول ما زرع القرآن فى قلوبكم يا اهل القرآن ان القرآن ربيع المؤمن كما ان الغيث ربيع الارض وقال قتادة لم يجالس هذا القرآن احد الا قام بزيادة او نقصان قال تعالى * وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا * ولذا قيل من لم يكن متصفا باخلاق القرآن فاذا قرأ القرآن ناداه الله عز وجل ما لك ولكلامى وانت معرض عنى دع عنك كلامى اذلم تتب الى ومما يدل على ان مدار القرآن على فهمه والعمل بامره ونهيه ما رواه ابو داود والنسائى فى الكبرى وابن حبان والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمر قال اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقرئنى يارسول الله فاقرأه اذا زلزلت الارض حتى فرغ منها فقال الرجل والذى بعثك بالحق لا ازيد عليها ابدا ثم ادبر الرجل فقال عليه السلام افلح الرويجل ولاحمد والنسائى فى الكبرى من حديث صعصعة عم الفرزدق انه صاحب القضية وقال حسبى لا ابالى ان لا اسمع غير هذه وعن جعفر الصادق والله لقد يحكى الله سبحانه لخلقه فى كلامه ولكنهم لا يبصرون وقال ايضا وقد سألوه عن حالة الخفية فى الصلوة حتى غر مغشيا عليه فلما سرى منه قيل له فى ذلك فقال ما زلت اردد الآية فى قلبى حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمى لعاينه قدرته وكان رضى الله عنه تصور ان الله سبحانه جعل لسانه بمنزلة شجرة موسى عليه السلام وانه نودى فى شأنه

ما صدر من الكلام فى ذلك المقام وفق المرام ومن هنا قال بعض الحكماء كنت اقرء القرآن فلم اجد له حلاوة حتى تلوته كأنى اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على اصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه فكنت اتلوه كأنى اسمعه جبريل يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء الله بمنزلة اخرى فانا الآن اسمعه المتكلم به سبحانه فعندها وجدت له لذة ونعيما لا اصبر عنه فقال عثمان وحذيفة لو طهرت القلوب لم يشبع من قراءة القرآن وعن ثابت البنانى كما بدأت القرآن عشرين سنة تنعمت به عشرين سنة وبمشاهدة المتكلم دون ما سواه يكون العبد ممتثلا لقوله سبحانه * ففروا الى الله * قيل ليوسف بن اسباط اذا قرأت القرآن بماذا تدعو قال بماذا ادعو استغفر الله عز وجل من تقصيرى سبعين مرة فيستغفر الله مما سواه ولا يعبد الا اياه ولا يقصد فى الدارين ماعداه (اما ما ورد من فسر القرآن برأيه فليتبوء مقعد من النار) اى فليهيء مكانه من نار جهنم رواه الترمذى من حديث ابن عباس وحسنه وهو عند ابى داود فى رواية ابن العبد وعند النسائى فى الكبرى (فمحمول) اى وعيده (على القطع على مراده تعالى) اى اذا لم يعلم انه مراده كما فى الآيات المتشابهات والالفاظ المشتركة فى اللغات والا فمن المعلوم ان قوله تعالى * اقيموا الصلوة وآتوا الزكاة * اراد الله بهما العبادتين احدبهما بدنية والاخرى مالية خلافا لبعض الملاحدة من الصوفية حيث قالوا المراد بالصلوة وصل الصلوات وبالزكاة طهارة القلب عن الكائنات (والاحتجاج لاثبات الهوى) بان يكون له فى الشيء رأى واليه ميل من طبعه وهواه فيتناول القرآن على مقتضاه ليحتج على تصحيح غرضه ومدعاه ولو لم يكن له ذلك الرأى والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى (دون الاستنباط) اى لا بحمل على استنباط المعانى من مدارك المبانى فى الآيات المحتملات (لفقد السماع) اى لعدم سماع جميع المعانى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تفسير السبع المثانى (الا فى بعض آيات) تعد نادرات فى واقعات (واختلافهم) اى ولاختلاف الصحابة والمفسرين (على اقوال) اى مختلفة (يمتنع التوفيق بينهما) اى لا يمكن الجمع بينهما لتناقض مبانيها وتعارض معانيها فنعلم على القطع ان كل مفسر قال فى المعنى ما ظهر له باستنباط فى المبنى حتى قالوا فى الحروف التى هى اوائل السور سبعة اقاويل مختلفة بل سبعين قولا غير مؤتلفة (وورد لعلمه الذين يستنبطونه منهم) الآية والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فاثبت لاهل العلم استنباطها ومعلوم انه وراء السماع فجاز لكل واحد ان يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله بشروط تذكر فى محله الاليق به ومن ذلك استخراج ابى بكر رضى الله عنه موت النبى صلى الله عليه وسلم من قوله سبحانه * اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى * فان الكمال يشير الى الزوال كوصول الشمس الى وسط السماء فهو استخراج للمعنى لا بفهم من ظاهر المبنى (اللهم فقهه فى الدين) اى ابن عباس (وعلمه التأويل)

البخارى من حديث ابن عباس فلو كان التأويل مسموعا كالتنزيل فما معنى تخصيصه بذلك ثم اذا كان الاستنباط ممنوعا فينبغى ان لايقبل ما يقوله ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من قبل انفسهم على قدر فهمهم ويقال هو تفسير بالرأى لانهم لم يسمعوه رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس كذلك فافهم فان اكثر القرآن ماتبين الا بقوله عليه السلام ثم ماتبين باقوال اصحابه الكرام واتباعه العظام من العلماء الاعلام (ويتخلى عن الموانع) اى ويجتنب عن موانع الفهم (كتحقيق المخارج) اى مخارج الحروف وتدقيق صفاتها (واداء اللفظ) من ترقيق وتغليظ وروم واشمام ومد وقصر ووقف مراعاتها بالمبالغة فى تحسين مالاتها والافهما من الواجبات المتعلقة بالقراءة (وقواعد الموسيقى) اى ويتخلى عنها بان لايلحن فى القراءة لحنا جليا كما لاينبغى ان يلحن فيها لحنا خفيا ففى المقدمة الجزرية والاخذ بالتجويد حتم لازم * من لم يجود القرآن آثم * فانه به الاله انزلا * وهكذا منه الينا وصلا (والاصرار على الذنب) اى ويتخلى عن الاصرار على الكبائر والصغائر فانه لاصغيرة مع الاصرار كما لا كبيرة مع الاستغفار وقد قال تعالى * والذين اذا فعلوا فاحشة اوظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون (والاتصاف بالذميمة) اى من الاخلاق الردية والاحوال الدنية (فورد) اى فى نعت القرآن (تبصرة وذكرى) اى تذكرة (لكل عبد منيب) والانابة هى الرجوع من الغفلة الى اليقظة كما ان التوبة الرجوع من المعصية الى الطاعة فهى والاوبة اخص من التوبة ولذا جاء فى وصف الانبياء والاولياء انه اواب فاستغفر ربه وخر راكعا واناب (ويقدر) اى يفرض القارئ ويقرر انه المراد (فى كل خطاب) من الامر والنهى وغيرهما كالوعد والوعيد فى كلام البارى (فورد) فى التنزيل (واوحى الى هذا القرآن لانذركم به) وقد سبق الكلام عليه وماينا سبه المرام لديه (اقرأ القرآن مانهاك) اى مادام ينهاك عن الكسل والغفلة ونحوهما من المذمة وتمام الحديث واذا لم ينهك فلست تقرؤه الطبرانى من حديث عبد الله بن عمر بسند ضعيف (وقصة) اى ويقدر انه المراد فى كل قصة مشتملة على صحة ونعمة او محنة وغصة (فهى للتنبيه فورد) فى التنزيل (وكلا) اى وكل مايحتاج اليه ويصفه بقوله (نقص عليك من انباء الرسل ماتثبت به فؤادك) بدل كل من كل واذا كان قلبه الاعلى يحتاج الى التثبيت فغيره اولى ورد اللهم يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك (ويتاثر) اى القارئ (باختلاف حال القلب) اى تقلبه (بحسب المعنى) اى بتفاوت معنى كلام ربه (فيفرح فيشتاق ويخاف) كلما اتى ونشرها المرتب (عند آية رحمة وجنة وعذاب ونحوها) من التوبيخ والتهديد والوعد والوعيد والانذار والابشار (ويترقى فيه) اى فى مراتب التأثير من المقام الادنى الى المقام الاعلى (فالادنى) اى فى مقام

الترقى (تقديرا انه يقرأ بين يديه تعالى) اى كما يقرأ بين يدى معلمه قال تعالى * الرحمن علم القرآن * فيعتقد انه سبحانه ناظر اليه وسامع لما يبدو لديه ويجزى عليه فيفيد هذا الحال التملق والسؤال والتضرع والابتهال (ثم انه تعالى) اى يقدر انه سبحانه (يخاطبه) اى من وراء حجاب فيورثه الهيبة والعظمة وحقارة نفسه ان يكون متكلما بكتابه او مستمعا لخطابه او واقفا بجنابه او متعلقا ببابه فيفيد التأدب بآدابه (ثم رؤية المتكلم) بان قرأ اسم الذات كاسم الله والحق (وصفاته) كاسم الحى والعليم والسميع والبصير والقدير (وافعاله) اى كاسماء افعاله مما اثره محسوس فى مخلوقاته كالمحيى والخالق والرازق والمصور والوهاب (والاولان) اى من الاحوال (لاصحاب اليمين) اى المطيعين من المسلمين (وغيرهما) اى من المراتب المذكورة من انواع حالات الترقى (للغافلين) وقد تقدم تحقيق حصول الاحوال الكاملة للعلماء الكاملين (ويرى) اى وينبغى ان يرى السالك ولو كان فى اعلى المسالك (دخوله فيما ورد فى العاصين والمقصرين دون المقربين وذوى اليقين) اى المعتبرين فى امر الدين ﴿ ومنها ﴾ اى من انواع الورد ﴿ الصلوة عليه ﴾ اى على النبى صلى الله عليه وسلم (ففيه وعد صحبته) اى رفقته فى منزلته (وشفاعته) لاهل محبته اما دليل الاول فقوله عليه السلام (اولى الناس بى * اى بقربى فى العقبى * اكثرهم على صلوة) اى فى الدنيا الترمذى وابن حبان عن ابن مسعود ويؤيده رواية البيهقى باسناد حسن عن ابى امامة فمن كان اكثرهم على صلوة كان اقربهم منى منزلة واما الثانى فورد اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ثم صلوا على ثم اسئلوا الله لى الوسيلة فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة وورد شفاعتى لاهل الكبائر من امتى الترمذى وحسنه والبيهقى وصححه (وورد انها صدقة) رواه ابو يعلى من حديث ابى هريرة بلفظ اكثروا الصلوة على فانها زكوة لكم اى بمنزلة زكوة وصدقة لفقرائكم واغنيائكم ومن صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة يستغفر له مادام اسمى فى ذلك الكتاب الطبرانى فى الاوسط وابو الشيخ فى الثواب والمستغفرى فى الدعوات من حديث ابى هريرة بسند ضعيف وفى رواية ابن ابى حاتم عن انس مرفوعا صلوا على فان الصلوة كفارة لكم فمن صلى واحدا صلى الله عليه عشرا وفى روايته ايضا عن ابى كاهل من صلى على كل يوم ثلاث مرات وكل ليلة ثلاث مرات حبا لى وشوقا الى كان حقا على الله ان يغفر له ذنوب تلك الليلة وذلك اليوم (وحقها ان تقرن) اى الصلوة (بالسلام فورد صلوا عليه وسلموا تسليما) وظاهره الجمع بينهما فى كل موضع لكن لا يجب كما توهم النووى اذ الواو لمطلق الجمع فاذا صلى فى وقت وسلم فى آخر فقد خرج عن عهدة الامرين كما فى قوله تعالى واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وقد جعلت فى المسالة رسالة مستقلة (والصلوة) بالخفض اى وتقرن بالصلوة (على سائر

الانبياء

الانبياء) اوبالرفع اى من حق الصلوة على النبى الصلوة على سائر الانبياء وكذا الملائكة المقربين اصالة (واهل البيت والصحابة) اى تبعا (فهو المأثور) وعليه الجمهور وقيل يجمع بين الصلوة والسلام لنبينا ويقتصر على السلام فى الانبياء والملائكة (ولايذكر عند العطسة) فيه خلاف (والذبح) وهو مكروه قال صاحب المحيط لان فيه ايهام الاهلال له (والتعجب) اى رؤية مايستغرب فانه ممنوع وفى فتاوى قاضيخان رجل يقرأ القرآن وسمع اسم النبى صلى الله عليه وسلم ذكر الناطفى انه لايجب عليه الصلوة لان قراءة القرآن على النظم والتأليف افضل من الصلوة ولوفيها من التشريف فاذا فرغ من القراءة ان صلى عليه كان حسنا وان لم يصل لم يأثم والله سبحانه اعلم والظاهر انه ان يستثنى ما اذا قرأ اوسمع آية ياايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فانه يجب عليه الصلوة والسلام حينئذ ولو فى الصلوة كما صرحوا بذلك فى حال الخطبة وقد ورد من ذكرت عنده فليصل على النسائى والطبرانى فى الاوسط وابويعلى وابن السنى ورواه احمد وابن حبان والحاكم وصححه من ذكرنى فليصل على ابويعلى عن انس والظاهر ان الامر للوجوب لكن قال الطحاوى انه يتداخل فى المجلس كسجدة التلاوة ومما يدل على الايجاب حديث رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل على اى ذل فى الباب والصق بالتراب وابتلى بالحجاب رواه الترمذى وابن حبان والبزار والطبرانى من حديث ابى هريرة وحسنه الترمذى البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على الترمذى والنسائى عن على وابن حبان والحاكم عن حسين بن على رضى الله عنهما والاخبار فى هذا كثيرة والآثار شهيرة وقد ذكرت نبذة يسيرة فى شرح الصلوة المحمدية والصلات الاحمدية ﴿ومنها﴾ اى من جملة الاوراد بل اجمل ورد للعباد والعباد فى جميع البلاد (الاذكار) كلمة التوحيد والتمجيد واسماء الله والتسبيح والتحميد (المروية) فى الاخبار المرضية (الواردفيها الفضائل) اى الكثيرة الشهيرة فى الكتاب والسنة المصطفوية اما الكتاب فقوله تعالى * فاذكرونى اذكركم * قال ثابت البنانى انى اعلم متى يذكرنى ربى سبحانه وتعالى ففزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك قال اذ ذكرته ذكرنى وقوله اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا وقوله حكاية كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا وقوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما وقوله فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم قال ابن عباس اى بالليل والنهار والبر والبحر والسفر والحضر والغناء والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية وقوله فى ذم المنافقين * ولايذكرون الله الاقليلا * وقوله * واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولاتكن من الغافلين * وقوله * ولذكر الله اكبر * قال ابن عباس له وجهان احدهما ان ذكر الله اكم اكبر

من ذكركم اياه والآخر ان ذكر الله اكبر من كل عبادة سواه واما السنة فقوله عليه السلام ذاكر الله فى الغافلين بمنزلة الصابر المغازى رواه البزار والطبرانى فى الاوسط عن ابن مسعود وقوله تعالى انا مع عبدى ما ذكرنى وتحركت بى شفتاه ابن ماجه وابن حبان من حديث ابى هريرة والحاكم من حديث ابى الدرداء وقال صحيح الاسناد وقوله من احب ان يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى ابن ابى شيبة فى مصنفه والطبرانى من حديث معاذ وقوله لما سئل اى الاعمال افضل قال ان تموت ولسانك رطب من ذكر الله ابن حبان والطبرانى فى الدعاء والبيهقى فى الشعب من حديث معاذ وقوله عز وجل اذا ذكرنى عبدى فى نفسه ذكرته فى نفسى واذا ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه واذا تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا واذا تقرب الى ذراعا تقربت منه باعا واذا مشى الى هرولت اليه يعنى بالهرولة سرعة الاجابة لديه والحديث متفق عليه من حديث ابى هريرة وقوله عز وعلا من شغله ذكرى عن مسألتى اعطيته افضل ما اعطى السائلين البخارى فى التاريخ والبزار فى المسند والبيهقى فى شعب الايمان من حديث عمر بن الخطاب وقوله عليه السلام لو ان رجلا فى حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله كان الذاكر لله افضل الطبرانى فى الكبير عن ابى موسى وقوله مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه مثل الحى والميت رواه الشيخان عن ابى موسى الاشعرى وقوله * اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا * قالوا يا رسول الله وما رياض الجنة قال حلق الذكر رواه احمد والترمذى والبيهقى عن انس واخرج الترمذى من حديث ابى هريرة مرفوعا * اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا * قلت وما رياض الجنة قال المساجد قلت وما الرتع يا رسول الله قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقوله ليس يتحسر اهل الجنة الا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله تعالى فيها رواه الطبرانى وابن السنى عن معاذ وقوله اكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون احمد وابن حبان وابو يعلى وابن السنى والحاكم والبيهقى من حديث ابى سعيد الخدرى ﴿ ومنها ﴾ اى من اصناف الورد (الدعاء فورد الدعاء مخ العبادة) الترمذى من حديث انس والدعاء هو العبادة اصحاب السنن الاربعة والحاكم وقال صحيح الاسناد وقال الترمذى حسن صحيح ليس شىء اكرم عند الله من الدعاء الترمذى وقال غريب وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد ما من مسلم ينصب وجهه لله فى مسألة الا اعطاها اياه اما ان يعجلها واما ان يدخرها له احمد عن ابى هريرة الدعاء سلاح المؤمن ابو يعلى والحاكم عن على من سره ان يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء فى الرخاء الترمذى والحاكم عن ابى هريرة وقال صحيح الاسناد من لم يدع الله غضب عليه ابن ابى شيبة فى مصنفه من حديث ابى هريرة ونعم ما قيل

(شعر) الله يغضب ان تركت سؤاله * وبنى آدم حين يسأل يغضب *

واختلف

واختلف هل الافضل هو الدعاء او السكوت تحت جريان القضاء مع ان الدعاء لاينافى الرضاء فقيل الاول افضل لحديث الدعاء مخ العبادة وقيل الثانى اكمل لقوله عليه السلام من شغله ذكرى عن مسألتى اعطيته افضل ما اعطى السائلين ويؤيده قول الخليل علمه بحالى يغنى عن سؤالى وقيل يختلف باختلاف الاوقات من البسط والقبض والخوف والرجاء ونحوها من الحالات وقيل ما كان لنفسه فالسكوت اولى وما كان لغيره فالدعاء احرى (وحقه) اى الدعاء (ان يترصد) اى ينتظر (شرائف الاوقات لما ورد فيه فضيلة من يوم) كيوم عرفة ويوم الجمعة (وليلة) كليلة الجمعة وليلة القدر (وسحر) وهو قبيل الصبح على ما ذكره الجوهرى والسدس الاخير على ما قاله الزمخشرى والثلث الاخير على ما يفهم من كلام الغزالى لقوله عليه السلام * ينزل الله كل ليلة الى سماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعونى فاستجيب له من يسألنى فاعطيه من يستغفرنى فاغفرله * وقيل ان يعقوب عليه السلام انما قال لبنيه سوف استغفر لكم ربى ليدعو فى وقت السحر فقيل انه قام فى وقت السحر يدعو واولاده يؤمنون خلفه فاوحى الله عز وجل اليه انى قد غفرت لهم وجعلتهم انبياء وعن عائشة ما القى رسول الله صلى الله عليه وسلم السحر الاعلى فى بيتى اوعندى الا نائما متفق عليه ولم يقل البخارى الاعلى (وجوف الليل) اى وسطه واثنائه كله اونصفه (وعند الزوال) اى الاستواء فانه بمنزلة نصف الليل ولانهما غالبا وقت الغفلة اوبعد الزوال الاخير لما ورد فيه من فتح ابواب السماء (وصعود الامام يوم الجمعة وفى جلسة الخطيب) اى على المنبر (وغروب الشمس فيها) اى وعنده فى الجمعة اقوال فى ساعة الجمعة وقد بيناها مع غيرها من الاقوال وما ورد فيما سبق من اوقات الدعاء فى شرح الحصن الحصين (وبين الاذان والاقامة) يوم الجمعة اومطلقا فورد الدعاء بين الاذان والاقامة لايرد وقد جعله صاحب الحصن فى الاحوال والحديث رواه ابوداود والترمذى والنسائى وابن حبان عن انس وزاد الترمذى قالوا فماتقول يا رسول الله قال اسئلوا الله العافية فى الدنيا والآخرة (وبين الظهر والعصر يوم الاربعاء) لم اجده وكان حقه ان يذكر رمضان فى اوقات الاجابة فروى البزار والطبرانى عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم حضر رمضان اتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة ويحط الخطايا ويستجيب الدعاء الحديث (والاحوال) اى وان يترصد شرائف الاحوال كالغزو (ونزول المطر) رواه الشافعى فى الام مرسلا وقال قد حفظت عن غير واحد جرب الاجابة عنده (واداء الفرض) ظاهره بعد ادائه ويحتمل وقوعه فى اثنائه قال ابوهريرة ان ابواب السماء تفتح عند زحف الصفوف فى سبيل الله وعند نزول الغيث وعند اقامة الصلوة المكتوبة وروى ابو داود والحاكم عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنهما انه قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثنتان لاتردان اوقلما تردان الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلتحم بعضهم بعضا وفى رواية عنه ايضا مرفوعا قال ووقت المطر او تحت المطر (وختم القرآن) خصوصا من القارئ فعن العرباض مرفوعا من صلى صلوة فريضة فله دعوة مستجابة الطبرانى فى الكبير وعن الحكم بن عتبة قال مجاهد وعنده ابن ابى لبابة والناس يعرضون المصاحف فلما كان اليوم الذى ارادوا ان يختموا ارسلوا الى والى سلمة بن كهيل فقالوا انا كنا نعرض المصاحف فاردنا ان نختم اليوم فاحببنا ان تشهدونا انه كان يقال اذا ختم القرآن نزلت الرحمة عند ختمه رواه ابن ابى شيبة فى مصنفه وابوبكر بن ابى داود فى كتاب المصاحف بسند صحيح (والمشى الى المسجد) فورد انه عليه السلام اذا خرج للصلوة قال اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى بصرى نورا وفى سمعى نورا وعن يمينى نورا وعن شمالى نورا وخلفى نورا رواه الشيخان وغيرهما عن ابن عباس وفى رواية كان يقول اللهم انى اسئلك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى اليك فانى لم اخرج اشرا ولابطرا ولا رياء وانى خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك ان تنقذنى من النار وان تدخلنى فى الجنة مع الابرار (والصوم) اى حاله فورد الصائم لايرد دعوته الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث ابى هريرة (والافطار) اى وقته فورد ان للصائم عند فطره لدعوة ماترد ابن ماجه والحاكم عن ابن عمر (والسجدة) اى حال السجود فورد اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا من الدعاء رواه مسلم (والرقة) اى رقة القلب ودمعة العين بذكر الرب (والتيقظ لجلاله تعالى) فانهما من علامات الاجابة (والمرض) فقد ورد اذا مرض العبد ثلاثة ايام خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه ابوالفتح عن انس وعن عمر مرفوعا اذا دخلت على مريض فمره يدعو لك فان دعاءه كدعاء الملائكة كذا فى المشكوة (والغربة) فقد روى البزار عن ابى هريرة ثلاث حق على الله ان لايرد لهم دعوة الصائم حتى يفطر والمظلوم حتى ينتصر والمسافر حتى يرجع (وقراءة الاخلاص) لم اجده (والكون فى الجماعة تبلغ مائة) ذكر فى الحصن الحصين فى احوال الاجابة اجتماع المسلمين وقال رواه الجماعة عن ام عطية الانصارية (والوقوف بعرفات) فورد خير الدعاء دعاء يوم عرفة الترمذى عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده (والملتزم) وكذا رؤية الكعبة وعند زمزم (وعند قبره صلى الله عليه وسلم) وكذا فى مساجدنا ومشاهده (والكل ماثور) والبعض مشهور وفى الحصن زيادات عليه وقد شرحنا لديه من بيان اماكن الاجابة والذين يرجى لهم الاجابة وقد غلط المصنف بين الاحوال والرجال والامكنة والازمنة (ويستقبل القبلة ويرفع يديه) لما روى مسلم عن جابر انه عليه السلام اتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس وللنسائى من حديث اسامة بن زيد كنت ردفه بعرفات

فرفع يديه يدعو ورجاله ثقات (حتى يرى ما تحت ابطيه ضاما كفيه جاعلا بطنهما نحو السماء فهو مروى) اى عن انس كان عليه السلام يرفع يديه حتى يرى بياض ابطيه فى الدعاء متفق عليه لكنه مقيد بالاستسقاء وعن ابن عباس كان عليه السلام اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلى وجهه الطبرانى فى الكبير بسند ضعيف وعن عمر كان عليه السلام اذا مد يديه فى الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه الترمذى وقال غريب والحاكم فى المستدرك وسكت عليه (وورد انه تعالى يستحيى ان يردهما صفرا) بكسر الصاد اى خاليا عن سليمان ان ربكم حيى كريم يستحيى من عبده اذا رفع يديه ان يردهما صفرا ابو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم وقال اسناده صحيح على شرطهما (دون العين) اى لا يرفعهما الى السماء حال الدعاء (فهو منهى عنه) فعن ابى هريرة مرفوعا لينتهين اقوام عن رفع ابصارهم الى السماء عند الدعاء اوليخطفن ابصارهم رواه مسلم ولا يبالغ فى رفع صوته لما روى ابو موسى الاشعرى قال قدمنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فلما دنونا من المدينة كبر وكبر الناس ورفعوا اصواتهم فقال ايها الناس ان الذى تدعون ليس باصم ولا غائب ان الذى تدعون بينكم وبين اعناق ركابكم كذا فى الاحياء وقال العراقى حديث ابى موسى يا ايها الناس ان الذى تدعون ليس باصم ولا غائب متفق عليه مع اختلاف واللفظ الذى ذكره المصنف لابى داود وعن عبد الله بن مغفل مرفوعا سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وفى رواية والطهور ابو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم ويؤيده قوله تعالى * ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين * وورد اذا احب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه وفى لفظ صوته ابو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث الحسن فالاخفاء فى الدعاء افضل لتلك الآية ولقوله تعالى ثناء على زكريا * اذ نادى ربه نداء خفيا (ويفتتح) اى يتبدئ الدعاء (بالتحميد) كما فى سورة الفاتحة وقع الثناء قبل الدعاء وقال سلمة بن الاكوع ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء الا استفتحه وقال سبحان ربى العلى الاعلى الوهاب احمد والحاكم وقال صحيح الاسناد (والصلوة) اى على النبى عليه السلام فورد من حديث فضالة بن عبيد قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو فى صلاته لم يمجد الله ولم يصل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام عجل هذا ثم دعاه فقال اذا صلى احدكم فليبدأ بتمجيد ربه والثناء ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يدعو بما شاء رواه الجماعة وورد اذا سألتم الله حاجة فابدؤا بالصلوة على فان الله تعالى اكرم من ان يسأل حاجتين فيقضى احديهما ويرد الاخرى رواه ابو طالب المكى كذا فى الاحياء وقال العراقى لم اجده مرفوعا وانما هو موقوف على ابى الدرداء (ويختتم) اى الدعاء (بهما)

اى بالحمد لقوله تعالى * وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين * وبالصلوة (لكونهما) يكونان (مقبولين فلاترد حاجته فى البين) قال ابو سليمان الدارانى من اراد ان يسأل الله حاجته فليبدأ بالصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يسئل الله حاجته ثم يختم بالصلوة عليه فان الله تعالى يقبل الصلاتين وهو اكرم ان يدع ما بينهما (ويقدم) على دعائه (ربنا) اى يا ربنا (خمسا فوردفيه) اى فى حق تقديم ربنا خمسا وهو قوله تعالى * ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك * الى قوله (فاستجاب لهم ربهم وحاجة الآخرة) اى ويقدمها على حاجة الدنيا لقوله عليه السلام اللهم لا تجعل الدنيا اكبر همنا (لتسارع النجاح) اى الفوز والفلاح (ويجتنب الجهر والمخافة) اى بل يجعل دعاءه وسط الحالة (فورد ولاتجهر بصلاتك ولاتخافت بها) اى بدعائك كما قالت عائشة وهو متفق عليه وتمام الآية * وابتغ بين ذلك سبيلا * لكن الظاهر ان المراد بصلاتك بقراءتك فيها كما تقدم وهو اما فى التهجد او المعنى لاتجهر بصلاتك على الدوام ولاتخافت بها فى تمام الايام وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجعل بعض الصلوات جهرية كالصبح والعشائين والجمعة والتراويح وبعضها سرية كالظهر والعصر وسائر النوافل وكان عليه السلام اذا قرأ من الليل رفع طورا وخفض طورا ابو نصر عن ابى هريرة (ولايتكلف بالسجع) فى الدعاء فان حال الداعى ينبغى ان يكون حال متضرع والتكلف لايناسبه (فورد اياكم والسجع فى الدعاء) وتمامه يحسب احدكم ان يقول اللهم انى اسألك الجنة وماقرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وهو غريب بهذا السياق وللبخارى عن ابن عباس وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فانى عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه لايفعلون الا ذلك اى عدم تكلف السجع ثم المنع انما هو للتكلف فى السجع بخلاف ما اذا ورد على مقتضى الطبع والا ففى الادعية المأثورة على لسان صاحب الشرع جاءت كلمات متوازنة مؤتلفة الا انها غير متكلفة كقوله عليه السلام اللهم ذا الحبل الشديد والامر الرشيد اسألك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفون بالعهود انك رحيم ودود وانت تفعل ماتريد الترمذى من حديث ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليلة حين فرغ من صلاته فذكر حديثا طويلا من جملته هذا وقال حديث غريب وكقوله اللهم انى اعوذبك من علم لا ينفع وعمل لا يرفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع احمد وابن حبان والحاكم عن انس وزيد فى رواية ومن هؤلاء الاربع وكقوله اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا احمد فى مسنده عن ابى سعيد مرفوعا (والاولى ان يقتصر على المأثور لئلا يسأل مالا صلاح فيه) فانه اذا جاوزه قد يعتدى فيسأل مالا يقتضيه مصلحته فما كل احد يحسن فى دعوته ولذا روى عن معاذ ان العلماء يحتاج اليهم فى الجنة اذ

يقال لاهل الجنة تمنوا ولايدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا الدعاء من العلماء ولانه عليه السلام تعليما لامته الكرام ماترك شيئا مرغوبا الادعا الله وطلبه ولاامرا مرهوبا الاسأل الله وتعوذه وقد جمعت الدعوات المصطفوية مع الدعوات القرآنية وسميته بالحزب الافخم والورد الاعظم (ويتضرع) اى بالاستكانة والتذلل عنده (ويخفى) اى الدعاء عن غيره (فورد * ادعوا ربكم تضرعا وخفية) والقياس على الذكر اولانه احدا نواعه وقد ورد * واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول * وفى الحديث وخير الذكر الخفى (ويحقق الرجاء) اى فى اجابة الدعاء لحديث لايقل احدكم اللهم اغفر لى ان شئت اللهم ارحمنى ان شئت ليعزم المسألة فانه لامكره له متفق عليه من حديث ابى هريرة والحديث اذا دعا احدكم فليعظم الرغبة فان الله لا يتعاظمه شئ رواه مسلم من حديث ابى هريرة (فورد ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة) تمامه واعلموا ان الله لايستجيب دعاء من قلب غافل الترمذى من حديث ابى هريرة وقال غريب والحاكم وقال مستقيم الاسناد وقال سفيان بن عيينة لايمنعن احدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فان الله عز وجل اجاب دعاء اشر الخلق ابليس اذ قال رب انظرنى الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين وما احسن من قال من اهل الحال لو كان فيه خير لقال انظر الى مكان انظرنى (ويلح) اى يكرر الدعاء (فورد ان الله يحب الملحين فى الدعاء) الحكيم وابن عدى والبيهقى عن عائشة اما ماورد من حديث ان الله يبغض السائل الملحف فمحمول على سائل الخلق لمخالفته كلام الحق فى مدح الصحابة لا يسألون الناس الحافا واقله التثليث فعن ابن مسعود كان عليه السلام اذا دعا دعا ثلاثا واذا سأل سأل ثلاثا رواه مسلم واصله متفق عليه (ولا يستعجل) بان يستبطئ الاجابة (فورد يستجاب لاحدكم ما لم يعجل) تمامه فيقول قد دعوت فلم يستجب لى متفق عليه من حديث ابى هريرة وقال بعضهم انى اسأل الله تعالى منذ عشرين سنة حاجة وما اجابنى وانا ارجو الاجابة سألت الله ان يوفقنى لترك ما لا يعنينى وقد ورد اذا سأل احدكم ربه مسألة فتعرفى الاجابة فليقل الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ومن ابطأ عنه من ذلك شئ فليقل الحمد لله على كل حال البيهقى فى الدعوات من حديث ابى هريرة وللحاكم نحوه من حديث عائشة مختصرا باسناد ضعيف وللبيهقى فى كتاب الصفات من حديث حبيب بن ابى ثابت قال حدثنا شيخ لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا جاءه شئ يكرهه قال الحمد لله على كل حال واذا جاءه شئ يعجبه قال الحمد لله المنعم المتفضل الذى بنعمته تتم الصالحات (ولا يذكر الطاعة) اى طاعته السابقة عند الدعوة (فهو يورث العجب) اى والمقام يقتضى المذلة وفيه نظر اذ جعله صاحب الحصن من آداب الدعاء تقديم عمل صالح كما فى حديث ابى بكر رضى الله عنه فى صلوة التوبة رواه الاربعة وكذا ذكر عمل صالح عند الشدة ويدل عليه حديث الشيخين عن ابن عمر مرفوعا قال بينما ثلثة نفر يتماشون اخذهم المطر

فمالوا الى غار فى الجبل فانحطت على فم غار صخرة من الجبل فانطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض انظروا اعمالا عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها فقال احدهم الحديث الطويل (ولا المعصية) اى ولا يذكرها (فهو ينفى الايقان) اى بالاجابة وان كان فى حيز الامكان والاولى ان يذكرها ويتوب منها ويستغفر عنها ليكون ادعى الى الاجابة كما سيأتى اليه الاشارة وقد تقدم ايضا فى طى العبارة (وقد جاء النذر) اى فى الكتاب والسنة فجاز ان يقول مثلا ان استجاب الله دعائى فلله على ان اصلى كذا او اصوم كذا ونحو هذا (لقصة مريم رضى الله عنها) فقالت امها حنة امرأة عمران * رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى انك انت السميع العليم * الآيات وحيث قالت مريم انى نذرت لله صمتا صوما ولقوله تعالى فى وصف الابرار * يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا * الآيات (والاضطرار) عطف على الرجاء اى ويحقق الاضطرار وهو اظهار كمال الاحتياج والافتقار (فورد امن يجيب المضطر اذا دعاه) وهو يعم الكفار (والاصل) اى فى قبول الاجابة (التوبة) اى حصولها بان يجتنب الحرام فى مأكله ومشربه وملبسه ومكسبه لما رواه مسلم والترمذى عن ابى هريرة يرفعه انه ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام فانى يستجاب لذلك (ورد المظالم) فانه من اركان التوبة وقال سفيان الثورى بلغنى ان بنى اسرائيل قحطوا سبع سنين حتى اكلوا الميتة من المزابل واكلوا الاطفال وكانوا كذلك يخرجون الى الجبال يبكون ويتضرعون فاوحى الله عز وجل الى انبيائهم لو مشيتم الى باقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ ايديكم عنان السماء وتكل السنتكم عن الدعاء فانى لا اجيب لكم داعيا ولا ارحم منكم باكيا حتى ترد المظالم الى اهلها ففعلوا فمطروا من يومهم (وتوجيه الهمة اليه تعالى) اى تخليص قصد القلب الى جانب الرب وعدم الالتفات الى ما سواه فى المطلب فان همة الرجال تهد الجبال بل هو من اركان الدعاء قال تعالى * فادعوا الله مخلصين له الدين وقال * فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين (فالنافع) اى من الدعاء ولو من المأثور (هو الحضور) اى مع الله فى مجلس الانس والسرور (اذ المقصود الانس به تعالى) الموجب للنور فى الصدور واما الحور والقصور وسائر انواع الحبور فالالتفات اليها نوع من التقصير والقصور (وبه) اى بالانس فى حضرة القدس (يرجى خير الخاتمة) اللاحقة التى مدارها على العناية السابقة كما يشير اليه قوله تعالى * ان الذين سبقت لهم منا الحسنى (ويلازمه) اى يلازم مطلق الدعاء (فى الرخاء) اى فى حال النعماء والآلاء (ليندفع البلاء) اى فى السراء والضراء فورد من سره ان يستجيب الله له عند الشدائد

والكرب

والكرب فليكثر الدعاء فى الرخاء الترمذى عن ابى هريرة والحاكم عن سلمان وقال صحيح الاسناد وروى البيهقى والخطيب عن جابر مرفوعا لقد بارك الله فى حاجة اكثر الدعاء فيها اعطيها اومنعها (ويرغب فى دعاء ذى فضيلة دينية) اى من العلماء الاعلام والمشايخ الكرام والامام العادل للانام (فورد) ثلاثة لاترد دعوتهم الامام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم وللبيهقى عن ابى هريرة ثلاثة لايرد الله دعوتهم الذاكر لله كثيرا والمظلوم والامام المقسط وقد ثبت انه عليه السلام قال لعمر حين اعتمر شاركنى فى دعائك يا اخى وروى مسلم من حديث عمر انه قال لاويس القرنى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول يأتى عليكم اويس بن عامر مع امداد اهل اليمن من مراد ثم من قرن كان فيه برص فبرئ منه الاموضع درهم له والدة فهو لها بر لو اقسم على الله لابره فلو استطعت ان تستغفر لك فافعل فاستغفر لى فاستغفر له (ويتقى دعاء المظلوم) فورد اتقوا دعوة المظلوم فانها تحمل على الغمام يقول الله وعزتى وجلالى لانصرنك ولو بعد حين الطبرانى فى الكبير والضياء عن خزيمة بن ثابت والحاكم عن ابن عمر ولفظه اتقوا دعوة المظلوم فانها تصعد الى السماء كانها شرارة واحمد والطيالسى من حديث ابى هريرة دعوة المظلوم مستجابة وان كان فاجرا ففجوره على نفسه واسناده حسن والظاهر ان المراد بالفاجر الفاسق ويحتمل ان يكون المراد به الكافر لما فى رواية ولو كان كافرا رواه احمد وابو يعلى والضياء عن انس اتقوا دعوة المظلوم وان كان كافرا فانه ليس دونها حجاب ولابن حبان من حديث ابى ذر الغفارى قلت يارسول الله ما كانت صحف ابراهيم قال كانت امثالا كلها يا ايها الملك المسلط المبتلى المغرور انى لم ابعثك لتجمع الدنيا بعضها الى بعض ولكن بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم فانى لا اردها وان كانت من كافر (ولايدعو على احد) لئلا يهلك بسبب دعائه احد ولو كان ظالما لقوله تعالى *فمن عفا واصلح فاجره على الله (فالكل ماثور) اى وعامله فى كله ماجور ﴿ومنها﴾ اى من جملة الاوراد (التفكر فورد ويتفكرون فى خلق السموات والارض) اى فى مخلوقاتهما اوفى كيفية ايجادهما او ابقائهما بامدادهما وعنه عليه السلام ويل لمن قرأ هذه الآية ولم يتفكر (تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة) ذكره الفاكهانى من كلام السرى السقطى وقال قال ابن عباس وابو الدرداء فكر ساعة خير من قيام ليلة انتهى واخرجه الديلمى عن انس وفى الجامع الصغير للسيوطى فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة ابو الشيخ فى العظمة عن ابى هريرة فقيل هو الذى ينقل من المكاره الى المحاب ومن الرهب والرغبة الى الزهد والقناعة وقيل هو الذى يحدث مشاهدة فانها نتيجة المراقبة (وهو) اى التفكر (طلب المعرفة) بنظر الفكرة (اوله التذكر) اى اول التفكر تذكر مانسى من جهة

الغفلة (وهو) اى التذكر (احضار القلب) من اضافة المصدر الى فاعله (المعارف) اى معرفة نعمته الظاهرة والباطنة واعلم ان المواظبة على الاوراد هو الطريق الى الله للعباد وخواصهم من الزهاد والعباد لان الناظرين بنور البصيرة علموا انه لا نجاة الا فى لقاء الله عز وجل وانه لاسبيل الى اللقاء الابان يموت العبد محبا لله وعارفا بمولاه وان المحبة والانس لايحصل الا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة على فكر المطلوب وان المعرفة لاتحصل الا بدوام الذكر والفكر فيه وفى صفاته وافعاله وليس فى الوجود سوى ذاته وصفاته وافعاله فى مصنوعاته ثم لم يتيسر دوام الذكر والفكر الا بتوديع الدنيا وشهواتها والاكتفاء منها على قدر البلغة وضروریاتها وكل ذلك لايتم الا باستغراق اوقات الليل وساعات النهار فى وظائف الاذكار ولطائف الافكار والنفس لما جبلت عليه من السآمة والملالة لاتصبر على فن واحد من الاسباب المعينة على الذكر والفكر بل اذا ردت الى نمط واحد من الافعال والاحوال اظهرت الملال والاستثقال وقد ورد ان الله تعالى لا يمل حتى تملوا فمن ضرورة اللطف بها ان تروح بالتنقل من فن الى فن ومن نوع الى نوع بحسب كل وقت من اصل وفرع لتكثر بالانتقال لذتها وتغزر باللذة رغبتها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها ولله در القائل من ذوى الفضائل

(شعر) لا تصلح النفس اذ كانت مدبرة * الا التنقل هذا طبع للبشر *

فاصله اصلا لايتغير واما الملائكة فهم لايسأمون فكل جمع منهم على طاعة مستمرون ولذا يقسم الاوراد بقسمة مختلفة لاوقاتها وحالاتها والذكر والفكر ينبغى ان يستغرقا جميع الاوقات او اكثر الحالات فان النفس بطبعها تميل الى ملاذ الدنيا والبطالات فان صرف العبد شطر اوقاته مثلا الى تدبيرات الدنيا وشهواتها والشطر الآخر الى العبادات وتحسين حالاتها رجح جانب الميل الى الدنيا لموافقتها فى الطبع والهوى اذ الوقتان متساويان فانى يتقاومان فالطبع لاحدهما مرجح لا محالة اذ الظاهر والباطن يتساعدان على امور الدنيا ويتباعدان عن طريق العقبى فمن اراد ان يدخل الجنة بغير المحاسبة فليستغرق اوقاته فى الطاعة قال تعالى * يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون * وورد حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وقال عز وعلا * كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا * ومن اراد ان يترجح كفة حسناته ويثقل ميزان خيراته فليستوعب فى الطاعة اكثر اوقاته فان خلط عملا صالحا وآخر سيئا فامره مخطر ومفتظع ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله تعالى منتظر متوقع فعسى الله ان يغفر له بجوده وكرمه ولطفه وحلمه (وجدواه العلم) اى ثمرة الفكر وفائدته ونتيجته ثلاثة مترتبة وهى العلم والحال والعمل هذا معنى قوله (وهو) اى العلم

(حصول المعرفة المثمر للحال وهو) اى الحال (تاثر القلب المثمر للعمل وهو) اى العمل (خدمة الجوارح) اى الاعضاء فى الطاعة وتوضيحه ان ثمرة الفكر ثلثة العلم والحال والعمل ولكن ثمرته الخاصة هى العلم نعم اذا حصل العلم فى القلب تغير حال القلب واذا تغير حال القلب تغير عمل الجوارح فالعمل تابع للحال والحال تابع للعلم والعلم تابع للفكر فالفكر اذا هو المبدأ والمفتاح للخيرات وهذا يكشف لك عن فضيلة الفكر وانه خير من الذكر لان فى الفكر ذكر اوزيادة وذكر القلب خير من عمل الاركان (ومجراه) اى مجرى التفكر ومسراه شيئان (اما المعاملة) وهو مبدأ السلوك فى طريق المجاملة (وحقه) اى حق التفكر فى المعاملة الظاهرة (ان يبدأ) اى يبتدئ بالنظر والتامل (فى معاصيه الظاهرة) واحدا بعد واحد ويتفكر فى كل (هل هذا محظور) اى حرام اومكروه (ثم هل يوجد فيه) اى المحذور المذكور (ثم ما التدبير فى دفعه) بالسعى المشكور (ثم فى طاعته) اى وبعد ذلك يتفكر فى انواع طاعته الظاهرة ويتأمل فى كل فرد منها (هل هذا مندوب) اى مستحب اوسنة مؤكدة او واجب اوفرض محتم (ثم هل هذا مقدور) اى مصور له بانه مستطيع فى تحصيله من الزكوة والحج ونحوهما المستغنى عن تفصيله (ثم فى الباطن كذلك) اى بعد ذلك يتفكر فى المعاصى الباطنية من الاخلاق الردية والاحوال الدنية هل شئ منها يوجد فيه وما علاجه واخراجه حيث يدافع المقصود وينافيه وكذا فى الطاعات الباطنية من الشمائل الرضية والفضائل البهية نفيا واثباتا (واما المكاشفة) عطف على المعاملة اى ومجراه الاعلى الامور المكاشفة المتعلقة بالمولى (فهو) اى التفكر الموجب للمكاشفة انما هو (فى اسمائه الحسنى وصفاته العليا) الواردة فى الكتاب والسنة (وملكوت السموات والارض) اى وبواطنها المملوءة من العجائب والغرائب فى الطول والعرض (اما الذات المقدس فلا سبيل اليه الا بالذكر) لقوله تعالى * ولا يحيطون به علما * وقال على: كل ما خطر ببالك فالله وراء ذلك وقال عز وعلا ليس كمثله شئ وقال بعضهم كل اسم للتخلق الا اسم الله فانه لمجرد التعلق (فورد لاتفكروا فى ذات الله) ابن ابى شيبة فى كتاب العرش عن ابن عباس موقوفا وابو نعيم فى الحلية عنه مرفوعا بلفظ تفكروا فى خلق الله ولاتفكروا فى ذات الله ذكره الزركشى وهو موقوف على ابن عباس وسنده جيد ذكره العسقلانى فى فتح البارى فى كتاب التوحيد وفى الجامع الصغير للسيوطى تفكروا فى كل شئ ولا تفكروا فى ذات الله فان بين السماء السابعة الى كرسيه سبعة آلاف نور وهو فوق ذلك ابو الشيخ فى العظمة عن ابن عباس وفى رواية له عن ابى ذر بلفظ تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله فتهلكوا وله ايضا عن ابن عباس تفكروا فى الخلق ولا تفكروا فى الخالق فانكم لاتقدرون قدره ايماء الى

قوله تعالى * وما قدروا الله حق قدره * اى ما عرفوه حق معرفته وما عظموه حق عظمته وفى رواية تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى الله ابو الشيخ والطبرانى فى الاوسط ابن عدى والبيهقى عن ابن عمر وابو نعيم فى الحلية عن ابن عباس ولفظه تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله (والعقل يعجز عنه) اى عن ادراك ذاته سبحانه (عجز الخفاش عن ضوء النهار) اى لضعف بصر الخفاش وقوة نور الشمس فهو عز وجل من غاية نوره مخفى عن ظهوره ومن هنا قيل * العجز عن درك الادراك ادراك (وحقائق الصفات كذلك) اى لا يدرك كنهها هنالك (فلا يطيقه الا الخواص) من الانبياء وكمل الاولياء (احيانا) فى اعلى مراتب مقامهم (ولا يذكرون للعوام الا على قدر افهامهم) لتقيدهم بتصورات اشكالهم وامثالهم فى عقولهم واوهامهم (فعلى العبد) السالك طريق الارادة (ان يديم العبادة) بالصلوة والتلاوة (ظاهرا وباطنا) بالذكر والفكر ويترك المألوف والعادة (لتحصيل محبته تعالى اذ هى اهم) من المطلوبات واتم من المقصودات وقد قال تعالى * قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله * الآية * وعن عائشة من عوده الله عبادة فتركها ملالا مقته الله رواه ابن السنى فى رياضة المتعبدين موقوفا عليها قال العراقى وتحقيق هذا الخبر انه مقته الله فتركه ملالة فلولا المقت والابعاد لما سلطت عليه الملالة (ففى النهار يشتغل) بالاذكار والافكار (بعد الفجر) اى ظهور الصبح والاسفار (الى الاشراق) اى طلوع الشمس وضوء النهار لقوله تعالى * يسبحن بالعشى والاشراق (لازما مكانه) وملازما شانه (الا ان يخاف الرياء) فى عبادة ربه سبحانه (او التشويش) اى تشويش الخاطر من الخلق المانع من الحضور مع الحق هنالك (فيرجع ويلزم زاوية) اى معدة لذلك (فكانوا) اى السلف (يبالغون فى رعايته) اى مراعاة هذا الوقت (ويعيبون المتكلم فيه) اى بكلام الدنيا ويخوفونه بالمقت (وورد انه) اى احياءه (احب من عتق اربع رقاب من ولد اسمعيل) بفتح الواو واللام او بضم فسكون اى اولاده واحفاده من العرب (وبعد العصر الى المغرب كذلك) اى يشتغل بعد اداء العصر الى غروب الشمس كما ذكر هنالك واصل الحديث لان اقعد مع قوم يذكرون الله من صلوة الغدوة حتى تطلع الشمس احب الى من ان اعتق اربعة من ولد اسمعيل ولان اقعد مع قوم يذكرون الله من صلوة العصر الى ان تغرب الشمس احب الى من ان اعتق اربعة ابو داود بسند حسن عن انس وفى رواية له لان اقعد فى مجلس ذكر الله من صلوة الغدوة الى طلوع الشمس احب الى من ان اعتق اربعة رقاب وروى احمد ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه عن جابر بن سمرة انه عليه السلام كان اذا صلى الغدوة جلس فى مصلاه حتى تطلع الشمس وفى رواية الترمذى عن انس من صلى الفجر فى جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس

ثم صلى ركعتين كانت له كاجر حجة وعمرة تامة تامة تامة (وكان تعظيمهم) اى السلف (اياه) اى مابعد العصر (اكثر) من تعظيم ما بعد الفجر اذ هو وقت الغفلة وبعد وجود المعصية ولحديث الاعمال بالخواتيم فينبغى قيامه بالاذكار والافكار ومحاسبة ما جرى له من اعمال الفجار فعن الحسن كانوا اشد تعظيما للعشى منهم لاول النهار وقال بعض السلف كانوا يجعلون اول النهار للدنيا وآخره للعقبى فليشكر الله على صحة جسمه وبقاء بقية من عمره فليشتغل بتدارك تقصيره فى امره وليحضر فى قلبه ان نهار العمر له انتهاء تغرب فيه شمس الحيوة ولا يكون له بعدها طلوع وابتداء وعند ذلك يغلق باب التدارك والاعتذار فليس العمر الا اياما معدودة تنقضى لا محالة جملتها بانقضاء آحادها المحدودة (وورد) فى تخصيص فضل هذين الوقتين (واذكر اسم ربك بكرة واصيلا) اى صبحا وعشيا (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) وقال تعالى *واذكر ربك كثيرا (وسبح بالعشى والابكار) اى اطراف النهار (يا ابن آدم اذكرنى بعد) صلوة (الفجر ساعة وبعد) صلوة (العصر ساعة اكفك مؤنة ما بينهما) ابن المبارك فى الزهد هكذا مرسلا عن الحسن (ويقرء المسبعات العشر) فانه المستغاث للعسر (فى الوقتين) المذكورين (ففيه فضل كثير) كما ذكره فى الاحياء لكن قال العراقى حديث كرز بن وبرة عن رجل من اهل الشام عن ابراهيم التيمى ان الخضر علمه المسبعات العشر وقال فى آخرها اعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم ليس له اصل ولم يصح فى حديث قط اجتماع الخضر بالنبى صلى الله عليه وسلم ولا عدم اجتماعه ولا حياته ولا مماته انتهى والعشرة هى فاتحة الكتاب والكافرون والاخلاص والمعوذتان وآية الكرسى والصلوة على النبى عليه السلام واللهم اغفرلى ولوالدى وللمؤمنين والمؤمنات وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم واللهم افعل بى وبهم عاجلا وآجلا فى الدين والدنيا والآخرة ما انت له اهل ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له اهل انك غفور حليم جواد كريم رؤف رحيم كل واحدة من العشرة يقرؤها سبع مرات (وكذلك) اى يشتغل بالعبادة (ما بين الاشراق) وهو اول طلوع الشمس (والضحى) وهو الضحوة الكبرى وهو الربع بالتخمين الاخرى ثم فيه تفصيل بالنسبة الى اهل الارادة (ان كان متجردا لها) اى للعبادة (يشتغل بما سبق من العبادات) يعنى التلاوة والذكر والفكر والصلوة ونحوها من الطاعات (ينتقل) حال او بدل اشتمال او بيان انتقال (من نوع عبادة الى اخرى على حسب صلاح قلبه) فيما يراه حينئذ اولى واحرى فى الدنيا والاخرى وانما ينتقل فى تلك الحالة (قطعا للملالة) ودفعا للكسالة ورفعا للبطالة فورد عليكم من الاعمال ماتطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا الطبرانى عن

عمران ابن حصين فقد كان فى الصحابة من ورده فى اليوم اثنى عشر الف تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلاثون الفا وكان فيهم من ورده ثلاثمائة ركعة الى ستمائة والى الف ركعة واقل مانقل فى اورادهم فى الصلوة مائة ركعة فى اليوم والليلة وكان بعضهم اكثر ورده القرآن فيختم فى اليوم مرتين اومرة وكان بعضهم يمضى اليوم والليلة فى التفكر فى آية واحدة وكان كزربن وبرة مقيما بمكة يطوف فى كل يوم سبعين اسبوعا وفى كل ليلة سبعين اسبوعا وكان مع ذلك يختم القرآن فى اليوم والليلة مرتين فحسب ذلك مكان عشرة فراسخ ويكون مع كل اسبوع ركعتان فذلك مائتان وثمانون ركعة وختمتان (والافضل قراءة القرآن فى قيام الصلوة متدبرا) اى ليلا ونهارا (ففيه) اى فى جمعهما يحصل (الصلوة والتلاوة والتعلم) اى بفهم المبنى وتصور المعنى (والحضور) مع المولى (والذكر) اى وانواع الذكر واصناف الفكر فى الهيئات المختلفة والحالات المؤتلفة وهذا فى حق المنتهى واما المبتدى ففى حقه دوام الذكر المجرد افضل والقراءة بالنسبة الى المتوسط امثل على ماقاله العارف السهروردى فى المعارف (وبغيره) اى ويشتغل بغير ماسبق ايضا من الحسنات (كعيادة المريض) لاسيما الفقير والقريب (وتشييع الجنازة) خصوصا للعلماء والاولياء (واعانة المسلم) واغاثته فى الامر المهم (وحضور مجلس العلم فهى عبادات) اى عظيمة وفيها مثوبات جسيمة (وكانوا يفعلونها مابين الاشراق والضحى) اى فى غالب احيانهم وعرف اهل زمانهم (وان لم يكن) اى السالك (متجردا) للعبادة (فالعالم او المتعلم يشتغل بالعلم) اى يشتغلان بتعليمه وتعلمه (فورد انه) اى الاشتغال بالعلم (افضل من صلوة الف ركعة وشهود الف جنازة وعيادة الف مريض وقراءة القرآن) وتقدم ان هذا الحديث لايصح فالاولى ان يستدل بنحو فضل العالم على العابد كفضلى على ادناكم ثم قراءة القرآن انما تعد من العبادة اذا كانت مجرد التلاوة واما تعلمه وما يتعلق به من انواع القراءة فهو من افضل العلوم فان شرف العلم بشرف المعلوم (غير ان المراد) اى المقصود هنا (بالعلم علم الآخرة) اى علم ينفع فى الآخرة كالكتاب والسنة الفاخرة (لما سبق) فى المقدمة من تقسيم علماء الدنيا وعلماء الآخرة وان غير علم الآخرة يقسى القلب فضلا عن حصول الثواب ووصول القرب (فيتفكر) اى كل من العالم والمتعلم (فى حل المشكل بعد الاشراق) اوقبله بعد اداء الفجر فانه افضل بالاتفاق (فالقلب فيه) اى فى صدور النهار (اصفى) اى ابعد من الاكدار (لكونه بعد الذكر) اى بعد وقوع الصلوة والاذكار (قبل عمل الدنيا) وما يتعلق بهذه الدار المشتملة على انواع من الاوزار وقد ورد اللهم بارك لامتى فى بكورها (والمشتغل بامور الناس) اى عموم المسلمين (كالقاضى والوالى) وهو الامام المتولى وكذا المدرس والمفتى (او اموره) اى

امور نفسه (كالكاسب) ونحوه (يشتغل بتلك الامور مراعيا بشروطها) كما هو المشهور وقد قيل لاينبغى ان يوجد المؤمن الا فى ثلاثة مواطن مسجد يعمره او بيت يستره او كسب لابد منه فيحضره (ذاكرا فى اثنائها) لقوله تعالى * رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله * الآية (محضرا قلبه) مراعيا ربه (قاصرا كسبه على الحاجة) اى قدر الضرورة له فى امر المعيشة من النفقة (الا) اى لكنه يجوز له الزيادة (للصدقة) اى لاجل ان يتصدق على ذى الحاجة (فقيل هو) اى الكسب للتصدق (احب من الذكر لانه) اى نفقة التصدق (متعد) للغير والذكر قاصر ثوابه على الذاكر (وقيل الذكر) هو الافضل من التصدق وهذا هو الظاهر فقد ورد لو ان رجلا يقسم دراهم وآخر يذكر لكان الذاكر لله افضل ولقول عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر تركك للدنيا ابر وقد اتفق المشايخ على ان الفقير الصابر افضل من الغنى الشاكر (والاولى النظر الى صلاح القلب) اى والهام الرب فقد يصلح للواحد الكسب للتصدق فيكون اولى فى حقه من الذكر وقد يصلح الذكر للآخر فيكون اولى من الكسب للتصدق ويشير اليه قوله تعالى *ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا * وحديث ان من عبادى من لايصلحه الا الغنى ولو افقرته لفسد حاله وان من عبادى من لايصلحه الا الفقر ولو اغنيته لفسد حاله ومن هنا قال عمر الفقر والغنى مطيتان لا ابالى ايهما اركب لكن الفقر اسلم والله اعلم (ويديم الورد فورد احب الاعمال ادومها وان قل) متفق عليه من حديث عائشة (بل يزيد) اى المريد فى الورد ان كان من اهل المزيد كمية اوكيفية (فورد لابورك لى فى يوم لا ازداد فيه خيرا) اى علما اوعملا والحديث كذا فى الاحياء وقال العراقى: ورد علما بدل خيرا وقلت واصل الحديث على ما فى الجامع الصغير اذا اتى على يوم لا ازداد فيه علما يقربنى الى الله تعالى فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم الطبرانى فى الاوسط وابن عدى وابو نعيم فى الحلية عن عائشة (ويجمع) فى يوم واحد (بين الصوم والصدقة والعيادة والتشييع فورد من جمعها فى يوم غفر له او ادخل الجنة) شك من الراوى قال العراقى حديث من جمع بين صوم وصدقة وعيادة مريض وشهود جنازة غفر له وفى رواية دخل الجنة مسلم من حديث ابى هريرة ما اجتمعن فى امرئ الا دخل الجنة انتهى وفى الجامع الكبير للسيوطى عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم من اصبح اليوم منكم صائما قال ابوبكر انا قال من عاد منكم اليوم مريضا قال ابوبكر انا قال من شيع اليوم منكم جنازة قال ابوبكر انا قال وجبت لك الجنة رواه البخارى وليس فيه ذكر الصدقة ولعله فى رواية اخرى اوسقط من الكتاب وفى الجامع الصغير من اصبح يوم الجمعة صائما وعاد مريضا وشهد جنازة وتصدق بصدقة فقد اوجب البيهقى

من ابى هريرة وفى رواية له ولابن عدى والبخارى فى تاريخه عن جابر من اصبح يوم الجمعة صائما وعاد مريضا واطعم مسكينا وشيع جنازة لم يتبعه ذنب اربعين سنة (اما فى الليل) اى فى ورده (فالاحوط ان يوتر) اى يصلى الوتر (قبل النوم فيحتمل ان لا يستيقظ) اذالنوم اخوالموت (او) يستيقظ و (يكره القيام) لاستثقال المنام فيتركه (ولوادركه الموت لذهب به) اى بالوتر فيكون آثما فى الفوت (وفيه) اى وفى تقديم العمل (قصر الامل) وفى التأخير آفات لاحتمال قرب الاجل قال ابو هريرة اوصانى خليلى ان اوتر قبل ان انام متفق عليه (والاقوى) اى الافضل والاولى (ان يؤخر الوتر لمن يألف) اى يعتاد ويثق (بالقيام) بعد المنام وقد قالت عائشة اوتر عليه السلام اول الليل واوسطه وآخره وانتهى فى وتره الى السحر متفق عليه (ويقرأ يس) فى كل ليلة والافضل فى التهجد فلابن حبان من حديث جندب من قرأ يس فى ليلة ابتغاء وجه الله غفرله ولابى منصور الغزنوى من حديث على ياعلى اكثر من قراءة يس الحديث (وسجدة) الاولى والسجدة فللترمذى من حديث جابر كان لاينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذى بيده الملك (ولقمان) لم اجده وكذا فى الاحياء لم يذكره (والدخان) فللترمذى من حديث ابى هريرة من قرأ حم الدخان فى ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك (والملك) وقد سبق ولابى الشيخ فى الثواب من حديث عائشة من قرأ فى ليلة الم تنزيل ويس وتبارك الذى بيده الملك واقتربت كن له نورا الحديث (والزمر) فللترمذى من حديث عائشة كان لاينام حتى يقرأ بنى اسرائيل والزمر وقال حسن غريب (والواقعة) فللحارث بن ابى اسامة من حديث ابن مسعود من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم يصبه فاقة ابدا (والمسبحات الست) اى السور المصدرة بالتسبيح وهى الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والاعلى فللترمذى وقال حسن وابو داود والنسائى فى الكبرى من حديث عرباض ابن سارية كان يقرأ المسبحات فى كل ليلة ويقول فيها انها افضل من الف آية (وينام) اى بعد القيام (عند الغلبة) اى غلبة النوم (فهو المأثور) فقد روى ابو داود والنسائى من حديث عائشة ما من امرئ تكون له صلوة بالليل يغلبه عليها نوم الا كتب له اجر صلاته وكان نومه صدقة عليه وفى رواية النسائى وابن ماجه من حديث ابى الدرداء بسند صحيح من اتى فراشه وهو ينوى ان يقوم يصلى من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتبت له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله (ووردكانوا قليلا من الليل) اى من زمانه (ما يهجعون) اى الذى يرقدون فيه اوكانوا ما يرقدون قليلا من الليل فاخر مراعات للفواصل او كانوا قليلا من عبادنا ما يرقدون من الليل اى بعضه اوكله وقيل ما زائدة ويهجعون خبر كان وقليل ظرف اى ينامون فى زمن يسير من الليل ويقومون اكثره

والآيات

والآيات والاخبار والآثار فى احياء الليل كثيرة شهيرة منها سورة المزمل وقوله تعالى * تتجافى جنوبهم عن المضاجع * الآيات وفى الحديث عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم الترمذى من حديث بلال والطبرانى والبيهقى من حديث ابى امامة بسند حسن وعن المغيرة بن شعبة قام النبى صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه فقيل له يارسول الله قد غفر الله لك من ذنبك ما تقدم وما تأخر فقال افلا اكون عبدا شكورا الترمذى فى الشمائل واصله فى الصحيحين وذكر عنده رجل نام حتى اصبح فقال ذاك بال الشيطان فى اذنه متفق عليه من حديث ابن مسعود (ولا يصلى بعدها) اى بعد غلبة النوم (فورد) حين قيل ان فلانة تصلى من الليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل (ليصل احدكم من الليل ما تيسر فاذا غلبه النوم فليرقد) وقد ورد قيامه عليه السلام اول الليل الى ان يغلبه النوم فاذا انتبه قام فاذا غلبه النوم عاد الى النوم فيكون له فى الليل نومتان كذا فى الاحياء قال العراقى رواه ابو داود والترمذى وصححه وابن ماجه من حديث ام سلمة كان يصلى وينام قدر ماصلى ثم يصلى قدر مانام ثم ينام قدر ماصلى حتى يصبح وللبخارى من حديث ابن عباس صلى العشاء ثم جاء فصلى اربع ركعات ثم نام ثم قام انتهى وفى الشمائل عن عائشة كان اذا لم يصل بالليل منعه من ذلك النوم اوغلبته عيناه صلى من النهار اثنتى عشرة ركعة وفى مسلم عنها انه عليه السلام كان اذا نام من الليل من وجع اوغيره فلم يقم من الليل صلى اثنتى عشرة ركعة اى تداركا لما فاته من التهجد بقوله تعالى * وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا * وفى صحيح مسلم عن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نام عن حزبه من الليل اوعن شىء منه فقرأ مابين صلوة الفجر وصلوة الظهر كان كمن قرأ من الليل (لا تكابدوا الليل) اى لا تغالبوه فورد ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد الاغلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشىء من الدلجة البخارى والنسائى عن ابى هريرة عليكم هديا قاصدا عليكم هديا قاصدا عليكم هديا قاصدا فانه من يشاد هذا الدين يغلبه احمد والحاكم والبيهقى (وفيه) اى فى التهجد بعد غلبة النوم (التعبد على ملال وجاء) اى فى ذمه (اثمه اكبر من نفعه) اذ ربما يجرى على لسانه موجب ذمه واثمه (وتحمل ما لا يطاق) اى وفيه تكلف ما لا يستطيع وقد قال تعالى * ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به * ولا يكلف الله نفسا الا وسعها (وورد تكلفوا من الدين) اى الاعمال (ما تطيقون) فعن عمران بن حصين عليكم من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا الطبرانى (وتبغيض العبادة) اى وفيه ابغاضها (الى النفس) وفى نسخة بالنون والصاد المهملة اى تمريرها اليها فى شدة تكريرها (وورد لا تبغض) بالوجهين (اليك عبادة الله) لم اجد مبنى ويوافقه

ماسبق معنى (ويجتهد فى القيام) اى بعد المنام (فورد) فى نعت عباد الرحمن (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما صل من الليل ولو قدر حلب شاة) رواه ابو يعلى من حديث ابن عباس فى صلوة الليل مرفوعا نصفه ثلثه ربعه فواق حلب ناقة فواق حلب شاة ولا بى الوليد بن المغيث من رواية اياس بن معاوية مرسلا لابد من صلوة الليل ولو حلبة ناقة اوحلبة شاة (فالاولى ان يقوم كل الليل) اى ان قدر عليه وفيه انه بظاهره خلاف الكتاب والسنة ومعنى لما تقتضيه الحكمة ففى القرآن * قم الليل الا قليلا * ومن الليل فتهجد * وفى السنة انى انام واقوم وافطر واصوم ولم يحفظ عنه عليه السلام انه سهر ليلة كاملة فى جميع الايام واما الحكمة فقد جعل الله النوم سباتا اى راحة للابدان ومن فيه على الانسان حيث قال * ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون * (وهو) اى احياء الليل كله (لمن تجرد له) اى لقيامه ومنع النفس عن منامه او جعل المنام فى نهاره بدلا عن قيامه فى مرامه (وقوى يقينه) اى وصلب دينه (فيتلذذ به ويتغذى) اى روحه بسببه فهون عليه شدة امره ويحلو عليه مرارة صبره ومن الاسباب المعينة على سهره خوف يغلب على قلبه مع قصر امله يحثه على تكثير عمله اورجاء يحمله على تكلفه وتحمله كما قال طاوس ان ذكر جهنم طيرنوم العابدين ويقابله ان ذكر الجنة طيرنوم الراقدين وكما قال بعضهم اذا ذكرت النار اشتد خوفى واذا ذكرت الجنة اشتد شوقى ولذى النون المصرى *

(شعر) * منع القرآن بوعده ووعيده * مقل العيون بليلها ان تهجعا *
* فهموا عن الملك الجليل كلامه * فرقابهم ذلت اليه تخضعا *

ومن اشرف البواعث الحب لله فانه فى قيامه لايتكلم فى حرف من كلامه الا وهو مناج به حضرت ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما خطر بقلبه فاذا كمل فى محبة ربه احب لامحالة الخلوة به وتلذذ له المناجاة بسببه فحمله تلك اللذة على طول القيام ودفع المنام وقال بعض الاعلام ليس فى الدنيا وقت يشبه نعيم اهل الجنة الا ما يجده اهل التملق فى قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة وقال آخر لذة المناجاة ليست من الدنيا وانما هى من الجنة اظهرها الله لاوليائه لايجدها سواهم وقال على بن بكار منذ اربعين سنة ما احزننى شئ سوى طلوع الفجر وقال الفضيل اذا غربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتى بربى واذا طلعت حزنت لدخول الناس على وقال ابو سليمان اهل الليل فى ليلهم الذ من اهل اللهو فى لهوهم ولولا الليل ما احببت البقاء فى الدنيا وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء ومنهم ابو حنيفة امام الفقهاء (وهو) اى قيام الليل كله (محكى عن اربعين منهم) اى من التابعين قال ابو طالب المكى ان ذلك حكى على

سبيل التواتر والاشتهار عن اربعين من التابعين وكان فيهم من واظب عليه اربعين سنة منهم سعيد بن المسيب وفضيل وطاوس ووهب بن منبه والربيع بن خيثم وابو سليمان الدارانى والخواص ومالك بن دينار وسليمان التيمى ويزيد الرقاشى ويحيى البكاء ومحمد بن المنكدر وكهمس بن المنهال وكان يختم القرآن فى الشهر تسعين ختمة ومالم يفهمه رجع وهذا كاد ان يكون من قبيل خرق العادة من طى اللسان اوبسط الزمان والله المستعان (ثم النصف) اى يقوم نصف الليل (وواظب عليه) اى قيام النصف (من لايحصى) من السلف (ثم الثلث ثم السدس) فعن عائشة كان يقوم اذا سمع الصارخ يعنى الديك وهذا يكون السدس فما دونه والحديث متفق عليه وفى الجملة ربما كان عليه السلام يقوم نصف الليل اوثلثه اوسدسه ففى الصحيحين من حديث ابن عباس نام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل اوقبله بقليل اوبعده بقليل ثم استيقظ الحديث وهو المطابق لقوله سبحانه وتعالى * قم الليل الا قليلا نصفه اوانقص منه قليلا اوزد عليه * والموافق لقوله تعالى * ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه * فما ثبت انه قام الثلثين ولابى داود نام حتى اذا ذهب ثلث الليل اونصفه استيقظ الحديث ولمسلم من حديث عائشة فيبعث الله ما يشاء ان يبعثه من الليل (والاحب ان يجعل) اى سهره (فى الجوف) اى اوساط الليل (فورد ركعتان فى جوف الليل خير من الدنيا وما فيها لولا ان اشق على امتى لفرضتهما) آدم بن ابى اياس فى الثواب ومحمد بن نصر المروزى فى كتاب قيام الليل من رواية حسان بن عطية مرسلا ووصله ابو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر قال العراقى ولايصح قلت والضعيف يعمل به فى الفضائل اتفاقا (ثم) اى بعد السدس (ركعتان اواربع) وكان الاولى ان يقول اربع ركعات اوركعتان ولوقعودا فقد ثبت انه عليه السلام ما مات حتى كان اكثر صلاته من النوافل جلوسا (ثم احياء ما بين العشائين) فقيل نزل فيه قوله تعالى * تتجافى جنوبهم عن المضاجع * وعن محمد بن المنكدر من صلى ما بين المغرب والعشاء فانها صلوة الاوابين وعن ابى هريرة من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن له بعبادة اثنتى عشرة سنة الترمذى وابن ماجه وفى مسند الفردوس من حديث ابن عباس من صلى اربع ركعات بعد المغرب قبل ان يتكلم احدا رفعت له فى عليين وكان كمن ادرك ليلة القدر فى المسجد الاقصى ولعل الجمع بين الروايتين ان الاربع يراد به المستحب بعد الركعتين من المؤكدة وورد من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء بنى له قصر فى الجنة فقال عمر اذا تكثر قصورنا يارسول الله فقال عليه السلام اكثر رواه ابن المبارك فى الزهد من رواية عبد الكريم بن الحارث مرسلا

وقال الاسود ما اتيت ابن مسعود فى هذا الوقت الا ورأيته يصلى فسألته فقال نعم هى صلوة الغفلة وقال احمد بن ابى الحوارى قلت لابى سليمان الدارانى اصوم النهار واتعشى ما بين المغرب والعشاء احب اليك اوافطر بالنهار واحيى ما بينهما فقال اجمع مابينهما فقلت ان لم يتيسر فقال افطر وصل ما بينهما (والقيام قبل الصبح) اى ليدرك احياء بعض الليل من اوله وآخره فقد ورد من صلى العشاء فى جماعة فكانما قام نصف الليل ومن صلى الصبح فى جماعة فكانما صلى الليل كله احمد ومسلم عن عثمان (وروى) اى فى الحديث (المنام كلما غلب والقيام كلما استيقظ وهو افضل) مما ذكر من التقديرات (لانه اشق) والحديث فيه قد سبق (والمعين عليه) اى على القيام تسعة اشياء (ان لايكثر الاكل فهو سبب لكثرة الشرب القائد الى كثرة النوم) وقد كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة لزيادة الفائدة فى امر الدين ويقول يامعشر المريدين لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتحسروا عند الموت كثيرا (ولا يتكلف) بالنهار (فى امور تعنى) بالنون من العناء اوبالياء من الاعياء اى يتعب (الاعضاء وتضعف الاعصاب) الاجزاء (ويقيل) بفتح اوله من القيلولة فانها من السنن المنقولة والمراد منها الاستراحة نصف النهار وان لم يكن منها نوم فورد قيلوا فان الشياطين لا تقيل الطبرانى فى الاوسط وابونعيم فى الطب عن انس وكان الحسن اذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم ولهوهم يقول اظن ليل هؤلاء ليل سوء فانهم لا يقيلون (ولا يذنب) اى فى النهار (فهو) اى الذنب والعصيان (سبب الحرمان) فينبغى ان يجتنب الاوزار بالنهار حتى يقوم بالليل مع الابرار قال رجل للحسن ياابا سعيد انى ابيت معافى واحب قيام الليل واعد طهورى فمالى لا اقوم قال ذنوبك قيدتك وقال الثورى حرمت قيام الليل خمسة اشهر بذنب اذنبته قيل وما هو ذلك الذنب قال رأيت رجلا بكى فقلت هذا مراء وقال ابوسليمان الدارانى لايفوت احد صلوة جماعة الا بذنب قال بعضهم كم من اكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وهذا لان الخير يدعو الى الخير والشر يدعو الى الشر والقليل من كل واحد ينجر الى الكثير فكما ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلوة بل هذا هو الاكثر وهذه الامور المذكورة من الاسباب الظاهرة التى بها تيسر قيام الليل واما الاسباب الباطنة فقوله (ويفرغ القلب عن هموم الدنيا) فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام بامر العقبى وان قام فى بعض اوقاته فلا يتفكر فى صلاته الا فى تفاريق مهماته وفى مثل ذلك يقال * وانت اذا استيقظت ايضا فنائم * بخلاف العالم فان نومه عبادة ويقظه افادة وزيادة وكذا نوم الظالم عبادة (ويلازم الخوف منه تعالى) اى من مناقشة حسابه (ومن اليم عقابه) وحجابه

من بابه (ويقصر الامل) بان ينتظر الاجل ليكثر العمل (ويذكر ما ورد فى فضله) اى فضيلة القيام من الآيات والاخبار عنه عليه السلام (وما وعد عليه) اى الله سبحانه من القربة اليه والمثوبة لديه (والاصل) اى الذى عليه مدار الاسباب (محبته تعالى) والاقبال على المولى والزهد فى الدنيا والاستعداد فى العقبى (واستحكام الايمان) اى بالعرفان والاتقان (ليكون متغذيا به) فى جميع الازمان وكما ان للاشباح غذاء وعشاء فكذا للارواح غذاء ودواء فمن ايقن نزول رحمته وحصول مغفرته فى وقت السحر ونحوه لايفوته قيام الليل ولا فى سفره فقد روى النسائى عن حميد بن عبدالرحمن ان رجلا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال قلت وانا فى سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لارقبن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنام بعد العشاء زمانا ثم استيقظ فنظر فى الافق فقال * ربنا ما خلقت هذا باطلا * حتى بلغ انك لا تخلف الميعاد وفى رواية الى آخر السورة ثم استل من فراشه سواكا وتوضأ وصلى حتى قلت صلى مثل مانام الحديث وفى رواية اخذ سواكه من مؤخرة الرحل وهذا صريح فى انه كان فى سفر (ويراعى فواضل الليالى كالاوتار من العشر الاواخر من رمضان) اذفيها تطلب ليلة القدر نما فى الاخبار الكثيرة والآثار الشهيرة لاسيما السبع والعشرين فان عليه اكثر الصحابة والتابعين (والسابعة عشر منه) فعن ابن الزبير انها ليلة القدر وهى ليلة صبيحة يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر (والاولى من المحرم) فانه الشهر المكرم ومبدأ العام المفخم فاسرار البداية تدل على انوار النهاية (والعاشرة منه) اى من المحرم وهى ليلة عاشوراء (والاولى من رجب) وقد كان عليه السلام اذا رأى هلال رجب قال اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان وبلغنا رمضان وبلغنى انه شهر الغفران ويقال فيه سبعين مرة استغفر الله ذا الجلال والاكرام من جميع الذنوب والآثام ثم رأيت المتوفى قال وقد افاد صاحب ترغيب الطالب فى اشرف المطالب انه رأى بخط الشيخ الحافظ كمال الدين الدميرى عن ابن عباس مرفوعا من قال فى شهر رجب وشعبان استغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحى القيوم واتوب اليه توبة عبد ظالم لنفسه لا يملك لنفسه موتا ولاحياة ولانشورا سبع مرات اوحى الله تعالى الى الملكين المؤكلين ان خرقا صحيفة ذنوبه ويكفينا فى ثبوت وروده اعتناء الحافظ الدميرى بنقله بخطه ساكتا عنه ولو كان موضوعا لبينه فانه امام فى هذا الفن واقل مراتبه ان يكون ضعيفا والضعيف يعمل به فى فضائل الاعمال اتفاقا (والخامسة عشر) وهى ليلة النصف منه (والسابعة عشر والعشرين منه) وفى الاحياء وليلة سبع وعشرين منه قال وهى ليلة المعراج وفيها صلاة مأثورة فورد للعامل فى هذه الليلة حسنات مائة سنة فمن صلى اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة

فاتحة الكتاب وسورة من القرآن ويتشهد فى كل ركعتين ويسلم فى آخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة ويستغفر الله مائة مرة ويصلى على النبى مائة مرة ويدعو لنفسه بما شاء من امر دنياه وآخرته ويصبح صائما فان الله سبحانه يستجيب دعاءه كله الا ان يدعو فى معصية قال العراقى ذكر ابوموسى المدينى فى كتاب فضائل الليالى والايام ان ابا محمد الخبازى رواه من طريق الحاكم ابى عبد الله من رواية محمد بن الفضل عن ابان عن انس مرفوعا ومحمد بن الفضل وابان ضعيفان جدا والحديث منكر من جملتها حديث ابى هريرة من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذى هبط فيه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم ابو موسى المدينى من رواية شهر بن حوشب عنه (والخامسة عشر من شعبان) فيصلى فيها مائة ركعة ويقرأ فى كل ركعة سورة الاخلاص عشر مرات وفاتحة الكتاب كانوا لا يتركونها فقال العراقى حديث باطل نعم لابن ماجه من حديث على اذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها وفى الاثر عن عمر انه كان يقول فى ليلة النصف من شعبان اللهم ان كنت كتبتنى من السعداء فاثبتنى وان كنت كتبتنى من الاشقياء فامح واكتب لى فى السعداء فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك ام الكتاب (وليلة عرفة) لم اجد له اصلا (والعيدين) اى وليلتى العيدين فقد روى من احيى ليلتى العيدين لم يمت قلبه يوم تموت القلوب ابن ماجه باسناد ضعيف من حديث ابى امامة (والايام) اى ويراعى فضائل الايام (كالعيد) اى يومى العيدين (والتشريق) اى ايامها ولم يكن فى منى (وما يجىء) اى فى آخر الباب الثالث من الصوم (ان شاء الله تعالى والافضل يوم الجمعة وليلته) وهو سيد الايام عند الملائكة كما ورد ويوم المزيد فى الآخرة لزيادة حصول اللقاء فيه لاهل الولاء وورد خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة مسلم عن ابى هريرة وان لله تعالى فى كل جمعة ستمائة الف عتيق من النار ابن عدى وابن حبان فى الضعفاء والبيهقى فى الشعب من حديث انس وقيل يوم عرفة افضل وقيل يوم الجمعة افضل ايام الاسبوع ويوم عرفة افضل ايام السنة وقد ورد من مات يوم الجمعة او ليلة الجمعة كتب له اجر شهيد ووقى فتنة القبر ابونعيم فى الحلية من حديث جابر وللترمذى نحوه من حديث عبد الله بن عمر والحكيم فى النوادر وعن عائشة مرفوعا اذا سلم يوم الجمعة سلمت الايام واذا سلم شهر رمضان سلمت السنة ابن حبان فى الضعفاء وابونعيم وهو ضعيف (فلا يعطل) اى من الطاعة (عصر الخميس فهو متبرك) اى بقربه لليلة الجمعة وكذا اوله متبرك فلابن ماجه عن ابى هريرة والطبرانى فى الاوسط عن عائشة مرفوعا اللهم بارك لامتى فى بكورها يوم الخميس وفى رواية قال عليه السلام

اغدوا فى طلب العلم فانى سألت ربى ان يبارك لامتى فى بكورها يوم الخميس واما ما اشتهر فى هذا اللهم بارك لامتى فى سبتها وخميسها فباطل لا اصل له (ويستحب لصلوة الجمعة بغسل الثياب) اى فى اول النهار اوفى يوم الخميس وهو الاولى ليقدر على التكبير الاعلى (والاغتسال) وهو سنة مؤكدة للصلوة على الاصح ويشهد له ما ورد من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسلوا ابن حبان والبيهقى من حديث ابن عمر وقيل لوجوبه وهو ظاهر حديث غسل الجمعة واجب على كل محتلم متفق عليه من حديث ابى سعيد وعن نافع عن ابن عمر من اتى الجمعة فليغتسل الشيخان وابن حبان وقد قال عمر لعثمان لما دخل يخطب اهذه الساعة منكرا عليه ترك البكور فقال ما زدت بعد ان سمعت الاذان على ان توضأت وخرجت فقال والوضوء ايضا وقد علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا بالغسل متفق عليه من حديث ابى هريرة وقد علم جواز ترك الغسل بوضوء عثمان وبما ورد من توضا يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل افضل ابوداود والترمذى وحسنه والنسائى من حديث سمرة وكان عليه السلام ربما اغتسل يوم الجمعة وربما ترك احيانا الطبرانى عن ابن عباس وورد رحم الله من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر اصحاب السنن وحسنه الترمذى وابن حبان والحاكم وصححه من حديث اوس بن اوس (والتطيب) اى استعمال الطيب المناسب له فورد طيب الرجال ماظهر ريحه وخفى لونه وطيب النساء ماظهر لونه وخفى ريحه ابوداود والترمذى وحسنه والنسائى من حديث ابى هريرة وقال الشافعى من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله وورد حقا على المسلمين ان يغتسلوا يوم الجمعة وليمس احدهم من طيب اهله فان لم يجد فالماء له طيب الترمذى عن البراء (وتفريغ القلب عن الشواغل) كما يشير اليه قوله تعالى * اذا نودى للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع * وفى معناه كل شاغل عنها ظاهرا وباطنا (ومن ثم جاء) اى من اجل تفريغ القلب ورد (ان يأتى اهله) اى يجامع قاصد الجمعة امرأته اوامته وحمل عليه رواية غسل بالتشديد اى حمل اهله على الغسل قال العراقى ومن اغتسل غسل الجنابة فليفض الماء على بدنه مرة اخرى على نية غسل الجمعة فان اكتفى بغسل واحد اجزأه وحصل له الفضل اذا نوى كليهما ودخل غسل الجمعة فى الجنابة انتهى ولايخفى ان تكرار الغسل من غير فصل بعبادة يعد من الاسراف فالاولى ان يغتسل واحدا وينويهما وفى الاحياء ومن اغتسل ثم احدث توضأ ولم يبطل غسله والاحب ان يحترز عن ذلك انتهى ولا يخفى ان هذا محمول على ان الغسل لليوم لا للصلوة (ويقلم الاظفار) اى فى اول يوم الجمعة فعن ابن مسعود من قلم اظفاره يوم الجمعة اخرج الله منه داء وعن ابى هريرة انه عليه السلام كان يقلم اظفاره ويقص شاربه يوم الجمعة قبل ان يروح الى الصلوة البيهقى فى الشعب وله ايضا من مرسل ابى جعفر الباقر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يستحب ان يأخذ من اظفاره وشاربه يوم الجمعة او يوم الخميس اذا اراد التبكير وسئل احمد عنه فقال يسن يوم الجمعة قبل الزوال وعنه يوم الخميس وعنه يتخير قال العسقلانى وهذا هو المتعمد انه يستحب كيف ما احتاج اليه وورد قصوا اظافيركم فان الشيطان يجرى ما بين اللحم والظفر الخطيب فى الجامع باسناد ضعيف من حديث جابر وقد جاء الامر بتنظيف ما تحت الاظفار فى رواية الطبرانى من حديث وابصة بن معبد سالت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن كل شئ حتى سألته عن الوسخ الذى يكون فى الاظفار فقال دع ما يريبك الى ما لا يريبك وسنده ضعيف وورد انه عليه السلام استبطأ الوحى فقيل له يا رسول الله لقد ابطأ عنك جبريل فقال ولم لا يبطئ عنى وانتم لا تستنون ولا تقلمون اظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقون رواجبكم ولا تغسلون براجمكم احمد من حديث ابن عباس والرواجب رؤس الانامل وما تحت الاظفار من الوسخ والبراجم معاطف ظهور الانامل قال الغزالى ولم ار فى الكتب خبرا مرويا فى ترتيب قلم الاظفار ولكن سمعت انه روى عنه عليه السلام انه بدأ بالمسبحة اليمنى وختم بابهامه اليمنى وابتدأ باليسرى بالخنصر الى الابهام وتعقبه العراقى بقوله لم اجد له اصلا وقد انكره ابو عبد الله المازنى فى الرد على الغزالى وشنع عليه به قلت لا تشنيع عليه حيث انه بين على ما ثبت لديه مع انه نفى رؤية رواية خبر مسند اليه والحاصل ان التقليم من باب التنظيف فهو وغيره من قص شاربه ونتف الابط وحلق العانة يقدم على الغسل (ويتعمم) فعن ابى الدرداء ان الله وملائكته يصلون على اصحاب العمائم يوم الجمعة الطبرانى وابن عدى وعن ابن عمر مرفوعا صلوة بعمامة تعدل بخمس وعشرين وجمعة بعمامة تعدل سبعين جمعة وعن انس مرفوعا الصلوة فى العمامة بعشرة آلاف حسنة الديلمى وحكم بعض الحفاظ بضعفه بل بوضعه لكن فى الجامع الصغير للسيوطى وقد التزم فيه ان لا يورده موضوعا عن ابن عمر برواية ابن عساكر صلوة تطوع او فريضة بعمامة تعدل خمسا وعشرين صلوة بلا عمامة وجمعة بعمامة تعدل سبعين جمعة بلا عمامة (ولا يركب) لانه اقرب الى حسن الادب والتواضع مع الرب ولظاهر قوله تعالى * فاسعوا الى ذكر الله * ولانه اشق والاجر على قدر المشقة والقياس على طريق الحج والعمرة (ويبالغ فى التبكير) ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر وقيل بالاستواء (فهو المأثور) اى صح فضل البكور فقد ورد من راح الى الجمعة فى الساعة الاولى فكانما قرب بدنة ومن راح فى الساعة الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح فى الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا ومن راح فى الساعة الرابعة فكانما اهدى دجاجة ومن راح فى الساعة الخامسة فكانما اهدى بيضة فاذا خرج الامام طويت الصحف ورفعت الاقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك فانما جاء لحق الصلوة ليس له من الفضل شئ متفق عليه من حديث

ابى هريرة الا ان قوله ورفعت الاقلام عند البيهقى من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده وذكر ابن مردويه فى التفسير من حديث على باسناد ضعيف اذا كان يوم الجمعة نزل جبريل فركز لواءه بالمسجد الحرام وغدا سائر الملائكة الى المساجد التى تجمع فيها يوم الجمعة واقلاما من ذهب وصحفا من فضة يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وورد ان الملائكة تفتقدون العبد اذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا عنه ما فعل فلان وما الذى اخره عن وقته فيقولون اللهم ان كان اخره فقر فاغنه وان كان اخره مرض فاشفه وان كان اخره شغل فافرغه لعبادتك وان كان اخره لهو فاقبل بقلبه الى طاعتك البيهقى من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده بسند حسن ومن فوائد البكور عدم تخطى رقاب اهل الحضور فقد ورد من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا الى جهنم الترمذى وابن ماجه من حديث معاذ بن انس وروى ابن جريج مرسلا ان النبى صلى الله عليه وسلم بينما هو يخطب يوم الجمعة اذا رأى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس فلما قضى النبى صلى الله عليه وسلم عارض الرجل حتى لقيه فقال يافلان ما منعك ان تجمع معنا اليوم فقال يانبى الله قد جمعت قال اولم اراك تخطى رقاب الناس ابن المبارك فى الرقايق وفيه اشارة الى ان الله تعالى احبط عمله ونقص امله وفى حديث مسند انه قال ما منعك ان تصلى معنا قال اولم ترنى قال رأيتك تأنيت وآذيت اى تأخرت عن البكور وآذيت الحضور والحديث رواه ابوداود والنسائى وابن حبان والحاكم من حديث عبد الله بن بسر مختصرا وقيل لبشر بن الحارث نراك تبكر وتصلى فى آخر الصفوف فقال انما يراد قرب القلوب لا قرب الاجساد فاشار به الى ان ذلك اسلم لقلبه وقيل لسفيان الثورى اليس فى الخبر ادن فاستمع فقال ويحك ذلك للخلفاء الراشدين فاما هؤلاء فكلما بعدت عنهم ولم تنظر اليهم كان اقرب الى الله تعالى وروى عن على وعثمان رضى الله عنهما من استمع وانصت فله اجران ومن لم يستمع وانصت فله اجر ومن سمع ولغا فعليه وزر ومن لم يستمع ولغا فعليه وزران وورد حديث ابى هريرة اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة انصت والامام يخطب فقد لغوت متفق عليه ولابى داود من حديث على من قال صه فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له ولاحمد من حديث ابن عباس والذى يقول له انصت ليس له جمعة وحديث ابى ذر لما سأل ابيا والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب وقال متى انزلت هذه السورة فاومأ اليه ان اسكت فلما نزل النبى صلى الله عليه وسلم قال له ابى اذهب فلا جمعة لك فشكاه ابو ذر الى النبى عليه السلام فقال صدق ابى واطع ابيا البيهقى وقال فى المعرفة اسناده صحيح ولابن ماجه من حديث جابر ان السائل له ابو الدرداء وابو ذر ولاحمد من حديث ابى الدرداء انه سأل ابيا

ولابن حبان من حديث جابر ان السائل عبد الله ابن مسعود ولابي يعلى من حديث جابر قال قال سعد بن ابي وقاص لرجل لاجمعة لك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم ياسعد قال لانه كان يتكلم وانت تخطب فقال صدق سعد (ويصلى قبل الجلوس فى الجامع اربعا بالاخلاص) اى منضمة بقراءة الاخلاص (خمسين مرة) بعد الفاتحة (فى كل ركعة) فقد نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة اويرى له كذا فى الاحياء وقال العراقى حديث من دخل يوم الجمعة المسجد فصلى اربع ركعات يقرأ فيها قل هو الله احد مائة مرة الحديث رواه الخطيب فى الرواة عن مالك من حديث ابن عمر وقال غريب جدا وفى نسخة بعد الحديث الدارقطنى فى غرائب مالك وقال لايصح (ففى الكل) اى فى جميع ماسبق من الغسل الى هنا (فضائل) لارباب الشمائل واذا فرغ من الجمعة قرأ الحمد لله سبع مرات قبل ان يتكلم وقل هو الله احد سبعا والمعوذتين سبعا سبعا وروى عن بعض السلف ان من فعله عصم من الجمعة الى الجمعة وكان حرزا له من الشيطان ويستحب ان يقول بعد صلوة الجمعة اللهم ياغنى ياحميد يامبدئ يامعيد يارحيم ياودود اغننى بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك كذا فى الاحياء وسكت عنه العراقى وقد رأيت الحديث فى الجامع الصغير مستندا الى ابن السنى عن عائشة بلفظ من قرأ بعد صلوة الجمعة قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس سبع مرات اعاذه الله بها من السوء الى الجمعة الاخرى فقال من داوم هذا الدعاء اغناه الله عن خلقه ورزقه من حيث لايحتسب ثم يصلى بعد الجمعة ست ركعات فقد روى ابن عمر رضى الله عنهما انه كان عليه السلام يصلى بعد الجمعة ركعتين متفق عليه وروى ابوهريرة اربعا رواه مسلم وروى على وعبد الله ستا البيهقى موقوفا على على وله موقوفا على ابن مسعود اربعا ولابى داود من حديث ابن عمر كان اذا كان بمكة صلى بعد الجمعة ستا والكل صحيح فى احوال مختلفة والاكثر افضل (ويشتغل بعد الاقامة) اى بعد فراغ اقامة صلوة الجمعة (بصلوة جنازة اوتعلم) لعلوم شرعية (او زيارة اخ فيه) اى فى حبه (تعالى) شانه (فبها) اى بمثلها (فسر ماورد وابتغوا من فضل الله) فقد قال انس فى قوله تعالى * فاذ قضيت الصلوة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله * اما انه ليس ابتغاء المعاش لطلب الدنيا لكن عيادة مريض اوشهود جنازة اوتعلم علم اوزيارة اخ فى الله (لاباستماع القصص) اى من الاخبار التى بينت فى التواريخ (فهو بدعة فكانوا) اى الصحابة (يخرجون القصاص من المسجد) فقد حضر ابن عمر فى المسجد الى مجلسه فاذا قاص يقص فى موضعه فقال له قم عن مجلسى فقال لا اقوم فقد جلست وسبقتك فارسل ابن عمر الى صاحب الشرطة فاقامه من مجلسه

ولوكان ذلك من السنة لم يستحل اقامته فقد قال عليه السلام كما فى الصحيحين لا يقيمن احداكم من مجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا وكان ابن عمر اذا قام له الرجل من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود اليه وروى ان قاصا كان يجلس بفناء حجرة عائشة فارسلت الى ابن عمر ان هذا قد آذانى بقصصه وشغلنى عن سبحتى فضربه ابن عمر حتى كسر عصاه على ظهره ثم طرده (ويراقب الساعة المرجوة الموعود فيها) اى فى تلك الساعة (الاجابة) اى غالبا ففى الخبر المشهور ان فى الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها شيئا الا اعطاه اياه الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث عمرو بن عوف المزنى وفى خبر آخر لا يصادفها عبد يصلى متفق عليه من حديث ابى هريرة (واختلف فيها) اى فى تعيين تلك الساعة (على طلوع الشمس) اى على اقوال قيل عند طلوع الشمس (وزوال) اى عنده او بعده وقيل بعد الاذان الاول (وصعود الامام) اى على المنبر وقعوده (والقيام للصلوة) اى صلوة الجمعة كما بينا ادلتها فى شرح الحصن (ومنتهى الاستحباب فى العصر) اى اوله او آخره (والغروب) اى وقته فقيل هى آخر ساعة من يوم الجمعة وقيل ما بين العصر الى الغروب (وروى فيه) اى فى حين الغروب او فيما ذكر من ما بين العصر والغروب والاول انسب لقوله (رعاية فاطمة رضى الله عنها) وكانت ترويه عن ابيها عليه السلام وكانت توكل الخادم لفقد هذا الوقت لتقوم فى طلب المرام وفى رواية تأمر غادمها ان ينظر الى الشمس فاذا تدلى جناحها الاسفل يؤذنها بسقوطها فتأخذ فاطمة رضى الله عنها فى الدعاء والاستغفار الى غروبها قال العراقى حديث فاطمة فى ساعة الجمعة رواه الدارقطنى فى العلل والبيهقى فى الشعب وعليه الاختلاف (وروايتها) اى رواية رعايتها (تؤيد ماروى لا يوافقها) اى الساعة وفى رواية لا يصادفها (عبد) اى مسلم (يصلى) اى يدعو بقرينة قوله (الا استجيب له) وقد قال كعب الاحبار انها فى آخر ساعة فى يوم الجمعة وذلك عند الغروب فقال ابو هريرة وكيف تكون آخر ساعة وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يوافقها عبد يصلى ولات حين صلوة قال كعب الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قعد منتظرا للصلوة فهو فى الصلوة قال بلى قال فذلك صلوة فسكت ابو هريرة وكان كعب مائلا الى انها رحمة من الله تعالى للقائمين بحق هذا اليوم وأوان ارسالها عند الفراغ من اتمام العمل كذا فى الاحياء وتعقبه العراقى بان كعبا هو القائل ليس كذلك وانما هو عبد الله بن سلام واما كعب فانما قال انها فى كل سنة مرة ثم رجع والحديث رواه ابو داود والترمذى والنسائى وابن حبان من حديث ابى هريرة ولابن ماجه نحوه من حديث عبد الله ابن سلام انتهى وروى البيهقى فى الشعب عن فاطمة مرفوعا ان فى

الجمعة لساعة لايوافقها مسلم يسأل الله تعالى خيرا الا اعطاه اياه اذا تدلى نصف الشمس للغروب هكذا رأيت فى هامش نسخة والله اعلم (والبهمة كليلة القدر) وكالصلوة الوسطى والاسم الاعظم (فيستغرق اليوم لرعايته) اى لمراعاة ادراكها (وهو) اى الابهام (اصوب) وفى الاحياء قيل انها تنتقل فى ساعات من يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر وهو الاشبه وله سر لايليق بعلم المعاملة ذكره لكن ينبغى ان يصدق بما قال عليه السلام ان لربكم فى ايام دهر كم نفحات الا فتعرضوا لها ويوم الجمعة من جملة تلك الايام فينبغى ان يكون العبد فى جميع نهاره متعرضا لها باحضار القلب وملازمة ذكر الرب والنزوع عن وساوس الدنيا وهواجس النفس والهوى فعساه ان يحظى بشئ من تلك النفحات انتهى والحديث رواه الترمذى والحكيم فى النوادر والطبرانى فى الاوسط من حديث محمد بن مسلمة ولابن عبد البر فى التمهيد نحوه من حديث انس ورواه ابن ابى الدنيا فى كتاب الفرج من حديث ابى هريرة (ويكثر الصلوة عليه عليه السلام) اى فى يوم الجمعة وليلتها فقد ورد اكثروا الصلوة على فى الليلة الغراء واليوم الازهر فان صلاتكم تعرض على البيهقى عن ابى هريرة وابن عدى عن انس وفى رواية البيهقى عن انس اكثروا من الصلوة على فى يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيدا وشافعا يوم القيمة وفى رواية ابن ماجه عن ابى الدرداء اكثروا من الصلوة على يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة وان احدا لن يصلى على الاعرضت على صلاته حين يفرغ منها وفى رواية للبيهقى عن ابى امامة اكثروا من الصلوة على فى كل جمعة فان صلوة امتى تعرض على فى كل يوم جمعة فمن كان اكثرهم على صلوة كان اقربهم منى منزلة وكانوا يصلون على النبى صلى الله عليه وسلم الف مرة ويقولون سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر الف مرة وروى من صلى على يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين سنة قيل يارسول الله كيف الصلوة عليك قال تقول اللهم صل على عبدك ونبيك ورسولك النبى الامى وتعقد واحدة الدارقطنى من رواية ابن المسيب قال اظنه عن ابى هريرة وقال حديث غريب وقال ابن النعمان حديث حسن وفى الاحياء وان قلت اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلوة تكون لك رضاء ولحقه اداء واعطه الوسيلة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته واجزه عنا ماهو اهله واجزه افضل ماجزيت نبيا عن امته وصل عليه وعلى جميع اخوانه من النبيين والصالحين يا ارحم الراحمين تقول هذا سبع مرات فقد قيل من قالها سبع جمع فى كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته وان اراد ان يزيد اتى بالصلوة المأثورة فيقول * اللهم اجعل فضائل صلواتك ونوامى بركاتك وشرائف زكواتك ورأفتك ورحمتك وتحيتك على محمد رسولك بسيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين وقائد الخير وفاتح البر ونبى الرحمة وسيد الامة اللهم ابعثه مقاما محمودا تزلفى به قربه وتقر به عينه فيغبطه به

الاولون والآخرون اللهم اعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والمنزلة الشامخة المنيفة اللهم اعط محمدا سؤله وبلغه مأموله واجعله اول شافع واول مشفع اللهم عظم برهانه وثقل ميزانه وابلج حجته وارفع فى اعلى درجات المقربين درجته اللهم احشرنا فى زمرته واجعلنا من اهل شفاعته واحينا على سنته وتوفنا على ملته واوردنا حوضه واسقنا بكاسه غير مزايا ولانادمين ولاشاكين ولامبدلين ولافاتنين ولامفتونين آمين يارب العالمين * ابن ابى عاصم فى كتاب الصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم من حديث ابن مسعود بسند ضعيف ووقفه ابن ماجه على ابن مسعود (وقراءة القرآن) اى يكثرها فيه فيقرأ سورة الكهف خاصة فعن ابى سعيد من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة اويوم الجمعة اعطى نورا من حيث يقرأ الى مكة وغفرله من الجمعة الى الجمعة وفضل ثلاثة ايام وصلى عليه سبعون الف ملك حتى يصبح ويمسى وعوفى من الداء والدبيلة وذات الجنب والجذام والبرص وفتنة الدجال رواه البيهقى (ويتصدق) اى يوم الجمعة فى غير الجامع اولغير السائل فيه فقد قال ابن مسعود اذا سأل الرجل فى المسجد فقد استحق ان لا يعطى (بشيئين مختلفين) كدرهم ودينار اوثوب وقرص اوخبز وادام اوفاكهتين مختلفتين فعن كعب الاخبار من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع وركع ركعتين يتم ركوعهما وسجودهما وخشوعهما ثم يقول * اللهم انى اسئلك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم لاتأخذه سنة ولا نوم * لم يسأل الله شيئا الا اعطاه وفى رواية ابن حبان عن ابى هريرة مرفوعا من انفق زوجين من شئ من الاشياء فى سبيل الله دعى من ابواب الجنة هذا خير وللجنة ابواب الحديث ورواه الخطيب عن انس بلفظ ما من مسلم ينفق زوجين فى سبيل الله عزوجل الادعته الجنة هلم هلم ولا يخفى ان المتبادر من الزوجين ان يكون الشيئان متفقين لا مختلفين كدرهمين ودينارين وثوبين وعن بعض السلف من اطعم مسكينا يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ احدا ثم يقول حين يسلم الامام بسم الله الرحمن الرحيم الحى القيوم اسألك ان تغفرلى وترحمنى وتعافينى من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له (ويصلى) اى يوم الجمعة (صلوة التسبيح) وقد بسطت الكلام عليها فى شرح الحصن رواية ودراية وعلما وعملا وقد علمها عليه السلام لعمه العباس وقال له صلها فى كل جمعة الحديث ابو داود وابن ماجه وابن خزيمة والحاكم من حديث ابن عباس وكان ابن عباس لايدع هذه الصلوة يوم الجمعة بعد الزوال (وفى الكل) اى جميع ما تقدم (فضائل) اى واردة عن اصحاب الشمائل (وجاء قراءة يس والسجدة والدخان والملك) اى فى ليلة الجمعة وقد سبق بيانها وبرهانها (والمسبحات الست) اى المتقدم شأنها (والاكثار بالاخلاص) اى بقراءة سورة الاخلاص

(فقراءتها الف مرة فى عشر ركعات او عشرين افضل من الختم) اى ختم القرآن بدونها اوفى غير الصلوة وهذا لم اجده مرويا لكن ورد من قرأ قل هو الله احد الف مرة فقد اشترى نفسه من الله الخرائطى فى فوائده عن حذيفة واما حديث قل هو الله احد تعدل ثلث القرآن فرواه مالك واحمد والبخارى وابوداود والنسائى عن ابى سعيد وجماعة عن جماعة كاد ان يكون متواترا وفى الاحياء الاحسن ان يجعل وقته للصلوة الى الزوال وبعد الجمعة الى العصر لاستماع العلم وبعد العصر الى المغرب للتسبيح والاستغفار وسائر الاذكار وينبغى ان يلازم المسجد حتى يصلى العصر فان وقف الى المغرب فهو افضل ويقال من صلى العصر فى الجامع كان له ثواب حجة ومن صلى المغرب فله ثواب حجة وعمرة فان لم يامن التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق الى اعتكافه اوخاف الخوض فيما لا يعنى فالافضل ان يرجع الى بيته ذاكرا الله تعالى مفكرا فى آلائه شاكرا الله على نعمائه من جملتها توفيقه للطاعة خائفا من تقصيره مراقبا لقلبه ولسانه الى غروب الشمس حتى لا تفوته الساعة الشريفة فلا ينبغى فى الجامع وغيره من المساجد التكلم بحديث الدنيا فانه عليه السلام قال يأتى على الناس زمان يكون حديثهم فى مساجدهم بأمور دنياهم ليس لله عز وجل فيهم حاجة فلا تجالسوهم البيهقى فى الشعب من حديث الحسن مرسلا واسنده الحاكم من حديث انس وصححه ولابن حبان من حديث ابن مسعود ونحوه (ولا يخصه بالصوم وقيام الليل فهو) اى التخصيص (منهى عنه) روى مسلم عن ابى هريرة لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالى ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الايام الا ان يكون فى صوم يصوم احدكم وفى رواية احمد عن ابى هريرة لا تصوموا يوم الجمعة الا وقبله يوم او بعده يوم (ويحافظ الرواتب) اى السنن المؤكدة بعد الفرائض وقبلها (وسائر السنن) اى المستحبة (كالتهجد) فى الليل (والضحى) فى النهار ركعتين او اربعا اوستا اوثمانيا او اثنى عشر فورد انه عليه السلام كان اذا اشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين واذا انبسطت وكانت فى ربع النهار من جانب المشرق صلى اربعا الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث على (واحياء ما بين العشائين) اى بالعبادة او بعشرين ركعة اوست ركعات مطلقا ففى الكل فضائل وبعضها تقدم (والعيد) اى ويراعى عيد فطر او اضحى بالتكبير ونحوه (ويستعد له كما للجمعة) من الغسل والتزين والتطيب (ويرجع عن المصلى) اى مصلى العيد حالة الاياب (فى غير طريق الذهاب فهو مروى) اى عن فعله عليه السلام رواه مسلم (والتراويح) اى ويراعيها وهى عشرين ركعة واداؤها سنة مؤكدة (ويختم فيه فهو مأثور) اى عن الصحابة (ويختار الانفراد) عن الجماعة (ان خاف الرياء والجماعة) اى ويختارها (ان خاف الكسل) وقيل الانفراد افضل لقوله عليه السلام

فضل صلوة التطوع فى بيته على صلاته فى المسجد كفضل الصلوة المكتوبة فى المسجد على صلاته فى البيت آدم بن اياس فى كتاب الثواب من حديث ضمرة بن حبيب مرسلا ورواه ابن ابي شيبة فى المصنف فجعله عن ضمرة بن حبيب عن رجل من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم موقوفا وفى سنن ابي داود باسناد صحيح من حديث زيد بن ثابت صلوة المرء فى بيته افضل من صلاته فى مسجدى هذا الا المكتوبة وعن انس صلوة فى مسجدى تعدل بعشرة آلاف صلوة وصلوة فى المسجد الحرام تعدل بمائة الف صلوة والصلوة بارض الرباط تعدل بالف الف صلوة واكثر من ذلك كله الركعتان يصليهما العبد فى جوف الليل لا يريد بهما الا ماعند الله عزوجل ابو الشيخ فى الثواب وذكر ابو الوليد الصفار فى كتاب الصلوة تعليقا من حديث الاوزاعى قال دخلت على يحيى فاسندلى حديثا وهو صلوة فى مسجدى هذا افضل من الف صلوة فى غيره وصلوة فى المسجد الحرام افضل من مائة الف صلوة فى مسجدى وافضل من هذا كله رجل يصلى ركعتين فى زاوية بيته لا يعلمها الا الله وقيل ان الجماعة افضل لفعل عمر رضى الله عنه فانه عليه السلام قد خرج فيها ليلتين اوثلاثا للجماعة ثم لم يخرج وقال خشيت ان تفرض عليكم متفق عليه من حديث عائشة وجمع عمر الناس عليها فى الجماعة حيث امن الوجوب بانقطاع الوحى (وبخير) اى فى صلوة التراويح منفردا اومع جماعة (ان أمنهما) اى الرياء والكسل وانما يخير (لتضمن الجماعة البركة) المشتملة على السرور (والانفراد قوة الحضور) المتضمن لكثرة النور والحاصل ان هذه السنة ليست من الشعائر كالعيدين فالحاقها لصلوة الضحى وتحية المسجد اولى ولم يشرع فيها جماعة نعم صلى عليه السلام التراويح بالجماعة ثم تركها خشية ان تكتب على الامة ثم كان الناس يصلون فرادى وجماعات مختلفة فجمعهم عمر على امام واحد وقال نعمت البدعة اى الحسنة وهى الجماعة المجتمعة المشيرة الى الفة الامة (والكسوف) اى ويراعى صلوة الكسوف وكذا الخسوف وتفصيلهما فى كتب الفقه وقد ورد ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله تعالى والى الصلوة قاله لما مات ولده ابراهيم عليه السلام وخسف الشمس وقال الناس انما كسفت لموته متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة (وكل ماورد) اى ويراعى جميع ماورد من السنة (فيه فضيلة كصلوة الرغائب) وهى فى اول ليلة جمعة من رجب يصلى اثنتى عشرة ركعة بست تسليمات يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة سورة القدر ثلاثا والاخلاص اثنتى عشرة وبعد الفراغ يصلى على النبى عليه السلام سبعين مرة ويدعو بما يشاء وهى بدعة منكرة كما صرح به النووى وغيره وكذا حديث مامن احد يصوم اول خميس من رجب الحديث فى صلوة الرغائب اورده رزين فى كتابه وهو موضوع كما قال العراقى (وليلة النصف من

شعبان وهى) اى صلاتها (مائة ركعة بالاخلاص مائة مرة وكانوا) اى بعض السلف (يواظبون عليها) قال العراقى حديث باطل ولابن ماجه من حديث على اذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها واسناده ضعيف (والاستخارة) اى ويراعى صلوة الاستخارة او دعاءها بعدها (وكان عليه السلام يعلمها تعليم سورة من القرآن) البخارى من حديث جابر وبسطنا الكلام عليه فى شرح الحصن (وركعتى الدخول فى المنزل والخروج) اى ركعتيه (منه) من المنزل فعن ابى هريرة قال عليه السلام اذا خرجت من منزلك فصل ركعتين يمنعانك مخرج السوء واذا دخلت منزلك فصل ركعتين يمنعانك مدخل السوء البيهقى فى الشعب والخزاعى فى مكارم الاخلاق وابن عدى فى الكامل وفى الحديث ايماء الى قوله تعالى * وقل رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق * الآية (وركعتى دفع النفاق فى السر) اى بالخفية بان يصلى ركعتين يقرأ فى الاولى بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون وفى الثانية قل هو الله احد ثم يقول اللهم انى اعوذ بك من النفاق والشقاق وسوء الاخلاق ولم اجده مرويا (وتحيتى الوضوء) اى المسمى بشكر الوضوء وهى قبل جفاف اعضائه (والمسجد) اى اول دخوله قبل جلوسه فتحية الوضوء مستحبة لان الوضوء قربة مقصودها الصلوة ونحوها والاحداث عارضة بعدها وربما يطرو الحدث قبل الصلوة فالمبادرة الى ركعتين استيفاء لمقصود الوضوء قبل الفوت ولئلا يضيع السعى قبل الموت وعرف ذلك بحديث بلال اذ قال عليه السلام دخلت الجنة فرأيت بلالا فيها فقلت يا بلال بم سبقتنى الى الجنة فقال بلال لا اعرف شيئا الا انى لا احدث وضوء الا صليت عقيبه ركعتين متفق عليه من حديث ابى هريرة وتحية المسجد سنة مؤكدة حتى انها لا تسقط فى مذهب الشافعى وان كان الخطيب فى الخطبة يوم الجمعة مع تأكد وجوب الاصغاء الى الخطيب وقد ورد اذا دخل احدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلى ركعتين ابن عدى والبيهقى عن ابى هريرة (ولا يتعين لهما التطوع لحصول المقصود فى غيره) اى غير التطوع (وهو) اى المقصود (صون الوضوء والدخول عن التعطل) اى البطالة عن الطاعة (بل الفرض افضل) من النافلة فان ثوابه اكمل (ولا ينوى الصلوة للوضوء) اى لا يقول نويت ان اصلى ركعتين للوضوء (بل يطلق) اى ينوى صلوة مطلقة (لان الوضوء للصلوة دون العكس) اذ ليست الصلوة للوضوء ولكن لو نوى شكرا لتوفيق الوضوء لا يبعد (ويحترز) عن النافلة (فى الاوقات المكروهة) اى مطلقا عندنا خلافا للشافعى حيث يجيز اداء صلوة لها سبب متقدم كتحية مسجد وشكر وضوء واستثنى الحرم ايضا (ففيها تعبد الاوثان) اى وفيها مضاهاة عبدة الشمس وسائر النيران (وينتشر الشيطان) اى ويكثر الوسواس للانسان وقد ورد ان الشمس لتطلع ومعها قرن الشيطان فاذا طلعت

فارنها

قارنها فاذا ارتفعت فارقها فاذا استوت قارنها فاذا زالت فارقها فاذا تضيقت الغروب قارنها فاذا غربت فارقها النسائى من حديث عبدالله الصنابحى وهو مرسل ومالك هو الذى يقول عبدالله الصنابحى ووهم فيه والصواب عبدالرحمن ولم ير النبى صلى الله عليه وسلم (وفى الكف) اى الامتناع عن الصلوة فى الاوقات المكروهة وهى بعد طلوع الفجر الى طلوع الشمس وبعد صلوة العصر الى غروبها وبعد غروبها قبل اداء المغرب وكذا الاوقات المحرمة (يتجدد الشوق الى العبادة) ويرتفع عنه نوع من الملالة وقد كره دخول المسجد على غير وضوء او تيمم وان دخل لعبور ضرورة اوجلس فى اوقات مكروهة فليقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر يقولها اربع مرات فيقال انها عدل ركعتين فى الفضل ولعله مأخوذ مما ورد اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا وفسر الرياض بالمساجد والرتع بالكلمات المذكورة على ما تقدم والله سبحانه اعلم ثم هذه الاوراد لانواع السالكين من الزهاد والعباد فى استعداد زاد المعاد (اما العارف المستغرق همه فيه تعالى) اى فى ورد محبته وورد الحضور فى حضرته (فورده الحضور) اى حضور القلب فى ذكر الرب فى جميع المراتب (بعد الفرائض والرواتب ويفرق) اى هذا العارف فى علو المناقب (بان لايهم بمعصية) اى لايقصدها (ولا يغتر بطاعة) اى لايكسلها (ولاينزعج بمصيبة) اى لايتزلزل ولايجزع ولايفزع بموت الاولاد والاحفاد وسائر الاقارب من الاخوان والخلان وذهاب الاموال وتغير الاحوال من الامراض وسائر شدائد الاهوال (ولاينقلب) عن حاله ومقامه (بامر عظيم) كالقحط وفتنة البلاد وسائر البلايا العامة للعباد وهو الكريم الرحيم السميع العليم *

الباب الثانى فى الانفاق والقناعة

(بسم الله الرحمن الرحيم) انفق فى الطاعة واعتنق بالقناعة فيما قسم لى الى قيام الساعة (ورد) اى فى التنزيل (ومن يوق شح نفسه) اى يحفظ ويصن بخلها فيما يجب عليها (الآية) وهى فاولئك هم المفلحون اى الناجون من النار والفائزون بالجنة اذ مانعوا الزكوة هم الظالمون اى الواضعون الاشياء فى غير موضعها (والذين يكنزون الذهب والفضة) اى يجمعونها (ولاينفقونها فى سبيل الله) اى وزكوتها لايخرجونها (الآية) اى فبشرهم بعذاب اليم * وفيه تهكم عظيم * يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم * لتعبسهم على الفقراء * وجنوبهم * لتكبرهم على الضعفاء * وظهورهم * لاعراضهم عن العلماء والصلحاء ويقال لهم بلسان القال او بيان الحال * هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون * قال الاحنف بن قيس كنت فى نفر من قريش فمر بنا ابوذر فقال بشر الكافزين

بكى فى ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكى من قبل اقفائهم يخرج من جباههم وعن ابى ذر انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى ظل الكعبة فلما رآنى قال هم الاخسرون ورب الكعبة فقلت من هم فقال الاكثرون اموالا الا من قال بالمال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم متفق عليه (السخى قريب من الله تعالى والبخيل بعيد من الله تعالى) رواه الترمذى عن ابى هريرة والبيهقى عن جابر والطبرانى فى الاوسط عن عائشة بلفظ السخى قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار (تعس عبد الدينار وعبد الدرهم) اى هلك والحديث كذا فى صحيح البخارى وفى رواية الترمذى عن ابى هريرة بلفظ لعن (والفقه) اى الحكمة والسر فى تشريع الانفاق (الابتلاء فى دعوى حبه تعالى وترك الدنيا) اى محبتها فانها لا تجتمع مع محبة المولى فان المحبة لاتقبل الشركة ولاتقدر بالجنة وانما يمنعن درجة الحب بمفارقة المحبوبات والاموال محبوبة عند الخلق لانها آلة تمتعهم بالدنيا وشهواتها وبسببها يأنسون بهذا العالم الدنيوى ولهواتها وينفرون عن الموت مع لقاء المحبوب فى الجنة وسائر لذاتها فامتحنوا بتصديق دعواهم واستنزلوا عن المال الذى هو معشوقهم ومهواهم ولذا قال تعالى* ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة * وذلك بالجهاد وهو مسامحة بالمهجة شوقا الى لقاء المولى والمسامحة بالمال اهون فبذله اولى (وظهور المراتب فيهما) اى دعوى المحبة فقد قيل ما ايسر الدعوى وما اعسر المعنى (فالسابق كالصديق حيث ما ابقى شيئا) اى لادرهما ولادينارا وتبعه جماعة من اهل التوفيق فى ابائهم ان يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم بل فرقوا جميع مالديهم لئلا ينسب حب غيره سبحانه اليهم حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكاة فى مائتى درهم فقال اما على العوام فى حكم ظاهر الشرع فخمسة دراهم واما نحن فيجب علينا بذل الجمع (والمقتصد كالفاروق حيث ابقى النصف) اى واعطى النصف واصل الحديث جاء ابوبكر بجميع ماله وعمر بشطر ماله فقال عليه السلام لعمر ماذا ابقيت لاهلك فقال مثله فقال لابى بكر ماذا ابقيت لاهلك فقال الله ورسوله رواه ابوداود والترمذى والحاكم وصححاه من حديث عمر وفى رواية يونس عن الحسن انه قال لهما مابين صدقيكما كما بين كلاميكما (والقاصر هو المقتصر على الواجب) اى على اعطاء قدره من غير زيادة فى اجره وفى كلام المصنف تلويح الى قوله تعالى * ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير * فتحتمل ان يقال القاصر المقصر انه الظالم على نفسه وغيره اذ الظالم هو مانع الزكوة ونحوه والعوام اقتصروا على قدر الواجب لبخلهم بالمال وجهلهم

بالمآل وضعف حبهم بالمولى وشدة ميلهم الى الدنيا قال تعالى * ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج اضغانكم * ومعنى يحفكم يستقص عليكم فكم بين عبد استبدل منه نفسه وماله بان له الجنة وبين عبد لايستقصى عليه لاجل بخله وهناك درجة اخرى دون الدرجتين الاوليين وهم المسكون اموالهم بعد اخراج الواجبات المراقبون لاوقات الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم فى الادخار الانفاق على قدر الحاجة والقناعة دون التنعم والرفاهة وصرف الفاضل عن الحاجة الى وجوه المبرة وطريق المسرة وقد ذهب جماعة من التابعين الى ان فى المال حقوقا سوى الزكوة كالنخعى والشعبى وعطاء ومجاهد قال الشعبى بعد ان قيل له هل فى المال حق سوى الزكوة قال نعم اما سمعت قوله سبحانه وتعالى * وآتى المال على حبه * الآية تمامها * ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب واقام الصلوة وآتى الزكوة * حيث عطف آتى الزكوة على آتى المال واستدلوا بقوله عز وجل * ومما رزقناهم ينفقون * وبقوله * وانفقوا مما رزقناكم * وزعموا ان ذلك غير منسوخ بآية الزكوة بل داخل فى حق المسلم على المسلم ومعناه انه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا ان يزيل حاجته فضلا عن مال الزكوة ولايبعد حمله على صدقة الفطر والاضحية ونفقة ذوى الرحم المحرم والله سبحانه اعلم (وتنقية الباطن) اى ومن جملة الحكمة فى الانفاق تنظيف القلب وتخليته (عن البخل) فورد ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه الطبرانى فى الاوسط عن انس (وتحليته) اى تزيين الباطن وتحسينه (بالشكر) اى بشكر النعمة وقد قال تعالى * لئن شكرتم لأزيدنكم * وما انفقتم من شيء فهو يخلفه (وهو) اى ما ذكر من التنقية والتحلية اوالانفاق انما يحصل (بقلع اسباب الحرص كحب عين المال) لالغرض يحصل منه (وهو) اى حب عين المال (مرض مزمن) اى لا دواء له فى الزمن حيث لا ينفعه لفوات اغراضه واعواضه من المال (والشهوات) وكحب سائر الشهوات كما اشار اليه قوله تعالى * زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب (وطول الامل) عطف على حب اى وكطول الامل بتوهم طول الاجل فانه يورث الملل عن العمل قال تعالى * ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون (وخوف الفقر) قال عز وعلا * الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم (وقلة الوثوق بمجيء الرزق) وقد قال سبحانه * وكأين من دابة لاتحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم * وقد ورد لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا احمد والترمذى وابن ماجه والحاكم عن عمر (وهم الولد

فورد الولد مبخلة) تمامه مجبنة ابو يعلى فى مسنده عن ابى سعيد وابن ماجه من حديث عبد الله بن سالم والحاكم وصححه ومعنى مبخلة ان يحمل ابويه على البخل فيدعوهما اليه فيبخلان لاجله ومعنى مجبنة ان يحمل اباه على ان يجبن عن الحروب استبقاء لنفسه من اجله ﴿ وطريقه ﴾ اى الطريق المحمود فى الانفاق احد عشر او طريق قلع اسباب الحرص (التوسط فى النفقات) قال تعالى * والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما (فالقصد) اى الاقتصاد والتوسط واعتدال الحالات (فى الفقر والغنى عد من المنجيات) وورد ما عال من اقتصد الديلمى عن ابى امامة مرفوعا والبيهقى فى الشعب عن ابن عمر مرفوعا الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة (وتقليل الشهوات) اى الموجب لتقليل النفقات وهو المعبر عنه بالقناعة فى بعض العبارات (والوثوق باصابة الرزق المقدر) فقد قال تعالى * نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدنيا * قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا * وورد فى حديث مشهور واعلم ما اخطأك لم يكن ليصيبك وما اصابك لم يكن ليخطئك (ومعرفة عز القناعة) فورد القناعة كنز لا ينفد وفى رواية مال لا ينفد وفى اخرى كنز لا يفنى القضاعى عن انس والطبرانى فى الاوسط من حديث جابر ولفظه القناعة مال لا ينفد وكنز لا يفنى وفى القناعة احاديث لا تحصى وقد قيل من قنع شبع منها قوله عليه السلام ابن آدم عندك ما يكفيك وانت تطلب ما يطغيك ابن آدم لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع ابن آدم اذا اصبحت معافى فى سربك آمنا فى بدنك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء اى التراب * ابن عدى والبيهقى عن ابن عمر وفى رواية لهما عن ابى هريرة اذا اشتد كلب الجوع فعليك برغيف وجرعة من ماء القراح وقل على الدنيا واهلها الدمار روى ابن المبارك عن الاوزاعى مغضلا ما ابالى ما رددت به عنى الجوع وما احسن مقال بعض اهل الحال *

(شعر) وما هى الا جوعة قد سددتها * وكل طعام بين جنبى واحد *

وعن سمرة مرفوعا ارض من الدنيا بالقوت فان القوت لمن يموت كثير العسكرى ولله در الناظم

(شعر) عزيز النفس من لزم القناعه * ولم يكشف لمخلوق قناعه

وفى الحديث اللهم قنعنى بما رزقتنى وبارك لى فيه وفسر قوله تعالى * فلنحيينه حيوة طيبة * بالقناعة والقيام بالطاعة وقوله قد افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه احمد ومسلم والترمذى وابن ماجه عن ابن عمر وقوله ما قل وكفى خير مما كثر والهى ابو يعلى والضياء عن ابى سعيد وقوله خيار امتى القانع وشرارهم الطامع القضاعى (وذل الطمع) اى ومعرفته وهو الاحتياج الى الغير من غير ضرورة وقد ورد لا يحل لمؤمن ان يذل نفسه قال تعالى * ولله العزة ولرسوله وللمؤمنون * وهو ينشأ من عدم القناعة وورد

عن عمر رضى الله عنه ان الطمع فقر وان اليأس غنى وان المرء اذا ايس عن شئ استغنى عنه احمد فى الزهد وابن ابى الدنيا فى القناعة والعسكرى فى المواعظ وروى ان رجلا من الانصار قال يارسول الله اوصنى واوجز لى قال عليك باليأس مما فى ايدى الناس واياك والطمع فانه فقر ابونعيم (والتأمل فى ذم البخيل ومدح السخى) اذهما فى فى جبلة كل احد من العالى والدنى (وما ورد فيهما) اى من احاديث النبى كقوله عليه السلام السخاء شجرة من اشجار الجنة اغصانها متدليات فى الدنيا فمن يأخذ بغصن منها قاده ذلك الغصن الى الجنة والبخل شجرة من اشجار النار اغصانها متدليات فى الدنيا فمن اخذ بغصن من اغصانها قاده ذلك الغصن الى النار الدارقطنى فى الافراد والبيهقى عن على والاربعة عن ابى هريرة وكقوله خلقان يحبهما الله وخلقان يبغضهما الله فاما اللذان يحبهما الله فالسخاء والسماحة واما اللذان يبغضهما الله تعالى فسوء الخلق والبخل البيهقى عن ابن عمر وكقوله تعالى مامن العباد يصبح الا وملكان ينزلان فيه فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا (واموال الانبياء والاولياء) اى وفى اموالهم واخلاق سائر البخلاء والاسخياء (واختيار التشبه بهم) اى بالاصفياء فمن تشبه بقوم فهو منهم (لا بالمتنعمين من الكفار والحمقى) اى من الجهلة والفجار وقد قال تعالى * انهم كانوا قبل ذلك مترفين * اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا * وورد اشبعكم فى الدنيا اجاعكم فى العقبى (والتسخى) اى تكلف السخاوة والتشبه بجنس السخى (وخداع النفس بالصبيت) اى بحسن الثناء عند الناس والجاه والوجاهة فى مقام الايناس (والمكافاة) اى ويتصور المكافاة فوردتهادوا تحابوا (ثم ازالة الرياء بعد الاعتياد) اى بعد تعوده بالسخاء فان الرياء فى الابتداء قنطرة الاخلاص فى الانتهاء كما ان المجاز قنطرة الحقيقة حكى ان ذا القرنين اتى على امة من الامم ليس فى ايديهم شئ مما يتمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورا فاذا اصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها من الحفور فصلوا عندها بالحضور ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد فيض لهم فى ذلك معايش من نبات الارض فارسل ذو القرنين الى ملكهم فقال له اجب الملك ذا القرنين فقال مالى حاجة فاقبل اليه ذو القرنين فقال ارسلت اليك لتأتينى فابيت فها انا جئت فقال لو كان لى اليك حاجة لاتيتك فقال ذو القرنين مالى اراكم على حالة لم ار احدا من الامم عليها قالوا وما ذاك قال ليس لكم دنيا ولاشئ من البناء ولا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بها قالوا انما كرهناهما لان احدا لم يعط شيئا منهما الا اتاقت نفسه ودعته الى ما هو افضل منه فقال مالكم احتفرتم قبورا فاذا اصبحتم تعهدتموها فكنستموها وصليتم عندها قالوا اردنا اذا نظرنا اليها واملنا الدنيا منعنا قبورنا من الامل قال واراكم لاطعام لكم الا البقل

من الارض افلا اتخذتم البهائم من الانعام فاملتموها وركبتموها قالوا كرهنا ان نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا فى نبات الارض بلاغا وانما يكفى ابن آدم ادنى العيش من الطعام وان ماجاوز الحنك لم نجد له طعما كائنا ما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الارض يده فتناول جمجمة فقال ياذا القرنين اتدرى من هذا قال لا ومن هو قال فذلك ملك من ملوك الارض اعطاه الله سلطانا على اهلها فغشم وظلم وعتا فلما رأى الله ذلك منه قصمه بالموت فصار كالحجر الملقى قد احصى الله عليه عمله حتى يجزيه به فى الآخرة ثم تناول جمجمة اخرى بالية فقال ياذا القرنين هل تدرى من هذا قال لا ومن هو قال هذا الملك ملك بعده قد كان يرى ما يصنع الذى قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع لله وامر بالعدل فى اهل مملكته فصار كما ترى وقد احصى الله عمله فى دنياه حتى يجزيه فى اخراه ثم اهوى الى جمجمة ذى القرنين فقال هذه الجمجمة قد كانت كهاتين فانظر ياذا القرنين ما انت صانع فقال له ذو القرنين هل لك فى صحبتى ما تجدك اخا ووزيرا وشريكا ومشيرا فقال ما اصلح انا وانت فى مكان قال ولم قال من اجل ان الناس كلهم لك عدو ولى صديق قال ولم يعادونى قال يعادونك على ما فى يدك من الملك والمال ولا احد يعادينى لما عندى من الحاجة وقلة الشئ والفاقة فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا ومتعظا (وكثرة ذكر الموت) فانه يهون السخاوة قبل الفوت (والاعتبار بالسالفين) اى الاتعاظ بالسابقين من اهل الاموال فى تركهم الدنيا عند الموت فكذا حكم اللاحقين وقد قال تعالى * ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين * ومن هنا قالوا طلبنا العلم لغير الله فابى ان يكون الا لله (وزيارة القبور) فانها تذكر العقبى وتزهد فى الدنيا وفيها عبرة لارباب الصدور وروى اذا تحيرتم فى الامور فاستعينوا باهل القبور (والاصل فيه) اى فى طريق الانفاق من توسطه المحمود بالاتفاق (الصبر) اى عن المستلذات الفانية (وقصر الامل) اى باستعداد زاد الدار الباقية وورد عن على قال انما اخشى عليكم باثنتين طول الامل واتباع الهوى فان طول الامل ينسى الآخرة وان اتباع الهوى يصد عن الحق وان الدنيا قد ارتحلت مدبرة والآخرة مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل ابن المبارك واحمد فى الزهد (والعلم بآفات المال) اى تغيراته فى المآل وانقلاباته فى اسوء الحال فقد روى عن جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى عليه السلام فقال اكون معك واصحبك فانطلقا فانتهيا الى شاطئ نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة ارغفة فاكلا رغيفين وبقى رغيفة فقام عيسى الى النهر فشرب ثم رجع ولم يجد الرغيف فقال للرجل لم اجد الرغيف فقال لا ادرى قال فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية

معها

معها خشفان لها فدعا احدهما فاتاه فذبحه فاشتوى منه فاكل هو وذلك الرجل ثم قال للخشف قم باذن الله فذهب فقال اسألك بالذى اراك هذه الآية من اخذ الرغيف قال ما ادرى ثم انتهيا الى وادى ماء فاخذ عيسى عليه السلام بيد الرجل فمشيا على الماء ثم جاوزا قال اسألك بالذى اراك هذه الآية من اخذ الرغيف قال لا ادرى فانتهيا الى مفازة فجلسا فاخذ عيسى عليه السلام ترابا وقال كن ذهبا باذن الله فصار ذهبا فقسمه ثلاثة اثلاث فقال ثلث لى وثلث لك وثلث لمن اخذ الرغيف قال فانا اخذت الرغيف قال فكله لك وفارقه عيسى عليه السلام فانتهى اليه رجلان فى المفازة ومعه المال فارادا ان يأخذاه منه ويقتلاه فقال هو بيننا اثلاثا قال فابعثوا احدكم الى القرية حتى يشترى طعاما فبعثوا احدهم فقال الذى بعث لاى شئ اقاسم هؤلاء فى هذا المال لكن اصنع فى هذا الطعام سما فاقتلهما قال ففعله ذلك وقال هؤلاء لاى شئ نجعل لهذا ثلث المال ولكن اذا رجع الينا قتلناه واقتسمناه بيننا قال فلما رجع اليهما قتلاه واكلا الطعام فماتا فبقى ذلك المال فى المفازة واولئك الثلاثة قتلى عنده فمر بهم عيسى عليه السلام فى تلك الحال فقال لاصحابه هذه الدنيا وهذه المال فاحذروها والا فتقتلكم فى المال (وهى) اى آفات المال من البليات (الافضاء الى المهلكات) اى ايصاله الى مهلكات الاخلاق (كالكبر) فانه يغلب على ارباب الاموال (والكذب) اى فى معاملتهم وسائر الاحوال (والعداوة) اى الناشئة من كثرة القيل والقال (وحب الدنيا) وهو رأس كل خطيئة كما رواه البيهقى فى الشعب باسناد حسن الى الحسن البصرى رفعه مرسلا (وافتخام الشهوة) وفى نسخة الشبهة اى ودخوله من غير ملاحظة لحصوله فى الامور المضرة من غير وصول المسرة (والحاجة الى الناس) لضرورة الغنى من معاشرة الخلق فى مباشرة امره بخلاف الفقير فانه غنى بربه عن غيره (والشغل عن الطاعة بالكسب) اى والاشتغال عن العبادة بسبب الكسب كما هو العادة بخلاف المتوكلين من ارباب الارادة (والحفظ) اى وبسبب حفظ الاموال فانه يضيع به ضبط الاحوال (ودفع الحساد) اى وبدفعهم لما فيهم من انواع الفساد (مع احتمال المشاق) فى جمعه ومنعه بالانفاق اذ هلال الدنيا فيه الحساب وحرامها فيه العقاب بل الحجاب الذى هو اشد العذاب (وفوائده) اى والعلم بفوائد المال (وهو الانفاق على النفس للقيام بالطاعة) فيما لابد له منه على طريق القناعة (كالمطعم) وكذا المشرب (والملبس) وكذا المسكن (وما يحتاج اليه) اى الى الانفاق الزائد عليه (كالحج) وكذ العمرة (والغزو) وكذا طلب العلم وتحصيل الصلة (وعلى الغير) من الزوجة والخادم ونحوهما من الاجانب والمحارم فورد افضل الدينار دينار ينفقه على عياله رواه مسلم وكفى بالمرء اثما ان يضيع من يقوت ابوداود وعند مسلم معناه (وهو) اى الانفاق (صدقة الفقير) اى بأى طريقة مع حصول

النية (ومروءة) اى فتوة (للغنى) فى بعض الاحوال الرضية كما بينه بقوله (فى الضيافة) فانها من الشمائل السنية فورد الضيافة على اهل الوبر وليست على اهل المدر القضاعى عن ابن عمر الضيافة ثلاثة ايام فمازاد فهو صدقة احمد وابو يعلى عن ابى سعيد الضيف يأتى برزقه ويرتحل بذنوب القوم الطبرانى عن طارق بن اشيم ضاف ضيف رجلا من بنى اسرائيل وفى داره كلبة مجح (بالحاء المهملة المشددة بعد الجيم) اى قريبة الولادة فقالت الكلبة والله لا انبح ضيف اهلى فعوى جروها فى بطنها قيل ماهذا فاوحى الله الى رجل منهم هذا مثل امة تكون من بعدكم تقهر سفاؤها علماءها (والهدية) فانها من الفضائل البهية وقد ورد الهدية تذهب بالقلب والسمع والبصر الطبرانى عن عصمة بن مالك الهدية تعور عين الحكيم الديلمى عن ابن عباس هدية الله الى المؤمن السائل على بابه الخطيب فى رواية مالك عن ابن عمر (والاعانة) وكذا الاغاثة قال تعالى * وتعاونوا على البر والتقوى * وفى الخبر المشهور من كان فى عون اخيه المؤمن كان الله فى عونه وورد من اغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين مغفرة واحدة فيها صلاح امره كله وثنتان وسبعون له درجات يوم القيمة البخارى فى تاريخه والبيهقى عن انس (فهى) اى المروءة (تحصل الاخوة) اى فى الدين والدنيا وورد المرء كثير باخيه ابن ابى الدنيا عن سهل بن سعد والمرء مع من احب وله ما اكتسب الترمذى عن انس والمرء على دين خليله فلينظر بمن يخالله (والسخاء) لارباب الصفاء واصحاب الوفاء (والفتوة) وهى كمال الرجولية وجمال الانسانية (وورد فيها) اى فى المروة وما يتعلق بها (الاخبار) فانها من اعمال الابرار فورد من المروءة ان ينصت الاخ لاخيه اذا حدثه ومن حسن المماشاة ان يقف الاخ لاخيه اذا انقطع شسع نعله الخطيب عن انس المروءة اصلاح المال الديلمى عن ابن ابان عن انس ليس من المروءة الربح على الاخوان ابن عساكر عن ابن عمر (ووقاية) عطف على صدقة اى محافظة (لدفع الشر) اى من اهل الضر (فهو) اى الانفاق على الغير لدفع الشر (بنفى الغيبة) باللسان (والعداوة) فى الجنان (فورد انها) اى وقايته (صدقة) قال عليه السلام ماوقى به المرء عرضه فهو له صدقة العسكرى والقضاعى من حديث جابر (واستخدام) اى اخذ خادم بالشراء والكراء (لتدبير المعاش فهو) اى الخادم (يفرغ للعبادة) التى هى زاد المعاد (وفى نحو المسجد) اى والانفاق فى نحو عمارة المسجد وترميمها وتنويرها (والجسر) اى معبر العامة او الخاصة فوق البحر او النهر (والرباط) اى الخانات فى البعد عن العمارات او القلاع دفعا للكفرة وارباب الغارات (والحوض والبئر) فى البادان والفلوات والكل من الخيرات والمبرات (فهو) ان الانفاق فى نحو المسجد (يبقى الذكر) اى الثناء الحسن بعد فناء العمر (ويحصل بركة الدعاء) اى

دعوة العامة (وكل منها) اى من فوائد المال (عبادة مستقلة) لا سيما عمارة المساجد فقد قال تعالى * انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر * الآية وورد من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة ابن ماجه عن على زاد الطبرانى عن ابى امامة اوسع منه وفى رواية احمد عن ابن عباس من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة ليبيضها بنى الله له بيتا فى الجنة وفى معنى المسجد المدارس للعلماء والزوايا للصلحاء فعن ابى هريرة من بنى بيتا يعبد الله فيه من حلال بنى الله له بيتا فى الجنة من در وياقوت الطبرانى فى الاوسط (ثم السخى) فى عرف العلماء (من لا يمنع ما يجب شرعا ومروءة) اى طبعا وضده البخيل وهو ما يمنعهما (ومانع الشرع) اى موجبه (البخل) من مانع المروءة (والسخاوة تفارق الايثار) وهو اختيار الغير بالبر (بانه) اى الايثار (بذل مع الاحتياج) اى مع غاية الافتقار اليه والسخاوة مع عدمه فافترقا (وهو) اى الايثار (الافضل) اى افضل من السخاء (فهو من ثلاث خصال يستكمل به الايمان) والخصلة الثانية ان يحب لاخيه ما يحب لنفسه والثالثة ان يأمن جاره بوائقه (وورد) فى مدح الانصار (ويؤثرون على انفسهم) تمامه ولو كان بهم خصاصة اى شدة حاجة وفاقة او مجاعة وضرورة الى ما يؤثرون وفى البخارى عن ابى هريرة ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فاستضافه فبعث الى نسائه فقلن ما معنا الا الماء فقال عليه السلام من يضيف هذا فقال رجل من الانصار انا فانطلق به الى امرأته فقال اكرمى ضيف رسول الله فقالت ما عندنا الا قوت للصبيان فقال هيئى طعامك واصبحى سراجك ونومى صبيانك اذا ارادوا عشاء فهيأت طعامها واصبحت سراجها ونومت صبيانها ثم قامت كأنها تصبح السراج فاطفأته فجعلا يريانه انهما يأكلان فباتا طاويين فلما اصبح غدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضحك الله الليلة او عجب من فعالكما فانزل الله عز وجل ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة واخرج الحاكم عن ابن عمر قال اهدى لرجل من الصحابة رأس شاة فقال ان اخى فلانا وعياله احوج الى هذا منا فبعث اليه فلم يزل يبعث به واحد الى آخر حتى تناول سبعة ابيات حتى رجع الى الاول فنزلت الآية وعن بعض المتعبدات انها وقفت على حبان ابن بلال وهو جالس مع اصحابه فقالت هل فيكم من اسأله عن مسألة فاشاروا الى حبان فقالت ما السخاء عندكم قال العطاء والبذل والايثار قالت هو السخاء فى الدنيا فما السخاء فى الدين قال ان تعبد الله سبحانه متبرعة سخية بها انفسها غير مكرهة قالت افتريدون على ذلك اجرا قال نعم قالت لم؟ قال لان الله تعالى وعدنا بالحسنة عشر امثالها قالت سبحان الله اذا اعطيتم واحدة واخذتم عشرة فبأى شى تسخيتم عليه قال فما معنى السخاء عندك يرحمك الله قالت السخاء عندى ان تعبدوا الله متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لعبادته لا تريدون على ذلك اجرا

حتى يكون مولاكم يفعل مايشاء بكم فى اولاكم واخراكم الا تستحيون من الله ان يطلع على قلوبكم فيعلم فيها انكم تريدون شيئا بشئ ان هذا فى الدنيا لقبيح وقال المحاسبى السخاوة فى الدين ان تسخو نفسك فى محبة ربك ويسخو قلبك ببذل مهجتك واهراق دمك عن سماحة دون كراهة ابتغاء لوجهه غير مريد بذلك عوضا وغرضا عاجلا ولا آجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب لان مولاك يختار لك ما لا يحسن ان تختار لنفسك فى دنياك وآخرتك وفيه تلميح الى قوله سبحانه اى * ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة * الآية (والتبذير) اى السخاوة تفارق التبذير (بانه حيث يجب الامساك) اى المنع من بذله لكونه اسرافا اوفى غير محله اللائق به (وهو حرام) لقوله تعالى * وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا (فورد ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) اى اولياؤهم * وكان الشيطان لربه كفورا * اى جحودا نفورا والمعنى لا تنفق مالك فى المعصية قال مجاهد لو انفق انسان ماله كله فى الحق ما كان تبذيرا ولو انفق بدانق فى الباطل كان تبذيرا ولذا قيل لا سرف فى خير ولا خير فى سرف وقال شعبة كنت امشى مع ابى اسحق فى طريق الكوفة فاتى على جدار بنى بجص وآجر فقال هذا التبذير (لكن البخل افحش) من التبذير لان البخل مطلقا يذم بخلاف زيادة الكرم (والتسخى) اى ويفارق السخاوة التسخى (بانه مع الكراهة) اى بالطبع والجبلة بخلاف السخاوة فانها لا تكون الا مع طيبة النفس والمحبة (والمروءة) اى تفارقها السخاوة (بترك المضايقة) وكان حقه ان يقول بالمضايقة ليكون على منوال المضايقة وفى نسخة والمروءة بالرفع وخبره ترك المضايقة (بالمحقرات فتختلف) المضايقة (باختلاف الاشخاص) اى الذوات الذين يصدر منهم المضايقة اومعهم المضايقة وايضا تختلف باختلاف مابه المضايقة وتفاوت الازمنة والحالات (كالغنى والفقر) فان ترك المروءة فى الغنى اقبح من تركها فى الفقر (والقريب والاجنبى) فان ترك المروءة فى حق الاقارب اقبح من تركها فى حق الاجانب (والجار والاهل) من الزوجة والخادم (والضيف والميت) فى امر تكفينه وتجهيزه وتدفينه وكذا فى حال الغلاء والرخاء والسراء والضراء وكذا تختلف باختلاف الشيخ والصبى والشاب والمرأة والرجل والعاقل والجاهل (فما يستقبح فى احدهما) اى الشخصين او الحالين (لا يستقبح فى الآخر) لتفاوت الامرين (والاولى) فى الانفاق (التوسط) المحمود فى جميع الاخلاق بان يكون متوسطا بين البذل والبخل فيمسك حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب العطاء وانما كان ذلك اولى لان التفريط الذى هو البخل مذموم كالافراط الذى هو التبذير والايثار وان كان حسنا لكن المداومة عليه ربما تؤدى الى الحجر فكان الاولى هو التوسط (فورد ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) اى لا تمسك يدك عن النفقة فى الحق كالمغلولة يده لا يقدر على مدها (ولا تبسطها) اى بالعطاء

(كل البسط) فتعطى جميع ماعندك (فتقعد ملوما محسورا) والملوم الذى اتى ما يلوم نفسه وما يلوم غيره ومحسورا اى منقطعا بك لاشئ عندك وفى المعالم قال جابر اتى صبى فقال يارسول الله ان امى تستكسيك درعا ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا قميصه فقال للصبى من ساعة الى ساعة يظهر فعد وقتا آخر فعاد الى امه فقالت له قل له ان امى تستكسيك الدرع الذى عليك فدخل عليه السلام داره ونزع قميصه فاعطاه اياه وقعد عريانا فاذن بلال بالصلاة وانتظروا فلم يخرج فشغل قلوب اصحابه فدخل عليه بعضهم فرآه عريانا فانزل الله الآية (ومنع العطاء) لاسيما اذا كان فرضا (ان يجعل قبل الوجوب) وهو حولان الحول فى الزكوة ودخول عيد رمضان فى صدقة الفطر (مبادرة الى الايتمار) اى قبول الامر لقوله تعالى * وسارعوا الى مغفرة من ربكم (واسرار المؤمن) فقد قيل ادخال السرور على قلب المؤمن افضل من عبادة الثقلين وعن جابر افضل الاعمال سرور تدخله على مسلم ابن عدى وعن ابن عمر ما من شئ احب الى الله من ادخالك السرور على قلب اخيك المسلم ابن النجار (وتحاميا) اى تحافظا (عن طروق الآفات) اى حدوث طرق الآفات الدنيوية الانسانية والوساوس الشيطانية (ويعين له وقتا فاضلا) اى زمانا كاملا ليكون ذلك سببا لنماء قربته وتضاعف صدقته (كشهر رمضان) فعن انس افضل الصدقة فى رمضان الدارمى فى جزئه وقد كان صلى الله عليه وسلم اجود الخلق واجود مايكون فى رمضان كالريح المرسلة لايمسك فيه شيئا كما فى الصحيحين عن ابن عباس (وذى الحجة) فانه شهر حرام وفيه الحج وموسم الخيرات والمبرات والايام المعلومات وهى العشر الاول والايام المعدودات وهى ايام التشريق وقد قالوا افضل ايام شهر رمضان العشر الاواخر وافضل ايام ذى الحجة العشر الاول (ويسر) اى يخفى العطاء (ان خاف الرياء فورد ان العبد ليعمل سرا فيكتب سرا وان اظهره) لغيره بعد سره (نقل الى العلانية) اى ديوانها (فان تحدث به) اى ثالثا (نقل الى الرياء) الخطيب فى التاريخ من حديث انس نحوه باسناد ضعيف والديلمى عن ابى الدرداء ولفظه ان الرجل ليعمل عملا سرا فيكتبه الله هنده سرا فلا يزال به الشيطان حتى يتكلم به فيمحى من السر ويكتب علانية فان عاد وتكلم الثانية محى من السر والعلانية وكتب رياء وورد ثلاث من كنوز البر منها اخفاء الصدقة ابو نعيم من حديث ابن عباس وصدقة السر تطفئ غضب الرب الطبرانى من حديث ابى امامة وسبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل الاظله احدهم رجل تصدق بصدقة فلم يعلم شماله بما يعلم يمينه متفق عليه من حديث ابى هريرة (وكانوا) اى السلف (يبالغون فيه) اى فى اخفاء الاعطاء (بحيث لا يعرفهم القابض) تحاميا عن السمعة والرياء وتحافظا عن المن والاذى فكان بعضهم يلقيه فى يد الاعمى

وبعضهم كان يصر فى ثوب الفقير وهو نائم وبعضهم كان يوصل الى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطى وكان يستكتم المتوسط بشانه ويوصيه بان لا يفشيه فى زمانه (ويظهر) اى الاعطاء (ان سئل فى ملاء معتصما عنه) اى محفوظا عن الرياء (او امنه) اى او ان امن من السمعة والرياء لاختصاصه بمقام الخواص فى الاخلاص (وقصد الترغيب) لغيره فى باب الاعطاء من الاقتداء (فورد ان تبدوا الصدقات) اى ان تظهروها (فنعماهى) اى فنعمت الخصلة ابداؤها اى اظهار اعطائها (وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) اى من الابداء بالاعطاء (وانفقوا) بصيغة الماضى (مما رزقناهم سرا وعلانية) اى باختلاف الاحوال من الترهيب والترغيب وتفاوت النية واختلاف الطوية او السر مختص بالنوافل والاعلان بالفرائض اوتارة وتارة بحسب ما يليق بالاشخاص والاوقات والحالات كما يشير اليه قوله تعالى * الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون * روى مجاهد عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية فى على بن ابى طالب رضى الله عنه كان عنده اربعة دراهم لا تملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية (ولم يستر القابض) اى لم يكتم ما اخذه بل يظهره ويتحدث به ويدعو لصاحبه فقد ورد من صنع اليكم معروفا فكافؤه فان لم تستطيعوا فادعوا له حتى تروا انكم قد كافأتموه ابو داود والنسائى من حديث ابن عمر باسناد صحيح ومن صنع اليه معروفا فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد ابلغ فى الثناء الترمذى وابن حبان والنسائى عن اسامة ومن صنع الى احد من اهل بيتى يدا كافيته عليها يوم القيامة ابن عساكر عن على (تحاميا عن الهتك) اى احترازا عن انهتاك حرمة شكر النعمة (فورد من لم يشكر الناس لم يشكر الله) الترمذى وحسنه وفى رواية عبد الله بن احمد عن النعمان بن بشير من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر (ويجتنب المن) اى الامتنان فى الاعطاء والاحسان (والاذى) باليد اوباللسان (فورد لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى) اى بكل منهما (وهما) اى المن والاذى على طريق اللف والنشر المرتب (الذكر بالقلب) اى ذكر الصدقة بقلبه (والاظهار) لها (باللسان) فى غيبته اووجهه (والاستخدام) للفقير بالعطاء (والتقريع بالفقر) اى وتعييره بانه من الفقراء (والتكبر بالعطاء) اى لانه من الاغنياء (والتشديد بالقول) اى بان ينهره ويوبخه بانه من الفقراء (والاقرب) اى الى الصواب من بين الاقوال ان يقال (المن) اى هو ان يراه) اى المعطى (محسنا اليه) ومنعما عليه وحقه ان يرى الفقير محسنا اليه بقبول حق الله تعالى عنه الذى هو طهرته وبه عن النار نجاته وانه لو لم يقبله لبقى مرتهنا به فحقه ان يتقلد منة من الفقير فى قبضة

واخذه بيد لطفه ولذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدى الفقير ويمتثل قائما عنده يسأله قبولها حتى يكون هو فى صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهية لو رده وكان بعضهم يبسط كفه ليأخذ الفقير فتكون يد الفقير هى العليا (ويعرف) اى المن (بقوة استبعاد جناية القابض بعد العطاء) اى بترك الخدمة وعدم التعظيم والحرمة والتقديم فى المحافل والمتابعة فى المجالس والمناهل فلو جنى القابض على المعطى فزاد استنكاره علم ان صدقته لم تخل عن شائبة المنة لانه توقع بسببها هنالك ما لم يكن توقعه قبل ذلك (والمحسن) اى فى الحقيقة (هو القابض) اى للصدقة (لايصاله) اى المحسن (الى الثواب والانجاء) اى اخلاصه (عن العقاب وكونه) اى ولكونه (نائبا عنه تعالى فيه) اى فى القبض (فورد انها تقع اولا بيده تعالى) ولفظ الحديث ان الصدقة تقع بيد الله قبل ان تقع فى يد السائل الدارقطنى فى الافراد من حديث ابن عباس والبيهقى فى الشعب (وكونها) اى ولكون الصدقة (حقا له تعالى) اى خاصة اذ ليس له شريك فى ملكه (احال عليه الفقير) على سبيل الرفق (انجازا لما وعده من الرزق) اى وقدره ان يكون على يد الخلق فليتحقق الغنى انه مسلم الى الله سبحانه حقه والفقير آخذ من الله عز وجل رزقه بعد صيرورته مسلما الى الله ولو كان عليه دين الانسان فاحال به عليه صاحب الدين عبده اوخادمه الذى هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مؤدى الدين كون القابض تحت منته سفها وجهلا فان المنة للمحسن اليه المتكفل برزقه فاما هو فقائم بقضاء الدين الذى لزمه بشراء ما احبه فهو ساع فى حق نفسه فلم يمن به على غيره (والاذى) اى والاقرب ان حد الاذى (التعيير والتوبيخ) عطف تفسير او احدهما مختص بالغيبة والآخر بالمشاهدة (والقول السىء) كالذم والشتم وتخشين الكلام (والقطوب) وهو عبوسة الوجه (وهتك الستر) اى بيان اعطائه له فى الملأ حوله (والاستخفاف) اى بقوله (والاستحقار) بفعله (والسبب) اى الباعث على المن والاذى (استكثار العطاء) واستثقاله وهو حمق لان من كره بذل درهم فى مقابلة مايساوى الفا فهو شديد الجهل ومعلوم انه يبذل المال لطلب رضاء المولى وللثواب فى دار العقبى فلا وجه لكراهيته اصلا (والتكبر على القابض الناشئان من الجهل) الحاصلان الحادثان من جهله (باستثقال رضائه تعالى على خسيس فان) اى فى اصل بنائه كما تقدم (ونسيان فضل الفقير) اى ومن نسيان فضله لانه لو عرف فضل الفقر على الغناء وعرف خطر الاغنياء وحظ الفقراء لما استحقر الفقير بل يتبرك بخدمته ويتمنى ان يكون فى درجته فصلحاء الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام فقد ورد فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل اغنيائهم بخمسمائة عام الترمذى عن ابى سعيد (والمراد) اى بالبطلان فى قوله تعالى * لاتبطلوا صدقاتكم (عدم كون ذلك الاعطاء صدقة) اى مقبولة نافعة كل

المنفعة اوصدقة مضاعفة بان يكون كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبله مائة حبة (لا الابطال) اى الحقيقى فلا يكون له ثواب الصدقة بالكلية ولاحبة كما يقوله المعتزله وعلى التنزل فيكون له ثواب الاحسان لانه احسن الى احد من الاخوان (فهو) اى الابطال من جميع الاحوال (ممنع) فى صحيح الاقوال (ويستصغر) اى من حق العطاء ان يستحقر (الاعطاء ليعظم عند تعالى) فيصير حبة مثل جبل احد ويقال ان الطاعة كلما استصغرت كبرت وكلما استعظمت صغرت (وهو) اى استصغاره انما يحصل (بذكر التوفيق) بان يتأمل بعين التحقيق انه من اين له المال والى ماذا يصرفه فى المآل فالمال لله وله المنة اذا اعطاه اياه ثم وفقه لبذله وصانه عن بخله فلم يستعظم فى حق الله تعالى ما عين من بعض حقه وهذا ان ارتقى الى الدرجة العليا بان يكون بذله فى محبة المولى (والثواب) اى وبالاجر والمثوبة ان كان مقامه يقتضى ان ينظر الى الآخرة ومثوبة العقبى فلم يستعظم بذل ما ينتظر عليه اضعافه مع انه بخيل باعطاء بعض ماله فكان ينبغى ان يخجل فى اعماله من نقصان كماله باعتبار مآله وهذا معنى قوله (ويؤدى مستحييا منه تعالى) فهو عطف بالمعنى على بذكر التوفيق فالتقدير وهو بان يذكر التوفيق وان يؤدى مستحييا منه سبحانه فى مقام التحقيق (للبخل الحامل على الحفظ) اى على امساك بقية ماله عن مرضاة مالكه (اجود المال) مفعول يؤدى اى يعطى احسن المال (وابعده من الشبهة) اى واقربه الى الحلال (فورد انفقوا من طيبات ماكسبتم) تمامه ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه * اى لا تأخذونه الامع كراهة وحياء وفى الخبر سبق درهم مائة الف درهم النسائى وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابى هريرة وذلك بان يخرجه من اجل ماله واجوده فيصدر ذلك عن الرضاء والفرح ببذله وقد يخرج مائة الف درهم مما يكره من ماله فيدل ذلك على انه ليس يؤثر الله عز وجل بشئ مما يحبه كذا فى الاحياء ويحتمل ان يكون معناه ان لاحد درهمين فاخرج درهما وللآخر سبعمائة الف درهم فاخرج مائة الف درهم فتصدق عليه انه غلب درهم مائة الف درهم بحسب الرتبة فى مقام الكرم والله سبحانه اعلم ثم رأيت فى رواية النسائى عن ابى ذر سبق درهم مائة الف درهم رجل له درهمان اخذ احدهما فتصدق به ورجل له مال كثير فاخذ من عرضه مائة الف درهم فتصدق بها وفى رواية الطبرانى عن ابى مالك الاشجعى ثلاثة نفر كان لاحدهم عشرة دنانير فتصدق بدينار وكان لآخر عشر اواق فتصدق منها باوقية وكان لآخر مائة اوقية فتصدق منها بعشر اواق هم فى الاجر سواء كل قد تصدق بعشر ماله (حتى تنفقوا مما تحبون) فى قوله تعالى * لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون * فينبغى ان ينفق من ماله اجوده واحبه واحله واطيبه فورد ان الله طيب لايقبل الا طيبا اخرجه مسلم

عن ابي هريرة وطوبى لعبد انفق من مال اكتسبه من غير معصية ابن عدى والبزار (ولانه تعالى يأخذها فورد ويأخذ الصدقات) اى فى قوله تعالى * وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات * (فلا يدخل) تفريع لقوله يؤدى اجود المال اى متى لا يدخل فى المثال (فيما ورد) من ذم الكفار (ويجعلون لله مايكرهون) اى من البنات حيث قالوا الملائكة بنات الله وتمامه * وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى * وهى الصبيان (لمن يكثر) متعلق بيؤدى اى يخص اعطاءه لمن يكثر (اعطاؤه الاجر بكونه متقيا) والاتقياء هم المعرضون عن الدنيا المتجرون تجارة العقبى فقد قال تعالى * ان اكرمكم عند الله اتقيكم * وورد لا تأكل الا طعام تقى ولا يأكل طعامك الا تقى ابو داود والترمذى من حديث ابى سعيد واطعموا طعامكم الاتقياء ابن المبارك فى البر والصلة من حديث ابى سعيد الخدرى وهذا لان التقى يستعين به على التقوى فيكون شريكا له فى طاعة المولى (وعالما) فان ذلك اعانة له على العلم والعلم اشرف العبادات (فورد وتعاونوا على البر والتقوى) وورد اصب بطعامك من يحبه الله وفى لفظ من تحبه فى الله ابن المبارك وابو جويبر عن الضحاك مرسلا وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه اهل العلم فقيل له لو عممت فقال انى لا اعرف بعد مقام النبوة افضل من مقام العلماء فاذا اشتغل قلب احدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقدر على التعليم فتفريغهم للعلم افضل وكان بعضهم يؤثر فقراء الصوفية بالعطاء دون غيرهم فقيل لو عممت بمعروفك جميع الفقراء كان افضل فقال هؤلاء قوم همهم الله سبحانه فاذا طرقتهم فاقة تشتت همهم اوهم احدهم فلان أردهم واحد منهم الى الله احب الى من اعطاء الف من همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه وقال هذا ولى من اولياء الله ما سمعت منذ زمان كلاما احسن من هذا وهذا معنى قول المصنف (وصادقا) اى فى تقواه وعلمه بتوحيد مولاه حال كونه (يرى النعمة منه تعالى) اى ولم ينظر الى واسطته وتكون همته الله لا ماسواه ففى وصية لقمان لابنه لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما ومن شكر غير الله سبحانه فكأنه لم يعرف المنعم وسلطانه ولم يتيقن ان الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله اياه اذ سلطه الله تعالى عليه دواعى الفعل ويسر له الاسباب فاعطى وهو مقهور ولو اراد تركه لم يقدر عليه بعد ان القى الله عز وجل فى قلبه بان صلاح دينه ودنياه فى فعله فمن تيقن هذا لم يكن له نظر الا الى مسبب الاسباب وتيقن مثل هذا العبد انفع للمعطى من ثناء غيره وشكره فذلك حركة فى اللسان يقل جدواه فى اكثر الزمان واعانة مثل هذا الموحد لا تضيع ولا تقع فى مقام النقصان واما الذى يمدح بالعطاء ويدعو بالخير فسينذم بالمنع ويدعو بالشر عند الاباء من الاعطاء فاحواله متفاوتة فى السراء والضراء وفى هذا المقام قال عليه السلام لرجل تب فقال اتوب الى الله ولا اتوب

الى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله احمد والطبرانى من حديث الاسود بن سريع بسند ضعيف ولما نزلت براءة عائشة رضى الله عنها فى قصة الافك قال ابو بكر رضى الله عنه قومى فقبلى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا والله لا افعل ولا احمد الا الله عز وجل فقال عليه السلام دعها يا ابابكر وفى لفظ آخر انما قالت لابى بكر بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك فلم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ان الوحى وصل اليها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا فى الاحياء وقال العراقى رواه ابو داود ومن حديث عائشة بلفظ فقال ابواى قومى فقبلى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت احمد الله لا ايا كما وللبخارى تعليقا فقال ابواى قومى فقلت لا والله لا اقوم اليه ولا احمده ولا احمدكما ولكن له ولمسلم فقالت لى امى قومى اليه فقلت والله لا اقوم اليه ولا احمد الا الله وللطبرانى فقالت بحمد الله لا بحمد صاحبك وله من حديث ابن عباس فقالت لا بحمدك ولا بحمد صاحبك وله من حديث ابن عمر فقال ابو بكر قومى فاحتضنى رسول الله فقالت لا والله لا ادنو منه الحديث وفيه انها قالت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بحمد الله لا بحمدك ثم اعلم ان رؤية الاشياء من غير الله تعالى وصف للكافرين قال تعالى * واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذاهم يستبشرون * ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط الا من حيث انهم وسائط فكأنه لم ينفك عن الشرك الخفى سره فليتق الله سبحانه فى تصفية توحيده فى مراتبه عن كدورات الشرك الخفى وشوائبه ومع هذا من لا يرى الواسطة واسطة فقد جهل وانما المنكر من يرى الواسطة اصلا وهذا مرتبة جمع الجمع فى التحقيق والله ولى التوفيق (وساترا لحاجته) اى ومخفيا لفاقته لايكثر البث والشكوى فى مضرة حالته (فورد يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف) تمامه * تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا * اى الحاحا وتصريحا بل تعريضا وتلويحا او لايسألون اصلا فالنفى منصب على القيد والمقيد كقوله سبحانه * ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع * حيث لا شفيع لهم اصلا وقطعا وذلك لانهم اغنياء بيقينهم واعزة بصبرهم وتمكينهم فورد ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس متفق عليه من حديث ابى هريرة (ومعيلا) بضم الميم اى عاجزا عن نفقة اهله (ومريضا) اى محبوسا لمرض مانع له من كسبه (فورد للفقراء) اى خصوا صدقاتكم للفقراء (الذين احصروا فى سبيل الله) اى حبسوا فى طريق الآخرة لعيلة اوضيق معيشة او اصلاح قلب فى علم وعبادة تمامه * لايستطيعون ضربا فى الارض * اى سيرا فيها للتجارة والزراعة والامارة ونحوها فبهذه الاسباب كان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه يعطى اهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها وكان عليه السلام يعطى العطاء على

قدر العيلة كذا فى الاحياء قال العراقى لم اجد له اصلا لكن لابى داود من حديث عوف بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اتى الفيء قسمه فى يومه ويعطى الاهل حظين ويعطى العزب حظا وقال احمد حديث حسن اقول فكأن الغزالى نقل بمعناه لعدم استحضار مبناه او اطلع على ما لم يجده غيره بعده وورد ان المعونة تأتى من الله للعبد على قدر المؤنة وان الصبر يأتى من الله على قدر المصيبة الحكيم والحاكم والبزار والبيهقى عن ابن عمر وسئل عمر رضى الله عنه عن جهد البلاء فقال كثرة العيال وقلة المال قلت وضعف الحال والا فارباب الكمال لو كان الخلق كلهم عياله ولم تنزل قطرة ولم تنبت حبة بجماله ما يبالون فان خالقهم رازقهم وواعدهم صادقهم (وذا رحم فجاء ان الصلة) اى صلة الرحم (بدرهم اجب من التصدق بعشرين الى الاجنبى) فعن على لان اصل احدنا من اخوانى بدرهم احب الى من ان اتصدق بعشرين درهما ولان اصله بعشرين درهما احب الى من التصدق بمائة درهم ولان اصله بمائة درهم احب الى من ان اعتق رقبة واما الاصدقاء واخوان الخير فيقدمون على المعارف كما تقدم الاقارب على الاجانب وقد ذكر السيوطى فى خصائصه ثواب الصدقة خمسة انواع واحدة بعشرة وهى على صحيح الجسم وواحدة بسبعين وهى على الاعمى المبتلى وواحدة بتسعمائة الف على ذى قرابة محتاج وواحدة بمائة الف على الابوين وواحدة بتسعمائة الف على عالم او فقيه (والاولى طلب الجامع اياها) اى طلبه لمن جمع فيه الصفات المذكورة والحالات المسطورة (او اكثرها) فان ما لا يدرك كله لا يترك كله وبقدر ما يتعنى يحصل له ما يتمنى فان وجد من جميع هذه المراتب فى اعلى المناقب فهى الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى (ويتصدق كل يوم) اى ليكتب فى المتصدقين وقد ورد باكروا بالصدقة فان البلاء لا يتخطى الصدقة الطبرانى فى الاوسط عن على والبيهقى عن انس (ولا يرد سائلا) فورد ردوا السائل ولو بظلف محرق مالك واحمد والبخارى فى تاريخه والنسائى عن هوابنت السكن وفى رواية العقيلى عن عائشة ردوا هذمة السائل اى بغيته وشهوته ولو بمثل رأس الذباب العقيلى عن عائشة ولعله مقتبس من قوله تعالى * فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره (فيسكت ان لم يقدر) على العطاء (وهو المأثور) فعن محمد بن الحنفية مرسلا انه عليه السلام كان لا يكاد يقول بشىء لا فاذا هو سئل فاراد ان يفعل قال نعم وان لم يرد ان يفعل سكت رواه ابن سعد ورواه الحاكم عن انس كان عليه السلام لا يسأل شيئا الا اعطاه او سكت (الا بلطف) وهو المشهور عن الجمهور (فورد قول معروف) اى كلام حسن ورد على السائل مستحسن وقيل عدة حسنة وقيل دعوة صالحة (ومغفرة) اى ستر خلة او سد فاقة ورفع حاجة (خير من صدقة) يدفعها اليه حال كونه (يتبعها اذى) اى يعقبها به لديه او من عليه والاولى

ان يستدل بقوله تعالى * واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا * اى ذا يسر ولين وهى العدة اى فعدهم وعدا جميلا وقيل ادع لهم دعاء جزيلا نحو يرزقنا الله واياك واعطانا الله واعطاك (ولا ينهر) اى ومن حق العطاء انه لا يزجره ولا يقهره وبه فسر قوله تعالى * واما السائل فلا تنهر * اى اذا سألك فاما ان تطعمه طعاما لينا واما ان ترده رداهينا (فاوعد فيه العذاب الف عام فى النار) لم اعرف له اصلا (ويغتنم السؤال) بالمصدر اى سؤال الفقير على بابه فانه هدية من الله الى جنابه كما ورد فيما تقدم ويحتمل ان يكون السؤال على وزن الجمال جمع سائل فعن ابراهيم بن ادهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وعن ابن عمر مرفوعا هدية الله الى المؤمن السائل على بابه رواه الخطيب (ويسىء الظن بنفسه عند فقده) اى عند عدم وجدان السائل فى باب انسه (ولا يتوقع) اى لا يطمع من الفقير حين اعطاه عطاء ان يجازيه (جزاء ودعاء وشكرا وثناء) قال تعالى حكاية عن الابرار * ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا (ويكافىء) بالهمز اى يجازى المعطى (بمثله) بنظير دعاء الفقير (ان دعا له بالخير) ونحوه من الجزاء (اوائنى) عليه بان مدح فى مقابلة العطاء وكانت عائشة ام المؤمنين كثيرة الخيرات والمبرات قال عروة بن الزبير لقد تصدقت بخمسين الفا وان درعها لمرقع وكانت هى وام سلمة اذا ارسلتا معروفا الى فقير قالتا للرسول احفظ ماذا يدعو به ثم كانتا تردان عليه مثل قوله وتقولان هذا بذاك حتى تخلص لنا صدقتنا فكانوا لا يتوقعون الدعاء لانه يشبه المكافاة وهكذا فعل عمر وابنه رضى الله عنهما (ويجعلها) اى ثواب صدقته (لوالديه الماضيين) اى المتوفيين فانهما ينتظران دعوة تلحقهما او صدقة تصيبهما فعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ما على احدكم اذا اراد ان يتصدق ان يجعلها لوالديه اذا كانا مسلمين فيكون لوالديه اجرها ويكون له مثل اجورهما من غير ان ينقص من اجورهما شىء ابن النجار (فالكل مأثور) وفى كتب الحديث مسطور (ويقدم نفقة النفس والعيال فهو) اى تقديمهما (فرض) وقد ورد ابدأ بمن تعول متفق عليه ابدأ بنفسك فتصدق عليها فان فضل شىء فلاهلك فان فضل عن اهلك شىء فلذى قرابتك فان فضل من ذى قرابتك شىء فهكذا النسائى وفى الطبرانى من حديث جابر بن سمرة اذا انعم الله على عبده نعمة فليبدأ بنفسه واهل بيته وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على الزوجة ونفقتها على نفقة الخادم ابو داود من حديث ابى هريرة بسند صحيح ابن حبان والحاكم وصححه ورواه النسائى وابن حبان ايضا بتقديم الزوجة على الولد ويجمع بين الحديثين بان الولد صغير فى الاول وكبير فى الثانى وقال صلى الله عليه وسلم يوما لاصحابه

تصدقوا فقال رجل عندى دينار فقال انفقه على نفسك قال ان عندى آخر قال انفقه على زوجتك قال ان عندى آخر قال انفقه على والديك قال ان عندى آخر قال انفقه على خادمك قال ان عندى آخر قال انت ابصر به ابوداود والنسائى واللفظ له وابن حبان والحاكم من حديث ابى هريرة (ويباكر) اى يخرج الصدقة اول النهار ليدخل فى قوله تعالى * ويسارعون فى الخيرات (ليبادربها) اى بالصدقة (البلاء) اى دفعه فورد الصدقات بالغدوات يذهبن بالعاهات الديلمى عن انس وفى رواية البيهقى عنه والطبرانى فى الاوسط عن على باكروا بالصدقة فان البلاء لايتخطى الصدقة وورد الصدقة تمنع سبعين نوعا من البلاء اهونها الجذام والبرص الخطيب عن انس الصدقة تمنع ميتة السوء القضاعى عن ابى هريرة (ويغتنم) الصدقة (على من رق له القلب) لانه من علامة انه رحمه الرب (فهو) اى رقة القلب (علامة صدق السائل) وقد ورد لوصدق السائل ما افلح من رده العقيلى فى الضعفاء وابن عبد البر فى التمهيد من حديث عائشة وللطبرانى نحوه من حديث ابى امامة وللبيهقى عن عائشة لولا ان السؤال يكذبون ماقدس من ردهم لاتردوا السائل ولو بشق تمرة (ولايحقر ماعنده) لقول تعالى * ان الله لايظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما * ولقوله حكاية عن لقمان * يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل * الآية قال يحيى بن معاذ ما اعرف حبة تزن جبال الدنيا الا الحبة من الصدقة ولقوله سبحانه * ما عندكم ينفد وما عند الله باق * فر بما يكون غيره عنده حقيرا ويصير عنده سبحانه عظيما وكبيرا فورد ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيبا الا كان الله يأخذه بيمينه فيربيها كما يربى احدكم فصيله اوفلوه حتى تبلغ التمرة مثل احد البخارى تعليقا ومسلم والترمذى والنسائى فى الكبرى واللفظ له وابن ماجه من حديث ابى هريرة واتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة متفق عليه من حديث عدى بن حاتم وتصدقوا ولو بتمرة فانها تسد من الجايع وتطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار ابن المبارك فى الزهد من حديث عكرمة مرسلا ولاحمد من حديث عائشة بسند حسن اشترى نفسك من النار ولو بشق تمرة فانها تسد من الجايع مسدها من الشبعان وللبزار وابى يعلى من حديث ابى بكر اتقوا النار ولو بشق تمرة فانها تقيم العوج وتدفع ميتة السوء وتقع من الجايع موقعها من الشبعان وقال عليه السلام لابى ذر اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها ثم انظر الى اهل بيت من جيرانك فاصبهم منه بمعروف رواه مسلم وفى رواية العقيلى ردوا هذمة السائل ولو بمثل رأس ذباب ويقال ان الحسن مر به فحاس ومعه جارية فقال اترضى فى ثمنها الدرهم والدرهمين قال لا قال فاذهب فان الله رضى فى الحور العين بالفلس والفلسين واللقمة واللقمتين وعن على كم من حور ماكان

مهره الاقبضة من منطة اومثلها من تمر العقيلى عن ابن عمر وكان عليه السلام لا يكل خصلتين الى غيره كان يضع طهوره بالليل ويخمر بيده وكان يناول المسكين بيده الدار قطنى من حديث انس باسناد ضعيف وابن المبارك فى البر مرسلا (ويحصل انواعها) اى يجتهد فى تحصيل انواع الصدقة حقيقة وهو ظاهر وحكما (كارشاد الضال) اى دلالته على صاحبه اورده الى بابه فروى الترمذى وغيره عن ابى ذر مرفوعا تبسمك فى وجه اخيك صدقة وامرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وارشادك الرجل فى الارض الضالة صدقة الحديث او هدايته الى زقاقه فلاحمد والترمذى وصححه من حديث البراء من منح منحة ورق اومنحة لبن اوهدى زقاقا فهو كعتاق نسمة اودلالته عن جهله وضلالته فورد لان يهدى الله بك رجلا خير لك من حمر النعم اى من صدقتها (وقربان المرأة) اى جماعها (للتعفف) اى من اجله اومن اجلها فروى ابو داود عن ابى ذر يصبح على كل سلامى من ابن آدم صدقة تسليمه على من لقى صدقة وامره بالمعروف صدقة واماطة الاذى عن الطريق صدقة وبضع اهله صدقة ويجزى عن ذلك ركعتان من الضحى قالوا يارسول الله احدنا يقضى شهوته ويكون له صدقة قال ارأيت لو وضعها فى غير حلها الم يكن يأثم وفى رواية النسائى وابن حبان وغيرهما عن ابى ذر ايضا ولك فى جماع زوجتك اجر ارأيت لوكان لك ولد فادرك ورجوت اجره فمات اكنت تحتسب به قال نعم قال افانت خلقته وانت هديته وانت رزقته قال لا قال فضعه فى حلاله وجنبه حرامه فان شاء الله احياه وان شاء اماته ولك اجر (والعدل بين الاثنين) من الزوجين وغيرهما فعن ابى هريرة كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة وتعين الرجل على دابته فيحمل عليها اويرفع عليها متاعه صدقة الحديث احمد والشيخان (والحمل على الدابة) لما سبق من الحديث والمعنى حمل الغير اومتاعه على دابته اودابة نفسه (وطيب الكلام) فعن ابن عباس الكلمة الطيبة يتكلم بها الرجل صدقة الطبرانى وفى رواية لمسلم والنسائى عن ابى ذر فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة الحديث وتقدم حديث اتقوا النار ولوبشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة (والخطوة الى الصلوة) فعن ابى هريرة برواية احمد والشيخان وكل خطوة تخطوها الى الصلوة صدقة (والانفاق على العيال) فعن جابر ما انفق المسلم من نفقة على نفسه واهله كتب له بها صدقة الحديث ابن عساكر والحاكم فى مستدركه عن انس ان نفقتك على اهلك وخادمك صدقة وفى رواية الخطيب عنه كل معروف صنعته الى غنى او فقير فهو صدقة وفى رواية احمد وغيره عن ابى امامة ما اطعمت زوجتك فهو لك صدقة وما اطعمت ولدك فهو لك صدقة وما اطعمت خادمك فهو لك صدقة وما اطعمت

نفسك فهو لك صدقة (والتبسم فى وجه اخيه) وقد تقدم حديث وتبسمك فى وجه اخيك صدقة وفى رواية احمد وغيره عن جابر كل معروف صدقة وان من المعروف ان تلقى اخاك ووجهك اليه منبسط وفى رواية له عن ابى ذر لا تحقرن من المعروف شيئا ولو ان تلقى اخاك بوجه طلق (واطراق الفحل) اى من الابل والخيل يعنى اعارته للضراب وهو نزوه على الانثى ففى مسند احمد والترمذى عن ابى امامة افضل الصدقات ظل فسطاط فى سبيل الله عز وجل او منيحة خادم فى سبيل الله عز وجل (واعارة الدلو) اى نحوها الداخلة فى ذم منعها حيث قال تعالى * ويمنعون الماعون * وقد روى البخارى فى تاريخه عن ابى ذر وافراغك من دلوك فى دلو اخيك صدقة وفى رواية ولو ان تفرغ من دلوك فى اناء المستسقى (والنفع بعلم) اى شرعى فعن ابى هريرة افضل الصدقة ان يتعلم المرء المسلم علما ثم يعلمه اخاه المسلم ابن ماجه (وغرس) فعن ابى الدرداء من غرس غرسا لم يأكل منه آدمى ولا خلق من خلق الله الا كان له صدقة احمد (وزرع) فعن خلاد بن السائب من زرع زرعا فأكل منه طير او عافية كان له صدقة احمد والعافية السبع (ونهر وبئر ومصحف ومسجد وتخليف ولد يستغفر له) فعن ابى هريرة اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له مسلم وغيره (وافضلها) اى افضل الصدقات ان يكون (فى الصحة) اى حال العافية ففى الصحيحين عن ابى هريرة افضل الصدقة وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا الا ولفلان كذا (والمحتاج فدرهم منه) اى من اجله (مثل سبعين) اى درهما من اجل غير المحتاج ويتفرع عليه قوله (والقرض افضل منها) اى من الصدقة (فهو) اى القرض (بثمانية عشر) اى درجة زائدة على الصدقة التى درجتها عشرة (لوقوعه فى كف المحتاج) كما ورد دخلت الجنة فرأيت على بابها الصدقة بعشرة والقرض بعشرة ثم بثمانية عشر فقلت يا جبريل كيف صارت الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر قال لان الصدقة تقع فى يد الغنى والفقير والقرض لا يقع الا فى يد من يحتاج اليه الطبرانى عن ابى امامة (ولا ينذر) اى الاولى ان لا ينذر فيجب عليه (فلعله لا يفى) بنذره او يفى ولكن مع كره (ونهى عنه) ففى الصحيحين عن ابن عمر انه عليه السلام نهى عن النذر وعلله على انه من فعل البخلاء اذا السخى اذا اراد ان يتقرب الى الله تعالى استعجل فيه واتى به فى الحال ولم يتركه الى الاستقبال وفى مسلم والترمذى والنسائى عن ابى هريرة مرفوعا لا تنذروا فان النذر لا يغنى عن القدر شيئا وانما يستخرج به من البخيل وورد قال الله تعالى لا يأتى ابن آدم النذر بشئ لم اكن قد قدرته ولكن يلقيه النذر الى القدر وقد قدرته له هو شئ استخرج به من البخيل فيوسى عليه مالم يكن يوسى عليه من قبل احمد والبخارى

والنسائى عن ابى هريرة واما مامر فى آداب الدعاء من الترغيب فى النذر فمحمول على ما اذا كان فى الاعمال الصالحة والنهى عن النذر ههنا محمول على النذر فى المال لظنة عدم الوفاء فى المال بخلاف النذر فى الاعمال فالغالب فيه الوفاء فى الاستقبال ثم اعلم انه ينبغى للقابض امور منها ان يفهم ان الله سبحانه اوجب صرف الزكوة ونحوها الى الفقير ليكفى همومه ويجعلها هما واحدا هم دينه وقد اكثر الله عزوجل الاموال ووضعها فى ايدى عباده من العمال والبطال لتكون آلة لهم فى دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم الى طاعاتهم فمنهم من ابتلاه بالمال وجعله عليه فتنة وبلية فانفقه فى متن الحظر ومنهم من اعمه فعماه الدنيا وما يتعلق بها من الحذر كما يحمى الشفيق مريضه ما فى اكله من الضرر فيزوى عنه فضولها وقدر له حصولها وساق اليه قدر حاجته على يد الاغنياء ليكون شغل الكسب والتعب فى الجمع والحفظ عليهم مع غاية من العناء وفائدته منصبة الى الفقراء مع نهاية من الهناء ليتجردوا لعبادة المولى والاستعداد لزاد المعاد الى العقبى فلا يصرف عنهم فضول الدنيا فحق الفقير ان يعرف قدر نعمة الفقر ويتحقق ان فضل الله عليه فيما زواه اكثر مما اعطاه فليأخذ ما يأخذ من الله سبحانه رزقا له وعونا على الطاعة فان استعان به على المعصية كان كافرا للنعمة مستحقا للطرد واللعنة ومنها ان ينظر فيما يأخذه فان لم يكن من حل تورع عنه لقوله سبحانه * ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب * فلا يأخذ من اموال من اكثر كسبه الحرام الا اذا ضاق عليه الامر وكان مايعلم اليه لا يعرف له مالكا معينا فله ان يأخذ بقدر الحاجة ومنها ان يتوقع مواقع الريبة والشبهة فى مقدار ما يأخذه ولا يأخذه الا اذا تحقق له انه موصوف بصفة الاستحقاق وحينئذ يأخذ مايتم به كفايته من وقت اخذه الى سنة فهذا اقصى مايرخص فيه من حيث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخر لعياله قوت سنة متفق عليه من حديث عمر كان يعزل نفقة اهله سنة وللطبرانى فى الاوسط من حديث انس كان اذا ادخر لاهله قوت سنة تصدق بما بقى فاذا اقتصر على حاجة شهر او يوم فهو اقرب للتقوى فى حق الاقوياء ومذاهب العلماء فى قدر المأخوذ بحكم الزكوة والصدقة مختلفة فمن بالغ فى التقليل الى حد اوجب الاقتصار على قوت يومه وليلته وتمسك بما روى سهل الحنظلية انه عليه السلام نهى عن السؤال مع الغنى فقال ضد اوه وعشاؤه ابو داود وابن حبان وهو محمول عند الجمهور على السؤال لا فى جميع الاموال لان لفظ الحديث من سأل وله مايغنيه فانما يستكثر من جمر جهنم وقال آخرون يأخذ الى حد الغنى وحد الغنى نصاب الزكاة اذ لم يوجب الله عزوجل الزكاة الا على الاغنياء فقالوا له ان يأخذ لنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكوة وبالغ آخرون فى التوسع فقالوا له ان يأخذ مقدار مايشترى به ضيعة فيستغنى بها طول عمره او يهىء بضاعة ليتجر فيها ويستغنى

لان

لان هذا هو الغنى حتى ذهب قوم الى من افتقر فله ان يأخذ مايعود به الى مثل حاله ولو عشرة آلاف درهم الا اذا خرج عن حد الاعتدال والله اعلم بالاحوال وقد ورد ما المعطى من سعة بافضل اجرا من الذى يقبل من حاجة ابن حبان والطبرانى من حديث انس ومنها انه يأخذ مايعطى له مال الخلاء ولايأخذ فى الملأ فقد دفع رجل الى بعض العلماء شيئا ظاهرا فرده اليه ودفع اليه آخر شيئا سرا فقبله فقيل له فى ذلك فقال ان هذا عمل بالادب فقبلته وذلك اساء ادبه فى عمله فرددته واعطى رجل بعض الصوفية شيئا فى الملاء فرده فقال له لم ترد على الله تعالى ما اعطاك فقال انك اشركت غير الله حيث لم تقنع بعين الله فرددت عليك شركك وقبل بعض العارفين فى السر شيئا كان رده فى العلانية فقيل له فى ذلك قال عصيت الله فى الجهر فلم اكن لك عونا على المعصية واطمعته بالاخفاء فاعنتك على برك فقال الثورى لو علمت ان احدهم لايذكر صلته ولايتحدث بها لقبلتها وايضا فى اظهار الاخذ ذل وامتهان وليس للمؤمن ان يذل نفسه وايضا للاحتراز عن شبهة الشركة فورد من اهدى اليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها العقيلى وابن حبان فى الضعفاء والطبرانى فى الاوسط والبيهقى من حديث ابن عباس قال الفضيلى لا يصح فى هذا المتن حديث واما العارف فلا نظر له الا الى الله عز وجل والسر والعلانية فى حقه واحد واختلاف الحال شرك فى التوحيد والتوفيق منه سبحانه والتأييد *

الباب الثالث فى الصوم وكسر الشهوة

اى الذى هو مراد القوم (بسم الله الرحمن الرحيم ورد الصوم) اى فرضه ونفله (لى) اى مختص لاجلى لايتصور كونه لغيرى (وانا اجزى به) بصيغة الفاعل وقيل بالمفعول ففى الصحيحين عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لى وانا اجزى به وفى رواية لهما عنه كل حسنة بعشر امثالها الى سبعمائة اضعاف الا الصيام فانه لى وانا اجزى به وانما قال وانا اجزى به مع ان جزاء كل العبادات منه تعالى اشارة الى عظم ذلك الاجر لان الكريم اذا تولى بنفسه اقتضى ذلك سعة الجزاء وكأنه لم يذكر ما يجزى به لكثرته ويومى اليه قوله تعالى * انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب * وقد ورد الصوم نصف الصبر اخرجه الترمذى وحسنه والصبر نصف الايمان ابو نعيم فى الحلية من حديث ابن مسعود بسند حسن (اى جزاؤه لقائى) يعنى رؤيتى فى العقبى (ومعرفتى) اى فى الدنيا ولامنع من الجمع (وانما خص الصوم بالاضافة) اى اللامية مع ان كل عبادة مختصة له سبحانه (لانه) من بين العبادات (خلق صمدى) فان الاستغناء من الاكل والشرب والجماع من الصفات الصمدية والنعوت الاحدية وكان الصائم متخلقا بذلك الخلق من اخلاق الله وروى تخلقوا باخلاق الله وقد قالوا كل اسم من اسمائه سبحانه

للتخلق الا اسم الجلالة فانه للتعلق فالاضافة تشريفية كناقة الله وبيت الله وانما قال انا اجزى به مع ان جزاء كل العبادات منه سبحانه اشارة الى عظم ذلك الاجر به لان الكريم اذا وعد ان يتولى شيئا بنفسه اقتضى ذلك عظمته وكأنه لم يذكر ما يجزى به لكثرته اونفاسته كما يشير اليه قوله تعالى * فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون * من اخفاء الاعمال وحديث اعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولاخطر على قلب بشر (اوعمل سرى) فانه قصد قلبى مع ترك المفطر الصورى والملائكة الكتبة لا يطلعون على ما لاعمل فيه فهو سر بين العبد وربه بحيث لايطلع عليه غيره (او قهر النفس والشيطان الذى هو) اى قهرهما (اصل المعاملة) فان مدار المعاملة على مخالفتهما وموافقة الله ورسوله فى حكمهما وايضا كما ان النفس والشيطان مقهوران مغلوبان فى قبضة الله سبحانه يكونان مقهورين مغلوبين ايضا فى قبضة الصائم فصار الصائم حينئذ متخلقا بخلق الحق فى الجملة ولو كان وصفه سبحانه بنعت الدوام ومن هنا ورد نوم الصائم عبادة ابونعيم فى الحلية عن ابن عباس ولخلوف فم الصائم الطيب عند الله من ريح المسك يقول الله تعالى انما يدع شهوته وطعامه وشرابه من اجلى فالصيام لى وانا اجزى به متفق عليه من حديث ابى هريرة وهو موعود بلقائه سبحانه فى جزاء صومه اذ ورد للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه متفق عليه ايضا وفى الاحياء ان الصوم قهر لعدو الله فان وسيلة الشيطان الشهوات المشغلة عن العبادات وانما يقوى الشهوات بالاكل والشرب وسائر اللذات ولذا قال عليه السلام ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع (وادنى رتبته) اى مراتب الصيام وهو الجواز اعم من ان يكون مقبولا ام لا ناقصا اوكاملا وهو مقام العوام (الكف عن الشهوتين) اى الامتناع عن شهوتى البطن والفرج فى وقته مقرونا بالنية المعتبرة المذكورة فى محله (وهو مناط الجواز) اى متعلق جواز الفتوى فى ظاهر شرع الدنيا وهو صوم العموم (ثم كف الجوارح) اى منع الاعضاء من العين والاذن واللسان وسائر الاعضاء والاركان (عن الاثم) اى مطلق العصيان (وهو مناط القبول) لقوله تعالى * انما يتقبل الله من المتقين * وهو صوم الخصوص (فورد خمس) اى خصال (يفطرن الصائم) بتشديد الطاء اى يجعلنه مفطرا حكميا لا حقيقيا (الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة) الازدى فى الضعفاء من رواية جابال عن انس وقول الحجة فى الاحياء جابر تصحيف وقال ابو حاتم الرازى هذا كذب اقول لكن يقويه رواية الديلمى فى مسند الفردوس عن انس ثم اعلم ان حفظ اللسان عن الهذيان والزامه السكوت او شغله بالذكر وتلاوة القرآن هو كمال صوم الانسان عند الاعيان وقد

روى ليث عن مجاهد خصلتان تفسدان الصوم الغيبة والكذب وقال سفيان الغيبة تفسد الصوم وورد انما الصوم جنة فاذا كان احدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل فان امرؤ قاتله او شاتمه فليقل انى صائم متفق عليه من حديث ابى هريرة وجاء فى الخبر ان امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا ان تتلفا فبعثتا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الافطار فارسل اليهما قدحا وقال عليه السلام قل لهما قيئا فيه ما اكلتما فقائت احديهما نصفه دما غبيطا ولحما عريضا وقائت الاخرى مثل ذلك حتى ملأتاه فعجب الناس من ذلك فقال عليه السلام هاتان صامتا عما احل الله سبحانه لهما وافطرتا على ما حرم الله عليهما قعدت احداهما الى الاخرى فجعلتا تغتابان الناس فهذا ما اكلتا من لحومهما احمد من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسند فيه مجهول وكذا حكم غض البصر وكفه عن الاتساع فى النظر الى كل ما يعرف وينكر والى كل ما يشغل القلب ويلهى عن ذكر الرب فورد النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله عز وجل آتاه الله سبحانه ايمانا يجد حلاوته فى قلبه الحاكم وصحح اسناده من حديث حذيفة وكذا حكم كف السمع عن الاصغاء الى كل مايكره من لغو ولهو وقد ورد * والذين هم عن اللغو معرضون * والمغتاب والمستمع شريكان فى الاثم كذا فى الاحياء وهو غريب نعم للطبرانى من حديث ابن عمر بسند ضعيف نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة وعن الاستماع الى الغيبة (كم من صائم ليس له الا الجوع والعطش) النسائى وابن ماجه من حديث ابى هريرة (وهو المفطر بالحرام) وقيل المرتكب للاثم كالكذب والغيبة وسائر الآثام (ثم كف القلب عما سواه تعالى) اى عما عدا ذكر الرب وما يتعلق به (وهو) اى هذا النوع من الصوم (للانبياء والاولياء) وهم خصوص الخصوص وخصوص الخصوص وتوضيحه ان يصوم قلبه ولبه عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية ويكفه عن ما سوى الله بالكلية ويحصل الفطر فى هذا الصوم بالفكر فى غير صفات الله وآياته ومصنوعاته واليوم الآخر ومقاماته وبالفكر فى امر الدنيا وشهواته ولهواته لادنيا تراد الدين وضروراته فان ذلك زاد الآخرة ومقدماته حتى قال ارباب القلوب امن تحركت همته بالتصرف فى نهاره بتدبير ما يستعمله فى افطاره كتبت عليه خطيئة من اوزاره فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله وكرمه وقلة اليقين برزقه ووعده فينبغى ان يكون بحال يصدق ان يقال فى حقه قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون (وحقه) اى الصوم على الصائم (ان يخاف الرد ويرجو القبول) فيكون قلبه بعد الافطار متعلقا مضطربا بين الخوف والرجاء اذ ليس يدرى ايقبل صومه فهو من المقربين اويرد عليه فهو من الممقوتين وليكن كذلك فى آخر كل عبادة يفرغ منها وروى عن الحسن بن ابى الحسن انه مر بقوم يوم العيد وهم يضحكون فقال ان الله جعل شهر رمضان مضمارا

لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق اقوام ففازوا وتخلف اقوام فخابوا فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب فى اليوم الذى فاز فيه السابقون المسارعون وخاب فيه المبطلون المدعون اما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بطاعته واحسانه والمسىء باساءته وعصيانه اى لكان سرور المقبول يشغله عن اللعب وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك وعن الاحنف بن قيس انه قيل له انك شيخ كبير وان الصيام يضعفك فقال انى اعده ليوم طويل والصبر على طاعة الله سبحانه وفى بابه اهون من الصبر على عذاب الله وعجابه فعلماء الظاهر يعنون بالصحة الجواز والحصول وعلماء الآخرة يعنون بها القبول وبالقبول الوصول الى المقصود والمأمول ومن هنا قال ابو الدرداء يا حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يعيبون صوم الحمقاء وسهرهم ولذرة من عبادة ذوى التقوى واليقين ارجح من امثال الجبال من عبادة المغترين ولذا قال العلماء * كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم * فالمفطر الصائم هو الذى حفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب من الحلال دون الحرام والصائم المفطر هو الذى يجوع ويعطش فى الايام ويطلق جوارحه فى الآثام (ويقول) اى فى جنانه اوبلسانه (انى قاتل) اى جادل او ضارب اوخاصم (او شتم انى صائم) اى فانا ممسك عما لايليق به من الاحكام وفيه تنبيه نبيه على ان الشخص اذا علم من صاحبه عمل الصيام ان لا يتعرض له من كلام الخصام ويشير اليه قوله تعالى * فاما ترين من البشر احدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلم اكلم اليوم انسيا (فهو مأثور) كما تقدم وقد ورد انما الصوم امانة فليحفظ احدكم امانته الخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث ابن مسعود فى حديث الامانة فى الصوم واسناده حسن ولما تلا عليه السلام قوله تعالى * ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها * وضع يده على سمعه وبصره فقال السمع امانة والبصر امانة كذا فى الاحياء قال العراقى اخرجه ابو داود من حديث ابى هريرة دون قوله السمع امانة ثم لولا ان الصوم امانة لما قال عليه السلام فليقل انى صائم اى انى اودعت لسانى لاحفظه عن الاشتغال بك فكيف اطلقه بجوابك (ولا يسأل) بصيغة المجهول (عنه) اى عن صومه او عن حاله بان يقال انك صائم ام لا فانه يوجب على كل تقدير اشكالا (لان المسؤل ان اقر اظهر) وربما يتفرع عليه الرياء (وان انكر كذب) وهو اعظم البلاء (وان سكت استحقر) اى المسؤل للسائل بسؤاله فيما استحضر وترتب عليه الجفاء (وان احتال للمدافعة تعب) اى فيما تفكر وتدبر ووقع فى العناء وورد لايكذب الكاذب الامن مهانة نفسه عليه الديلمى عن ابى هريرة مرفوعا (ولا يكثر الاكل) اى حال الافطار بحيث يمتلىء فما وعاء ابغض الى الله من بطن يملأ من الحلال فقد ورد ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطن بحسب ابن آدم اكلات يقمن صلبه فان كان لامحالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه احمد والترمذى وابن ماجه والحاكم عن المقدام بن معدى كرب واكلات بضمتين لقيمات كما فى رواية (تحاميا عن الكسل) اى فى الطاعة وقد ورد اعوذ بك

من الكسل لاسيما (فى التهجد) لماتقدم من انه اذا اكثر الاكل اكثر الشرب واذا اكثر الشرب اكثر النوم واذا اكثر النوم ضيع عمره وفسد امره وينبغى ان لايكثر النوم فى النهار ايضا ليحس اثر الجوع والعطش والافيقل نتيجته وثمرته لاسيما مع وجود غفلته وعن بعض الحكماء خمسة من الاشياء ابتلى الناس بها وكان هلاكهم فيها اولها حب الشبع وفيه قساوة القلب والثانى حب النوم وفيه نقصان العمر والثالث حب الراحة وفيه الافلاس والرابع حب المال وفيه الحساب الطويل فى المآل والخامس الثناء وفيه ذهاب الثواب وابطال الاعمال (وبطلان سره) اى وتحاميا عن بطلان فائدة الصوم ومنفعة امره (وهو قهر النفس) اى اذلالها للانقياد فيما خلقت لاجله فكيف يستفاد من الصوم قهر الشيطان وكسر النفس وتقليل الشهوة اذا تدارك الصائم عند افطاره ما فاته فى نهاره ومن جعل بين قلبه وبين ربه مخلاة من الطعام فهو محجوب عن شريف المقام ولطيف المرام (وطريقه) اى طريق تحصيل الصوم فى مذهب القوم (معرفة فوائد الجوع) فقد قيل الجوع عز كله والشبع ذل كله وورد صمت الصائم تسبيح ونومه عبادة ودعاؤه مستجاب وعمله مضاعف الديلمى عن ابن عمر وقال بعضهم اخترت صوم الدهر لما سألت ستة نفر عن ستة اشياء فاجابوا بجواب واحد سألت الاطباء عن اشفى الادوية فقالوا الجوع وقلة الاكل وسألت الحكماء عن اعون الاشياء على طلب الحكمة فقالوا الجوع وقلة الاكل وسألت العباد عن انفع الاشياء فى العبادة قالوا الجوع وقلة الاكل وسالت الزهاد عن اقوى الاشياء على الزهادة قالوا الجوع وقلة الاكل وسألت العلماء عن افضل الاشياء على حفظ العلم وفهمه قالوا الجوع وقلة الاكل وسألت الملوك عن اطيب الادام والذ الطعام قالوا الجوع وقلة الاكل (وهى) اى فوائده ثلاثة عشر (صفاء القلب) اى ضياؤه وبهاؤه وقبوله لدوام ذكر الرب (فورد من اجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه) اى وكبرت همته وقلت شهوته وعدمت نهمته والحديث لم اجده مرفوعا وانما قال لقمان لابنه يابنى اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وفترت الاعضاء عن العبادة وقد ورد ان من السرف ان تأكل كلما اشتهيت ابن ماجه عن انس وفى رواية البيهقى عن عائشة اكثر من اكلة كل يوم سرف وعن سلمان ان اكثر الناس شبعا فى الدنيا اطولهم جوعا يوم القيمة ابن ماجة والحاكم ومن حديث ابن عباس ان اهل الشبع فى الدنيا هم اهل الجوع فى الآخرة الطبرانى وعن يحيى بن معاذ يامعاشر الصديقين جوعوا انفسكم لوليمة الفردوس فان شهوة الطعام على قدر الجوع (ورقته) اى ورقة القلب وتأثره بذكر الرب (فورد من شبع ونام قساقلبه) لم اعرفه بهذا اللفظ نعم ورد اذيبوا طعامكم بالصلوة والذكر ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم ابونعيم وغيره ثم يؤخذ بالمفهوم فيفيد ان من جاع وسهر رق قلبه (والاستلذاذ

بالطاعة) اى التلذذ بالعبادة كما يعرفه اهل الارادة (والانكسار) اى الذل الحاصل من مقام الافتقار (فالبطر سبب المعصية والغفلة) والفقر باعث التوبة والرجوع الى الحضرة وقد ورد عليكم بالصوم فانه محساة للعروق ومذهبة للاشر ابونعيم فى الطب عن شداد بن اوس (وذكر عطش العرصات) اى موقف القيمة بحيث تكون الشمس قريبة الى رأسه قدر القامة وفى الخبر يوضع للصائمين مائدة يوم القيمة من ذهب يأكلون منها والناس ينظرون ابو الشيخ والديلمى عن ابن عباس (وجوع الجحيم) كما قال تعالى * ليس لهم طعام الا من ضريع لايسمن ولايغنى من جوع * وقد ورد الصوم يبعد من حر السعير الطبرانى عن انس (وكسر شهوة الفرج فاستيلاؤها بالشبع) ولذا ورد من استطاع منكم ان يتزوج فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء متفق عليه من حديث ابن مسعود (ودفع النوم) اى فى الجملة (فهو) اى النوم الكثير (يكل الطبع) اى يجعله كلا فى فهم الكلام (ويضيع العمر) بقدر المنام (ويفوت القيام) بمقاصد المرام ومراصد المقام (والتهجد) وهو القيام والناس نيام (وييسر المواظبة على الطاعة لخفة البدن) المستلزمة للمواظبة على العبادة كما يعرفه ارباب السعادة (والفراغ عن الاهتمام بالتحصيل) اى تحصيل الكثير فان امر القليل يسير (والاعداد) اى تهيئة مايحتاج الاكل من نحو الطبخ والنفخ (والاكل) اى نفسه من الفعل (والفراغ) بالجر اى والفراغ عن الفراغ من قضاء الحاجة الانسانية (ودفع الامراض الشاغلة عنها) اى عن العبادة الكاملة (فورد المعدة) بفتح وبكسر فسكون (بيت كل داء) اخرج الخلاد من حديث عائشة مرفوعا بلفظ الحمية رأس الدواء والمعدة بيت الداء وعودوا بدنا ما اعتاد ذكره السيوطى واخرج ابن ابى الدنيا فى كتاب الصمت عن وهب بن منبه قال اجتمع الاطباء على ان رأس الطب الحمية قلت واجتمعت الحكماء على ان رأس الحكمة الصمت (وخفة المؤنة) فانها مطلوبة فى مقام المعونة (والاكتفاء بالقليل) فان الكثير قل ان يكون حلالا ولحديث قليل يكفيك خير من كثير يطغيك (فطلب الزيادة يورث المذلة) اى فى كسبها (وتحصيل الحرام) بسببها (والشبهة) اى بلا شبهة فى حبها (وامكان الايثار بالفاضل) اى الزائد على قدر كفايته وفق قناعته (ليكون فى ظله) اى ظل ماينفقه فى سبيل الله (يوم القيمة) فروى ان الرجل فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس القضاعى عن عقبة بن عامر ان ظل المؤمن يوم القيمة صدقته ابن راهويه عن بعض الصحابة (ثم التقليل بالتدريج الى ما يحصل به القوام) وهو طريق رياضة المشايخ الكرام وعن بعضهم ان مما يعين على الجوع ياصمد من غير شبيه ولاشىء كمثله ثلاثمائة وستين مرة وهو عجيب مجرب غريب (وان لم يطق) اى التقليل وهو الانسب اومايحصل به القوام وهو الاقرب (فالاكل بعد صدق الشهوة) اى تحقق الرغبة

(ويعرف) الصدق (بان لاينتظر الادام) بعد حضور الخبز فى المقام (ولا يقع الذباب على البزاق) فانه علامة عدم بقاء مادة الطعام فى معدته بالاتفاق واما اذا كان يشتهى خبزا مخصوصا او مع الادام فهو كاذب فى جوعه واما الجوع المفرط فمفسد للفكرة ومعد للخيالات المنكرة (والترك) بالرفع اى وترك الاكل (مع بقائه) اى بقاء الميل فى اثنائه (والاصوب) اى الاقرب الى الصواب فى هذا الباب (الاكتفاء بما يقوى على العبادة) فانها هى المقصودة من اولى الالباب (فهو المأثور) عن الجمهور (وهو) اى ما يقوى (يختلف بحسب الاحوال) وكذا يتفاوت امزجة الرجال (اما الوقت) اى قدر زمن الجوع والتقليل (فكانوا) اى بعض السلف (يطوون يومين فصاعدا) اى ثلاثة (الى خمسين) يوما وهذا درجة ارباب كمال الاجتهاد (والاقتصاد) فى الاكل بحسب الوقت المناسب لاكثر العباد من الزهاد والعباد (هو الاكلة فى اليوم) ان لم يكن صائما (والليلة) حين افطاره (وهو الوسط المروى عنه عليه السلام) اى فى بعض المقام وفى الخبر اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد ابونعيم فى الحليه عن ابى سعيد (فورد ان اكلتين فى يوم من السرف) وقد تقدم ما اخرجه البيهقى وضعفه عن عائشة قالت رآنى النبى عليه السلام وقد اكلت فى اليوم مرتين فقال * ياعائشة اما تحبين ان يكون لك شغل الا فى جوفك الاكل فى اليوم مرتين من الاسراف والله لا يحب المسرفين * الا ان المعروف فى شمائله انه عليه السلام كان غالبا يأكل مرتين المعبر عنه بالغداء والعشاء وفى الصوم الفطور والسحور المسمى بالغداء المبارك فى الحديث المشهور وهو المذكور فى قوله سبحانه فى حق اهل الجنة * ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا * وهو الطريقة الحنيفية السهلة فالحديث محمول على اكلتين مشبعتين اوعلى اكلتين فى نهار واكلة فى ليلة (والاحب التسحر بها) اى بتلك الاكلة ان كان يكتفى بها فهو اولى من اول الليلة (ليتهجد على فراغ المعدة ويتقوى على الصوم وهو المروى) اى مع انضمام الاكلة اول الليلة ففى الخبر تسحروا فان فى السحور بركة متفق عليه واستعينوا بطعام السحر على صيام النهار وبالقيلولة على قيام الليل ابن ماجه والحاكم عن ابن عباس وقيل المروى هو ما ورد فى حديث عائشة كان عليه السلام يواصل الى السحر وفى حديث عاصم بن كليب عن ابيه عن ابى هريرة وقال ما واصل عليه السلام وصالكم هذا قط غير انه اخر الاكل الى السحر (وان منع) اى الجوع (الحضور) بالطاعة من التهجد وغيره (يفطر بنصف) اى من قرصه اومن قدر عادته فى حال شبعه (ويتسحر بآخر استعانة على الطاعتين) اى طاعة الباطن وهو الحضور فى مقام السرور وطاعة الظاهر وهى الطاعة بالجوارح فيبقى نور على نور (فالجوع الشاغل عنه تعالى مذموم) كما ان الشبع الشاغل عنه سبحانه مشؤم وقد ورد اللهم انى اعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع

وقد اشار صاحب البردة الى هذه الزبدة بقوله * فرب مخمصة شر من التخم (واما الجنس) اى جنس المأكول (فالاعلى من الخبز البر المنخول) وفيه سعة (ثم الشعير المنخول) وفيه رخصة (والبر الغير المنخول) فهو توسط (ثم الشعير الغير المنخول) وهو سنة وعن ابن عباس انه عليه السلام كان يبيت الليالى المتتابعة طاويا واهله لا يجدون عشاء وكان اكثر خبزهم الشعير احمد والترمذى وابن ماجه وفى الشمائل عن عائشة انها قالت ماشبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى شمائل الترمذى عن سهل بن سعد انه قيل له اكل عليه السلام النقى يعنى الحوارى فقال سهل ما رأى عليه السلام النقى حتى لقى الله عز وجل فقيل هل كانت لكم مناخل على عهده عليه السلام قال ما كانت لنا مناخل فقيل كيف تصنعون بالشعير قال ننفخه فيطير ما طار ثم نعجنه لا يقال المنخل بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا نقول ليس كل ما ابتدع منهيا عنه بل المنهى عنه ابداع بدعة مضادة سنة ثابتة فقد يكون بدعة حسنة وقد تكون واجبة وقد تكون مباحة ومنها المنخل فان المقصود منه تطييب الطعام وذلك مباح مالم ينته الى التنعم المفرط قال تعالى * قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق * اى المستلذات للخلق * (ومن الادام) اى والاعلى من الادام (اللحم) وقد ورد سيد طعام اهل الدنيا واهل الجنة اللحم رواه ابن ماجه وابن ابى الدنيا من حديث ابى الدرداء مرفوعا وسنده ضعيف لكن له شواهد منها عن على رفعه بلفظ سيد طعام الدنيا اللحم ثم الارز اخرجه ابونعيم فى الطب النبوى وعن صهيب بلفظ سيد الطعام فى الدنيا والآخرة اللحم ثم الارز اخرجه الديلمى من جهة الحاكم وعن بريدة ايضا مرفوعا سيد الادام فى الدنيا والآخرة اللحم وسيد الشراب فى الدنيا والآخرة الماء وسيد الرياحين فى الدنيا والآخرة الفاغية رواه الطبرانى وكذا ابونعيم لكن بلفظ آخر ومما يقويه حديث فضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام اخرجه الترمذى وغيره وفى الشمائل انه عليه السلام اكل الدجاج ولحم حبارى وجنبا مشويا وكان يحب الذراع ويقول ان اطيب اللحم لحم الظهرى وفى الاحياء عن على كرم الله وجهه من ترك اللحم اربعين يوما ساء خلقه ومن داوم عليه اربعين يوما قسا قلبه (والحلواء) من التمر وغيره فعن عائشة كان عليه السلام يحب الحلواء والعسل رواه اصحاب الكتب الستة وكان يعجبه الحلو البارد كما فى الشمائل واما حديث المؤمن حلوى والكافر خمرى فقال ابن حجر العسقلانى باطل لا اصل له وكان يحب الدباء كما فى الشمائل وغيره عن انس وكان يحب القثاء كما رواه الطبرانى عن الربيع بنت معوذ (ثم الدهن) وفى معناه السمن فقد ورد كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة وفى لفظ فانه مبارك احمد والترمذى وابن ماجه عن عمر وصححه الحاكم

على

على شرطهما (ثم الملح) فعن انس مرفوعا سيد ادامكم الملح ابن ماجه وابو يعلى والطبرانى (والخل) فعن عائشة انه عليه السلام قال نعم الادام الخل الترمذى ورواه مسلم عن جابر بن عبدالله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اهله الادام فقالوا ما عندنا الا خل فدعا به فجعل يأكل وهو يقول نعم الادام الخل وعن ام سعد مرفوعا نعم الادام الخل اللهم بارك فى الخل وفى رواية فانه كان ادام الانبياء من قبلى وفى حديث لم يفقر بيت فيه خل رواهن ابن ماجه واما حديث خير خلكم خل خمركم فرواه البيهقى فى المعرفة عن جابر مرفوعا وقال انه ليس بالقوى (والمحمود الوسط فالطرفان) اى الاعلى والادنى (شاغلان) من العبادة للمتجرد الزاهد واما العارف فكل حلال له طيب قال تعالى * يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا * وقال * يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون (فورد والذين اذا انفقوا لم يسرفوا) اى لم يبذروا (ولم يقتروا) اى لم يبخلوا (وكان بين ذلك قواما) ولاشك ان قوام كل قوم بحسب مايقوم عندهم (خير الامور اوساطها) رواه البيهقى عن عمر بن الحارث بلاغا ولعله مأخوذ من قوله تعالى * وكذلك جعلناكم امة وسطا * وقوله كنتم خير امة (والاولى ان لا يواظب عليه) اى على الادام فى جميع الليالى والايام (ويترك المشتهى) اى وان يترك ماتشتهيه النفس (قطعا للانس بالدنيا) وطمعا لمجلس القدس فى العقبى وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين وورد اللهم لا عيش الا عيش الآخرة فان عيشها عيشة راضية فاخرة (وورد) اى فى توبيخ الكفار (اذهبتم طيباتكم) اى مستلذاتكم (فى حياتكم الدنيا) والظاهر انها محمولة على المحرمة اذ لا تبعة فى المباحات او مختصة بالكفار لكن قد يقال العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فيتناول الفجار حيث صرفوا نعم الله سبحانه فى المعصية دون الابرار فانهم استعانوا بنعمه على الطاعة (شرار امتى الذين غذوا) بصيغة المجهول من الغذاء بالمعجمتين اى تربوا (بالنعيم) من غير فرق بين الحلال والحرام (ونبت عليه اجسامهم) وكل جسد نبت من اكل الحرام فالنار اولى به كما فى رواية (وانما همتهم انواع الطعام واللباس) اى من غير تفرقة بين الجواز وعدمه فان محط نظرهم مايرون من فعل عامة الناس والحديث رواه ابن عدى فى الكامل ومن طريقه البيهقى فى شعب الايمان من حديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها وروى من حديث فاطمة بنت الحسين مرسلا قال الدارقطنى فى العلل هو اشبه بالصواب ورواه ابو نعيم فى الحلية من حديث عائشة باسناد لا بأس به (ولا يجمع بين الشهوتين) اى المشتهاتين كاللحم والفاكهة او الفاكهتين (قضاء) اى اداء لشهوة النفس ومرادها فيجوز ان يجمع بنية ادراك خاطر المضيف وغيره وقد ثبت فى الشمائل

انه اكل اللحم مرتين وجمع بين اللحم والرطب وبين البطيخ والرطب وفى رواية بين الخربز والرطب وفى اخرى بين القثاء والرطب وقال برد هذا بحر هذا (ولا بين الشبع والنوم فهما غفلتان) وفى كثرتهما حسرتان وخسارتان (فورد اذيبوا طعامكم) اى اهضموا (بالصلوة والذكر) واعلاه التلاوة (ولاتناموا عليه) اى على الشبع من غير طاعة ربكم (فتقسو قلوبكم) ابونعيم وغيره عن انس (ويكتفى بالتمر تحرزا عن التفكه) اى التنعم فعن النعمان بن بشير رأيته صلى الله عليه وسلم ومايجد من الدقل مايملأ بطنه الترمذى فى شمائله وقيل معنى الاكتفاء بالتمر عن التفكه انه يأكل التمر بدلا من الخبز وكذا يكتفى بكل فاكهة اشتهت نفسه عن الطعام فيأكلها بدلا عنه ليكون قوتا ولا يكون تفكها لان التفكه انما يكون اذا شبع من الطعام ثم اكل الفاكهة اما اذا اكتفى بالفاكهة بدلا عن الطعام فلا يكون ذلك تفكها بل يكون قوتا يقتضى قوة ويناسبه ماحكى عن بعضهم انه نظر الى رجل يأكل خبزا وتمرا فقال له ابتدء بالتمر فان قامت به كفايتك والا اخذت من الخبز بقدر حاجتك (ويؤلم النفس) اى يؤدبها ويهذبها (فى ابتداء الرياضة) قال تعالى * والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا (فكان عليه السلام يحب العسل) اى والحلواء ونحوهما ويستعملهما لانه كان فى مرتبة العرفان وايضا اراد ان يقتدى به جميع افراد الانسان (وعمر رضى الله عنه يجتنبه) اى العسل اوالادام تركا للذة واختيارا للرياضة وعملا بالافضل كما هو شأن الاكمل (ويأمر ابنه) اى عبد الله على ما هو الظاهر (بأكل الخبز يوما مع اللحم ثم اللبن) اى يوما (ثم الدهن) اى دهن الزيت ونحوه اوالسمن ويؤيده قوله (ثم الزيت) اللهم الا ان يقال المراد به الزيتون مجازا وفيه ان الزيت والزيتون كلاهما كان عزيزا فى المدينة (ثم الملح ثم وحده) اى الخبز من غير ادام معه (ولا يأكل فى الخلاء مايترك) اى شيئا او قدرا يتركه (فى الملاء) فانه من باب السمعة والرياء وكذا لايعبد فى الملاء مايتركه فى الخلاء فانه من اخلاق اهل النفاق (فهو شرك خفى) وقد قال سبحانه وتعالى * فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه احدا * وفى الحديث القدسى انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معى غيرى تركته وشركه مسلم وابن ماجه عن ابى هريرة (ولايريد) اى وينبغى ان لايريد (ان يعرف) بين الناس (بالتقليل) اى بتقليل الاكل وكذا بتكثير العلم والعمل (فهو) اى التقليل رياء (افحش) اى اقبح (من الاكثار) مطلقا فانه حينئذ ترك شهوة الحلال واختار شهوة الحرام (ويؤخر السحور) وهو بفتح السين مايتسحر به وبالضم التسحر وهو الاكل فى السحر وهو السدس الاخير من الليل (ويعجل الافطار) ففى كل منهما ورد الآثار فعن ام حكيم عجلوا الافطار واخروا السحور الطبرانى وعن انس بكروا بالافطار

واخروا السحور ابن عدى وعن ابن عباس انا معاشر الانبياء امرنا ان نعجل افطارنا ونؤخر سحورنا ونضع ايماننا على شمائلنا فى الصلوة الطيالسى وعن ابى ذر لا تزال امتى بخير ما عجلوا الافطار واخروا السحور رواه احمد (ويبتدئ بالتمر) والرطب افضل (او الماء) عند عدمهما وزمزم افضل ولامنع من الجمع وعن انس كان عليه السلام يفطر على رطبات قبل ان يصلى فان لم تكن رطبات فتمرات وان لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء (ويفطر صائما) واقله واحد وورد من فطر صائما كان له مثل اجره غير انه لاينقص من اجر الصائم شيئا احمد والترمذى وابن حبان عن زيد بن خالد (فالكل مأثور) وفى ضمن الشرح مسطور (ويستعد فى شعبان) لاستقبال رمضان (بالتوبة) اى الاستغفار والندامة (ورد المظالم) اى مظالم العباد وكذا اداء حقوق الله (وترك الشواغل) اى الموانع عن الصيام والقيام من العمارة والسفر للتجارة والكسب الزائد على الحاجة (ويخص رمضان بالصدقة) اى بزيادتها فانها اقرب الى القبول والغفران (والتلاوة) اى قراءتها اومدارستها فانه شهر نزل فيه القرآن (والاعتكاف) اى فى المسجد قال تعالى * وانتم عاكفون فى المساجد (لاسيما العشر الاواخر) فالاعتكاف فيه سنة مؤكدة وفى غيرها مستحبة (فهو عليه السلام واظب عليه) اى على الاعتكاف فى العشر الاخير ففى الصحيحين عن عائشة كان اذا دخل العشر الاواخر احيى الليل وايقظ اهله وجد وشد المئزر وكان لايخرج الا لحاجته وفى رواية ابى داود بزيادة ولايسأل عن المريض الامارا (وامرنا بالتماس ليلة القدر فيها) اى فى العشر الاواخر واوتارها اشبه والجمهور على انها ليلة السابع والعشرين (ويراعى سائر الايام الفاضلة) اى بالصوم فيها قدر طاقته واستطاعته فى تكثير طاعته (كالاشهر الحرم) وهى رجب وذى القعدة وذى الحجة والمحرم اما المحرم فورد فيه ان كنت صائما بعد شهر رمضان فصم المحرم فانه شهر الله الحديث رواه النسائى عن على ولانه ابتداء السنة فبناؤه على الخير اهب وارجى لدوام البركة وفى المعجم للطبرانى من حديث ابن عباس من صام يوما من المحرم فله بكل يوم ثلاثون حسنة وعن انس من صام ثلاثة ايام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله عز وجل له عبادة تسعمائة سنة الازدى فى الضعفاء وفى رواية ابن شاهين فى ترغيبه وابن عساكر عن انس كتب له عبادة سبعمائة سنة وفى رواية الطبرانى فى الاوسط عن انس عبادة سنتين واما رجب فورد فيه صوم اول يوم من رجب كفارة ثلاث سنين والثانى كفارة سنتين والثالث كفارة سنة ثم كل يوم شهر رواه ابو محمد الخلال عن ابن عباس (لاسيما عرفة) فورد من صام يوم عرفة غفر الله له سنتين سنة امامه وسنة خلفه ابن ماجه بسند حسن عن قتادة بن النعمان واذا كان بعرفات ان لم يضعف عن العبادة ولم يسئ

خلقه فالصوم افضل والا فالافطار وقد ثبت انه عليه السلام افطر بعرفة فى حجة الوداع وكأنه تهوين على الامة منشاؤه الشفقة والرحمة بل ورد انه عليه السلام نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة احمد وابوداود وابن ماجه والحاكم عن ابى هريرة (وعاشوراء) والافضل ضم تاسوعاء (والعشرين) بالفتحتين اى العشر الاول من ذى الحجه ومن المحرم فورد ما من ايام العمل فيهن افضل واحب الى الله من ايام عشر ذى الحجة ان صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه يعدل قيام ليلة القدر الترمذى وابن ماجه من حديث ابى هريرة وعند البخارى من حديث ابن عباس ما العمل فى ايام افضل من العمل فى هذا العشر قالوا ولا الجهاد قال ولا الجهاد الا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشىء (وشعبان) كله او اكثره فكان عليه السلام يكثر صيام شعبان حتى كان يظن انه من رمضان متفق عليه من حديث عائشة (والايام البيض) اى التى لياليها البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر على الاشهر من الاقوال او الايام التى تبيض جسم آدم بصومها لما خرج من الجنة وكان قد اسود من جهة الخطيئة وعن ابن عباس كان عليه السلام لايدع صوم ايام البيض فى سفر ولا حضر الطبرانى (والجمعة) والافضل ان لايصوم فيها مفردا لما ورد عن جنادة الازدى لاتصوموا يوم الجمعة مفردا احمد والنسائى والحاكم وفى رواية لاحمد عن ابى هريرة لاتصوموا يوم الجمعة الا وقبله يوم او بعده يوم (والخميس والاثنين) لانهما يومان متبركان وورد كان يصوم الاثنين والخميس فقيل له فقال الاعمال تعرض كل اثنين وخميس فيغفر لكل مسلم الا المتهاجرين فيقول اخروهما احمد عن ابى هريرة (ويفطر فى آخر شعبان استعانة على صوم رمضان) واستبعادا عن التقدم فى الزمان وورد اذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان الاربعة من حديث ابى هريرة وصححه الترمذى وفى رواية اذا انتصف شعبان فلا صوم حتى رمضان احمد والدارمى والاربعة وصححه وابن حبان وابو عوانة وغيرهما مرفوعا فان وصل شعبان برمضان فجائز كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة كما رواه الاربعة من حديث ام سلمة لم يكن يصوم من السنة شهرا تاما الا شعبان يصل به رمضان ولابى داود والنسائى نحوه من حديث عائشة وفصل مرارا كثيرة كما رواه ابو داود من حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحفظ من هلال شعبان ما لايتحفظ من غيره فان غم عليه عد ثلاثين يوما ثم صام واخرجه الدارقطنى وقال اسناده صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين كذا ذكره الحجة ومخرجه ولايخفى عدم دلالة الحديث على المدعى (ثم السر فيما ورد) من حديث عبد الله بن عمرو فى الصحيحين (افضل الصيام صيام اخى داود) وتمامه كان يصوم يوما ويفطر يوما (شدة

انكسار

انكسار النفس) وما لها من الارادة (بنقض العادة) فانه اب العبادة ومن ذلك ما ورد فى الصحيحين ايضا من منازلته عليه السلام لعبد الله بن عمرو فى الصيام وهو يقول اريد افضل من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم له صم يوما وافطر يوما فقال اريد افضل من ذلك فقال عليه السلام لا افضل من ذلك لانه اشد على النفس والهوى وفى قمع قهرها اقوى ولان العبد فيه بين صبر يوم وشكر يوم فقد قال عليه السلام عرضت على مفاتيح خزائن الدنيا وكنوز الارض وقلت اجوع يوما واشبع يوما احمدك اذا شبعت واتضرع اليك اذا جعت الترمذى من حديث ابى امامة وحسنه وفيه تنبيه على ان الكمال هو التربية بين تجلى صفتى الجمال والجلال وقد ورد ايضا الايمان نصفان نصفه صبر ونصفه شكر وقال عز وعلا * ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور * (بخلاف صوم الدهر) فانه يصير العبادة له كالعادة على انه شامل للكل مع الزيادة وللسالكين طرق هنالك فمنهم من كره ذلك اذ وردت فيه اخبار كثيرة تدل على كراهيته منها من صام الابد اى الدهر فلا صام ولا افطر احمد والنسائى والحاكم وابن ماجه عن عبد الله بن الشخير وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر لا صام من صام الابد ولمسلم من حديث ابى قتادة قيل يارسول الله كيف بمن صام الدهر قال لا صام ولا افطر وللنسائى من حديث عبد الله بن عمر وعمران بن الحصين وفى الاحياء الصحيح انه انما يكره لشيئين احدهما ان لا يفطر فى العيدين وايام التشريق وهو الدهر كله وثانيهما ان يرغب عن السنة فى الافطار ويجعل الصوم حجرا على نفسه مع ان الله سبحانه يحب ان تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزائمه واذا لم يكن شىء من ذلك ورأى صلاح نفسه فى صوم الدهر هنالك فليفعل وقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين وقال عليه السلام فيما رواه ابو موسى الاشعرى من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم وعقد تسعين معناه ليس له فيها موضع والحديث رواه احمد والنسائى فى الكبرى وابن حبان وحسنه ابو على الطوسى (قيل يجتهد ان يصوم نصف السنة) وهو صيام داود ويمكن ان يكون غيره (او ثلثها) فاذا صام ثلاثة ايام من اول الشهر وثلاثة من وسطه وثلاثة من آخره فهو ثلث بانفراده واما (مع رعاية الايام الفاضلة) بان صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من النصف (وقيل لا يفطر الاربعة ايام متواليات اعتبارا بايام النحر والتشريق) وفى الاحياء كره بعض العلماء ان يوالى بين الافطار اكثر من اربعة ايام تقديرا بيوم العيد وايام التشريق وذكروا ان ذلك يقسى القلب ويولد ردىء العادات ويفتح ابواب الشهوات قال ولعمرى هو كذلك فى حق اكثر الخلق لاسيما من يأكل فى اليوم مرتين (والاصل العمل بحسب صلاح الباطن) اى اذا صلح باطنه بالصوم صام واذا صلح بالفطر

افطر لان المقصود صلاح القلب للحضور بين يدى الرب فتارة يقتضى دوام الصوم واخرى دوام الفطر واخرى مزجه وهو الانسب (فكان عليه السلام يصوم) اى النفل متتابعا (حتى يقال) وفى رواية حتى نقول بالنون والغيبة والخطاب (لايفطر) اى ابدا (وكذا يفطر) اى مواظبا (حتى يقال لا يصوم) بعد هذا اصلا (ويقوم) اى فى الليل متواليا (حتى يقال لاينام وينام) اى كثيرا (حتى يقال لا يقوم) كذا فى الاحياء قال العراقى حديث كان يصوم حتى يقال لايفطر الحديث اخرجاه من حديث عائشة وابن عباس دون ذكر القيام والنوم وللبخارى من حديث انس كان يفطر من الشهر حتى يظن انه لايصوم منه ويصوم حتى يظن انه لا يفطر منه شيئا وكان لاتشأ قراه من الليل مصليا الا رأيته ولانائما الا رأيته قلت والحديث ايضا فى شمائل الترمذى وقد شرحته وكان ذلك المقام له عليه السلام بحسب ما ينكشف له بنور النبوة من القيام بحقوق الاوقات واختلاف الحالات *

الباب الرابع فى السفر والحج والغزو

تخصيص بعد التعميم للتتميم (بسم الله الرحمن الرحيم) المعين للمسافر والمقيم (السفر) اعم من الشرعى واللغوى (اما دينى وهو على قصد التعلم) من علماء الشريعة او من مشايخ الطريقة فيستفيد من معارفهم فى الحقيقة (فورد) اى برواية الترمذى والضياء عن انس (من خرج من بيته فى طلب العلم فهو فى سبيل الله) اى الجهاد مع اعداء مولاه اوفى طريق رضاه (حتى يرجع) اى من سفره الى حضره قال المظهرى وجه مشابهة طلب العلم بالمجاهدة فى سبيل الله انه احياء الدين وفيه ارضاء الرحمن واذلال الشيطان وعن انس طالب العلم افضل عند الله من المجاهد فى سبيل الله الديلمى وعن جابر بن عبد الله انه رحل من المدينة الى مصر لحديث بلغه ان عبد الله بن انيس يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل فى تفسير قوله تعالى * السائحون * انهم طلاب العلم المسافرون وعن ابى هارون قال كنا نأتى ابا سعيد فيقول مرحبا بوصيته عليه السلام كان يقول ان الناس لكم تبع وان الرجال يأتونكم من اقطار الارض يتفقهون فى الدين فاذا اتوكم فاستوصوا بهم خيرا وعن كثير بن قيس قال كنت جالسا مع ابى الدرداء فى مسجد دمشق فجاءه رجل فقال يا ابا الدرداء انى جئتك من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم لحديث بلغنى انك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ماجئت لحاجة اى غير ان اسمع منك الحديث قال فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة وان الملائكة لتضع اجنحتها رضا لطالب العلم وان العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الارض والحيتان فى جوف الماء وان

فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر رواه احمد والترمذى وابو داود وابن ماجه والدارمى والحديث فى المشكوة وشرحته فى المرقاة (والتجارب) اى وقصد التجربة فى اماكن الشدة (لاصلاح الاخلاق) اى المستحسنة فى حكم الخلاق (فهومهم) والسالك بسيره متم ومنه قوله عليه السلام اخبر تقله ابن عدى من حديث ابى الدرداء مرفوعا وفى رواية له وجدت الناس اخبر تقله اخرجه الطبرانى وابو يعلى وابو نعيم وفى النهاية اى جرب الناس فانك اذا جربتهم قليتهم وتركتهم لما يظهر لك من بواطن سرائرهم لفظه امر ومعناه خبر اى من جربهم واختبرهم ابغضهم والماء فى تقله للسكت ومعنى نظم الحديث وجدت الناس مقول فيهم هذا القول قيل ويضرب هذا مثلا فى قلة توقع الخير عند الناس (والسفر) وسمى به لانه (يسفر عنها) اى يكشف عن الاخلاق الرضية والدنية فى اختلاف الحالات (للبعد عن المألوفات) وعدم وجود المعروفات (والتفكر فى لطائف افعاله تعالى) فى مصنوعاته (وعظيم صفاته) اى الدالة على عظمة ذاته كما يشير اليه قوله تعالى * قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلكم * فهو اما بسير الباطن او بانضمام سير الظاهر وقوله عز وعلا * سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم * وقوله * اولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شىء * واختلف اهوال الصوفية فى سلوك سير الظاهر فمنهم من سافر فى بدايته واقام فى نهايته وهو الاظهر ومنهم من اقام ولم يسافر وهو الاكثر ومنهم من استدام على السفر (والحج فورد ولله على الناس حج البيت الآية) اى * من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين (من حج البيت ولم يرفث) اى لم يجامع فى الاحرام ولم يذكر النساء فى مجامعهن (ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه) احمد والبخارى والنسائى وابن ماجه عن ابى هريرة بلفظ من حج لله فلم يرفث الحديث ومن مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا ابن عدى من حديث ابى هريرة والترمذى من حديث على وقال غريب وفى اسناده مقال ومن خرج من بيته حاجا اومعتمرا فمات اجر الله له اجرى الحاج والمعتمر كل سفة الى يوم القيمة البيهقى فى الشعب (والجهاد) مع الكفار (فورد لغدوة فى سبيل الله اوروحة خير من الدنيا وما فيها) احمد والشيخان والترمذى وابن ماجه عن انس (وزيارة المدينة) ففى الخبر من زار قبرى وجبت له شفاعتى ابن عدى والبيهقى وابن ابى الدنيا والطبرانى والدارقطنى عن ابن عمر وهو فى صحيح ابن خزيمة والطيالسى عن عمر مرفوعا من زار قبرى كنت له شفيعا اوشهيدا قال الذهبى طرقها كلها لينة لكن يقوى بعضها بعضا

لان من الرواة من هو متهم بالكذب قال ومن اجودها اسنادا حديث خاطب من زارنى بعد موتى فكما زارنى فى حياتى اخرجه ابن عساكر وغيره قلت حديث من زارنى بعد وفاتى فكانما زارنى فى حياتى رواه ابن عدى والطبرانى والدارقطنى والبيهقى من حديث ابن عمر ومن جاءنى زائرا لايهمه الازيارتى كان حقا على الله ان اكون له شفيعا الطبرانى من حديث ابن عمر وصححه ابن السكن ومن وجد سعة ولم يفر الى فقد جفانى ابن عدى والدارقطنى وابن حبان والخطيب من حديث ابن عمرو فى رواية من حج ولم يزرنى فقد جفانى وروى ابن النجار فى تاريخ المدينة من حديث انس مامن احد من امتى له سعة ثم لم يزرنى فليس له عذر (وبيت المقدس) فعن ابن عمر ان سليمان بن داود عليهما السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل خلالا ثلاثة سأل الله حكما يصادف حكمه فاوتيه وسأل الله ملكا لا ينبغى لاحد من بعده فاوتيه وسأل الله حين فرغ من المسجد ان لا يأتيه احد لاينهض الا الصلوة فيه ان يخرجه من خطيئته كيوم ولدته امه اما اثنتان فقد اعطيهما وارجو ان يكون قد اعطى الثالثة احمد والنسائى وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقد صح انه عليه السلام صلى فيه ورحل ابن عمر اليه ودخل عليه وصلى ركعتين ثم رجع وعن ميمونة مرفوعا من لم يأت بيت المقدس يصلى فيه فليبعث بزيت يسرج فيه البيهقى (فورد) اى فى الصحيحين وغيرهما من حديث ابى هريرة وابى سعيد (لاتشد الرحال) اى لاتطلب بركة البقاع بالسفر اليها (الا الى مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى) ولايمنع هذا زيارة قبور الانبياء والاولياء لان الحصر فى حق المساجد دون سائر المشاهد ومسجد قباء ونحوه فى المدينة من منازل الكرام داخل فى جنس مسجده عليه السلام ثم لفظ الحديث على ما هو المشهور عند المحدثين الاعلام لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الاقصى وهذا هو الترتيب المناسب لتفاوت المساجد فى فضيلة مضاعفة الصلوة فيها فعن جابر صلوة فى المسجد الحرام مائة الف صلوة وصلوة فى مسجدى الف صلوة وفى بيت المقدس خمسمائة صلوة البيهقى (وملاقاة الكبراء) من المشايخ والعلماء وهم احياء (للاستفادة من مشاهدة الاحوال) ومعاينة الاقوال (فلسان الحال افصح) من بيان المقال وليس الخبر كالمعاينة وقد ورد اولياء الله الذين اذا رؤا ذكر الله الحكيم عن ابن عباس فقد ينفعه لحظ الرجال مالا ينفعه لفظ الرجال ومن هنا قيل من لم ينفعك لحظه لم ينفعك لفظه وهذا القول له معنيان احدهما ان الرجل الصديق يكلم الصادقين بلسان فعله اكثر مما يكلمهم بلسان قوله فاذا نظر الصادق الى تصاريفه فى مورده ومصدره وخلوته وجلوته وكلامه وسكوته ينتفع بالنظر اليه فهو نفع اللحظ عليه ومن لم تكن افعاله هكذا فلفظه ايضا لاينفع لانه يتكلم بهواه ونورانية القول على قدر نورانية القلب ونورانية القلب بحسب الاستقامة

فى طاعة الرب المعبر عنها بالشريعة فى الاعمال الظاهرة وبالطريقة فى الاخلاق الباهرة وبالحقيقة فى الاحوال الذاخرة المستمرة حتى فى الدار الآخرة والثانى ان نظر العلماء الراسخين والرجال البالغين ترياق نافع ينظر احدهم الى الرجل الصادق فيستنشف بنفوذ بصيرته حسن استعداد الصادق واستيهاله واهب الله تعالى الخاصة للموافق فتقع فى قلبه محبة المريد الصادق وينظر اليه نظرة محبة عن بصيرة فيكتسب بنظره احوال سنية ويرى آثار رضية وماذا ينكر المنكر من قدرة الله سبحانه ان يجعل هذه الخاصية فى نظر بعض خواصه من عباده كما جعل فى بعض الافاعى من الخاصية انه اذا نظر الى انسان يهلكه ومما يدل على تأثير الصحبة واكسير نظر الاثير ما حصل لاجلاف العرب حيث كان احدهم ممن يهول على عقبيه فينظر صلى الله عليه وسلم وآمن به فصار فى لحظة واحدة من كمل الاولياء والاصفياء حيث لم يبلغه احد من المشايخ والعلماء وابلغ من هذا قضية كلب اصحاب الكهف حتى وصل مرتبته الى ان ذكره الله فى كتابه القديم مرات بنعت التعظيم والتكريم وقد وقع تأثير نظر الشيخ نجم الدين الكبرى الى كلب كان حول الفقراء وذكر صاحب عوارف المعارف الشيخ شهاب الدين السهروردى عن عمه الشيخ نجيب الدين صاحب آداب المريدين انه كان يطوف فى مسجد الخيف بمنى ويتصفح وجوه الناس ههنا وههنا فقيل له فى ذلك فقال ان لله عبادا اذا نظروا الى شخص اكسوه السيادة فانا اطلب تلك السعادة وحكاية الشيخين مع السيد عبد القادر مشهورة وفى غير هذا المحل مسطورة (وزيارة قبورهم) اى الكبراء فانهم بمنزلة الشهداء لايموتون ولكن ينتقلون من دار الفناء الى دار البقاء وقد وردكنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروا القبور فانها تزهد فى الدنيا وتذكر الآخرة ابن ماجه عن ابن مسعود وفى رواية الحاكم عن انس كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها فانها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة الحديث (والفرار عما يشوش العبادة) اوينقصها او يمنعها (كالجاه) اى الوسيع (والمال) اى الكثير وعن سفيان الثورى هذا زمان سوء لايؤمن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين هذا زمان ينتقل الرجل من قرية الى قرية ليفر بدينه من الفتنة ومن افضلها الهجرة من دار الكفر الى دار الاسلام ومن دار البدعة الى دار السنة ومن دار المعصية الى دار الطاعة ففى الصحيح من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فالمدار على تصحيح النية وتخليص الطوية فى جميع الاعمال الدينية والدنيوية لتصير وسائل فى رفعة الدرجات الاخروية (واما دنيوى كالفرار من الفتنة) اى الدنيوية (والقحط) ونحوه من الغلاء وسائر البلية (ولاحرج فيه) اى فى هذا النوع بل هو مباح اومستحب

فقد قال ابو نعيم رأيت سفيان الثورى وقد جعل جرابه على كتفه وقلته بيده فقلت الى اين يا اباعبدالله فقال الى بلد املأ فيها جرابى بدرهم وفى حكاية اخرى بلغنى خبر قرية فيها رخص اقيم فيها فقلت تفعل هذا يا اباعبدالله فقال نعم اذا سمعت برخص فى بلدة فاقصدها فانه اسلم لدينك واقل لهمك فالاولى للمريد اذا كان طالبا للمزيد ان يلزم مكانه ويحفظ شانه مما شانه اذا لم يكن قصده من السفر استفادة العلم مهما سلم له حاله فى وطنه فان لم يسلم فيطلب من المواضع ما هو اقرب الى الخمول واسلم للدين وافرغ للقلب وايسر بعبادة الرب فهو افضل المواضع له قال تعالى * يا عبادى الذين آمنوا ان ارضى واسعة فاياى فاعبدون * وورد البلاد بلاد الله والخلق عباد الله فاى موضع رأيت فيه رفقا فاقم واحمد الله احمد والطبرانى من حديث الزبير بسند ضعيف وفى الخبر من رزق من شئ فليلزمه ابن ماجه من حديث انس بسند حسن واذا سبب الله لاحدكم رزقا من وجه فلا يدعه حتى يتغير له او يتنكر له ابن ماجه من حديث عائشة بسند فيه جهالة واحمد بسند حسن (الا عن الطاعون فهو) اى الفرار منه (منهى عنه) بلفظ اذا سمعتم بالطاعون بارض فلا تدخلوا عليه واذا وقع وانتم بارض فلا تخرجوا منها فرارا منه احمد والشيخان والنسائى عن اسامة بن زيد (اوطلب المال) اى وكطلبه (ونحوه) من النكاح وغيره من المباحات (فينوى فيه) اى الخيرات والمبرات (نحو التعفف عن السؤال) فى طلب المال (والتعطف على العيال) فى النكاح (ليصير عبادة) لان تصحيح النيات بجعل العادات عبادات كما حقق فى شرح حديث انما الاعمال بالنيات ومن هنا ورد نية المؤمن خير من عمله (ثم ان كان) اى السفر (واجبا) اى فرض عين (كالحج وطلب العلم فيتعين) اى فعله (والا) اى وان لم يكن واجبا (فالاستفتاء من القلب) متعين فى فعله وتركه (بحسب صلاح الحال) وفساده فى الحضور مع الرب (فالفوائد) اى المنافع (والآفات) اى المضار (متعارضة) فى امر السفر وغيره من الحالات (والمقصود) اى الاعلى (هو المعرفة والانس به تعالى) فى جميع المقامات (والمعين فى البداية السفر للتعلم) ان لم يوجد العلماء فى بلده او لم يقدر على تحصيله لشغله باهله (وفى النهاية الاقامة) لاسيما مع الكبر فانه لا يتحمل الضرر (ففيه) اى فى السفر (شواغل) عن الذكر والفكر (من النظر الى المألوفات وحفظ النفس والمتاع) من الآفات (واهتمال الشدائد والهموم) باختلاف الحالات وتفاوت الاوقات وتباين المقامات ومن هنا ورد السفر قطعة من العذاب يمنع احدكم طعامه وشرابه ونومه فاذا قضى احدكم نهمته من وجهه اى حاجته من جهته فليعجل الرجوع الى اهله مالك واحمد والشيخان وابن ماجه عن ابى هريرة (وحقه) اى المسافر (ان يتوب) عن الذنوب من الصغائر والكبائر فى

الظواهر والضمائر ويؤدى حقوق الله من فوات صوم وصلوة ونحوهما (ويرد المظالم) اى حقوق العباد اويستحلل من اصحابهـا ويقضى الديون ويدفع الامانات الى اربابها فى القنية رجل عليه حق وغاب عن صاحبه بحيث لايعلم مكانه ولايعلم احى ام ميت لايجب عليه طلبه فى البلاد وفيه ايضا رجل عليه ديون لاناس لايعرفهم من غصوب ومظالم وجنايات يتصدق بقدرها على الفقراء بنية القضاء ان وجدهم مع التوبة الى الله فيعذر وفى فتاوى قاضى خان رجل له خصم فمات ولا وارث له يتصدق عن صاحب الحق بقدر ماله ليكون وديعة عند الله يوصله الى خصمائه يوم القيمة (ويؤدى النفقات) اى كل من تلزمه نفقته الى حين رجعته (ويأخذ الزاد) من المال الحلال لذهابه وايابه من غير تقدير وتعيين فى بابه بل على وجه يمكنه معه التوسع فى الزاد مع الرفقاء والرفق بالضعفاء والفقراء قيل وبذل الزاد فى طريق الحج نفقة فى سبيل الله عز وجل الدرهم بسبعمائة قال ابن عمر من كرم الرجل طيب زاده فى سفره وكان يقول افضـل الحاج اخلصهم لله وازكاهم نفقة واحسنهم يقينـا وورد الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة فقيل يارسول الله ومابر الحج قال طيب الكلام والطعام الطعام وذكر ابن الحاج ان من يخرج للحج بغير زاد ولامركوب يطرأ عليه امور عديدة منها عدم القدرة على اداء الصلوة وهو متعد فى ذلك ومنها عدم القوة والقدرة على تحمل المشقة ومنها يكلف الناس ان يقوموا بقوته وسقيه وربما آل امره الى الموت وهو الغالب فتجدهم فى اثناء الطريق مرضى مرميين اوطرحى ميتين بعد ان خالفوا امر الله فى حق انفسهم واوقعوا اخوانهم ممن علم بحالهم من اهل الركب فى اثمهم وكذلك يأثم كل من اعانهم بشئ لايكفيهم فى اول امرهم اويسعى لهم فيه من غيرهم اللهم الا ان يعلم ان غيره يغنيهم بشئ يتم به كفايتهم فى الذهاب والاياب فلابأس فان لم يعلم بذلك حرم عليه الاعطاء لهم لان ذلك سبب لدخولهم فيما لاقدرة لهم من العطش وغيره والافضاء الى الموت ونحوه فيكون شريكا لهم فيما وقع بهم وهذا بخلاف ما اذا كانوا فى الطريق على هذا الحال فانه يتعين على من علم بحالهم اعانتهم بما تيسر له ولو بالشربة والشربتين واللقمة واللقمتين ويعرفهم ان ما ارتكبوا يحرم عليهم لا يجوز لهم ان يعودوا لمثله (ويطلب الرفيق المعين على الخير) المجرب فى الخير والشر والسفر والحضر فقد قيل الرفيق ثم الطريق والله ولى التوفيق ووصف الرفيق بانه ان نسى الخير ذكره وان ذكره اعانه وان جبن شجعه وان عجز قواه وان ضاق صدره صبره وسلاه وكونه من الاجانب اولى من الاقارب عند بعض الصالحين تبعدا عن ساعة الوقيعة الموجبة للقطيعة ويجتنب صحبة المتكبرين والجهال (ويتصدق قبل الخروج) ولو بشئ قليل فان الصدقة تدفع البلاء (ويصلى ركعتين) للموادعة اوللاستخارة (ويستخير فى غير الواجب) من السفر

وغيره والتحقيق ان يستخير فى الواجب ايضا الا انه لا فى فعله وتركه بل يستشير ويستخير فى متعلقاته من خروجه فى هذا الوقت اوغيره اوفى شراء الدابة وكرائها ونحوه (ويودع الاخوان) ويقول لهم استودع الله دينكم وامانتكم وخواتيم عملكم كما رواه ابوداود والترمذى وصححه والنسائى من حديث ابن عمر (ويرغب فى دعائهم) ويستحب لهم ان يقولوا له فى حضرته زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير أينما توجهت كما رواه الطبرانى فى الدعاء من حديث انس وهو عند الترمذى وحسنه وفى غيبته اللهم اطو له البعد وهون عليه السفر وفى الخبر اذا اراد احدكم سفرا فليسلم على اخوانه فانهم يزيدونه بدعائهم الى دعائه خيرا الطبرانى فى الاوسط عن ابى هريرة (ويعرض الاشياء) اى جميعها (على المكرى) بضم الميم اى المكارى ولوكان قد رمكتوب ونحوه فقد قال رجل لابن المبارك احمل لى هذا الكتاب معك لتوصله فقال حتى استأمر الجمال فانى قد اكتريت منه قال الحجة فانظر كيف تورع من استصحاب كتاب لاوزن له وهو طريق الحزم فى الورع فانه اذا انفتح باب يسير انجر الى الكثير اقول ولايبعد ان يراد بالكتاب ماله وزن فحينئذ يجب التوقف على الاذن (ويرضيه) بحمله ان كان زيادة على معتاده (ويخرج فى بكور الخميس) فورد انه عليه السلام كان يستحب ان يسافر يوم الخميس الطبرانى عن ام سلمة (والسبت فورد دعاؤه عليه السلام فيهما) اى فى الخميس والسبت اما فى مطلق البكور بقوله عليه السلام اللهم بارك لامتى فى بكورها واخرجه الاربعة وحسنه الترمذى وصححه ابن حبان من حديث صخر بن وداعة الغامدى مرفوعا به واما فى خصوص الخميس فلابن ماجه عن ابى هريرة والطبرانى فى الاوسط عن عائشة مرفوعا اللهم بارك لامتى فى بكورها يوم الخميس وفى رواية قال اغدوا فى طلب العلم فانى سألت ربى ان يبارك لامتى فى بكورها يوم الخميس وعن ام سلمة كان يحب ان يسافر يوم الخميس الطبرانى واما ما اشتهر فى هذا اللهم بارك لامتى فى سبتها وخميسها واللهم بارك لامتى بكورها واجعل ذلك فى سبتها وخميسها فباطل لا اصل له كما افاده الحافظ بن الملقن فى ادلة التنبيه (والاثنين) اى ويخرج فى الاثنين (وهو ايضا مأثور) فقد ثبت انه عليه السلام هاجر من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وولد يوم الاثنين وبعث يوم الاثنين ومات يوم الاثنين (ويكثر السير فى الليل) اى ينبغى ان يكون اكثر سيره بالليل (فورد عليكم بالدلجة) بضم فسكون وهى السير فى اول الليل وقيل فى آخره وهو الاظهر لما فى جميع المناسك ويستحب السير فى آخر الليل وذكر بعضهم سيره اول الليل انتهى ولايخفى ان ذلك مختلف باختلاف البلاد والعباد (فان الارض تطوى بالليل ما لاتطوى بالنهار) ابو داود والحاكم والبيهقى عن انس بدون ما لاتطوى بالنهار وهذه الزيادة فى الموطأ من

حديث خالد بن معدان مرسلا (ولا ينزل) اى فى المنزل (ما لم يصر اليوم حارا) فان السير فى البرد ايسر (ويصلى) استحبابا (عند الركوب) من المنزل (والنزول فيه) قياسا على الركعتين عند دخول بيته وخروجه منه وقد اخرج الطبرانى عن فضالة ابن عبيد انه عليه السلام كان اذا نزل منزلا فى سفر او دخل بيته لم يجلس حتى يركع ركعتين وللبيهقى عن انس كان عليه السلام اذا نزل منزلا لم يرتحل حتى يصلى فيه ركعتين ويقول عند نزوله * رب انزلنى منزلا مباركا وانت خير المنزلين * وعند سيره بسم الله التكلان على الله لاحول ولاقوة الا بالله كما رواه ابن ماجه والحاكم وابن السنى عن ابى هريرة وفى رواية الطبرانى عن ابى سعيد بسم الله توكلت على الله الحديث (ويكبر فى كل صعود) يصعد عليه من شرف اظهارا لكبريائه وعلو مكانته وارتفاع شانه (ويسبح فى كل هبوط) اى حدر يهبط اليه بان نزل من علو الى سفل تنزيها له سبحانه عن الزوال والنزول فقد ورد اذا علا ثنية كبر واذا هبط سبح البخارى والنسائى عن جابر وابو داود عن ابن عمر وفى رواية لاصحاب الكتب الستة عن ابى موسى اذا اشرف على وادهلل وكبر اى قال لا اله الا الله والله اكبر وفى رواية لاحمد وابى يعلى وابن السنى عن انس اذا اشرف على مكان مرتفع قال اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال اى لك العلو على كل عال كما قال تعالى * وهو القاهر فوق عباده * وله الكبرياء فى السموات والارض (وهدوء وحشة) اى ويسبح عند ظهور وحشة من خوف ومحنة ولم ار مأثورا وانما ورد اذا غنى قوما قال اللهم انا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم ابو داود والنسائى وابن حبان والحاكم عن ابى موسى الاشعرى وفى الفردوس للديلمى عن شداد بن اوس مرفوعا حسبى الله ونعم الوكيل امان لكل خائف (ويؤمر احدا) اى يجعل اميرا اذا كان المسافر متعددا (لانتظام الرأى) وعدم التنازع فى الامر (وليكن الامير احسنهم خلقا) بضمتين اى اكثرهم علما واظهرهم حلما (ومواساة) اى اوسعهم موافقة ومداراة وهو بان يكون ازهدهم فى الدنيا واشهرهم فى التقوى واصبرهم على البلوى واشكرهم فى النعمى واتمهم مروءة واعمهم شفقة واقواهم خدمة فقد نقل عبد الله المروزى ان اباعلى الرباطى صحبه فقال عبد الله لعلى على ان تكون انت الامير وانا فقال ابو على بل انت فحمل الزاد لنفسه ولابى على على ظهره وامطرت السماء ذات ليلة فبات عبد الله طول الليل على رأس رفيقه يغطيه بكسائه عن المطر وكلما قال لاتفعل يقول الست الامير وعليك الانقياد والمطاوعة (وورد اذا كنتم ثلاثة فى السفر فامروا احدكم) عن ابى سعيد اذا كانوا ثلاثة فليؤمهم احدهم واعقهم بالامامة اقرؤهم احمد ومسلم والنسائى ولعل قيد الثلاثة للاشعار بانه

اقل الكمال فى الجماعة والرفقة (ويعين) اى الامير (الرفقة) بضم فسكون اى رفقاءه بما يقدر عليه من اللطف والرفق (ويواسى عليهم) بزيادة الاحسان وسعة الرزق (ويرافق الراحلة) اى الدابة بان لايحملها مالا طاقة لها ولا يرضى بان صاحبها ايضا يحملها فوق طاقتها فى عرفها وعادتها قال ابو الدرداء لبعير له عند الموت يا ايها البعير لاتخاصمنى الى ربك فانى لم اكن احملك وعلى الجملة فى كل كبد حراجر فيراعى حق الدابة وحق المكارى جميعا (وينزل احيانا ففيه اقامة للسنة) اذ كان عليه السلام ينزل احيانا عن الدابة ففى الاوسط للطبرانى من حديث انس باسناد جيد انه عليه السلام كان اذا صلى الفجر فى السفر مشى ورواه البيهقى فى الادب وقال مشى قليلا وناقته تقاد وقال علماؤنا ويستحب ان يريح الدابة بالنزول عنها غدوة وعشية وعند عقبة اذا اطاق وقال الطرابلسى يجب اذا كانت الدابة مستأجرة فى المواضع التى جرت عادة مثله بالنزول فيها الا ان يرضى صاحبها وكانت الدابة مطيقة ولايحل له ان يستلقى على ظهر الدابة ولاينكىء عليها بل يكون راكبا على العرف والعادة فى مثلها ذكره صاحب السراج الوهاج (وترفية للدابة) اى تهوين لها عن دوام المشقة (واسرار للمكارى) حيث يفرح بالخفة (ورياضة للنفس) اى تهذيب لها ليعرف قدر النعمة (وتحرز عن ضعف الاعصاب) وما يترتب على دوام الركوب من اليبوسة (ولا ينام عليها الانومة خفيفة) اذا حملت ضرورة اذ النوم عليها يؤذيها ويثقل عليها وكان اهل الورع لا ينامون على الدواب الاغفوة عن قعود (ولا يتوقف) راكبا عليها زمانا طويلا (فورد لاتتخذوا ظهور دوابكم كراسى) والحديث رواه احمد من حديث سهل بن معاذ ورواه ابن حبان والحاكم وصححه من رواية معاذ بن انس عن ابيه مثل كراسى فى دوام القعود عليها ولعله محمول على محمولة مثقلة بخلاف الخيل والناقة التى هى غير مزملة وعلى كل تقدير فيستثنى عشية عرفة فى الوقفة فانه يستحب الوقوف على الدابة (ولا ينفرد عن الرفقة) اى لا يمشى منفردا خارج القافلة لانه ربما يغتال اوينقطع وكذا لاينفرد عنهم فى المنزل (ويحرس) اى متاعه وامتعة اصحابه (بالنوبة) فاذا نام احدهم حرس الآخر فهو السنة اخرج البيهقى من طريق ابن اسحق من حديث جابر فى حديث فيه فقال الانصارى للمهاجرى اى الليل احب اليك ان اكفيكه اوله او آخره فقال لابل اكفنى اوله فاضطجع المهاجرى والحديث عند ابى داود ايضا لكن ليس فيه قول الانصارى للمهاجرى بل فيه تناوب الرفيقين فى الحراسة فاذا نام احدهما حرس الآخر (وينام فى اول الليل جاعلا رأسه على العضد) بان افترش ذراعه (وفى آخره) اى الليل (على الكف ويقيم العضد) بان نصب ذراعه نصبا وجعل رأسه فى كفه (لئلا يشتد النوم) فتفوت صلوة الصبح (فهو مأثور) رواه احمد

والترمذى

والترمذى فى الشمائل من حديث ابى قتادة باسناد صحيح وكذا ابن حبان والحاكم عنه بلفظ كان اذا عرس وعليه ليل توسد يمينه واذا عرس قبيل الصبح وضع رأسه على كفه اليمنى واقام ساعده والتعريس النزول فى الليل قال العراقى وعزاه ابو مسعود الدمشقى والحميدى الى مسلم ولم اره فيه (ولايصحب جرسا) لقوله عليه السلام لاتصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولاجرس احمد ومسلم وابو داود والترمذى عن ابى هريرة لقوله عليه السلام الجرس مزامير الشيطان احمد ومسلم وابوداود عن ابى هريرة وفى رواية لابى داود عنه لاتدخل الملئكة بيتا فيه جرس (ولاشاعرا) اى من شعراء الجاهلية الذين قال تعالى فى حقهم * والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون مالا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا * والحاصل ان الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح يستوى فيه السفر والحضر (ولا ساحرا) فانه اما ان يكون فاجرا او كافرا (ولا كاهنا) وهو من يدعى علم الغيب بواسطة الجن اوغيره فقد ورد من اتى كاهنا فصدقه بمايقول فيه برئ مما انزل على محمد احمد والاربعة عن ابى هريرة وفى رواية الطبرانى عن واثلة من اتى كاهنا فسأله عن شئ حجبت عنه التوبة اربعين ليلة فان صدقه بما قال كفر ومن اتى عرافا فسأله عن شئ فصدقه لم تقبل له صلوة اربعين يوما رواه مسلم عن بعض امهات المؤمنين وللحاكم واحمد عن ابى هريرة من اتى عرافا اوكاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم وفسر العراف بمن يدعى معرفة السارق ومكان الضالة فهو اخص من الكاهن وفى معناه المنجم والرمال وسائر اصحاب الفال (ولاجلالة) وهى دابة تأكل النجاسة فان الملائكة يتنفرون من رائحتها واخرج الدولابى فى الكنى وابن مندة والطبرانى وابن عساكر عن ابى رابطة بن كرامة المدجى قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقوم فى سفر لايصحبنكم جلال من هذه النعم ولايضمن احدكم ضالة ولا يردن سائلا ان كنتم تريدون الربح والسلامة ولايصحبنكم من الناس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ساحر ولا ساحرة ولا كاهن ولا كاهنة ولامنجم ولامنجمة ولا شاعر ولا شاعرة الحديث (ولاكلبا) لما تقدم (ويؤذن ان ضل الطريق) اوغاب عن الرفيق ورأى اشياء منكرة اوتخيلت له خيالات مستنكرة اوتلونت له اجسام مكروهة مزورة فقد ورد اذا تغولت الغيلان نادى بالاذان رواه مسلم عن ابى هريرة فان الجن والشيطان يفرون من الاذان وتحضره الملائكة والابدال من الاعيان واذا انفلتت دابته فليناد اعينوا ياعباد الله رواه ابن ابى شيبة من قول ابن عباس موقوفا وان اراد عونا فليقل ياعباد الله اعينونى ياعباد الله اعينونى ياعباد الله اعينونى رواه الطبرانى عن زيد بن على عن عقبة بن غزوان عن

نبى الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا ضل احدكم شيئا اوارادعونا وهو بارض ليس بها انيس فليقل ياعباد الله اعينونى ياعباد الله اعينونى فان لله عبادا لا نريهم (وورد اذا اختلف عليكم الطريق فعليكم بذات اليمين) اى تيمنا وتحاميا (فان عليها ملكا يسمى هاديا) لم اعرف له راويا (ولايدخل بلدة ليس فيها سلطان) اى خليفة اونائبه من امير اوقاض (ولاسائس) اى شحنة وحاكم سياسة لانه عند عدمهما تكثر الفتنة وتعدى الظلمة وفى الخبر اذا مررتم ببلدة ليس فيها سلطان فلاتدخلوها انما السلطان ظل الله ورمحه فى الارض البيهقى عن انس (ومافيها) اى ولايدخل بلدة فيها (طاعون) لماتقدم وروى بعض الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلا فى بعض اسفاره فنام على بطنه وعبد اسود يغمز ظهره فقلت ما هذا يارسول الله فقال ان النافة تقحمت بى اى رمت بى اوهزت بى والحديث رواه الطبرانى فى الاوسط من حديث عمر بسند ضعيف (ويصاحب المرآة) بكسر الميم ومد الهمزة آلة الرؤية وكان عليه السلام اذا نظر الى وجهه فى المرآة قال اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى وحرم وجهى على النار البزار عن عائشة (والمكحلة) محل الكحل ومروده فانه عليه السلام كان يكتحل كل ليلة ثلاثا فى كل عين كما فى شمائل الترمذى وغيره (والسواك) للوضوء والصلوة وقد تقدم (والمشط) اى لتسريح شعر اللحية والرأس (والمقلم) وهو المقص اوالسكين فانه بهما يقلم الظفر ويقص الشارب (والموسى) لحلق العانة (والركوة) اى الدلو ونحوها من المطهرة (والحبل) فانهما من ضرورة الشرب والطهارة (والابرة وخيطها) لترقيع ثوب يستر العورة (ويجتنب الغرة) بكسر المعجمة وتشديد الراء اى يحترس من ان يغر احدا اويغره احد بالمكر والحيلة (فهو يذهب البركة) اوالمعنى لايصاحب شخصا لايعرفه ولايسلك طريقا لايعرفه ولايترك السلاح مواضع المخالفة اغترارا على شجاعته ولايأكل من ثمار البرارى التى ما عهد اكله فى عادته (ويتبرك بزيارة الاحياء) من العلماء والاولياء (والاموات) من الانبياء والاصفياء (ويعجل الاوبة) اى الرجعة (بعد قضاء الحاجة) اسرارا لقلب اهله واظهاره لطيب محله وفى نسخة زيادة (وورد من كان مسافرا اذا قضى نهمه فليرجع الى اهله) لم اجده لكن تقدم مايدل على اصله وورد اذا قضى احدكم حجه فليعجل الرجوع الى اهله فانه اعظم لاجره الحاكم والبيهقى عن عائشة (ويأتى بالتحفة) اى بالهدية (لاهل البيت والاقارب) حقيقة وحكما فقد ورد اذا قدم احدكم من سفر فليقدم معه اى بهدية ولويلقى فى مخلاته حجرا ابن عساكر عن ابى الدرداء قيل اراد حجر الزناد وفى رواية البيهقى عن عائشة اذاقدم احدكم على اهله من سفر فليهد لاهله فليطرقهم ولوكان حجرا (ولايقدم) من سفره على اهله (بغتة) اى فجأة ففى الصحيحين من حديث

جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة فلما قدمنا المدينة ذهبنا لندخل فقال امهلوا حتى ندخل ليلا اى عشاء اى تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة ولاحمد من حديث ابن عمر بسند جيد انه عليه السلام قال قبل دخول المدينة لاتطرقوا اهليكم ليلا فخالفه رجلان فسعيا الى منازلهما فرأى كل واحد فى بيته مايكره (ولا ليلا) لانه وقت الوحشة فقد ورد اذا طال احدكم الغيبة فلايطرق اهله ليلا احمد والشيخان (والاصح وقت الضحى) لكمال الظهور وجمال النور ومحال السرور (ويدخل المسجد) اى مسجد بلده (اولا ويصلى ركعتين) تحية المسجد شكرا لله سبحانه فعن ابى ثعلبة كان عليه السلام اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم يثنى بفاطمة ثم يأتى ازواجه (فالكل ماثور) وفى كتب الحديث مسطور (ويقدم) اى من سائر الافعال (له) اى لقدومه (الضحى) بفتح فكسر فتشديد اى طعام الضحى ولو شاة اوطبخ لحم ومرقة (فكان عليه السلام اذا قدم نحر جزورا) اى بعيرا (اوبقرة) لم يحضرنى الآن مخرجه (وحق الحج) اى اداء كماله (ان يخلص فى النية) ويحسن الطوية بان يتبرأ من الرياء والسمعة ولايقصد التجارة والنزهة فقد روى فى خبر من اهل البيت اذا كان آخر الزمان خرج للحج اصناف اربعة سلاطينهم للنزهة واغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسألة وقراؤهم للسمعة الخطيب من حديث انس قال علماؤنا من اتى بعبادة لغرض دنيوى بحيث لوفقد تركها فليست بعبادة بل معصية وان وجد عليها باعث الدين والدنيا فان كان باعث الدنيا اقوى اوهما متساويان فهى باطلة وان كان باعث الدين اقوى فذهب بعضهم الى انها باطلة وجماعة الى انها صحيحة وهو الاظهر * بقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم * اى تبتغوا عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة على ماذكره البيضاوى وغيره ثم من حقه ان يعجله بعد الاستطاعة ففى التأخير آفات مانعة عن الطاعة على ان المسألة خلافية فى ان الفرضية على التراخى اوفورية ففى الفورية اذا اخره عن اولى سنى الامكان سقطت عدالته وعد من الفساق الى ان يحج ثم لوحج فى آخر عمره سقط عنه اجماعا وارتفع اثمه اتفاقا وان مات قبل الحج لقى الله عاصيا بترك حجه وكان الحج فى ذمته عندنا فيجب عليه وصيته وعند الشافعى فى تركته فيحج عنه وان لم يوص به كسائر ديونه ومن مات ولم يحج مع اليسار فامره شديد وفى حقه ورد وعيد اكيد منه قوله تعالى * ومن كفر فان الله غنى عن العالمين * حيث وضع من كفر موضع من لم يحج ووضع العالمين موضع عنه للمبالغة عن غنائه سبحانه واستغنائه عن ترك الحج واداته لان منفعته راجعة الى عباده واماته وقد ورد من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا رواه الترمذى وغيره عن ابى هريرة مرفوعا وقيل فى تفسير قوله تعالى * لاقعدن لهم صراطك المستقيم * انه طريق مكة يقعد الشيطان عليها ليمنع الناس من الوصول اليها

وقال عمر رضى الله عنه وهو يومئذ امير المؤمنين لقد هممت ان اكتب الى الولاة فى الامصار ان تضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلا وعن سعيد بن جبير وابراهيم النخعى وطاوس ومجاهد لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل ان يحج ماصليت عليه وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه وكان ابن عباس يقول من مات ولم يزك ولم يحج سأل الرجعة الى الدنيا وقرأ قوله تعالى * رب ارجعون لعلى اعمل صالحا فيما تركت * وكذا ورد عنه ايضا فى قوله تعالى * وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتى احدكم الموت * الآية (ويحتال فى دفع تسليم الضريبة) اى الاموال المعينة (لقطاع الطريق) اى من الاعراب وغيرهم (ويرجع) عن طريق الحج (ان لم يقدر) على الاحتيال (فى النفل) اى لا فى الفرض (فالاعانة على العدوان) اى الظلم والعصيان (افحش) من الرجوع عن طريق الحج اذا لم يكن من فروض الاعيان واما فى الفرض فلا يرجع اذ الاثم فى مثله على الآخذ لا المعطى على ما عرف من تقسيم الرشوة فى كتاب القضاء ولكون المعصية منهم ولا يترك الفرض لمعصية غيره وهذا التفصيل حسن خلافا لمن اطلق جواز اعطائه للضرورة ولمن اسقط الحج ووجوبه اذا كان فى الطريق يؤخذ من ماله ظلما وفى الاحياء ولا تعاون اعداء الله بتسليم المكس وهم الصادون عن المسجد الحرام من امراء مكة والاعراب المترصدين فى الطرق والابواب فان فى تسليم المال اليهم تيسيرا لاسباب الظلم عليهم (ويمشى راجلا) اى ويذهب فى طريق الحج ماشيا (ان قدر) على المشى فانه افضل قال تعالى * واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا * اى مشاة فقدمهم سبحانه على قوله وعلى كل ضامر اى وركبانا على بعير مهزول وقال مجاهد وغيره من العلماء ان الحجاج اذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقا واوصى عبد الله بن عباس بنيه عند موته فقال يا بنى حجوا مشاة فان للحاج الماشى بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة بمائة الف (والا) اى وان لم يقدر على المشى او يسىء خلقه به او لم يبق له حضور الذكر بسببه (فالركوب) فى حقه (افضل) بل هو متعين فتأمل (وقيل هو الافضل) اى مطلقا لفعله عليه السلام واصحابه الكرام ويجاب عن اختيارهم الركوب الشفقة على ضعفاء الامة فذهبوا مذهب اضعف القوم فى الهمة كما هو شأن الائمة (ففيه مؤنة الانفاق) اى زيادته وفيه انه يمكن للماشى ان ينفقه فى سبيل الله ومرضاته فقد سئل بعض العلماء عن العمرة المشى فيها افضل او يكترى حمارا فقال ان كان وزن الدرهم اشد عليه فالكراء افضل من المشى وان كان المشى اشد عليه كالاغنياء فالمشى افضل وكأنه ذهب فيه الى طريق مجاهدة النفس وله وجه ولكن ماقدمناه اولى فى مقام الجمع كما لا يخفى (والبعد عن تشويش

الهموم) اى غموم الخواطر الردية الناشئة من اتعاب الاعضاء البدنية (والقرب من السلامة) من غير الملامة (والاتمام) لخطر الماشى اى يمنعه مانع عن تحصيل المرام ولهذا كان بعض الكرام يمشون وتقاد دوابهم مع الخدام (ويمشى اشعث اغبر) اى ويذهب حال كونه اشعث الشعر اغبر البدن لكنهما مختصان بحال الاحرام لما ورد انه عليه السلام سئل اى الحج افضل فقال الشعث التفل مع ان المسافر لايخلو عن نوع شعث شعر وغبار بدن خصوصا اذا كان من الفقراء فورد رب اشعث اغبر ذى طمرين لا يؤبه به لو اقسم على الله لابره (غير متزين) فى نفسه ولا فى دابته (ولا مائل التكاثر) اى فى نعمته والتفاخر فى حشمته لخدمته (فهو عليه السلام فعل كذلك) اى ترك الزينة فانه عليه السلام حج على راحلته وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها اربعة دراهم وكان عليه السلام فى سفر فنزل اصحابه منزلا فسرحت الابل فنظر الى اكسية حمر على الاقتاب فقال ارى هذه الحمرة قد غلبت عليكم قالوا فقمنا اليها فنزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الابل ابو داود من حديث رافع بن خديج وفيه رجل لم يسم (واغبر) اى النبى عليه السلام (عن مباهاته تعالى به) اى بالحاج الشعث الاغبر ففى الحديث انما الحاج الشعث التفل يقول الله تعالى انظروا الى زوار بيتى قد جاؤنى شعثا غبرا من كل فج عميق الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عمر (ويتقرب باراقة دم وان لم يجب) اى وان لم يكن واجبا عليه (فورد ومن يعظم شعائر الله) اى الهدايا التى تذبح فى الحرم وهى جمع شعيرة وهى مايشعر به تعظيم بيت الله ويعلم بتكريم حرم الله (الآية) اى فانها من تقوى القلوب * وفسر تعظيمها بتحسين البدنة وتسمينها وسئل عليه السلام ما بر الحج فقال العج والثج والعج هو رفع الصوت بالتلبية والثج هو نحر البدن الترمذى واستغربه وابن ماجه والحاكم وصححه والبزار واللفظ له من حديث ابى بكر وقال الباقون اى الحج افضل وعن عائشة انه عليه السلام قال ماعمل ابن آدم يوم النحر احب الى الله سبحانه من اهراقه دماوانها لتأتى يوم القيمة بقرونها واظلافها فان الدم تقع من الله عز وجل بمكان قبل ان تقع فى الارض فطيبوا بها نفسا الترمذى وحسنه وابن ماجه وابن حبان وابن خزيمة وفى الخبر لكم بكل صوفه من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنة وانها لتوضع فى الميزان فابشروا ابن ماجه والحاكم وصححه والبيهقى من حديث زيد بن ارقم وروى ابو الشيخ فى كتاب الضحايا عن على اما انها تجاء بها يوم القيمة بلحومها ودمائها حتى توضع فى ميزانك بقوله عليه السلام لفاطمة وفى رواية له من حديث ابى سعيد قال لك باول قطرة تقطر من دمها ان يغفر لك ما سلف من ذنوبك يقوله لفاطمة (ولا يماكس) اى لايضايق بل يسامح (فى شراء الهدى والاضحية) ونحوهما مما يكون فى التقرب اليه صحة النية فقد كان السلف لايغالون فى ثلاث ويكرهون المكاس

فيهن الهدى والاضحية والرقبة فان افضل ذلك اعلاه ثمنا وانفسه عند الله يمنا وروى ابن عمر ان عمر اهدى نجيبة فطلبت منه بثلاثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله وسلم ان يبيعها ويشترى بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها اخرجه ابوداود وقال انحرها وذلك لان القليل الجيد خير من الكثير الدون وفى ثلاثمائة دينار قيمة ثلاثين بدنة وفيه تكثير اللحم وليس هو المراد (فالمقصود) الاصلى من الذبح (هو تزكية النفس) اى تطهيرها (وتخليتها) عن رذيلة البخل (وتحليتها) بالحاء المهملة ويحتمل الجيم اى تصفيتها وتزيينها (بتعظيمه تعالى) فانه الفضل فى مقام الفصل (فورد لن ينال الله لحومها ولادماؤها) الآية اى ولكن يناله التقوى منكم وذلك يحصل بمراعاة النفاسة فى القيمة كثر العدد ام قل فتأمل (وينوى فى الذبح) اى اذا كان تطوعا (فداء نفسه اقتداء بالذبيح عليه السلام) وهو اسمعيل او اسحاق على خلاف طويل بين الاعلام قال تعالى * وفديناه بذبح عظيم * (وينفق فى الطريق) اى طريق الحج (ومكة) اى وفى مكة مدة الاقامة (ما استطاع) ويكون طيب النفس بما انفقه من نفقة وبما اصابه من خسارة ومصيبة ان اصابه ذلك فان من باب الضيافة من الله لعبده حال الزيارة وان ذلك من دلائل قبول حجه هنالك (فمن علامات القبول) اى قبول الحج وبره (طيب الكلام) اى والطعام الطعام وكتمان طاعته عن الانام (وعدم الاغتمام به) اى بالانفاق فى ذلك المرام (وبما اصيب) من ضياع وسرقة (فى المال) وكذا المصيبة فى البدن وباقى الحال (فدرهم منه) اى من مال المصاب اومن الانفاق فى الحج للاحتساب (يعدل سبعمائة ينفق فى سبيله) والله سبحانه يضاعف لمن يشاء من فضله (وترك معاص كان يرتكبها) قبل حجه (وتبديل اخاء الفساق) اى مواخاة السفهاء والجهلاء (بالصلحاء) من العلماء والاولياء (ومجالس اللهو) اى وتبديلها (بالذكر) اى بمجالس الذكر ومحافل اهل اليقظة والفكر (ويلازم الخشوع) وهو غاية الخضوع (فى اداء المناسك) فانه من ادب السالك (فهو الاصل) اى المدار عليه فى جميع المسالك (لاسيما فى الطواف) فانه بمنزلة الصلاة هنالك (والوقوف) بعرفات فانه بمنزلة الوقوف بين يدى رب العالمين يوم اجتماع خلق الاولين والآخرين (فهما ركناه) اى الحج بانفاق المجتهدين (ويشرب من ماء زمزم) فقد ورد ماء زمزم لما شرب له ابن ماجه باسناد جيد من حديث جابر مرفوعا والحاكم وصححه وقد بسطنا الكلام عليه فى فضائل المشاعر الحرام وكذا فى الحرز الثمين شرح حصن الحصين (مستشفيا به) اى طالبا شفاء ظاهرا وباطنا قائلا اللهم انى اسألك رزقا واسعا وعلما نافعا وشفاء من كل داء ويتضلع منه فورد آية ما بيننا وبين المنافقين انهم لا يتضلعون من ماء زمزم البخارى فى تاريخه وابن ماجه والحاكم عن ابن عباس ويستقى بيده

ويشرب من مائه فقد قال عليه السلام لو لا ان تغلبوا لنزعت معكم (ويصبه على رأسه وجسده متبركا به) وقد ثبت مثل هذا عن فعله عليه السلام (ومستجمرا اوطاره) اى قاضيا حاجاته (ويغتنم الموت فى طريقه فيكتب له اجره) اى ثواب الحج على تلك الطاعة (الى قيام الساعة) قال تعالى * ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله * وورد من خرج من بيته حاجا اومعتمرا اجرى له اجر الحاج المعتمر الى يوم القيمة البيهقى فى الشعب من حديث ابى هريرة ومن مات محرما حشر ملبيا الخطيب عن ابن عباس ومن مات فى احد الحرمين استوجب شفاعتى وكان يوم القيمة من الآمنين الطبرانى والبيهقى عن سلمان وفى رواية لهما من حديث عائشة من مات فى احد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة (ويتلقى الحاج بالترحيب) اى بالتعظيم والتكريم مع التسليم المقرون بقوله مرحبا بمن جاء من زيارة بيت الله العظيم ونبيه الكريم (ويصافحهم متبركا) اى باكفهم التى اصابت المنازل الشريفة والمحافل المنيفة منها الحجر الاسود الذى فى حقه ورد انه يمين الله فى ارضه يصافح بها عباده فهذه المصافحة الثابتة واما المصافحة التى يذكرها بعض عن مشايخهم بطريق التسلسل اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فلا اصل له ولا فى الكيفية التى ذكرها بعض الصوفية نعم ورد فى فضل المصافحة عند الملاقات اخبار كثيرة وآثار شهيرة ليس هذا المقام موضع بسط الكلام (ويروح الى المدينة) اى الطيبة السكينة قبل دخول مكة الامنية او بعد وصولها وكمال حصولها (مكثرا) اى فى طريقه (بالصلوة عليه عليه السلام) فانه كلما كان اقرب اليه كان بالاجابة انسب لديه (ويزور قبره عليه السلام) فانه من شعائر الاسلام بل هو من واجبات الاحكام وقد تقدم فى فضله بعض الكلام وقد ورد عنه عليه السلام ان الله تعالى وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من امته هذا فى حق من لم يحضر قبره فكيف من فارق اهله ووطنه وقطع البوادى شوقا الى لقائه واكتفى بمشاهدة مشاهدة الكريمة اذا فاته مشاهدة طلعته العظيمة وقد قال تعالى * ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما * وروى ان من توضأ واتى الروضة وصلى واتى القبر الشريف وقال اللهم انى اسألك واتوجه اليك بنبينا محمد نبى الرحمة يا محمد انى توجهت بك الى ربى فى حاجتى لتقضى لى اللهم فشفعه فى وسأل حاجته باذن الله كذا فى الحصن (وقبور الصحابة) لاسيما الشيخين الضجيعين (واهل البيت) كفاطمة وعائشة وسائر ازواجه امهات المؤمنين وصفية عمته واولاده وبناته اخوات المسلمين وعمه العباس والحسن بن على وعلى بن الحسين ومحمد بن على الباقر وجعفر بن محمد الصادق فى القبة الشريفة والمنزلة المنيفة (وسائر مشاهدها)

من سائر اهل البقيع واجلهم عثمان بن عفان (رضى الله عنهم اجمعين) ويزور سيد الشهداء حمزة ومن معه وورد احد جبل يحبنا ونحبه البخارى عن انس وغيره عن جماعة وفى رواية زيادة فاذا جئتموه فكلوا من شجره ولو من عضاهه (ويصلى فى مساجدها) واجلها المسجد النبوى مع مافيه من الروضة والمنبر واسطواناتها ثم فورد ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضى متفق عليه من حديث ابى هريرة وعبد الله ابن زيد ثم مسجد قبا ومسجد الجمعة وذى القبلتين والمساجد الاربع ونحوها وقد ورد انه عليه السلام كان يأتى مسجد قبا كل سبت ماشيا وراكبا وقال من خرج من بيته حتى يأتى مسجد قبا وصلى فيه كان كعدل عمرة النسائى وابن ماجه فى حديث سهل بن حنيف باسناد صحيح وقد ذكرنا آداب الزيارة فى رسالة مستقلة وسائر مافيها من اسباب الفضيلة (ويتبرك بآبارها) اى التى كان عليه السلام يتوضأ ويغتسل ويشرب منها وهى سبعة آبار مشهورة: بئر اريس، وبئر ماء وبئر رومة وبئر غرس وبئر بضاعة وبئر البصة وبئر السقياء اوالعهن اوبئر جمل ولله درناظمها فى قوله *

(شعر) * اذا رمت آبار النبى بطيبة * فعدتها سبع مقالا بلا وهن *
* اريس وغرس ورومة وبضاعة * كذا بصة قل بئر ماء مع العهن *

ومواضعها معروفة وعند اهل المدينة مكشوفة فحديث بئر اريس بفتح فكسر رواه مسلم من حديث ابى موسى الاشعرى فى حديثه منه حتى دخل بئر اريس قال فجلست عند بابها وبابها من جريد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته وتوضأ منها وحديث بئر ماء متفق عليه من حديث انس قال ابو طلحة اكثر الانصار بالمدينة نخلا وكان احب امواله اليه بئر ماء وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب الحديث وحديث بئر رومة بضم الراء رواه الترمذى والنسائى من حديث عثمان انه قال انشدكم بالله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشترى بئر رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين الحديث قال الترمذى حديث حسن وفى رواية من يشتريها لشرب رواه فى الجنة وفى رواية لهاهل تعلمون ان رومة لم يكن يشرب منها احد الا بثمن فابتعتها فجعلتها للغنى والفقير وابن السبيل الحديث وقال حسن صحيح وروى البغوى والطبرانى من حديث بشير الاسلمى قال لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء وكانت لرجل من بنى غفار عين يقال لها رومة وكان يبيع منها القربة بمد الحديث قيل انه اشتراها بمائة بكرة ثم تعطلت منافع النصف الثانى على صاحبها فباعه ايضا من عثمان بثمن يسير لانه كان يبيع ماءها فاستكفى الناس بوقف عثمان وهى قديمة قيل شرب منها تبع وجددت سنة سبع مائة وخمسين وحديث بئر غرس بضم المعجمة رواه ابن حبان فى الثقات من حديث

انس انه قال ائتونى بماء من بئر غرس فانى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب منها ويتوضأ ولابن ماجه باسناد جيد من حديث على مرفوعا اذا انا مت فاغسلونى بسبع قرب من بئرى بئر غرس وفى تاريخ المدينة لابن النجار انه عليه السلام توضا منها وبزق فيها وغسل منها حين توفى وفى رواية شرب منها وتوضأ وكب فيها بقية الدلو واهدى له عسل فصبه فيها وقال انى رأيت الليلة انى اصبحت على بئر من الجنة فاصبح عليها وقال ياعلى اذا انا مت فاغسلنى من بئرى بئر غرس بسبع قرب لم تحلل اوكيتهن ففعل ذلك جددت سنة خمس وخمسين وسبعمائة وحديث بئر بضاعة بضم الموحدة رواه اصحاب السنن من حديث ابى سعيد الخدرى انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انتوضأ من بئر بضاعة وفى رواية انه نستقى لك من بئر بضاعة فقال خلق الله الماء طهورا لا ينجسه الا ماغير طعمه اولونه اوريحه الحديث قال يحيى بن معين اسناده جيد وقال الترمذى حسن وللطبرانى من حديث ابى اسيد بصق النبى صلى الله عليه وسلم فى بئر بضاعة وفى رواية شرب منها وبصق فيها وبرك ودعالها وكان اذا مرض المريض غسلوه بماء منها فكأنما نشط من عقال وحديث بئر البصة بضم الموحدة وتشديد المهملة رواه ابن عدى من حديث ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه يوما فقال هل عندكم من سدر اغسل به رأسى فان اليوم الجمعة قال نعم فاخرج له سدرا وخرج معه الى البصة فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وصب غسالة رأسه ومراقة شعره فى البصة وحديث بئر السقياء رواه ابو داود من حديث عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يستعذب السقياء زاد البزار فى مسنده اومن بئر السقياء واحمد من حديث على خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بالسقياء التى كانت لسعد بن ابى وقاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتونى بوضوء فلما توضأ قام الحديث واما بئر جمل ففى الصحيحين من حديث ابى الجهم اقبل رسول الله صلى الله عليه من نحو بئر الجمل الحديث وصله البخارى وعلقه مسلم قيل وهى بئر العهن بالعالية وروى انها اليسيرة سماها عليه السلام بعد ان كان اسمها العسيره توضأ منها وبصق فيها وبرك ودعا لها والمشهور ان آبار المدينة سبعة وقيل عشرون وقد روى الدارمى من حديث عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى مرضه صبوا على من سبع قرب من آبار شتى الحديث (ويتصدق) بالمدينة على سكانها وبعظم جيرانها (ويستحب الاقامة بمكة) حال كونها (مراعيا حقوقها) من القيام بالجماعة والجمعة وملازمة الطواف ومداومة الحرمة وعدم الملالة والسآمة مع السلامة من اكل الحرام والشبهة والا فالاقامة بها حرام اومكروه (فورد ينزل على هذا البيت فى كل يوم مائة وعشرون رحمة) اى من رحمته الخاصة (ستون للطائفين) لزيادة طوافهم على المصلين والناظرين (واربعون للمصلين) لاشتمال صلاتهم على حال الناظرين (وعشرون للناظرين) اى المكتفين بالنظر حوله من

المعتكفين العاجزين الواقفين فى مقام الشهود وقد قال تعالى * ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود * ففى تقديم الطائفين ايماء الى ماتقدم واشعار الى ان الطواف تحية هذا المسجد المحترم والله سبحانه اعلم والحديث رواه ابن حبان فى الضعفاء والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس باسناد حسن وله شواهد (وانك) يامكة (لخير ارض الله) لكونها منشأ حبيبه وفيها قبلة خلقه قريبه وبعيده (واحب بلاده الى) لكونها مهبط وحيه ومربط وصله واما حديث حب الوطن من الايمان فلا اصل له (ولولا انى اخرجت منك) اى امرت بالخروج والهجرة عنك (لما خرجت) باختيارى فان الخروج منها شقاوة والدخول فيها سعادة حيث تضاعف فيها العبادة وتضعف فيها للنفس الشهوة والارادة والحديث رواه الترمذى وصححه النسائى فى الكبرى وابن ماجه من حديث عبد الله ابن عدى بن الحمراء بلفظ انك لخير ارض الله واحب بلاد الله الى الله ولولا انى اخرجت منك لما خرجت وقد ورد من صبر على حر مكة ساعة تباعد من نار جهنم مائتى سنة اخرجه العقيلى فى الضعفاء عن ابن عباس (وبالمدينة) اى ويستحب ايضا الاقامة بها مع القيام بآدابها (فورد فى الصبر على لاوائها) اى شدة عنائها ومشقة بلائها (وفى الموت بها شفاعته عليه الصلاة والسلام) الخاصة باهل الاسلام (وشهادته يوم القيمة) اى بانه من اهل الاكرام فورد لا يصبر على لاوائها وشدتها احد الا كنت له شفيعا يوم القيمة مسلم من حديث ابى هريرة وابن عمر وابى سعيد ومن استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها فانه لايموت بها احد الا كنت له شفيعا او شهيدا يوم القيمة الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عمر وقال الترمذى حسن صحيح (وما نقل من ارجاع عمر رضى الله عنه) اى رده او امره بالرجوع (الحجيج بعد الفراغ) من الحج والزيارة (الى المساكن) اى مساكنهم الاصلية حيث كان يقول لهم يا اهل اليمن يمنكم ويا اهل الشام شامكم ويا اهل العراق عراقكم (تحاميا) اى للاحتراز والاحتراس (عن السآمة) اى الملالة فى الاقامة (وارتكاب الذنب) لمن لم يكن من اهل الاستقامة (فالاثم فيه) اى فى حرم مكة (متضاعف) اى فى العقاب كيفية لا كمية لئلا يناقض اطلاق قوله تعالى * ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها (تضاعف الثواب) اى كتضاعفه فى الكمية والكيفية للفضل فى هذا الباب والعدل على ما فى الكتاب وانما يضاعف العذاب او العقاب (حيث علق العذاب بمجرد القصد) فى الذنب فى ذلك الجناب (فيما ورد) فى نص الكتاب (ومن يرد فيه بالحاد) اى يميل عن الجادة فى العصيان والباء صلة فى مقام البيان (الآية) تمامها * بظلم * اى عدوان بدل تفسير وبيان * نذقه من عذاب اليم * اى مؤلم فى مقام الهجران (حتى قيل منه الاحتكار) اى قصد حبس الطعام ليقل فيبيع غاليا ويتضرر به الانام (وقيل الكذب) اى قصد الحاد ايضا (وقيل شتم

الخادم) والحاصل ان ما يكون صغيرة فى غيره تصير كبيرة فى حرمه لكمال تقصير المجاور وجرمه وعدم العمل بعلمه (وتجديدا للاشتياق) عطف على تحاميا اى ولتحصيل مدة الشوق وشدة الذوق الى وصال الحرمين بعد مرارة حرارة الفراق (والاولى الاستفتاء من القلب) فى اقامته ورحلته (والتوطن فى موضع اقرب من الحصول) فانه انسب لحصول الوصول وفيه الراحة من مصاحبة اهل الفضول وابعد من الشهرة فان فيها الآفات بكثرة (وسلامة الدين) لانها لم توجد مع مسالمة اهل الدنيا فقيل كن وسطا وامش جانبا (وفراغ القلب) اى للذكر والحضور مع الرب (ويسر العبادة) اى سهولته لاهل الارادة قال تعالى * ياعبادى الذين آمنوا ان ارضى واسعة فاياى فاعبدون (فورد البلاد بلاد الله والخلق عباد الله فاى موضع رأيت فيه رفقا) اى مصلحة وسهولة للعبادة فانه مقام السعادة (فاقم به) اى فاختر للاقامة فيها (واحمد الله تعالى) على ثباتك عليها والحديث رواه احمد والطبرانى من حديث ابن الزبير (وحق الجهاد) اى القتال مع الكفار (ان ينوى نصرة الدين) ومعاونة الابرار قال تعالى * ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم (وبذل النفس فى رضائه تعالى) قال عز وعلا * ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الآية (فورد افضل الجهاد ان يعقر جوادك) اى يقتل فرسك اويهلك (ويهراق دمك) اى يصب ويخرج روحك الطبرانى واحمد وجماعة عن جابر والطبرانى عن ابى امامة افضل الشهداء من سفك دمه وعقر جواده وهو فرض عين ان هجم الكفار فتخرج المرأة والعبد بلا اذن وفرض كفاية بدأ (ويخرج له) اى للجهاد (يوم الخميس) روى كعب بن مالك انه عليه السلام كان يحب ان يخرج اذا غزا يوم الخميس احمد والبخارى (ولا يغتم بما يصيب) اى فى طريق الجهاد من نقص فى ماله اوجرح فى جسده اوفزع فى قلبه وتشويش فى حاله (ففى الكل اجر عظيم) وثواب جسيم وقد قال تعالى ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال* الآية وورد اذا رجف قلب المؤمن فى سبيل الله تحاتت خطاياه كما تحاتت عذق النخلة الطبرانى وابو نعيم فى الحلية عن سلمان ومن راح روحة فى سبيل الله كان له بمثل ما اصاب به من الغبار مسكا يوم القيمة ابن ماجه والضياء عن انس وما من مجروح يجرح فى سبيل الله والله اعلم بمن يجرح فى سبيل الله الا جاء يوم القيمة وجرحه كهيئته يوم جرح اللون لون الدم والريح ريح المسك ابن ماجه عن ابى هريرة (حتى يكون علف دابته وروثها وبولها ونرمه ويقظته فى ميزان حسناته) ففى مسند احمد وصحيح البخارى وسنن النسائى عن ابى هريرة مرفوعا من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده كان شبعه وريه وروثه وبوله حسنات فى ميزانه وفى رواية لابن ماجه وابن حبان عن تميم الدارى من ارتبط فرسا فى سبيل الله ثم عالج علفه بيده

كان له بكل حبة حسنة (ويجتنب فرسا يخالف احد قوائمه الثلاثة) من القوائم الاربعة فقد روى احمد ومسلم والاربعة عن ابى هريرة انه عليه السلام كان يكره الشكال قال ابو داود والترمذى اى محجل اليد اليمنى والرجل اليسرى او العكس وقال النسائى محجل ثلثة قوائم مطلق واحدة اوالعكس وليس الشكال الا فى الرجل ويؤيده ما رواه الحاكم والطبرانى والبيهقى عن عقبة بن عامر اذا اردت ان تغزو فاشتر فرسا اغر محجلا مطلق اليد اليمنى فانك تسلم وتغنم وفى رواية احمد والترمذى وابن ماجه والحاكم عن ابى قتادة خير الخيل الادهم الاقرح الارثم المحجل ثلاث مطلق اليمنى فان لم يكن ادهم فكميت على هذه الشية وفى النهاية ان الادهم الاسود الاقرح بالقاف الذى فى جبهته بياض يسير دون الغرة والارثم الذى انفه ابيض وشفته العليا والمحجل الذى يرتفع البياض فى قوائمه فى موضع القيد ويجاوز الارساغ ولا يجاوز الركبتين لانها مواضع الاحجال وهى الخلاخيل والقيود والكميت بضم الكاف هو الذى لونه بين السواد والحمرة يستوى فيه الذكر والانثى (ولا يتمناه) اى الجهاد فالعافية اوسع لاكثر العباد (ويسأله الثبات عنده) اى عند وجوبه اووجوده (فورد لاتتمنوا لقاء العدو) وفى رواية زيادة وسلوا الله العافية وفى اخرى فانكم لاتدرون ماتبتلون به وقال عز وعلا فى مقام التوبيخ * ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه وانتم تنظرون (فان لقيتموه فاثبتوا) وفى رواية زيادة واكثروا ذكر الله وفى اخرى زيادة فان اجلبوا وضجوا فعليكم بالصمت النسائى والحاكم والطبرانى عن ابن عمر وفى رواية للحاكم عن جابر فاذا لقيتموهم فقولوا اللهم انت ربنا وربهم ونواصينا ونواصيهم بيدك وانما تفشلهم انت ثم الزموا الارض جلوسا فاذا غشوكم فانهضوا وكبروا (ويكثر ذكره تعالى) لقوله سبحانه وتعالى * ياايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون * وقال تعالى فى الحديث القدسى ان عبدى كل عبدى الذى يذكرنى وهو ملاق قرنه (ويكف عن ذكر النساء) اى ويمتنع عن تذكرهن (والاولاد والاموال والاوطان) وسائر تدبرهن وتفكرهن (فهو يفتره) اى يجبنه ويضعف همته عما هو بصدده ومن هنا ورد الولد مجبنة (ويغتنم الشهادة فى سبيل الله) فانه من اكبر السعادة عند مولاه (فورد ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا الآية) اى * بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتيهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لايضيع اجر المؤمنين (ان ارواح الشهداء فى حواصل طير) اى اجواف طيور (خضر تسرح) اى تسير (وتاكل من الجنة حيث تشاء) من غير منع لها (وتأوى الى قناديل معلقة من العرش) ومع هذا لها

تعلق

تعلق بجسدها فى القبر وامور الآخرة كلها مبنية على خرق العادة فلاينبغى ان يستغربها اهل الارادة والحديث رواه مسلم والترمذى عن ابن مسعود بزيادة فاطلع اليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون شيئا قالوا اى شى نشتهى ونحن نسرح فى الجنة حيث شئنا فيفعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا انهم لم يتركوا ان يسألوا قالوا يارب نريد ان ترد ارواحنا فى اجسادنا حتى نرجع الى الدنيا فنقتل فى سبيلك مرة اخرى فلما رأوا ان ليس لهم حاجة تركوا وهذا معنى قوله (ويودون الرجوع) اى يتمنون العود الى الدنيا للاستشهاد) اى مرة بعد اخرى وورد ما من احد يدخل الجنة يحب ان يرجع الى الدنيا الا الشهيد فانه يحب ان يقتل مرة اخرى ابن حبان عن انس وفى رواية له عنه فانه يتمنى ان يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة (ويتمناها) اى يتمنى السالك الشهادة ولو كان فى موطن العبادة (فهو سبب نيل منزلتهم) اى حصول مرتبتهم (وان مات) اى المتمنى (على الفراش) لان نية المؤمن خير من عمله فعن معاذ*من سأل الله الشهادة مخلصا اعطاه الله اجر شهيد وان مات على فراشه*(ولايخرج المشتغل بتعهد الاهل) اى العيال لاشتغال البال فلا يحصل معه الكمال فى الحال ولضرورة معيشة الاهل من تحصيل المال وقد ورد * اذا حرم احدكم الزوجة والولد فعليه بالجهاد * الطبرانى عن محمد بن حاطب وعن ابن المبارك وهو مع اخوانه فى الغزو اتعلمون عملا افضل مما نحن فيه قالوا لا نعلم ذلك قال انا اعلم ذلك رجل متعفف ذو عائلة قام من الليل فنظر الى صبيانه نياما متكشفين فسترهم وغطاهم فعمله افضل مما نحن فيه (وخدمة الابوين فهو مقدم) اى على الجهاد اذا لم يكن فرض عين فعن ابن عمر اذا كان الجهاد على باب احدكم فلاتخرج الا باذن ابويه رواه ابن عدى (ويخدم الغزاة) اى بطبخ طعامهم وغسل ثيابهم وخدمة دوابهم (ولو كلبهم) وهذا صادق على من يخدمهم وهو معهم كما ورد * سيد القوم خادمهم * ابن ماجه عن ابى قتادة والخطيب عن ابن عباس وروى الحاكم فى تاريخه والبيهقى عن سهل بن سعد ولفظه * سيد القوم فى السفر خادمهم فمن سبقهم بخدمة لم يسبقوه بعمل الا الشهادة*وفى رواية الطبرانى عن ابى هريرة*افضل الغزاة فى سبيل الله خادمهم الذى يأتيهم بالاخبار واخصهم عند الله منزلة الصائم*او يخلفهم ويخدم اهلهم ففى صحيح مسلم وابى داود عن ابى سعيد*ايكم خلف الخارج فى اهله وماله بخير كان له مثل نصف اجر الخارج* (ويجهزهم)

أى يهيئ اسباب سفرهم فورد * من جهز غازيا حتى يستقل كان له مثل اجره حتى يموت او يرجع * ابن ماجه عن عمر (ويعظم افراسهم) جمع فرس فقد ورد * الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيمة الاجر والمغنم * احمد والشيخان وغيرهما مما كاد ان يكون متواترا وفى رواية لاحمد عن جابر زيادة واهلها معانون عليها فامسحوا بنواصيها وادعوا لها بالبركة وقلدوها ولاتقلدوها الاوتار (ويعدها) بضم فكسر فشد اى يربطها (ليوم اللقاء) اى لوقت ملاقاة الاعداء قال تعالى * واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم * الآية (ففى الكل فضائل) لارباب الشمائل (ويتعلم الفروسية والمسابقة لامتحان الكرم) اى الطبع المكرم فى المجاهدة والملاحقة فقد ورد * احب اللهو الى الله تعالى اجراء الخيل والرمى * ابن عدى عن ابن عمر وقيل المراد بالكرم كرم الفرس بان يكون كريم الطرفين اركبوا وانتضلوا وان تنتضلوا احب الى الحديث الطبرانى فى الاوسط عن ابى هريرة لاسبق الا فى خف او حافر او نصل احمد والاربعة عن ابى هريرة فالمراد بالخف الابل وبالحافر الفرس والبغل والحمار وبالنصل الرمى وفى رواية كانت المسابقة بين الصحابة فى الخيل والابل والرجل (والرمى) اى ويتعلمه (فهو سنة) فعن عقبة بن عامر مرفوعا * الا ان القوة الرمى الا ان القوة الرمى الا ان القوة الرمى احمد ومسلم وابو داود وابن ماجه ان الله تعالى يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب به فى صنعته الخير والرامى به ومنبله احمد والثلاثة عن عقبة بن عامر من رمى بسهم فى سبيل الله كان كمن اعتق رقبة ابن حبان عن كعب بن مرة وفى رواية النسائى عنه من بلغ العدو سهمه رفعه الله بها درجة اما انها ليست كعتبة امك ولكن ما بين الدرجتين مائة عام (ولايترك) اى الرمى لئلا ينسى (فوردمن ترك الرمى بعد ماعلمه) اى رغبة عنه كما فى رواية (فانما هى نعمة كفرها) الطبرانى وجماعة عن عقبة بن عامر وفى رواية ابن ماجه عنه فقد عصانى وفى رواية مسلم عنه فليس منا وفى رواية احمد والترمذى والبيهقى عنه فقد كفر الذى علمه وعن ابى هريرة من تعلم الرمى ثم نسيه فهى نعمة جحدها ابن النجار *

﴿ الباب الخامس فى التزوج و التخلى ﴾

اى التجرد عنه والتبرى منه اختيارا للتخلى واستيثارا للتجلى اعلم ان العلماء اختلفوا فى فضل النكاح فبعضهم بالغ فيه حتى زعم انه افضل من التخلى لعبادة الله تعالى وعكس جماعة وقال آخرون الافضل تركه فى زماننا وقال بعضهم افضل من الجهاد لان الجهاد سبب اعدام الكافر والتزوج موجب ايجاد المؤمن وهذا كله اذا لم يكن هناك توقان النفس يشوش الحال

واما اذا كان فيتعين تحمل العيال والتوكل على الله المتعال فى الاستقبال (بسم الله الرحمن الرحيم) الذى رحمته شاملة للتخصيص والتعميم (فى النكاح فوائد) كثيرة ومنافع شهيرة ذكر منها احدى عشرة (حفظ النفس من الشيطان) اى صيانتها عن وسوسته واغوائه (فورد من تزوج فقد احرز شطر دينه) تمامه فليتق الله فى الشطر الثانى وفى رواية فى الشطر الآخر ابن الجوزى فى العلل من حديث انس بسند ضعيف وهو عند الطبرانى بلفظ استكمل نصف الايمان وفى المستدرك وصحح اسناده بلفظ من رزقه الله امرأة صالحة فقد اعانه على شطر دينه وهذا لان حفظ اصل الدين غالبا يتعلق نصفه بقضاء شهوة البطن ونصفه بقضاء شهوة الفرج وقال ابن عباس لايتم نسك الناسك حتى تزوج وكان ابن مسعود يقول لو لم يبق من عمرى الا عشرة ايام لاحببت ان اتزوج لكيلا القى الله عز باوماتت امرأتان لمعاذ بن جبل فى الطاعون وكان هو ايضا مطعونا فقال زوجونى فانى اكره ان القى الله عزبا وعن ابى هريرة مرفوعا شراركم عزابكم وركعتان من متأهل خير من سبعين ركعة من غير متأهل ابن عدى ورواه احمد عن ابى ذر شراركم عزابكم واراذل موتاكم عزابكم وقد تزوج يحيى ولم يجامع قيل انما فعل ذلك لينال الفضيلة من اقامة السنة وقيل لغض البصر وخوف العنت واما عيسى فانه سينكح اذا نزل الى الارض ويولد له كذا فى الاحياء والحاصل ان غلبة الشهوة محنة عامة قل ان يتخلص منها احد قال قتادة فى قوله تعالى * ولاتحملنا مالاطاقة لنابه * ان ذلك هو الغلمة وهى غلبة الشهوة وعن عكرمة ومجاهد انهما قالا فى معنى قوله * وخلق الانسان ضعيفا * انه لايصبر عن النساء وقيل فى قوله تعالى * وان تصبروا خير لكم * ان الصبر عن النساء ايسر من الصبر عليهن والصبر عليهن ايسر من الصبر على النار وقال ابن نجيح اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وبعضهم يقول ذهب ثلث دينه وفى نوادر التفسير عن ابن عباس * ومن شر غاسق اذا وقب * قال قيام الذكر وفى دعائه عليه السلام اللهم انى اعوذبك من شر سمعى وبصرى وقلبى ومنيتى ابو داود والنسائى والترمذى وحسنه والحاكم وصححه من حديث شكل بن حميد وقال اسألك ان تطهر قلبى وتحفظ فرجى البيهقى فى الدعوات من حديث ام سلمة وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من وقع بصره على امرأة فتاقت اليها نفسه ان يجامع اهله لان ذلك يدفع الوسواس عنه رواه احمد من حديث ابى كبشة الانصارى عين مرت به امرأة فوقع فى قلبه شهوة النساء فدخل فاتى بعض ازواجه وقال وكذلك فافعلوا فانه من اماثل اعمالكم اتيان الحلال واسناده جيد فروى جابر انه عليه السلام رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال ان المرأة اذا اقبلت اقبلت فى صورة شيطان واذا ادبرت ادبرت فى صورة شيطان فاذا رأى احدكم امرأة فاعجبته فليأت اهله فان معها مثل الذى معها رواه مسلم والترمذى واللفظ له وقال حسن صحيح وروى انه انصرف الناس يوما عن مجلس ابن عباس

وبقى شاب لم يبرح فقال هل لك من حاجة قال نعم اردت ان اسأل عن مسألة فاستحييت من الناس وانا الآن اهابك واجلك فقال ابن عباس ان العالم بمنزلة الاب فما افضيت به الى ابيك فافض به الى فقال انى شاب لا زوجة لى وربما خشيت العنت على نفسى فربما استمنيت بيدى فهل فى ذلك معصية فاعرض عنه ابن عباس ثم قال اى وتف نكاح الامة خير منه وهو خير من الزنا (ويزيد) النساء (الى الاربع ان لم يعتصم بواحدة) وكان الاولى ان يقول ان لم يعتصم بالاقل وهذا لقوله تعالى * فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع * والواو بمعنى اواى اثنتين اثنتين او ثلاثة ثلاثة او اربعا اربعا وعن ابن عباس خير هذه الامة اكثرها نساء يعنى النبى صلى الله عليه وسلم رواه البخارى وقال سفيان بن عيينه كثرة النساء ليست من الدنيا لان عليا رضى الله عنه كان ازهد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له اربع نسوة وسبع عشر سرية وقد نكح بعد فاطمة بسبع ليال ويحكى عن ابن عمر وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم انه يفطر من الصوم على الجماع قبل الاكل وربما جامع قبل ان يصلى المغرب ثم يغتسل ويصلى وروى انه جامع ثلاثا من جواريه قبل العشاء فى رمضان قبل العشاء الاخيرة (ويبدل باخرى ان تنفر الطبع) فان المقصود هو الاعتصام بالشرع ويقال ان الحسن بن على كان منكاحا نكح زيادة على مائتى امرأة وكان ربما عقد على اربع فى عقد وربما طلق اربعا فى وقت واحد واستبدل بهن (وزيادة الرغبة فى لذات الجنة فلذة الدنيا انموذج) بضم الهمزة والميم معرب نمونه اى عينة تدل على صفة بينة وقد اكثر الله سبحانه فى كتابه مدح الحور العين والازواج المطهرة فى ذلك المكان الامين (وقطع الملالة الحاصلة من دوام العبادة) وذلك بتروح النفس وايناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة والموانسة ولذا قال تعالى * ليسكن اليها * فالنفس اذا كلفت المداومة بالاكراه على المخالفة جمحت وتأبت واذا روحت باللذات فى بعض الاوقات قويت ونشطت ومنه كلمينى يا حميراء وعن على روحوا القلوب عن الذكر فانها اذا كرهت عميت ففى الاستيناس بالنساء من بين الناس من الاستراحة عن الوسواس ما يزيل الكرب ويفرج القلب وينشط لذكر الرب فينبغى ان يكون لنفوس ارباب العبادات استراحات الى المباحاة وفى الخبر * على العاقل ان يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها المطعمة ومشربه اى ومايقتضى انسه * والحديث رواه ابن حبان من حديث ابى ذر فى حديث طويل ان ذلك فى صحف ابراهيم وفى لفظ آخر لايكون العاقل العامل ظاعنا الا فى ثلاث تزود لمعاد او مرمة لمعاش او لذة فى غير محرم رواه ابن حبان فى حديث ابى ذر الطويل ان ذلك فى صحف ابراهيم (فورد لكل شره) بكسر معجمة وتشديد راء اى كد وجد فى طاعة ونشاط ورغبة فى حاجة

(فترة) اى كسل وملالة وغفلة ونفرة ووقفة للاستراحة (فمن كان فترته) من الفرض (الى سنتى فقد اهتدى) احمد والطبرانى من حديث عبدالله بن عمر رواه البيهقى ومن كانت الى غير ذلك فقد هلك وللترمذى نحوه من حديث ابى هريرة وقال حسن صحيح ولفظه لكل عامل شره ولكل شره فترة الحديث وللترمذى عن ابى هريرة ان لكل شئ شره ولكل شره فترة فان صاحبها سدد وقارب فارجوه وان اشير اليه بالاصابع فلا تعدوه والحاصل ان لكل نشاط فى العبادة ابتداء يكون كسلا فيها انتهاء اوائناء فينبغى للسالك ان يطرق تلك الفترة الى عبادة اخرى اوشهوة مباحة موافقة للسنة من النساء وغيرهما ولذا قال (وهو) اى قطع الملالة بمصاحبة النساء (لايعم) جميع السالكين (لانقطاعها) اى الملالة (للبعض) اى بعض العاملين (بالماء) اى الجارى (والبستان) اى المشتمل على الخضرة فعن ابن عمر مرفوعا ثلاث تجلين البصر النظر الى الخضرة والى الماء الجارى والى الوجه الحسن اخرجه الديلمى وعن على ايضا بمعناه وعن ابن عباس انه عليه السلام كان يعجبه النظر الى الخضرة والماء الجارى ابو نعيم وابن السنى وفى روايتهما عن على كان يعجبه النظر الى الاترج والى الحمام الاحمر وللترمذى عن معاذ انه عليه السلام كان يستحب الصلوة فى الحيطان اى البساتين المشيرة الى الجنان (وفراغ القلب) اى لذكر الرب (من تدبير البيت للعبادة) كما هو جار فى العادة من شغل الطبخ والكنس والفرش للمبانى وتنظيف الاوانى وتهيئة اسباب المعيشة المعينة للمعانى وفى الحديث نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس * الصحة والفراغ * وقد فسر قوله تعالى * آتنا فى الدنيا حسنة * بالمرأة الصالحة * وفى الآخرة حسنة * من حور العين * وقنا عذاب النار * بالمرأة السليطة وقيل فى تفسير قوله تعالى * فلنحيينه حيوة طيبة * اى نزوجه صالحة وعنه عليه السلام ليتخذ احدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة صالحة تعين على آخرته الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث ثوبان (فوردزوجاتى اعوانى على الطاعة) الخطيب فى التاريخ من حديث ابن عمر ولفظه فضلت على آدم بخصلتين كانت زوجته عونا له على المعصية وازواجى اعوان لى على الطاعة وكان شيطانه كافرا وشيطانى مسلم لايأمر الا بخير (وهو) اى الفراغ المذكور (يخص لمن لايدبر فيه) اى فى البيت بنفسه لعجزه (ولايشوشه حق الزوجية فى امره وكثرة العشيرة ليدفع بهم الشر) اى ضرر اهل الفساد ومنازعة اهل العناد (فيسلم) اى فارغ القلب فى طلب الخير ولذا قيل ذل من لا ناصر له (والرياضة) اى تهذيب النفس (بالقيام بحقوقهن) من نفقتهن وكسوتهن (واحتمال جفائهن) من اذائهن وبلائهن والصبر على سوء اخلاقهن والسعى فى اصلاح احوالهن وارشادهن الى طريق الدين واكمالهن والقيام بتربية الاولاد وصيانتهم عن الفساد وفى

كل هذه الاحوال فضائل عظيمة وشمائل وسيمة فانها رعاية وولاية وحماية وقد ورد * كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته * متفق عليه من حديث ابن عمر * ويوم من وال عادل افضل من عبادة سبعين سنة * الطبرانى والبيهقى من حديث ابن عباس (فورد فيمن احتملها كان معى فى الجنة) لم ار مخرجه وفى بعض الحواشى من تحمل كلمات جفاء اهله فله ثواب سبعين شهيدا وفى رواية من تحمل من امرأته كلمة واحدة اعطاه الله ثواب الف شهيد ودفع عنه ظلمة قبره وضيقه وذكر فى الاحياء ان فى اخبار الانبياء ان قوما دخلوا على يونس فاضافهم فكان يدخل فى منزله ويخرج فتؤذيه امرأته فتستطيل عليه وهو ساكت فتعجبوا من ذلك فقال لا تعجبوا فانى سألت الله فقلت ما انت معاقبى فى الآخرة فعجله فى الدنيا فقيل ان عقوبتك بنت فلان فتزوجت بها واناصابر على ما ترون منها (وهو) اى الارتياض (يخص بالمبتدئ لاحتياجه الى الرياضة) اى تهذيب النفس عن الاخلاق الذميمة (وبظاهر العمل) اى ويخص ايضا بالذى من اهل العمل الظاهر (فالانفاق اولى) اى فى حقه (لانه متعد) اى نفعه والعمل الظاهر نفعه قاصر ومن هنا قال عليه السلام ما انفق الرجل على اهله فهو صدقة الشيخان عن ابن مسعود وان الرجل ليوجر فى رفع اللقمة الى فى امرأته الشيخان عن سعد بن ابى وقاص (بخلاف صاحب الباطن فعمله اشرف) لانه علم ومعرفة وحال وحضور مع الرب وهو مقام عال ولكنه نادر بين الرجال ولذا ورد اكثر الاحاديث فى مدح الاعمال * منها قوله عليه السلام * ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال ابن ماجه من حديث عمران بن حصين وقوله اذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله الحزن ليكفرها احمد من حديث عائشة وقوله من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة الطبرانى فى الاوسط وابو نعيم فى الحلية من حديث ابى هريرة وقال بعض العلماء عمل الابدان كسب الحلال والنفقة على العيال (والولد وهو المقصود الاصلى) من هذا الحكم الفرعى (ففيه) اى ففى تحصيل الولد بالنكاح اربعة امور (محبته تعالى) اى اثر محبته (بتحصيل حكمته تعالى وهى بقاء جنس الانس) فى مملكته وفق ارادته (والتحرز عن تعطيل الاعضاء من المقاصد) التى خلقت لتلك الاشياء فكل عضو من بنى آدم صلح لطاعته فاللسان للذكر والقلب للفكر والاذن للاستماع والعين للنظر واليد للبطش والرجل للسعى وفى الاحياء هذا ادق الوجوه وابعدها عن افهام الجماهير واقواها عند ذوى البصائر النافذة فى عجائب صنع الله تعالى ومجارى حكمته وبيانه ان السيد اذا سلم الى عبده البذر وآلات الحرث وهيا له ارضا مهيأة للحراثة وكان العبد قادرا على الحراثة ووكل به من يتقاضاه عليه فان تكاسل العبد وعطل آلة الحرث وترك البذر ضايعا حتى فسد ودفع المؤكل عن نفسه بنوع من الحيل كان مستحقا للمقت والعقاب عن سيده فالله سبحانه خلق

الزوجين وخلق النطفة فى القفار وهيأله فى الانثيين عروقا ومجارى وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة وسلط تقاضى الشهوة على كل واحد من الذكر والانثى فهذه الافعال والآلات شهدت بلسان ذلق فى الاعراب عن مراد خالقها وتنادى ارباب الالباب بتعريف ما اعدت له هذه الاسباب هذا ان لولم يصرح الخالق على لسان رسوله عليه السلام بالمراد فكيف وقد صرح بالامر فكل ممتنع عن النكاح معرض عن الحرائة مضيع للبذر ومعطل لما خلق الله من الآلة المعدة وخان على مقصود الفطرة والحكمة المفهومة من شواهد الحقة المكتوبة على هذه الاعضاء بخط الهى ليس برقم حروف واصوات يقرؤها كل من له بصيرة ربانية نافذة فى ادراك دقائق الحكمة الازلية انتهى ولا يخفى ما ورد من امر الشارع حيث قال تعالى * وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم * وورد من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لا فليصم فان الصوم له وجاء متفق عليه من حديث ابن مسعود من كان ذا طول فليتزوج ابن ماجه من حديث عائشة من ترك التزوج مخافة العيلة فليس منا الديلمى من حديث ابى سعيد والدارمى فى مسنده والبغوى فى معجمه ولعله مقتبس من قوله تعالى * ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم * وقد ورد التمسوا الرزق بالنكاح الديلمى وغيره عن ابن عباس مرفوعا وللثعلبى عن ابن عجلان ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فشكى اليه الحاجة والفقر فقال له عليك بالباءة اى النكاح والله تعالى يقول فى كتابه * ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله * واما الذى يدور على السنة العوام تزوجوا فقراء يغنكم الله فانما هو معناه وروى الديلمى والبزار والدار قطنى فى العلل والحاكم وابن مردويه من حديث عائشة تزوجوا النساء فانهن يأتين بالمال وعن الحسن بن على رأيت الغنى فى النكاح والطلاق اما النكاح فقوله سبحانه ان يكونوا فقراء يغنهم الله واما الطلاق فقوله تعالى * وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته * وقد قيل فى حق بشر انه تارك للسنة فقال انا مشغول بالفرض عن السنة فعوتب مرة اخرى فقال ما يمنعنى من التزوج الاقوله تعالى * ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف (ومحبته عليه الصلاة والسلام بالاستنان) اى بالعمل للسنة (فورد النكاح سنتى) تمامه فمن احب فطرتى فليستن بسنتى ابو يعلى من حديث ابن عباس بسند حسن وفى رواية الشيخين عن انس فمن رغب عن سنتى فليس منى (وتكثير الامة) اى التى يكثر فيهم الائمة (فورد تناكحوا تكثروا فانى اباهى بكم الامم) اى فى الكثرة (يوم القيمة) ابن مردويه فى تفسيره من حديث ابن عمر وعبد الرزاق فى جامعه عن سعيد بن ابى بلال مرسلا وفى رواية تناكحوا تناسلوا اباهى بكم يوم القيمة وفى رواية ابى داود والنسائى والبيهقى وغيرهم من حديث

معقل ابن يسار مرفوعا تزوجوا الودود الولود فانى مكاثر بكم الامم ولاحمد والبيهقى وصححه ابن حبان والحاكم عن انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالباءة وينهى عن التبتل نهيا شديدا ويقول تزوجوا الولود فانى مكاثر بكم الامم يوم القيمة (ولو بالسقط) وهو الولد الذى خلق بعضه وقد ذكر البيهقى هذه الزيادة فى المعرفة عن الشافعى انه بلغه (وبركة الدعاء ان بقى) اى الولد (بعده) اى بعد والده (فعده عليه السلام من العمل الباقى بعد الموت) اى حيث قال كل عمل ابن آدم ينقطع الا ثلاثة فذكر فيه ولد صالح يدعوله رواه مسلم من حديث ابى هريرة (والشفاعة) اى وبركة الشفاعة (ان مات) الولد (قبله) اى قبل والده فقد قيل نعم الولد ان عاش نفع وان مات شفع (فورد ان الطفل يجر بابويه الى الجنة) ابن ماجه من حديث على وقال السقط بدل الطفل وله من حديث معاذ ان الطفل ليجر امه بسرره الى الجنة وفى صحيح مسلم من حديث ابى هريرة يأخذ بثوبه كما انا الآن آخذ بثوبك وورد ايضا ان المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محبنطئا اى ممتلئا غيظا وغضبا ويقول لا ادخل الجنة الا وابواى معى فيقال ادخلوا ابويه معه الجنة ابن حبان فى الضعفاء من رواية بهز بن حكيم عن ابيه عن جده وللنسائى من حديث ابى هريرة يقال لهم ادخلوا الجنة فيقولون حتى يدخل آباؤنا فيقال ادخلوا الجنة انتم وآباؤكم واسناده جيد وقد قيل فى تفسير قوله تعالى * نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم تقديم الاطفال للآخرة (وآفات) اى كثيرة ذكر منها ثلاث (وهى كسب الحرام فالمعيل يضطر اليه) اى الى كسبه او اكله (للتوسع) فى الطعام (ووردفيه) اى فى حق من كسب الحرام لعياله (انه هو الذى اكل عياله حسناته) قال فى الاحياء فى الخبر ان العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات امثال الجبال فيسأل عن رعاية عياله والقيام بهم وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه حتى يستغرق بتلك المطالبات كل اعماله فلا يبقى له حسنة فتنادى الملائكة هذا الذى اكل عياله حسناته فى الدنيا وارتهن اليوم بعمله قال العراقى لم اقف له على اصل وقال بعض السلف اذا اراد الله بعبد شرا سلط عليه فى الدنيا انيابا تنهشه يعنى العيال (وفوات الحقوق) اى الزوجية بالقصور عن القيام بحقوقهن وعدم الصبر على اخلاقهن وعدم احتمال الاذى عنهن (فورد كفى بالمرء اثما ان يضيع من يعول) ابو داود والنسائى بلفظ من يقوت وهو عند مسلم بلفظ آخر وروى ان الهارب من عياله بمنزلة العبد الآبق لايقبل الله له صلاة ولا صياما حتى يرجع اليهم ومن يقصر عن القيام بحقهن وان كان حاضرا فهو هارب عنهن وقال تعالى * قوا انفسكم واهليكم نارا * امرنا ان نقيهم النار كما نقى انفسنا والانسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه فاذا تزوج تضاعف عليه الحق وانضاف اليه نفس اخرى والنفس امارة بالسوء واذا كثرت

كثر السوء غالبا وبذلك اعتذر بعضهم عن التزوج وقال انا مبتلى بنفسى فكيف اضيف لها نفسا اخرى * لم تسع الفأرة فى جحرها علقت المكنس فى دبرها * وكان سفيان يقول يا حبذا العزبة والمنتاح ومسكن تحرقه الرياح لا ضجيج فيه ولا صياح (والشغل عنه تعالى بتدبير المعيشة) ومنه قوله تعالى * شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا * (وجمع المال) فى الحال (والادخار) للاستقبال (والتفاخر) بالتكاثر بالاموال والاولاد بين الرجال وكل ما شغل عن الله فهو مذموم فى الحال والمآل ومن هنا قال بعض الفضلاء ضاع العلم فى افخاذ النساء وقال ابن ادهم من تعود افخاذ النساء لم يجئ منه شئ اى من مقامات الاولياء وقال ابو سليمان من تزوج ركن الى الدنيا اى واشتغل عن المولى وعن زاد العقبى (والاستغراق بالتمتع) اى الانتفاع بالنساء (والموانسة) اى بالاجتماع معهن فى المكالمة والمجالسة اذا عرفت ذلك وميزت بين الفوائد والآفات هنالك (فان تحققت الفائدة) بجميع افرادها (وانتفت الآفة) بتمام موادها (يتعين النكاح) لمن قدر عليه بان كان له مال حلال وخلق حسن وجد فى الدين بان لا يشغله النكاح عن الله وهو مع ذلك شاب محتاج الى تسكين الشهوة ومنفرد محتاج الى تدبير المنزل والمعيشة (وان انعكس) بان انتفت الفائدة وتحققت الآفة (يتعين التجرد) فلا يميل اليه (وان تقابلا) اى الجنسان من الفوائد والآفات (يأخذ بالراجح) من الحالات (ففوات الشغل به تعالى وطيب اللقمة افحش من فوات الولد) بترك النكاح وصورته ان شخصا اذا تزوج يفوته الشغل بالمولى ويقع فى لقمة الحرام من كسب الدنيا لكن يحتمل انه يحصل الولد له فينفعه فى العقبى فالراجح عدم التزوج (لانه) اى وجود الولد على الفرض والتقدير (لا يجبرهما) اى لا يفى بمقابلة فوت الشغل وطيب اللقمة (ولانه) اى الولد (موهوم) وجوده (وهما) اى فوتهما (ناجزان) اى ناقد كل واحد فى مرتبة شهوده (وكذا الزنا) اى وقوعه (افحش من كسب الحرام) وصورته ان شخصا اذا تزوج وقع فى كسب الحرام واذا لم يتزوج وقع فى الزنا فالراجح التزوج (لانه) اى الزنا (قتل حكمى بتعصيل ولد ليس به من يقوم بحقه) لان ولد الزنا كل احد يكرهه ولا اعتبار لنسبه وحسبه (ولانه) اى الزنا (حرام لعينه) اى لذاته مع عدم ملاحظة سائر جهاته (والكسب) اى لان كسب مال الحرام حرام (لغيره) اى لا لذاته بل لاجل انه تعلق به حق غيره والحاصل ان كسب الحرام اهون الشرين فى هذا المقام (بخلاف النظر والهم) اى القصد بفعل الزنا وصورته ان شخصا اذا تزوج وقع فى كسب الحرام واذا لم يتزوج وقع فى النظر والهم فالراجح عدم التزوج فهما ليسا بافحش من كسب الحرام بل هو افحش منهما (لدوام الكسب) اى وندور النظر والهم ولان كسب الحرام كبيرة وكل من النظر والهم صغيرة (وسراية شره) اى شر كسب الحرام (الى الغير) من الزوجة والولد ونحوهما وايضا النظر زنا العين ولكن اذا لم يصدقه

الفرج فهو اقرب الى العفو من اكل الحرام الا ان يخاف من افضاء النظر الى معصية الفرج فيرجع ذلك الى خوف العنت بخلاف النظر والهم من حيث لا يتعدى شرهما الى الغير فاذا ثبت هذا فالحالة الثالثة وهى ان يقوى على غض البصر لكن لا يقوى على دفع الافكار الشاغلة للقلب فالاولى ترك النكاح لان عمل القلب الى العفو اقرب فانما يراد فراغ القلب لعبادة الرب ولا تتم العبادة مع كسب الحرام واكله واطعامه فى العادة (وعند الامن) من الآفات (فالاولى الجمع بينه) اى بين التزوج (وبين العبادة) فانه اكمل الحالات وافضل المقامات (وهو) اى الجمع (عند عظم القوة) فى الدين كقوة النبوة والولاية فمن قويت شوكة همته وعلت صولة نهمته فلا يشغله شاغل عن ذكر الرب والتوجه الى حضرته (كما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم) وصحابته (وان لم يقدر) اى على الجمع بينهما (فالنكاح لصاحب الظاهر) اى لمن يشتغل بالعمل الظاهر اولى ومنهم ارباب العبادة (والعزوبة لصاحب الباطن) اى عمله ومنهم اصحاب المعرفة اقوى (كالمسيح عليه السلام) وتحقيقه ماقاله حجة الاسلام ان نبينا عليه الصلوة والسلام مع تسع من النسوة كان متخليا للعبادة ومتجليا لتجلى الحضرة فكان قضاء الوطر بالنكاح فى حقه عليه السلام غير مانع له من المرام كما لا يكون قضاء الحاجة فى حق العوام من المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعا لهم من تدبيرهم حتى انهم يشتغلون فى الظاهر بقضاء حاجاتهم وقلوبهم مستغرقة بهم غير غافلة عن مهماتهم فكان عليه السلام لعلومه له من الدرجة فى المقام لا يمنعه امر هذا العالم عن حضور القلب مع الرب فكان نزل عليه الوحى وهو فى فراش امرأته ومتى يسلم مثل هذا المنصب لغيره فى حالته فلا ينبغى ان يقاس عليه من لا مناسبة له اليه واما عيسى عليه السلام فانه اخذ بالحزم فى طاعته لا بالقوة فى حالته ولعل كانت حاله تؤثر فيها الاشتغال بالاهل والعيال اويتعذر معهم طلب الحال اولا يتيسر له الجمع بين النكاح والتخلى للعبادة على وجه الكمال فآثر التخلى للعبادة فى عموم الاحوال وهم اعلم باسرار احوالهم واحكام اعصارهم فى مطالب انوارهم وسبحان من اقام العباد فيما اراد (ثم الاصل) اى الذى عليه مدار العمل فى النكاح والعزوبة ونحوهما (ترك الشاغل عنه تعالى) فقد قال عز وعلا * يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون* (فينظر) اى يتفكر ويتأمل (ويختار) ما هو الاولى من النكاح وتركه (بحسب الباطن) اى صفائه (وصلاح القلب) اى وضيائه (ويجتهد المتخلى) اى المتجرد للعبادة باختيار العزوبة (فى ترك اغذية) جمع غذاء وهو ما يتغذى به من غذاء وعشاء (تحرك الشهوة) اى تقويها من هريسة ونحوها (وقطعها بالصوم الدائم) فانه لها وجاء اى دواء كما تقدم واصل الوجاء رض الخصيتين (والاقتصار)

اى

اى بالاختصار (عند الافطار) على التوسط فى الاكل (وغض البصر) عن المحرمات (وهو بالاعتزال) يحصل على وجه الكمال والا فيتعسر فى جميع الاحوال (وورد قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم) تمامه * ويحفظوا فروجهم وفى عطف الجملة الثانية اشارة الى ان مدارها على الاول فى المحافظة (وجعل عليه السلام لكل عضو زنا) فعن ابن مسعود العينان تزنيان واليدان تزنيان والرجلان تزنيان والفرج يزنى احمد والطبرانى (هذا) اى خذ هذا او هذا مضى (والنظر يهيج الوساوس) اى يبعثها ويحرك الهواجس (وربما يتعلق القلب) بالمنظور اليه (ويتعذر الوصول) بما لديه (فيفضى) ذلك التعلق (الى التعب الشديد بما يستولى القلب) من التعلق بالمطلب ويمنعه بالكلية عن ذكر الرب فعن عيسى عليه السلام انه قال اياكم والنظرة فانها تزرع فى القلب الشهوة كفى بها لصاحبها فتنة ولقد احسن القائل من اهل الفضائل حيث قال *

(شعر) وانت اذا ارسلت طرفك رائد * لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رأيت الذى لا كله انت قادر * عليه ولا عن بعضه انت صابر

(وايضا كل عضو يصلح لنعمة اخروية) فالرجل للمشى فى رياض الجنة وقصورها واليد لكأس الشراب من طهورها وتناول ثمارها وحورها (فالعين للقائه تعالى فحقيق ان تصان) اى تحفظ عما ليس فى رضائه ولله در القائل *

(شعر) وكيف ترى ليلى بعين ترى بها * سواها وما طهرتها بالمدامع
وتظفر منها بالكلام وقد جرى * حديث سواها فى مرور المسامع

(فم الصواب) اى الطريق العدل للمتخلى (فى الكف) اى كف النظر وامتناع البصر (ان قدر) على ذلك (والا فالنجاء) اى الفرار عما هنالك (ولا اثم ان فقد القصد) فى النظر (فورد) اى انه عليه السلام قال لعلى (لك الاولى وعليك الثانية) اى لك النظرة الاولى مباحة من غير قصد وعليك ضرر الثانية اذا كانت عن قصد (والضرر) اى ضرر النظر (فى الامرد اشد) اى اقوى من المرأة (لامتناع الوصول فى الشرع) وزيادة القبح فى العرف والفرع (ويراعى المتزوج الاعتدال فى الوقاع) اى الجماع وهو فى كل اربع من الايام والليالى كما سيأتى (فالافراط فى الجماع يقهر العقل) اى يغلبه (بصرف الهمة) اى تمامها (الى التمتع) بالشهوة ونظامها (ويحرم عن المقصود) الذى هو القيام بالعبادة (ويفضى الى تناول الاشياء المقوية للشهوة) من المعاجين والادوية والمركبة والمفردة (وهو) اى تناولها (كتنبيه السبع الضارى) اى الصائل على من يقربه والراحة فى البعد عنه او القرب اليه مع نومه (والعشق) اى ويفضى اليه (وهو) اى العشق المعبر عنه بفرط المحبة (بجعله اضل من الانعام) حيث لا يفرق بين الحلال والحرام وربما

يصير مجنونا فيما بين الانام وانما قال اضل منها لانها ترضى بقضاء شهوتها فى اى محل كان من نهمتها وهذا لضيق عقله لا يرضى الا فى غير محله ويحصر موضع قصده ولا يميل ابدا الى غيره (ويبلغ) عطف على يراعى اى ويوصل (الخطبة) بالكسر اى الرسالة باظهار الرغبة لكن لا فى حالة عدة المرأة ولا فى حال سبق غيره بالخطبة اذ نهى عن الخطبة على الخطبة ففى الصحيحين من حديث ابن عمر ولا يخطب على خطبة اخيه حتى يترك الخاطب قبله اويأذن له (وان كان تزويجها للولى) بان كانت صغيرة (وينظرها) اى ويرى وجه المخطوبة (قبله) اى قبل العقد (تقريبا للالفة) فيستحب النظر اليها فانه احرى ان يؤلف بينهما ففى الخبر اذا اوقع الله فى نفس احدكم من امرأة فلينظر اليها ابن ماجه بسند ضعيف من حديث محمد بن مسلمة وللترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجه من حديث المغيرة بن شعبة انه خطب امرأة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انظر اليها فانه احرى ان يؤدم بينكما وفى صحيح مسلم من حديث ابى هريرة ان فى اعين الانصار شيئا فاذا اراد احدكم ان يتزوج منهن فلينظر اليهن قيل كان فى اعينهن عمش وقيل صغر اوصغر وكان من الورعين من لا ينكح كريمته الا بعد النظر احترازا من الغرر وعملا بالخبر وقال الاعمش كل تزويج يقع على غير نظر فآخره هم وغم ولعل وجه الاكتفاء بالنظر لان الغالب اجتماع حسن الخلق والخلق فان الظاهر عنوان الباطن وللنسائى من حديث ابى هريرة بسند صحيح خير نسائكم التى اذا نظر اليها زوجها سرته واذا امرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته فى نفسه وماله وفى رواية ولا تخالفها فى نفسها ولا مالها (ويعقد فى المسجد) مع احضار جمع من اهل الصلاح فى المشهد (فورد اجعلوه) اى عقد النكاح (فى المساجد) رواه ابن ماجه عن عائشة مرفوعا بسند حسن وابن حبان من حديث عمرو بن امية الضمرى بلفظ اعلنوا النكاح واجعلوه فى المساجد واضربوا عليه بالدف (وفى شوال) قد يتبادر من قوله فى شوال انه عطف على فى المساجد فيكون الامر به واردا وليس كذلك بل هو عطف على فى المسجد اى ويعقد فى شوال ردا على من كره العقد بين العيدين (ففيه) اى ففى شوال (كان نكاح عائشة رضى الله عنها) اى عقدها (وزفافها) اى وصولها ففى صحيح مسلم عن عائشة تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شوال وبنى بى فى شوال (ويقدم الخطبة) بالضم يعنى المعروفة فى السنة وهى الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله

كان

كان عليكم رقيبا يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما * رواه الاربعة والحاكم وابو عوانة عن ابن مسعود (والتحميد والصلوة) اى على النبى عليه السلام (فى كل من الايجاب والقبول) فيقول المزوج الحمد لله والصلوة على رسول الله زوجتك ابنتى فلانة على صداق كذا فيقول الزوج الحمد لله والصلوة على رسول الله قبلت نكاحها لنفسى على هذا الصداق (ولا يتزوج) اى امرأة (لعزها) اى جاهها (ومالها وجمالها) فورد وتنكح المرأة لمالها وجمالها وحسبها ودينها فعليك بذات الدين متفق عليه من حديث ابى هريرة (ففيه وعيد) وهو من نكح المرأة لما لها وجمالها حرم مالها وجمالها ومن نكح لدينها رزقه الله مالها وجمالها كذا فى الاحياء ورواه الطبرانى فى الاوسط من حديث انس من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله الا ذلا ومن تزوجها لما لها لم يزده الله الا فقرا ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله الا دناءة ومن تزوج امرأة لم يرد بها الا ان يغض بصره ويحصن فرجه اويصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه ورواه ابن حبان فى الضعفاء لاتنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يرديها ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف (ويختار المتدينة لئلا تفسد الدين) على زوجها (فورد عليك بذات الدين) كما تقدم (والحسنة الخلق) بالضم اى السيرة فانها احسن من الحسنة الخلق بالفتح وهو الصورة (ليحصل الفراغ) اى فراغ الخاطر وهذا اصل مهم فى الدين والدنيا بحسب الباطن والظاهر (والجميلة) اى الحسنة الصورة (فالصيانة فيه) اى فى هذا النوع (اكثر) والقناعة فيه اظهر وقد اخرج الحكيم الترمذى فى نوادره ان زكريا عليه السلام تزوج فتاة جميلة رايعة قد اشرق لها البيت حسنا فقيل له فى ذلك فقال اكف بها بصرى واحفظ بها فرجى (والممنوع) على ماتقدم (هو الاكتفاء بالجمال) مع قطع النظر عن صلاح الدين والكمال (الا ان يكون) استثناء من قوله ويختار الجميلة (زاهدا) اى غير راغب فى لذات الدنيا (فيعرض عنه لانه من الدنيا) بل اكبر لهواتها واعظم شهواتها ولانه يقل مؤنة غير الجميلة وآفاتها وكان مالك بن دينار يقول يترك احدكم ان يتزوج يتيمة فقيرة فيوجر فيها ان اطعمها وكساها وتكون خفيفة المؤنة ترضى باليسير ويتزوج بنت فلان وفلان يعنى ابناء الدنيا فتشتهى عليه الشهوات فتقول اكسنى كذا وكذا وقال ابو سليمان الدارانى الزهد فى كل شئ حتى فى المرأة تزوج الرجل بعجوز ايثارا للزهد فى الدنيا واختار احمد بن حنبل عوراء على اختها وكانت اختها جميلة فسأل عن اعقلهما فقيل العوراء فقال زوجونى اياها (وقليلة المهر فورد خير النساء ارخصهن مهورا) ابن حبان من حديث ابن عباس ولفظه خير هن ايسرهن

صداقا (يمن المرأة خفة مهرها ويسر نكاحها) ابن حبان من حديث عائشة من يمن المرأة تسهيل امرها وقلة صداقها اى مهرها وقد جعل صداق فاطمة اربعمائة درهم وهى افضل النساء من جهة النسب والحسب اجماعا (وحسن خلقها) يحتمل الضم والفتح وهو اظهر لما روى ابو عمر التوقانى ان اعظم النساء بركة اصبحهن وجوها واقلهن مهورا ولفظ الاحياء ارخصهن مهورا واحسنهن وجوها ولاحمد والبيهقى ان اعظم النساء بركة ايسرهن صداقا واسناده جيد وفى لفظ لهما من حديث عائشة من يمن المرأة ان تيسر خطبتها وان تيسر صداقها وان تيسر رحمها قال عروة يعنى الولادة واسناده جيد وورد انه عليه السلام تزوج بعض نسائه على عشرة دراهم واثاث بيت وكان رحى يد وجرة ووسادة من ادم حشوها ليف كذا فى الاحياء وقال العراقى رواه ابو داود والطيالسى والبزار من حديث انس تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم على متاع قيمته عشرة دراهم قال البزار روايته فى موضع آخر تزوجها على متاع بيت ورحى قيمتها اربعون درهما رواه الطبرانى فى الاوسط ولاحمد من حديث على لما زوجه فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة ادم حشوها ليف ورحانين وسقاء وجرتين ورواه ابن حبان والحاكم وصحح اسناده وابن حبان مختصرا وكان عمر ينهى عن المغالات ويقول ما تزوج صلى الله عليه وسلم ولا زوج بناته باكثر من اربعمائة درهم رواه اصحاب السنن الاربعة وصححه الترمذى وقد تزوج عبد الرحمن بن عوف على وزن نواة من ذهب وتقويمها بخمسة دراهم واصل الحديث متفق عليه من حديث انس وزوج سعيد بن المسيب ابنته من عبد الله بن وداعة على درهمين ثم حملها هو اليه ليلا فادخلها من الباب ثم انصرف فجاءها بعد سبعة ايام يسلم عليها (والولود لان الولد هو المقصود) اى الاعظم من النكاح وهو التناسل كما تقدم (وورد عليكم بالولود) ابو داود والنسائى من حديث معقل بن يسار تزوجوا الودود الولود واسناده صحيح وللبيهقى باسناد صحيح عن سعيد بن يسار مرسلا خير نسائكم الولود الودود ولابن حبان من حديث بهز بن حكم سوداء ولود خير من حسناء لا تلد وعن عمر لحصير فى ناحية البيت خير من امرأة لم تلد (والبكر فورد هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك) متفق عليه من حديث جابر وقد نكح ثيبا (وفيها شدة المحبة والالفة) لما فيها من عدم الخلطة والكلفة (والثيب تبغض صفات) فى الزوج الثانى (تخالف مألوفاتها) وتباين ما كانت تلقى فى ازواجها من معروفاتها (ويميل طبعها الى الاول) كما قيل * ما الحب الا للحبيب الاول * ولذا قيل المرأة التى تزوجت بمتعدد تكون فى الجنة مع الاول وقيل مع الثانى وقيل مع اسمنهم خلقا وهو الاظهر (ويتنفر الزوج الثانى لو ذكرته) اى الزوج الاول ببعض محاسنه كما فى العكس (والنسيبة) الكائنة (من اهل الدين) كبنات

العلماء

العلماء والاشراف والصلحاء دون الظلمة والامراء وسائر الاغنياء (ليسرى الصلاح الى الولد) فان الولد سر ابيه (فورد اياكم وخضراء الدمن) تمامه فقيل وما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء فى المنبت السوء الدارقطنى فى الافراد من حديث ابى سعيد الخدرى فقوله (اى الحسناء من منبت السوء) من اصل الحديث لا من تفسير المصنف وذكر صاحب تحفة العروس عن عمر موقوفا ولفظه اياكم وخضراء الدمن فانها تلد مثل اصلها وعليكم بذات الاعراق فانها تلد مثل ابيها وعمها واخيها والدمن جمع دمنة بكسر الدال المهملة وهى البعر شبهت المرأة الحسناء الفاسدة بالنبات ينبت على البعر فى الموضع الخبيث فان ظاهره حسن وباطنه فاسد والاعراق جمع عرق والمراد به الاصل وقد ورد تخيروا لنطفكم ابن ماجه من حديث عائشة مختصرا والديلمى فى مسند الفردوس من حديث انس تزوجوا فى الحجر الصالح فان العرق دساس (وغير القرابة القريبة فهى تنقص الشهوة) لان ميل النفس غالبا الى الغريبة ولذا تضعف الشهوة بالنسبة الى العتيقة وتقوى عند رؤية الجديدة فضعف الشهوة يستلزم الهزال فى الولد وهذا معنى قوله (ونهى عنه معللا بان الولد خلق مهزولا) فعن عمر انه قال لآل السائب قد اضويتم فانكحوا فى الترابع رواه ابراهيم الحربى فى غريب الحديث وقال معناه تزوجوا الغرائب ويقال اغتربوا لاتضووا وللطبرانى من طلحة بن عبيد الله الناكح فى قومه كالمعشب فى داره وفى اسناده سليمان بن ايوب بن سليمان الطلحى قال ابن عدى عامة احاديثه لا يتابع عليه احد ورواه يعقوب بن شيبة فى مسنده وقال احاديثه عندى صحاح ورجحها الضياء المقدسى فى المختارة (وجاء الاجتناب عن الطويلة المهزولة والقصيرة الدميمة) بالمهملة اى القبيحة وبالمعجمة اى المذمومة (والمسنة) اى العجوز الكبيرة (والمكثارة) اى الكثيرة الكلام (وذات ولد) اى من غيره ففى مسند الامام ابى حنيفة عن حماد عن ابراهيم قال اخبرنى شيخ من اهل المدينة عن زيد بن ثابت انه جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له هل تزوجت يازيد قال لا قال تزوج تستغنى مع عفتك ولا تتزوجن خمسا قال ماهن قال لا تتزوجن شهبرة ولا نهبرة ولا لهبرة ولا هيدرة ولا لغوتا قال زيد يارسول الله لا اعرف شيئا مما قلت قال بلى اما الشهبرة فالزرقاء البدنية واما النهبرة فالطويلة المهزولة واما اللهبرة فالعجوز المديرة واما الهيدرة فالقصيرة الدميمة واما اللغوت فذات الولد من غيرك قال الشيبانى ضحك ابو حنيفة من هذا الحديث طويلا قلت والحديث رواه الديلمى عن ابى هريرة وقال بعض العرب لاتنكح من النساء ستا انانة ولامنانة ولاهنانة ولابراقة ولا حداقة ولاشداقة فالانانة التى تكثر الانين والمنانة التى تمن على زوجها بخدمتها اومالها والهنانة التى تحن الى زوج آخر اولها

ولد من زوج آخر والحداقة التى ترمى كل شئ لحدقتها فتشتهيه وتكلف الزوج بشرائه مما لا طاقة له فيه والبراقة التى تكون طول نهاره فى تصقيل وجهها وتزيين بدنها والشداقة المتشدقة الكثيرة الكلام ويحكى ان السابح الازدى لقى الياس عليه السلام فى سياحته فامره بالتزوج ونهاه عن التبتل وقال لاتنكح اربعا المختلعة والمبارية والعاهرة والناشزة فالمختلعة هى التى تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب وعلة والمبارية المباهية لعزها المفاخرة بمالها والعاهرة الفاسقة والناشزة المرتفعة بنفسها على زوجها والمخالفة فى امرها ونهيها (ثم رعاية تلك الاوصاف فى الزوج اولى) فان الطلاق بيد من له السنق فالوقوع فى تصرفه اقوى كما لايخفى وعن عائشة واسما بنتى الصديق النكاح رق فلينظر احدكم اين يضع كريمته قال البيهقى روى ذلك مرفوعا والموقوف اصح وورد من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها ابن حبان فى الضعفاء من حديث انس ورواه الثقات من قول الشعبى باسناد صحيح وروى ان بلالا وصهيبا اتيا اهل بيت من العرب فخطبا اليهم فقيل لهما من انتما فقال بلال انا بلال وهذا اخى صهيب كنا ضالين فهدانا الله وكنا مملوكين فاعتقنا الله وكنا عائلين فاغنانا الله فان تزوجونا فالحمد لله وان رددتمونا فسبحان الله فقالوا بل نزوجان والحمد لله فقال صهيب لبلال لو ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اسكت فقد صدقت فانكحك الصدق وكما تكره المغالاة فى المهر من جهة المرأة يكره سؤال الرجل ايضا عن مالها قال الثورى اذا تزوج الرجل وقال اى شئ للمرأة فاعلم انه لص وقال رجل للحسن قد خطب ابنتى جماعة فممن ازوجها قال ممن يتقى الله فانه ان احبها اكرمها وان ابغضها لم يظلمها وعن على شر خصال الرجال خير خصال النساء البخل والزهو والجبن فان المرأة اذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها واذا كانت مزهوة استنكفت ان تتكلم كل احد بكلام لين مريب فى حقها وان كانت جبانة فرقت من كل شئ فلم تخرج من بيتها قيل واذا كانت المرأة حسناء خيرة الاخلاق سوداء الحدقة والشعر كبيرة العين بيضاء اللون محبة لزوجها قاصرة الطرف عليه فهى على صورة الحور العين فان الله عز وجل وصف نساء الجنة بهذه الصفات فى قوله * خيرات حسان * اراد بالخيرات حسن الاخلاق وفى قوله * قاصرات الطرف * وفى قوله * عربا اترابا * فالعروب هى العاشقة لزوجها المشتهية للوقاع وبذلك تتم اللذة والحور البيض والحوراء شديدة بياض العين شديدة سوادها فى سواد الشعر والعيناء الواسعة العين هذا وفى الحديث لاتتزوجن عجوزا ولاعاقرا فانى مكاثر بكم الامم الطبرانى والحاكم عن عياض بن غنم وللشيرازى عليكم بشواب النساء فانهن اطيب افواها وانتق بطونا اى ارحاما واسخن اقبالا (ويهادى) اى كل منهما صاحبه قبل التزوج او الرجل

لانه اولى ان يكون فى هذا الفعل هو البادى (فورد تهادوا تحابوا) البخارى فى كتاب الادب المفرد والبيهقى من حديث ابى هريرة بسند جيد واذا اهدى شيئا فلاينبغى ان يهدى ليضطرهم الى المقابلة باكثر منه وكذا اهدوا اليه فنية طلب الزيادة فاسدة كما يشير اليه قوله تعالى * ولاتمنن تستكثر * اى لاتعط لطلب اكثر (ويؤلم) اى يصنع الوليمة وهى طعام العرس للمرأة الكريمة (فهو مروى عنه عليه السلام قولا) وهو قوله عليه السلام لابن عوف اولم ولو بشاة مالك والجماعة عن انس والبخارى عن ابن عوف (وفعلا) ففى البخارى من حديث عائشة اولم على بعض نسائه بمدين من شعير وفى السنن الاربعة من حديث انس اولم على صفية بسويق وتمر ولمسلم فجعل الرجل يجىء بفضل التمر وفضل السويق وفى الصحيحين التمر والاقط والسمن (ويجعل بها فهى فى اليوم الاول سنة) اى مؤكدة قريبة الى الواجب (وفى الثانى متعارف) اى استحبابه (وفى الثالث رياء) اى وسمعة فى بابه فعن ابن مسعود مرفوعا طعام اول يوم حق وطعام الثانى سنة وطعام الثالث سمعة الترمذى والمعنى اذا احدث الله تعالى نعمة لعبد حق له ان يحدث شكرا واستحب ذلك فى الثانى جبرا لما يقع من النقصان فى اليوم فان السنة مكملة للواجب واما اليوم الثالث فليس الا رياء وسمعة ومن هنا قالوا تجب الاجابة على المدعو فى الاول ويستحب فى الثانى ويحرم فى الثالث ثم يستحب التهنية له بان يقال له بارك الله لك وعليك وجمع بينكما فى خير كما رواه ابوداود والترمذى وصححه وابن ماجه عن ابى هريرة (ولا يخطب على خطبة اخيه) وقد تقدم ما ورد من نهيه عليه السلام (فهو ايذاء) اى للمؤمن وهو حرام قال تعالى * والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا * وورد من آذى مسلما فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله الطبرانى فى الاوسط عن انس (ويعلن) اى خطبة النكاح فان الخطبة يستحب اسرارها (فورد اعلنوا النكاح) تمامه واجعلوه فى المساجد واضربوا عليه بالدف الترمذى من حديث عائشة وحسنه وفى صحيح البخارى عن الربيع بنت معوذ جاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدخل على غداة ليلة بنى بى فجلس على فراشى وجويريات لنا يضربن بدفوفهن وينددن من قتل من آبائى الى ان قالت احديهن * وفينا نبى يعلم ما فى غد * فقال لما اسكتى عن هذا وقولى ماكنت تقولين قبلها وللترمذى وحسنه وابن ماجة من حديث محمد بن حاطب فصل ما بين الحلال والحرام بالدف والصوت اى فرق ما بينهما بحسب الظواهر عند العامة فان العقد بحضرة الشهود غالبا يكون فى السرائر مع الخاصة وقال الفقهاء المراد بالدف مالا جلاجل اذ وقع على خلاف القياس فيقتصر على مورده اذ لم يكن فى دف زمانه عليه السلام جلاجل وايضا فهى

زيادة مستغنى عنها بحصول المقصود بدونها (وينثر السكر واللوز على رأسها وينتهب القوم فهو سنة) فقد اخرج ابو جعفر الطحاوى بسنده وكذا البيهقى عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حضر ملاك رجل من الانصار فجاءت الجوارى معهن الاطباق عليها اللوز والسكر فامسك القوم ايديهم فقال عليه السلام لم لا تنتهبون قالوا انك نهيت عن النهبة قال اما العرسان فلا قال فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاذبهم ويجاذبونه واحتج به الطحاوى على ان النثار غير مكروه كما ذهب اليه ابو حنيفة وخص به على الاحاديث التى فيها النهى عن النهبة (ويغسل الزوج رجليها ويرمى الماء فى زوايا البيت ليدخله البركة) لم اجد له اصلا وانما اخرج احمد فى المناقب من حديث ابى يزيد المدنى وقال فارسل النبى الى على اى بعد عقد فاطمة لا تقرب حتى آتيك فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فدعا بماء فقال ماشاء الله ان يقول ثم نضح منه على وجهه ثم دعا فاطمة فقامت اليه تنثر فى ثوبها وربما قال فى مرطها من الحياء فنضح عليها ايضا وفى رواية ابن حبان عن انس انه عليه السلام لما زوج عليا فاطمة دخل البيت فقال لفاطمة آتينى بماء فقامت الى قعب فى البيت فاتت فيه بماء فاخذه ومج فيه ثم قال لها تقدمى فتقدمت فنضح بين ثدييها وعلى رأسها وقال * اللهم انى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم * ثم قال لها ادبرى فادبرت فصب بين كتفيها وقال ماقال اولا ثم قال لعلى آتنى بماء فاتى به فنضح بين ثدييه ثم قال * اللهم انى اعيذبك وذريته من الشيطان الرجيم ثم قال ادبر فادبر فصب بين كتفيه ودعا بما تقدم ثم قال له ادخل باهلك بسم الله والبركة (وينوى فى المباشرة) اى المجامعة (تحصين الفرج) وكذا العين لقوله سبحانه * قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم * (وتفريغ القلب) اى عما يشغله عن ذكر الرب (ويسمى فى ابتداء الوقاع) اى قبيل الجماع (ويقرأ الفاتحة) لم اجده الا فى الاحياء من غير بيان الانباء (ويسأله تعالى الذرية الطيبة) اقتداء بزكريا عليه السلام حيث قال * قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء (ومجانبة الشيطان فهو مأمور به) فروى الجماعة عن ابن عباس انه اذا اراد الجماع قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فانه لو قضى بينهما ولد لم يضره وفى رواية للبخارى لم يضره شيطان ابدا ولابن ابى شيبة عن ابن مسعود موقوفا قال واذا انزل قال اللهم لا تجعل للشيطان فيما رزقتنى سبيلا ومن آدابه ان ينحرف عن القبلة اكراما لها ويغطى نفسه واهله بثوب فقد قال عليه السلام اذا جامع احدكم امرأته فلا يتجرد تجرد البعيرين ابن ماجه من حديث عتبة بن عبد بسند ضعيف وتقدم المكالمة والملاعبة والقبلة فللديلمى فى مسند الفردوس من حديث انس

لايقعن احدكم على امرأته كما يقع البهيمة وليكن بينهما رسول قيل وما الرسول يارسول الله قال القبلة والكلام (ويجتنب الليل الاول من الشهر والآخر والوسط فهو) وفى نسخة فهى (اوقات حضور الشيطان) ويقال ان الشياطين يحضرون الجماع فى هذه الليالى ويقال ان الشياطين يجامعون فيها وروى كراهية ذلك عن على ومعاوية وابى هريرة كذا فى الاحياء (واول الليلة) اى ويجتنب اول كل ليلة (ليكون النوم على الطهارة) فانه اولى من ان يكون نومه على جنابة وان جامع فيها فيستحب ان يغتسل اويتوضأ اويتيمم ثم يرقد ففى حديث عمر قلت للنبى صلى الله عليه وسلم اينام احدنا وهو جنب قال نعم اذا توضأ متفق عليه وعن عائشة كان ينام جنبا لم يمس ماء ابو داود والترمذى وابن ماجه (ويلبث بعد الفراغ) اى ويمكث الرجل بعد فراغ منيه (لتفرغ) اى المرأة من انزال منيها فان انزالها ربما يتأخر فيتهيج شهوتها ثم القعود عنها يكون ايذاء لها (ويباشر كل اربع ليال فهو الاعتدال استدلالا بإباحة الاربع) فقد روى ان امرأة جاءت الى عمر رضى الله عنه وعنده كعب بن سوّر فقالت يا امير المؤمنين ان زوجى يصوم النهار ويقوم الليل وانا اكره ان اشكوه فقال عمر نعم الرجل زوجك فرددت كلامها وعمر لايزيدها على ذلك فقال كعب يا امير المؤمنين انها تشكو زوجها فى هجرة فراشها فقال له عمر فكما فهمت اشارتها فاحكم بينهما فارسل الى زوجها فجاء فقال لها كعب ما تقولين فقالت *

(شعر) يا ايها القاضى الحكيم ارشده * الهى خليلى عن فراشى مسجده
زهده فى مضجعى تعبده * نهاره وليله ما يرقده
ولست فى امر النساء احمده * فقال لزوجها ما تقول

فقال زهد فى فراشها وفى الكلل * انى امرؤ اذ هلنى ما قد نزل
فى سورة النجم وفى السبع الطول * فقال له كعب
ان لها عليك حقا يا رجل * نصيبها فى اربع لمن عقل
* فاعطها ذاك ودع عنك العلل *

فقال له عمر من اين لك هذا قال لان الله تعالى اباح للحر اربع زوجات فلكل واحدة يوم وليلة فاعجب ذلك عمر وجعله قاضى البصرة كذا فى الشمنى شرح النقاية مختصر الوقاية وهو ولى الهداية فى البداية والنهاية (ويزيد لحاجتها) وكذا لحاجته (فتحصينها واجب) وكذا تحصينه بل اوجب فى مقام دينه وحال يقينه (ويتخذ كل منهما خرقة) اى نظيفة (لازالة الاذى) وهو المنى لانه نجس عندنا وعلى القول بطهارته كما هو فى مذهب الشافعى فلا يخلو عن كراهة الطبيعة مع ان الخروج عن الخلاف مستحب باجماع علماء الشريعة (ويضاجع الحائض) اى ويرقد معها ولا يجتنب عن ان يعانقها (ويواكلها ويشاربها مخالفة للمجوس) واخوانهم

من الروافض النحوس (ولايأتيها جانب الدبر فهو) وفى نسخة فهى (اللواطة الصغرى) ولو جانب لفظ الجانب لكان احسن فى تعيين المراتب فانه تعالى قال * نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم اى مقبلات ومدبرات ومستلقيات وللترمذى عن ابن عباس وقال حسن صحيح ان عمر جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت قال وما الذى اهلكك قال حولت رحلى البارحة فلم يرد عليه شيئا واوحى اليه * نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم * يقول اقبل وادبر واتق التدبر والحيضة كذا فى المعالم وفى الصحيحين ان قوله نساؤكم حرث لكم الآية نزلت ردا لليهود كانت تقول فى الذى يأتى المرأة من دبرها فى قبلها ان يكون الولد احول ثم المراد بالحرث موضع الزراعة ومنبت الولد واما الدبر فهو محل الروث والفرث وانما قال اللواطة الصغرى فان الكبرى انما هى مع الرجال ولاخلاف بين السلف والخلف ان غشيان المرأة والجارية فى دبرها ملعون فاعله ونص مالك بحرمته فما نقل عنه افتراء ليس فيه امتراء كيف وغشيان الحائض حرام لكونه اذى واذى الدبر اشد واقوى وقد ورد عن احمد فى المسند وابى داود عن ابى هريرة مرفوعا لملعون من اتى امرأة فى دبرها وفى رواية لاحمد واصحاب السنن الاربعة عنه ايضا من اتى كاهنا فصدقه بما يقول او اتى امرأة حائضا او اتى امرأة فى دبرها فقد برئ مما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم (ولايدوم على ترك الوطئ فهو يضعف القوة) اى على قواعد اهل الحكمة ولعل هذا بالنسبة الى كثير الشهوة (ولا يباشر بعد مباشرة اواحتلام الا ان يغسل نفسه) اى ذكره (اويبول) فانهما يقطعان المنى فاذا خرج بعدهما شئ يكون مذيا (ولايعزل) والمعتمد ان يستأمر الحرة فى العزل دون الامة وكره جماعة العزل مطلقا لما ورد من قوله عليه السلام هو الوأد الخفى كما فى مسلم من حديث جذامة بنت وهب فانه القتل الحكمى (فهو) اى العزل (كالجلوس فى المسجد بلاعبادة) لانه طاعة فى موضع ليس فيه اثر فائدة سعادة (والاقامة بمكة بلا حج) اى فى كل سنة وكذا بلا طواف فى كل يوم وليلة فالمراد بالكراهة ترك الاولى والفضيلة ويغاير العزل الوأد الجلى بان الثانى جناية على موجود اومشهود واذا قال على كرم الله وجهه لا يكون موؤدة الا بعد سبع اى سبعة اطوار وتلا الآية الواردة فى اطوار الخلقة وهى قوله تعالى * ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين * الى قوله * ثم انشأناه خلقا آخر * اى نفخنا فيه الروح (ولا يأبه) اى بالعزل (ان نوى استبقاء الملك فى الجارية) بترك الاعتاق ثم اذا قطع اسبابه ليس بمنهى عنه (والحسن والسمانة للتمتع) اى واستبقاء جمال المرأة وسمنها لدوام التمتع بها (والحيوة) اى واستبقاء الحيوة (بالتحرز عن المخاض) وهو وجع النفاس حال الطلق وهذا ايضا ليس

منهيا

منهيا عنه (والخوف) اى وان نوى المخافة (من الافضاء الى كسب الحرام) بسبب كثرة الاولاد ومايترتب عليه من كثرة الخروج فى البلاد ودخول مداخل السوق ومحافل الفساد ومشاركة اهل العناد ومباعدة الزهاد والعباد وهذا ايضا ليس بمنهى عنه (فكانوا) اى الصحابة (يعزلون ومانهوا عنه) ففى الصحيحين عن جابر كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل زاد مسلم فبلغ ذلك نبى الله فلم ينهنا وفى رواية لمسلم من حديث ابى سعيد انهم سألوه عن العزل فقال لاعليكم ان لاتفعلوا ورواه النسائى من حديث ابى صرمة وفى صحيح مسلم عن جابر ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان لى جارية وهى خادمتنا وسانيتنا فى النخل وانا اطوف عليها واكره ان تحمل فقال اعزل عنها ان شئت فانه سيأتيها ماقدر لها فلبث الرجل ثم اتاه فقال ان الجارية قد حبلت فقال قد اخبرتكم انه سيأتيها ما قدر لها وفى الصحيحين من حديث ابى سعيد ما من نسمة قدر كونها الا وهى كائنة (وان كان فيه) اى ولو فى العزل خوفا من الافضاء الى كسب الحرام (ترك الفضيلة وهو التوكل) والضمان بثقة الله عز وجل حيث قال * وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها (فورد من ترك النكاح مخافة العيلة فليس منا) اى من اخلاقنا وقد سبق الكلام عليه (ويأثم ان خاف ولادة البنت) لما فى تزويجهن من المعرة (فهو) اى خوفها (عادة الجاهلية) فى قتلهم البنات ووأدهن فى حال الحيوة كما اخبر الله سبحانه عنهم فى الكتاب * واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء مابشر به ايمسكه على هون ام يدسه فى التراب * (او اراد به المبالغة فى النظافة) بتعززها وكمال تحرزها من الطلق والنفاس والرضاع ومايتبعها فيأثم بالعزل اذا نواها (فهو) اى العزل بهذا القصد (بدعة) لانها عادة الخوارج لمبالغتهم فى استعمال المياه حتى كن يقضين صلوة ايام الحيض ولا يدخلن الخلاء الا عراة فهذه بدعة تخالف السنة فهى نية فاسدة وقد استأذنت واحدة منهن على عائشة لما قدمت البصرة فلم تأذن لها (ويفرح بالمولود) فانه المقصود فى ميدان الوجود وايوان الشهود (فورد انه نور) اى للعين (فى الدنيا وسرور) اى للقلب (فى الآخرة) اى عند شفاعته فى العقبى ولم اجد له اصلا وقد قيل الولد اذا عاش نفع واذا مات شفع وقد ورد الولد ثمر القلب وانه مجبنة محزنة مبخلة ابو يعلى الموصلى عن ابى سعيد وفى رواية الحكيم عن خولة بنت حكيم الولد من ريحان الجنة وفى الجملة هو هبة من الله كما يشير اليه قوله سبحانه * يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور (ولا يغتم بالبنت لان الصلاح مستور) اذ قد يكون الابن صالحا والبنت بخلافه وقد يكون الامر بالعكس او يراد بالصلاح النفع والنجاح وهو ايضا مبهم كما يشير اليه قوله تعالى * آباؤكم وابناؤكم لاتدرون ايهم اقرب لكم نفعا (ويزداد فرحا) اى لولادة البنت بالتكلف فيه باظهاره

(مخالفة الجاهلية) حيث قال تعالى * واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم وورد من خرج الى سوق من اسواق المسلمين فاشترى شيئا فحمله الى بيته فخص به الاناث دون الذكور نظر الله اليه ومن نظر الله اليه لم يعذبه الخرائطي بسند ضعيف وفي رواية له فبدأ بالاناث قبل الذكور (وورد ببركة المرأة تبكيرها) اى اول ولادتها (بالبنات) الديلمي عن عائشة وواثلة كلاهما مرفوعا بلفظ من بركة المرأة تبكيرها بالاناث وحكاه ابن عطية عن الثعلبي موقوفا على واثلة بلفظ من يمن المرأة تبكيرها بالانثى قبل الذكر لان الله تعالى بدأ بالاناث يعني قوله تعالى * يهب لمن يشاء اناثا * وعن ابن عباس ان رجلا دعا على بناته بالموت فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تدع فان البركة في البنات ذكره السخاوي (من ابتلي منهن) اى بالبنات (بشيء) اى قليلا او كثيرا (فاحسن اليهن) بالتربية (كن له سترا من النار) اى حجابا احمد والشيخان والترمذي عن عائشة بلفظ من ابتلي من هذه البنات الحديث وعن ابن عباس ما من احد يدرك ابنتين فيحسن اليهما ما صحبتاه الا ادخلتاه الجنة ابن ماجه والحاكم وقال صحيح الاسناد وعن انس من كان له ابنتان او اختان فاحسن اليهما ما صحبتاه كنت انا وهو في الجنة كهاتين الخرائطي في مكارم الاخلاق بسند ضعيف ورواه الترمذي بلفظ من عال جاريتين وقال حديث حسن غريب وعن ابن مسعود من كانت له ابنة فاديها فاحسن ادبها وغذاها فاحسن غذاءها واسبغ عليها من النعم التي اسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار الى الجنة الطبراني في الكبير والخرائطي في مكارم الاخلاق وعن ابي هريرة من كانت له ثلاث بنات او اخوات فصبر على لاوائهن وضرائهن ادخله الله الجنة بفضل رحمته اياهن فقال رجل واثنتان يا رسول الله قال واثنتان فقال رجل او واحدة فقال او واحدة الخرائطي واللفظ له والحاكم ولم يقل او اخوات وقال صحيح الاسناد (وبؤذن في اذنه اليمنى) اى في اول ما يلد ليكون اول ما يقرع سمعه ذكر الله عز وجل ودعوة الداعي الى طاعته وعبادته (ويقيم في اليسرى) فيكون سببا لحضوره في المسجد واداء الصلوة بجماعة وعن ابي رافع رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن في اذن الحسين حين ولدته فاطمة احمد واللفظ له وابو داود والترمذي وصححه الا انهما قالا الحسن مكبرا (فورد فيه) اى فيما ذكر من الاذان والاقامة او في جمعهما (دفعت عنه ام الصبيان) فانها من جنس الشيطان وهم يبعدون عن الاذان لكمال العدوان وعن الحسين بن علي ولد له مولود فاذن في اذنه اليمنى واقام في اذنه اليسرى دفعت عنه ام الصبيان ابو يعلى الموصلي وابن السني في اليوم والليلة والبيهقي في شعب الايمان (ويقطع سرته ويميط الاذى) اى يزيله وهو الدم ونحوه عن بدنه لما سيأتي (وترضعه الام) اى ولو مرة فانه اول تربية فيختص باشفق الناس وارحمهما وليصدق على

امه ما قال تعالى * حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا * والتخرج عن عهدة ظاهر الامر فى قوله سبحانه * والوالدات يرضعن اولادهن الآية وقوله (فهو سنة) لم اجد لها اصلا (ولا تسأم) اى لاتمل الام وفى نسخة ولاتتسأم بصيغة المعلوم للمؤنث او المجهول للمذكر (ولايتبرم ولا يتضجر احد ببكائه فهو ذكر كما ورد) عن ابن عمر مرفوعا بكاء الصبى الى شهرين شهادة ان لا اله الا الله والى اربعة اشهر الثقة بالله والى ثمانية اشهر الصلوة على النبى عليه السلام ولسنتين استغفار لوالديه اخرجه الديلمى بسند ضعيف وفى لفظ لغيره بكاء الصبى فى المهد اربعة اشهر توحيد واربعة اشهر صلوة على نبيكم واربعة اشهر استغفار لوالديه ذكره السخاوى فى القول البديع (وجاء الاختتان فى اليوم السابع) فانه مهما كان صغيرا يبقى القطع يسيرا وقد روى الطبرانى فى الصغير من حديث جابر بسند ضعيف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عق عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة ايام ورواه الحاكم وصحح اسناده والبيهقى من حديث عائشة (وقيل يؤخر عنه) اى حتى يصير كبيرا (مخالفة لليهود) فانهم يعجلون فى هذا الامر (وتحاميا عن الخطر) اى خطر المولود عن الموت فان الخطر فى حال الصغر اكثر من زمان الكبر (ووقته) اى ووقت غاية تأخير (سبع سنين) اوعشر سنين اوما يطلق الله فيه وقد اختتن ابراهيم عليه السلام وهو ابن ثمانين وذلك لانه امر حينئذ فهو اول من اختتن وترك لوولد شبيها بالمختون (وتختتن الانثى) اى البنت (فورد انه مكرمة) اى سبب كرامة عند ازواجهن عن ابن عباس الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء الطبرانى (وهو) اى ختان الانثى (ينضر الوجه) اى يحسنه (ويفتر الشهوة) اى يسكنها (ويلذ الوقاع) اى الجماع (ويحبب الى الزوج) وهو سبب محبة الزوجة (ولايبالغ) بصيغة المجهول (فيه) اى فى الختان اوفى ختانها بالخصوص (ويحسن الاسم) اى اسم ولده فانه من جملة حقوقه على والده (فورد حسنوا اسماء اولادكم) ابوداود من حديث ابى الدرداء قال النووى باسناد جيد وقال البيهقى انه مرسل ولفظه انكم تدعون يوم القيمة باسمائكم واسماء آبائكم فاحسنوا اسمائكم وورد حق الولد على والده ان يحسن اسمه ويزوجه اذا ادرك ويعلمه الكتابة ابونعيم والديلمى عن ابى هريرة وفى رواية زيادة والسباحة والرماية (والتعبيد) اضافة العبد الى اسماء الرب (احب) اى افضل (فورد اذا سميتم) اى اردتم ان تسموا اولادكم (فعبدوا) الطبرانى من حديث عبد الملك بن زهير عن ابيه (واحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن) مسلم من حديث ابن عمر (ولايجمع بين اسمه عليه السلام وكنيته فهو) اى الجمع بينهما (منهى عنه) لحديث سموا باسمى ولاتكنوا بكنيتى متفق عليه من حديث جابر وفى لفظ تسموا فقيل النهى عن التكنية وحدها وكان هذا المنع فى عصره اذا كان

ينادى يا ابا القاسم فلا بأس بعده نعم لا يجمع بين اسمه وكنيته لما رواه احمد وابن حبان من حديث ابى هريرة ولابى داود والترمذى وحسنه وابن حبـــان من حديث جابر من تسمى باسمى فلا يكتنى بكنيتى ومن تكنى بكنيتى فلا يتسمى باسمى (وقيل كان ذلك) اى النهى عن الجمع بينهما (فى عهده عليه السلام) اى فى زمانه لعلة الالتباس واما اليوم فلا (ويبدل الاسم السىء) اى يغيره بغيره من الاسم الحسن (فبدل عليه السلام اسم العاص بعبد الله وبرة) بفتح الموحدة (بزينب وقال) باستفهام مقدار انكارا لها (تزكى نفسها) فان برة مبالغة بارة وهى عاملة البر بالكسر رواه الشيخان عن ابى هريرة نحوه (ونهى) اى عليه السلام (عن افلح) اى عن التسمية بافلح (ونافع وبركة) رواه مسلم من حديث سمرة بن جندب الا انه جعل مكان بركة رباحا (تحاميا عما قيل) اى يقال (ليس فى الدار بركة) يعنى اونافع اوافلح وامثال ذلك (ويسمى السقط وان جهل صفته) اى من الذكورة والانوثة (فبما) اى فيسمى باسم (يصلح للذكر والانثى) بان يكون فى آخره تاء (كحمزة وطلحة) فعن عبد الرحمن ابن يزيد بن معاوية قال بلغنى ان السقط يوم القيمة وراء والديه يقول انت ضيعتنى انت تركتنى لا اسم لى فقال عمر بن عبد العزيز كيف وقد لا يرى انه غلام اوجارية فقال عبد الرحمن من الاسماء ما يجمعهما كحمزة وعمارة وطلحة وعتبة وعنبسة (ولا يكنى بابى عيسى اذ لا اب له) اى لعيسى عليه السلام (ونهى عنه) اى عن التكنى المذكور لما يوهم من خلاف المرام فى سمع العوام ففى الاحياء سمى رجل ابا عيسى فقال عليه السلام ان عيسى لا اب له فكره ذلك انتهى ولم يتعرض له مخرجه (ويعق عن الابن بشاتين وعن البنت بشاة) ولا بأس بالشاة ذكرا كان اوانثى (فى اليوم السابع) من الولادة (فهو مأمور به) روت عائشة انه عليه السلام امر فى الغلام بشاتين مكافيتين وفى الجارية بشاة الترمذى وصححه (وعق عن الحسن بشاة) واحدة وهذا رخصة فى الاقتصار على شاة واحدة والحديث رواه الترمذى من حديث على وقال ليس اسناده بمتصل ووصله الحاكم وصححه الا انه قال حسين ورواه ابوداود من حديث ابن عباس الا انه قال كبشا والبخارى من حديث سلمان ابن عامر الضبى مع الغلام عقيقته فاهرقوا عنه دما واميطوا عنه الاذى وعن عائشة لا يكسر للعقيقة عظم كذا فى الاحياء ولعل وجهه تفاولا بصحة الاعضاء وقال قتادة اذا ذبحت العقيقة اخذت صوفة منها فاستبل بها اوداجها ثم توضع على يافوخ الصبى حتى يسيل منه مثل الخيط ثم يغسل رأسه ويحلق بعده كذا فى الاحياء (ويحلق رأسه) اى فى السابع لما سيأتى اوفى الاربعين كما عليه عمل اهل الحرمين (ويتصدق على وزن شعره ذهبا اوفضة) وهى المعروف كما سيأتى

فامرت

(فامرت به فاطمة فى الحسين فى اليوم السابع) قال العراقى حديث امر فاطمة يوم سابع حسين ان يحلق شعره ويتصدق بزنة شعره فضة الحاكم وصححه من حديث على وهو عند الترمذى منقطع بلفظ حسن ورواه احمد من حديث ابى رافع (ويطلى السكر) اى يلطخه ان تيسر اوالعسل (اوالتمر المضوغ فى لهاته) بفتح اللام اى اقصى حلقه من حنكه (ففعله عليه السلام لعبد الله بن الزبير حين جاءت به امه اسماء بنت ابى بكر رضى الله عنهم) ففى الصحيحين عن اسماء ولدت عبد الله بن الزبير بقبا ثم اتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه فى حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل فى فيه فكان اول شئ دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بتمرة ثم دعا له وبرك عليه وكان اول مولود ولد فى الاسلام ففرحوا به فرحا شديدا لانهم قيل لهم ان اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم وبقية حقوق الولد ذكرت فى باب الصحبة *

الباب السادس فى الكسب والورع

اى المترتب عليه قطع الطمع ولبعض الاكابر قوام الدنيا والدين العلم والكسب فمن رفضهما وقال ابتغى الزهد لاالعلم والتوكل لا الكسب وقع فى الجهل والطمع كذا فى ربيع الابرار للزمخشرى (بسم الله الرحمن الرحيم) وبه استعين فى كل امر كريم قال تعالى * وجعلنا النهار معاشا * وابتغوا من فضل الله * اى رزقه * وانفقوا من طيبات ما كسبتم * الآية (ورد من طلب الدنيا حلالا) اى حال كون المطلوب حلالا (تعففا عن المسألة) اى لاجل عفة نفسه عن سؤال مخلوق مثله (وسعيا على عياله) من زوجته واطفاله (وتعطفا) اى ترحما وتلطفا (على جاره) من الفقراء فى تحسين حاله وتزيين باله (لقى الله) اى يوم القيمة فى مآله (ووجهه كالقمر ليلة البدر) من حسن جماله وكمال مناله (ومن طلب الدنيا مفاخرا) اى حال كونه متفاخرا بتحصيل ماله (مكاثرا) على اقرانه وامثاله (لقى الله وهو عليه غضبان) والله المستعان والحديث رواه ابو الشيخ فى كتاب الثواب وابو نعيم فى الحليه والبيهقى فى شعب الايمان من حديث ابى هريرة ومن الذنوب ذنوب لايكفرها الا الهم فى طلب المعيشة الطبرانى فى الاوسط وابو نعيم فى الحلية وعن لقمان الحكيم لابنه استغن بالكسب الحلال عن الفقر فانه ما افتقر احد قط الا اصابه ثلاث خصال رقة فى دينه وضعف فى عقله وذهاب لمروءته واعظم هذه الثلاث استخفاف الناس به وكان عمر يقول لايقعد احدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى فقد علمتم ان السماء لاتمطر ذهبا ولافضة وكان زيد بن سلمه يغرس فى ارضه فقال عمر اصبت استغن عن الناس تكن اصون لدينك واكرم لوجهك كيف قال صاحبك اجيحة *

(شعر) فلن ازال على الزوراء اعمرها * ان الكريم على الاخوان ذو المال

(فالكسب سنة الانبياء) منهم داود عليه السلام لقوله تعالى * وعلمناه صنعة لبوس لكم * واول من زرع آدم عليه السلام واول من نجر نوح عليه السلام ويقال اول من خط ادريس عليه السلام (والاولياء) ومنهم اكثر الصلحاء (وفيه) اى فى الكسب (ستر الحال) اى مما فيه من العلم والاعمال فيكون من الاتقياء الاصفياء وممن قال عز وجل فيهم * رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله * الآية (وهو) اى الكسب (اولى لظاهر العمل) اى للمشتغل بالاعمال الظاهرة من التلاوة والعبادة فالكسب فى حقه اهرى (من الاخذ بالسؤال وبغيره) كالطمع فى اموال الرجال (فالفارغ) من الكسب لتحصيل الحلال (سائل بلسان الحال) ان لم يكن سائلا ببيان المقال وربما لسان الحال اكشف فى تحصيل المال ومن هذا ورد ان الله يحب ان يرى عبده تعبا فى طلب الحلال الديلمى عن على وفى رواية ابن عدى عن ابن عمر ان الله يحب المؤمن المحترف وورد من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر الترمذى من حديث ابى كبشة الانمارى وقال حسن صحيح وعن ابن مسعود انى لاكره ان ارى الرجل فارغا لا فى امر دينه ولا فى امر دنياه وجاءت ريح عاصف فى البحر فقال اهل السفينة لابراهيم بن ادهم اماترى هذه الشدة فقال ماهذه شدة انما الشدة الحاجة الى الناس وقيل لاحمد ماتقول فيمن جلس فى بيته اومسجده وقال لااعمل شيئا حتى يأتينى رزقى فقال احمد هذا رجل جهل العلم اماسمع قوله عليه السلام ان الله جعل رزقى تحت رمحى وفى مسند احمد من حديث ابن عمر جعل رزقى تحت ظل رمحى واسناده صحيح واما سمع قوله عليه السلام حين ذكر الطير فقال تغدو خماصا وتروح بطانا فذكرانها تغدو فى طلب الرزق وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون فى البر والبحر ويعملون فى نخيلهم ثم قال احمد والقدوة بهم والحديث الثانى رواه الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عمر وقال الترمذى حسن صحيح (واما صاحب الباطن) وهو العارف بالله المراقب لفيض مولاه المعرض عما سواه (والعالم النافع للناس) افتاء وتصنيفا وتدريسا (والمشتغل بمصالحهم كالقاضى) وفى معناه الخليفة والمؤذن والامام وفقيه الايتام (فان اعطوا الكفاية من بيت المال) اى من وجه الحلال اومن ايدى الناس من الصدقات اخذوها واشتغلوا بما هو افضل فى حقهم من الاشتغال بكسب المال فهو غاية الكمال (والا) اى وان لم يعطوا (يقابل) كل منهم (فضائل الكسب) اى الاحاديث التى وردت فى فضائله (بما فيه) اى من فضائل العلم والحكومة ومنافع الرجال (ممنا) اى حال كونه مبالغا فى تمييز ما فيه الفلاح (ويعمل بحسب الصلاح) فان فيه النجاح وقد اشار الصحابة على ابى بكر بترك التجارة لما ولى الخلافة اذ كان ذلك يشغله عن المصالح وكان يأخذ كفايته من

مال المصالح ورأى ذلك اولى نعم لماتوفى اوصى برده الى بيت المال والحاصل انه ان كان الصلاح فى الكسب اختاره وترك ماهوفيه لغيره وان كان الصلاح فيما هوفيه من الامر المهم اشتغل به وتوكل على الله فى امر رزقه (وحقه) اى حق الكسب على ماذكره ثلاثون (ان ينوى التعفف) اى عفة نفسه عن المسألة (والتعطف) اى الترحم على غيره بزيادة النفقة لما تقدم ولما روى ان عيسى عليه السلام رأى رجلا فقال ماتصنع فقال اتعبد قال من يعولك قال اخى قال اخوك اعبد منك (واقامة فرض الكفاية) اى ينويها (فى صناعات يتوفق عليها العيش) اى المعيشة كالزراعة والتجارة والخياطة والنجارة ففى الخبر تسعة اعشار الرزق فى التجارة الحربى فى الغريب من حديث نعيم بن عبد الرحمن وتقدم نفع الزراعة وروى احمد من حديث ابى هريرة خير الكسب كسب العامل اذا نصح واسناده حسن (ويباكر) اى ويسعى فى اول النهار (فورد ان فى الغدو بركة ونجاحا) اى فوزا وفلاحا وظفرا بالمراد وصلاحا والحديث رواه الطبرانى فى الاوسط وابن عدى عن عائشة باكروا فى طلب الرزق والحوائج فان الغدو بركة ونجاح وقد ورد اللهم بارك لامتى فى بكورها وروى الطبرانى فى معاجمه الثلاثة من حديث كعب بن عجرة انه عليه السلام كان جالسا مع اصحابه ذات يوم فنظر الى شاب ذى جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا ويح هذا لوكان جلده فى سبيل الله فقال عليه السلام لا تقولوا هذا فانه ان كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسألة ويغنيها عن الناس فهو فى سبيل الله وان كان يسعى على ابوين ضعيفين اوذرية ضعاف ليغنيهم ويبلغهم فهو فى سبيل الله وان كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو فى سبيل الشيطان (ويجتنب) اى من الصنائع (ما يضر الناس كالاحتكار) فبائع الطعام بدخيره منتظرا غلاء السعر وهوظلم عام وصاحبه مذموم شرعا وعرفا فورد الجالب مرزوق والمحتكر ملعون الحاكم فى صحيحه وابن ماجه فى سننه عن ابن عمر ومن احتكر الطعام اربعين يوما ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره ابو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث على والخطيب فى التاريخ من حديث انس وروى احمد والحاكم بسند جيد من حديث ابن عمر من احتكر الطعام اربعين يوما فقد برئ من الله وبرئ الله منه وعن على انه احرق طعام محتكر بالنار وكذا فى الاحياء وفى حديث مسلم لايحتكر الا خاطئ ولابن ماجه الجالب مرزوق والمحتكر ملعون قيل ومدته اربعون لما رواه ابن عساكر عن معاذ من احتكر طعاما على امتى اربعين يوما وتصدق به لم تقبل منه وفى رواية لاحمد وابن ماجه عن عمر من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والافلاس وفى رواية له وللحاكم عن ابى هريرة من احتكر حكرة يريد ان يغلى بها على المسلمين فهو خاطئ وقد برئت منه ذمة الله ورسوله وقوله خاطئ بالهمز وفى رواية فهو ملعون واستدل به مالك بعموم الحديث على ان الاحتكار حرام فى المطعوم وغيره وهو

رواية عن ابي يوسف والجمهور على ان الاحتكار مختص بالاقوات وحملوا الحديث عليها والله اعلم وروى ابن مردويه فى تفسيره من حديث ابن مسعود مامن جالب يجلب طعاما الى بلد من بلدان المسلمين فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته عند الله منزلة الشهيد وبالجملة التجارة فى الاقوات مما لا يستحب ولذا اوصى بعض التابعين رجلا وقال لا تسلم ولدك فى بيعتين ولا فى صنعتين بيع الطعام وبيع الاكفان فانه يتمنى الغلاء وموت الناس واما الصنعتان فان يكون جزارا فانها صنعة تقسى القلب اوصواغا فانه يزخرف الدنيا بالذهب والفضة وهذا معنى قوله (ويلوث الباطن) اى ويجتنب مما يلوث باطنه ولو لم يلوث ظاهره (كالجزر) وهو صنعة الجزار ويقال القصاب (فهو يقسى القلب والصياغة فهو يزين الدنيا) وهى مبغوضة الرب وايضا يكره كسر الدرهم الصحيح والدينار الا عند شك فى جودته اوحال ضرورته فقد قال احمد بن حنبل ورد نهى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فى الصياغة وانا اكره الكسر وقال يشترى بالدنانير دراهم ثم يشترى بالدراهم ذهبا ويصوغه اى خروجا عن الربوا وحديث النهى عن كسر الدينار والدرهم رواه ابوداود والترمذى وابن ماجه والحاكم من رواية علقمة بن عبد الله عن ابيه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكسر سكة المسلمين الجائزة بينهم الا من بأس زاد الحاكم ان يكسر الدرهم فيجعل فضة يكسر الدينار فيجعل ذهبا وضعفه ابن حبان (والظاهر) اى ويجتنب ما يلوث ظاهره ولو لم يلوث باطنه (كالحجامة والدباغة وفى معناهما الكناسة فان تلوث الظاهر يؤدى الى تلوث الباطن كما ان طهارة الظاهر تورث طهارة البدن وقد نهى عليه السلام عن كسب الحجام رواه ابن ماجه بسند حسن عن ابن مسعود ويحمل على نهى التنزيه لانه عليه السلام احتجم واعطى الحجام اجرته ولو كان حراما لما اعطاه وكيف لا والحجامة من الصنائع التى عدت من فروض الكفاية فلابد من قيام بعض بهذه الصناعة لئلا يقع الناس فى ضياعة اذلو تركت التجارات والصناعات لبطلت المعاش وضاعت الحالات فانتظام امر الكل بمعاونة الكل وتكفل كل فريق بعمل له يليق ولو اقبلوا كلهم على صنعة لتعطلت البواقى بمرة وعلى هذا حمل بعضهم قوله عليه السلام اختلاف امتى رحمة اى اختلاف هممهم فى الصناعات وسبحان من اقام العباد فيما اراد وكل مزب بما لديهم فرحون وقال تعالى * نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون * ولله در القائل

(شعر) * رضينا قسمة الجبار فينا * لنا علم وللاعداء مال *
* فان المال يفنى عن قريب * وان العلم يبقى لا يزال *

وما

(وما يعسر) اى ويجتنب مايصعب (فيه رعاية الاحتياط كالصرف) لان الاحتراز فيه عن دقائق الربا عسر علما وعملا ولانه طلب لدقايق الصفات فيما لايقصد من اعيانها وانما يقصد رواجها وقل مايتم للصيرفى ربح لاباعتبار جهالة معامليه بدقايق النقد فقل مايسلم الصيرفى من الربا وان راعى غاية الاحتياط وفى الجملة يجب على الصيرفى ان يجتنب من الفضل فى المتجانسين وفى النسيئة مطلقا وورد لو اتجر اهل الجنة لاتجروا فى البز ولو اتجر اهل النار لاتجروا فى الصرف الديلمى من حديث ابى سعيد وابويعلى الشطر الاول من حديث ابى بكر (والدلالة) بالفتح ويكسر وقد كره ابن سيرين الدلالة وكره قتادة اجرة الدلال ولعل السبب فيه قلة استغناء الدلال عن الكذب فقد قيل رأس مال الدلال الكذب والافراط فى الثناء على السلعة لترويجها ولان العمل لايتقدر فقد يقل ويكثر ولاينظر فى مقدار الاجرة الى عمل بل الى قيمة قدر الثوب وهذا هو العادة وهو ظلم بل ينبغي ان ينظر الى قدر التعب فان الاجر على قدر المشقة كذا فى الاحياء (ومايكره) اى ويجتنب مايكره (فيه قضاؤه تعالى كشراء الحيوان) اى العبيد ونحوه لاجل التجارة فان المشترى يكره قضاء الله تعالى فيه وهو الموت الذى بصدده ولامحالة خلق لاجله (وسلامة الناس) اى ويجتنب مايكره فيه عافية الناس (كبيع الكفن) على ماتقدم وفى معناه حفر القبر وغسل الموتى وحملهم بالاجرة وتشييع الفقراء واعلامهم واذكارهم من غير اذكارهم (ومايحرم) اى ويجتنب مايحرم (استعماله كقباء الابريسم) اى الحرير وهو ثوب الرجال دون النساء وفى الخبر من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة رواه الشيخان وغيرهما عن انس وفى رواية احمد عن جويرية من لبس الحرير فى الدنيا البسه الله يوم القيمة ثوبا من النار (وآنية الذهب والفضة) فانهما تحرم مطلقا وفى الخبران الذى يأكل اويشرب فى آنية الفضة انما يجرجر فى بطنه نار جهنم رواه مسلم عن ام سلمة زاد الطبرانى الا ان يتوب (والمزمار) فانه حرام باتفاق الاربعة كسائر الاوتار وانما خالف الرافعى من الشافعية فى القضب (ورفع البناء) اى زيادته على قدر الحاجة فانه يقال له الى اين يا افسق الفاسقين وذلك لانه عمل شداد فى بناء قصره وعمل فرعون فى بناء صرحه (وتزيينه بالجص) وكذا بالنورة والطين فانهما مكروهان اوحرامان لاسراف المال وتضييع الحال وروى الدارقطنى عن ابى الدرداء انه عليه السلام سئل ان يكحل المسجد اى بالنورة وغيرها فقال لاعرش كعرش موسى (ويعامل) عطف على يجتنب (متدينا لايستر ماله) اى فى التدين فيكون ظاهر الديانة (اعانة على البر لافاسقا) وكذا الاظالما ولااحدا من اعوانه (لئلا يعين على الاثم) فقد قال تعالى * وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الاثم والعدوان * وقد دخل سفيان الثورى على المهدى وبيده درج ابيض فقال ياسفيان

اعطنى الدواة حتى اكتب فقال اخبرنى اى شئ تكتب فان حقا اعطيتك (ولايبالغ فى مدح المبيع) اى ان كان بايعا (وذم المشترى) اى المشترى ان كان مشتريا (وان صدق) اى ولوكان صادقا فى مدحه وذمه فالمبالغة فيهما مذمومة لانه مما لايعنيه فهو به ملوم ومذؤم وقد قال تعالى * مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد * وقال عز وعلا * والذين هم عن اللغو معرضون * وورد من حسن اسلام المرء تركه مالايعنيه (ولايحلف) ولوكان صادقا فى يمينه من غير ضرورة فى امر دينه (فهو جعله تعالى) اى جعل الحالف اسمه سبحانه فى هذا الحلف (عرضة للايمان) اى كالعرضة التى اعدها القصاب لازالة ما يتلوث به يداه اوكالهدف الذى يرمى الرامى فى كل ساعة سهمه اليه (لترويج الدنيا الخسيسة) باسمه الذى من الاشياء النفيسة واما قوله تعالى * ولاتجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس * فمعناه لاتجعلوا الحلف بالله سببا مانعا لكم من البر والتقوى بان يدعى احدكم الى بر فيقول حلفت ان لا افعله بل ينبغى ان يفعله ويكفر عن يمينه (وورد) كما فى صحيح مسلم (لاينظر الله الى منفق) بتشديد الفاء المكسورة (سلعته) اى مروجها (بيمينه) اى بحلفه فانه ان كان كاذبا فقد جاء باليمين الغموس وهى من الكبائر التى تترك الديار بلاقع وان كان صادقا فقد اساء فيه اذ الدنيا اخس من ان يقصد ترويجها بذكر اسم الله من غير ضرورة وفى الخبر ويل للتاجر من بلى والله ولا والله وويل للصانع من بعد وغد كذا فى الاحياء ذكره صاحب مسند الفردوس من حديث انس بغير اسناده نحوه وفى الخبر اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للكسب متفق عليه (ويظهر عيب المبيع) اى فى نفسه خفية وجلية (وقدره) اى ويظهر مقداره من الطول والعرض (وسعر الوقت) اى قيمة مثله فقد نهى عليه السلام عن تلقى الركبان متفق عليه من حديث ابن عباس وابى هريرة وفى رواية عن تلقى البيوع كما فى الترمذى وابن ماجه عن ابن مسعود وفى رواية ابن ماجه عن ابن عمر نهى عن تلقى الجلب وهو ان يستقبل الرفقة ويتلقى الامتعة ويكذب فى سعر الازمنة وقد ورد لاتلقوا الركبان فصاحب السلعة بالخيار بعد ان يقدم السوق (وما سومح به) اى ويظهر ماسامح بايعه الاول مع الثانى (فى الصفقة الاولى) وهى تكون فى بيع التولية وصورته ان يبيع شيئا بما قام عليه فيظهر ما سومح به الشئ معه من تأجيل ثمنه وقبول ثمنه مع نقصان فى قدره ووصفه (فالاخفاء خيانة) كما ان الابداء ديانة فعن واثلة لايحل لاحد ان يبيع بيعا الا بين مافيه ولايحل لمن يعلم ذلك الا بينه البيهقى والحاكم وقال صحيح الاسناد (وورد من غشنا فليس منا) الترمذى عن ابى هريرة بسند صحيح وزاد الطبرانى وابو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود والمكر والخداع فى النار ومن المكر والخديعة عرض الثياب فى

موضع الظلمة وفى صحيح مسلم من حديث ابى هريرة انه عليه السلام مر برجل يبيع طعاما فاعجبه فادخل يده فيه فرأى بللا فقال ماهذا فقال اصابته السماء قال فهلا جعلته فوق الطعام ليراه الناس من غشنا فليس منا (وويل للمطففين) اى الهلاك لاهل التطفيف فى الكيل والوزن وهو النقصان الخفيف فى الميزان والمكيال فكيف الحال فى اخذ الاعمال من اموال النساء والرجال (الآية) وهى * الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين * وفيه وعيد فى غاية تهديد ولقد كان بعضهم يقول لايشترى الويل من الله بحبة فكان اذا اخذ نقص نصف حبة واذا اعطى زاد حبة ويقول ويل لمن يبيع بحبة جنة عرضها السموات والارض ويؤيده انه عليه السلام اشترى شيئا وقال للوازن زن وارجح كما رواه اصحاب السنن الاربعة وقال الترمذى حسن صحيح وقد قيل كل مكلف فهو صاحب موازين فى افعاله واقواله وخطرات احواله فويل له ان عدل عن العدل ومال عن الاستقامة فى مقام الفصل (ولايروج الزيف) وهو ما لانقرة فيه اصلا بل هو مموه عملا اوما لا ذهب فيه من الدنانير اما ما فيه نقرة فان كان مخلوطا بالنحاس وهو نقد البلد فقد اختلف العلماء فى المعاملة عليه قال الغزالى وقد رأينا الرخصة فيه اذا كان ذلك نقد البلد سواء علم مقدار النقرة اولم يعلم فان لم يكن نقد البلد لم يجز الا اذا علم قدر النقرة فان كان فى ماله قطعة نقرتها ناقصة عن نقد البلد فعليه ان يخبر به معامله وان لايعامل به الا من لايستحل الترويج فى جملة النقد بطريق التلبيس فاما من يستحل ذلك فتسليمه اليه تسليط له على الفساد واعانة عليه فهو كبيع العنب ممن يعلم انه يتخذ الخمر وذلك محظور وفيه اعانة على الشر (بل يلقيه فى البئر) فقد قال بعضهم انفاق درهم زايف اشد من سرقة مائة درهم لان السرقة معصية واحدة وقد تمت وانقطعت وانفاق الزايف بدعة اظهرها فى الدين وسنة سيئة يعمل بها من بعده فيكون عليه وزرها بعد موته الى مائة سنة ومأتى سنة الى ان يفنى ذلك الدرهم ويكون عليه مافسد ونقص من اموال الناس بسببه فطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه والويل كل الويل لمن يموت وتبقى ذنوبه ففى صحيح مسلم عن جرير بن عبد الله مرفوعا من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها لاينقص من اوزارهم شئ وبالجملة التجارة محك الرجال وبها يتبين مقام دينهم فى الاموال وقد قال بعضهم * لا يغرنك من المرء قميص رقعه * اوازار فوق كعب الساق منه رفعه * اوجبين لاح فيه اثر قد قلعه * فلدى الدرهم فانظر غيه او ورعه * (ولايخلط التراب) اى ونحوه من التبن وغير الجنس (بالطعام) اى الحبوبات (وما لايعتاد) اى غلطه (باللحم) كالدم والغدة والجلد الرقيق

وكذا لحم الماعز بالضأن والضعيف بالسمين (فهو) اى ما ذكر (وامثاله) كخلط الماء باللبن والدهن بالسمن والدبس بالعسل (حرام) لانه ظلم فى حق الانام (ولايقدم على شىء) اى سوم شىء (لايريد) اى لايقصد شراه (بما فوق ثمنه ترغيبا للمشترى) فانه البخس المنهى عنه فى المتفق عليه عن ابن عمر (والاصل ان لايريد لغيره مالايريد لنفسه) كما ورد لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه اخرجه الشيخان وغيرهما وفى رواية وحتى يكره لاخيه مايكره لنفسه (وهو) اى حصول هذا المقام انما يكون (باعتقاد ان الخيانة لاتزيد فى الرزق والديانة) اى الموجبة للامانة (لاتنقص) اى فى الرزق فاذن لايزيد مال من خيانة كمالاينقص من صدقة صادرة عن امانة وديانة ومن لايعرف الزيادة والنقصان الا بالميزان فهو لم يصدق بهذا الحديث وهو فى غاية من الخسران ومن عرف ان الدرهم الواحد قد يبارك فيه حتى يكون سببا لسعادة الانسان فى الدين والدنيا والالاف المؤلفة قد ينزع الله البركة منها حتى يكون سبب هلاك مالكها فى الدنيا والاخرى صدق بقولنا ان الخيانة لا تزيد فى المال والصدقة لا تنقص منه فى المآل وقد قال تعالى * يمحق الله الربوا ويربى الصدقات * وورد الامانة تجر الرزق والخيانة تجر الفقر القضاعى عن على (وان الآخرة) اى وباعتقاد ان العقبى (اولى من الدنيا) كما قال تعالى * والآخرة خير وابقى * فيختار نفع العقبى على نفع الدنيا ايثار مايبقى على ما يفنى (فور دلايزال لااله الاالله تدفع عن الخلق سخط الله) اى آثار غضبه (مالم يؤثروا) اى مدة لم يختاروا (صفقة دنياهم على آخرتهم) اى عقدا يوجب جلب الدنيا على عقد يورث نفع العقبى والحديث رواه ابو يعلى والبيهقى فى الشعب عن انس وفى رواية الحكيم الترمذى فى النوادر حتى نزلوا بالمنزل الذى لايبالون مانقص من دينهم اذا سلمت لهم دنياهم وللطبرانى فى الاوسط نحوه من حديث عائشة والكل ضعيف الا انه يقوى بعضها ببعض ويؤيده حديث من قال لااله الاالله مخلصا دخل الجنة قيل وما اخلاصها قال تحجزه عما حرم الله الطبرانى من حديث زيد بن ارقم باسناد حسن (ويحسن) اى البايع فى المعاملة ويعنى بالاحسان فعل ما ينتفع به المعامل وهو غير واجب عليه ولكنه تفضل منه فان الواجب يدخل فى باب العدل وترك الظلم وقد قال تعالى * ان الله يأمر بالعدل والاحسان * فالعدل سبب للنجاة والاحسان موجب لنيل الدرجات ويدرك الاحسان الكامل بستة امور (بان لايغبن) اى المشترى غبنا (غير معتاد) سواء كان فاحشا ام لا (وان اعطى المشترى) اى ولو دفع ثمنه مع زيادة (لرغبة) اى زائدة (اوحاجة) اى ملجئة لقوله تعالى * واحسن كما احسن الله اليك * وفى الاحياء قد ذهب بعض العلماء ان الغبن بما يزيد على الثلث يوجب الخيار ولسنا نرى ذلك ولكن من الاحسان ان يحط ذلك الغبن وفى الخبر غبن المسترسل

حرام الطبرانى من حديث ابى امامة بسند ضعيف والبيهقى من حديث جابر بسند جيد وقال ربا بدل حرام وقال الزبير بن عدى ادركت ثمانية عشر من الصحابة مامنهم من احد يحسن يشترى لحمابدرهم فغبن هؤلاء المسترسلين حرام وعدوان وان كان من غير تلبيس فهو من ترك احسان (ويحتمله) اى وبان تحتمل الغبن (من ضعيف) بايع اومشتر بان يكون مريضا اوعن الكسب عاجزا (اوفقير) اى ظاهر الفقر بان لم يكن صاحب نصاب فيكون به محسنا واما ماورد من ان الكمال ان لايغبن ولايغبن فهو محمول على غير محل الاحتمال وهذا معنى وصف بعضهم عمر بانه كان اكرم من ان يخدع واعقل من ان يخدع وكان اياس بن معاوية قاضى البصرة وكان من عقلاء البايعين يقول لست بخب والخب لايغبننى ولايغبن ابن سيرين ولكن يغبن الحسن ويغبن ابو يعلى يعنى معاوية ابن قرة قلت ومقام الحسن ايضا حسن لقوله عليه السلام المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم ابوداود والترمذى والحاكم عن ابى هريرة وكان الحسن والحسين وغيرهما من الصحابة يستقصون فى الشراء ثم يهبون مع ذلك الجزيل من المال فقيل لبعضهم تستقصى فى شرائك على اليسير ثم تهب الكثير فقال ان الواهب يهب فضله وان المغبون يغبن عقله وقال بعضهم انما اغبن عقلى وبصيرتى فلا امكن الغابن منه واذا وهبت فاعطى لله ولا استكثر له شيئا (فورد) فى البخارى عن جابر مرفوعا (رحم الله امرأ سهل البيع وسهل الشراء) تمامه سهل القضاء سهل الاقتضاء (لامن غبن) اى لامحتمل الغبن من غبن تاجر يطلب الربح زيادة على تجارته فاحتمال الغبن منه ليس فى محله (لانه تضييع للمال) وتأسف فى المآل (اذلا اجر) فى العقبى (ولا حمد) فى الدنيا فقد ورد فى حديث من طريق اهل البيت ان المغبون لامحمود ولامأجور الترمذى الحكيم فى النوادر من رواية عبد الله بن الحسن عن ابيه عن جده وابو يعلى من حديث الحسين بن على يرفعه (ويسامح فى قبض الثمن والدين) اى وفى قبضه (بنقص بعضه) من الثمن والدين (وترك طلب نقد احسن وامهال وقبول حوالة فوردرحم الله امرأ سهل القضاء وسهل الاقتضاء) وهو تتمة الحديث المتقدم فليغتنم دعاءه عليه السلام وقد ورد ايضا فى هذا المقام اسمح تسمح لك الطبرانى من حديث ابن عباس ورجاله ثقات (من انظر معسرا) اى امهله (اوترك له) اى اسقط عنه كله اوبعضه ولو حقيرا (حاسبه الله) يوم القيمة (حسابا يسيرا) وفى لفظ آخر اظله الله تحت ظله يوم لاظل الاظله احمد ومسلم باللفظ الثانى من حديث ابى اليسر وهو كعب بن عمرو وفى رواية الطبرانى عن ابن عباس انظره الله بدينه الى توبته وفى رواية لاحمد وابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين عن بريدة من انظر موسرا فله بكل يوم مثله صدقة قبل ان يحل الدين فاذا حل الدين فانظره فله بكل يوم مثلاه صدقة واصله قوله تعالى * وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا * اى بكله اوبعضه * خير لكم ان كنتم تعلمون *

والتصدق سنة وهذا افضل من الانظار الذى هو فرض وذكر عليه السلام رجلا كان مسرفا على نفسه هوسب فلم يوجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا الا انى كنت رجلا اداين الناس واقول لفتيانى سامحوا الموسر وانظروا المعسر وفى لفظ آخر تجاوزوا عن المعسر فقال الله تعالى نحن احق بذلك منك فتجاوز عنه وغفر له رواه مسلم من حديث ابى مسعود الانصارى وهو متفق عليه بنحوه من حديث حذيفة (ويبادر فى اعطاء الاجرة) ففى الخبر اعطوا الاجير اجره قبل ان يجف عرقه ابن ماجه عن ابن عمر (وقضاء الدين قبل الاجل) اى قبل حلوله فانه يعد من احسان العمل وبطلان الامل (باحسن ماشرط) اى فى العقد الاول بان يؤدى الجيد وكان الشرط مزيوفا فانه يوجد معروفا ويقتضى كون صاحبه مألوفا فورد خيركم احسنكم قضاء متفق عليه من حديث ابى هريرة (وينوى القضاء كذلك) اى باحسن ما شرط (ان عجز) مهما قدر (فورد ان الملائكة يدعون له) اى لمن ينوى القضاء بان يقدر الله تعالى له (حتى يقضيه) والحديث فى الاحياء بلفظ من ادان دينا وهو ينوى قضاءه وكل به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه ورواه احمد عن عائشة ما من عبد كانت له نية فى اداء دينه الا كان معه من الله عون وحافظ وفى رواية له لم يزل معه من الله حارس وفى رواية للطبرانى فى الاوسط لا معه عون من الله عليه حتى يقضيه وفى الاحياء كان جماعة من السلف يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر قلت وفى جواز هذا لا يخلو من النظر لما فيه من نوع الغرر وصنف الخطر اللهم الا ان يحمل على شراء شئ الى الاجل المقرر فتدبر (ويستدين) اى يستقرض ويتدين (فى ضعف قوة فى سبيله تعالى) بان يكون فى حج اوغزوة وفنى زاده اومات مركوبه (وتكفين ميت مقل) اى فقير قريبا كان اوبعيدا (ونكاح يتعفف به) اى يطلب عفة نفسه عن الزنا بسببه (عليه تعالى) اى متوكلا عليه ومستندا اليه تحسينا للظن لديه ان يرزقه ما يقضيه (فهو يقضيها) اى جميع ما عليه من الديون الثلاثة بكرمه اما فى الدنيا واما يرضى صاحبه فى العقبى (ويقيل) من الاقالة اى يرد المبيعة (ان ندم البائع) على شرائها وكذا حكم المشترى وغيره فالعبارة الحسنة الجامعة ما فى الاحياء ويقيل من يستقيله فانه لا يستقيل الا منقدم يستضر بالبيع ونحوه فلا ينبغى ان يرضى لنفسه ان يكون سبب استضرار غيره (فوعد عليه) اى على اقالته النادم (اقالته تعالى) اى عفوه (يوم القيمة عثرته) اى ذنوبه وزلته وكان الاولى ان يقول فورد من اقال نادما صفقته اقال الله عثرته يوم القيمة ابو داود والحاكم من حديث ابى هريرة وقال صحيح على شرط مسلم (ويعامل الفقير نسئة) اى صبرا عليه (على عزم الترك) اى ترك المطالبة اوالاخذ (ان لم يظهر غناه) بان يحقق فقره اليه فيكون فى هذا محسنا اليه فانه لا ينبغى للتاجر ان يشغله معاشه عن زاد

معاده فيكون عمره ضايعا وصفقته خاسرة اذ ما يفوته من الربح فى العقبى لايفى به ماينال فى الدنيا فيكون ممن اشترى الحيوة الدنيا بالاخرى بل العاقل ينبغى ان يشفق على نفسه وغيره وشفقته على نفسه بحفظ رأس ماله وصلاح شانه وحاله ورأس ماله حفظ دينه وتجارته فيه صدق يقينه قال بعض السلف اولى الاشياء بالعاقل احوجه اليه فى العاجل واحوج شئ اليه فى العاجل احمده عاقبة فى الآجل وقد قال تعالى * ولا تنس نصيبك من الدنيا * اى لا تنس نصيبك فى الدنيا نصيبك منها للعقبى فان الدنيا مزرعة الآخرة والآخرة مخزنة الذخيرة الفاخرة (ويكيل الطعام) اى الحبوب (اخذا واعطاء) اى مال اخذ ومال اعطاء (ففيه البركة) وفى الخبر كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه احمد والبخارى عن المقدام وفى رواية ابن النجار عن على كيلوا طعامكم فان البركة فى الطعام المكيل وروى البزار عن ابى هريرة انه عليه السلام نهى عن بيع الطعام حتى يجرى فيه صاعان صاع البائع وصاع المشترى فيكون لصاحبه الزيادة وعليه النقصان وتحقيق هذه المسألة وما فيها من الرعاية فى شرحنا للنقاية مختصر الوقاية والله ولى الهداية (ويختار حرف السلف) وكان غالب اعمال الاخيار من السلف عشر صنائع الخرز والتجارة والحمل والخياطة والقصارة وعمل الخفاف وعمل الحديد وعمل المغازل ومعالجة صيد البر والبحر والوراقة (كالحرث) وهى الزراعة وهى صنعة آدم اولا وقد قال عليه السلام التمسوا الرزق فى خبايا الارض والمراد الزرع وانشدوا * (شعر)

* تتبع خبايا الارض وادع مليكها * لعلك يوما ان تجاب وترزقا *

ويشير الى هذا المعنى قوله تعالى * هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور * ولا يبعد ان يراد بالآية والحديث المعنى الاعم الشامل للزراعة والتجارة والله سبحانه اعلم (والحمل) اى حمل الامتعة من محل الى محل باجرة معينة وبنان الحمال كان من اهل الكمال (والتجر) اى التجارة وفى مسند احمد وصحيح مسلم عن ابى هريرة كان زكريا نجارا (والخياطة) قيل انه من صنعة ادريس (والقصر) وهو غسل الثياب ومنه الحواريون (والخصف) اى خرز النعل والقربة ونحوهما وصح انه عليه السلام كان يخصف نعله (والرعى) اى رعى الغنم والابل ونحوهما وهو من صنعة الانبياء والاولياء (والكتابة) فهى حرفة العلماء والمشايخ الاصفياء لاسيما كتابة المصحف القديم وحديث النبى الكريم ففيهما بقاء الدين القويم والمنهج المستقيم قال عبد الوهاب الوراق قال لى احمد بن حنبل ما صنعتك قلت الوراقة قال كسب طيب لو كنت صانعا بيدى لصنعت صنعتك وهو يحتمل ان يكون معناها الكتابة او صنعة الورق بمعنى الكاغد الذى تتوقف عليه صنعة الكتابة كشغل المداد فانه آلة الكتابة وقد ورد يوزن مداد العلماء

بدماء الشهداء فيرجح مداد العلماء (فورد خير تجاراتكم البز وخير صناعاتكم الخرز) الديلمى عن على تعليقا ويقال اربعة من الصناع موسومون عند الناس بضعف الرأى الحاكة والقطانون والمغازليون والمعلمون ولعل ذلك لان اكثر مخالطتهم مع النسوان والصبيان ومخالطة ضعفاء العقول يضعف العقل كما ان مخالطة العقلاء يزيد فى العقل فان الصحبة تؤثر فورد المرء على دين خليله فلينظر بمن يخالل وعن مجاهد ان مريم عليها السلام مرت فى طلبها لعيسى عليه السلام بحاكة فطلبت الطريق فارشدوها غير الطريق فقالت اللهم انزع البركة من كسبهم وامتهم فقراء وحقرهم فى اعين الناس فاستجيب دعاؤها وكره السلف اخذ الاجرة على كل ماهو من قبيل العبادات فى فروض الكفايات كغسل الاموات وحفر القبور ودفنهم وكذا الاذان والاقامة وتعليم القرآن والفقه وان حكم المتأخرون بجواز ذلك اذ لم يروا من يقوم بهذه الامور احتسابا هنالك (ويلزم ما رزق فيه) اى من انواع الصناعة واصناف التجارة فلا ينتقل منها الى غيرها ففى الخبر من رزق فى شئ فليلزمه البيهقى عن انس وفى رواية ابن ماجه من حديث انس وعائشة من بورك له فى شئ فليلزمه وفى رواية له عن انس بلفظ من اصاب من شئ فليلزمه (ويترك ما اتجر فيه ثلاثا) اى ثلاث مرات (فلم يرزق) اى لم يربح فيه فان علامة الاجازة تيسير الامور وتعسيرها وفى الخبر اليسر يمن والعسر شوم الديلمى عن رجل وينتقل الى غيره فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وفى الخبر لن يغلب عسر يسرين وفيه تحقيق وتدقيق ليس هذا محله الذى ذكره يليق (ويتخذ الغنم) ففى مسند الفردوس للديلمى عن ابى هريرة الغنم اموال الانبياء وفى رواية الخطيب عن ابى هريرة الغنم من دواب الجنة فامسحوا رعامها وصلوا فى مرابضها وفى رواية ابى يعلى عن البراء الغنم بركة (والدجاج ونحوها) كالناقة والبقر والفرس والبط والحمام (للدر) اى اللبن (والنسل) اى النتاج (ففيها عشر الرزق) اى ويسر الرفق وروى وفى التجارة تسعة اعشار الرزق وفى سنن ابن ماجه ان النبى صلى الله عليه وسلم امر الاغنياء باتخاذ الغنم وامر الفقراء باتخاذ الدجاج وقال عند اتخاذ الاغنياء الدجاج يأذن الله بهلاك القرى وقد بينا وجهه فى بهجة الانسان فى بهجة الحيوان (فكان له عليه السلام بعران) بضم اوله جمع بعير (وغنم من لبنها قوت اهله) وفى المواهب اللدنية كانت له خمسة واربعون لقحة ارسل بها اليه سعد بن عبادة وكانت له مائة شاة وكانت له سبعة اعنز متابيح ترعاها ام ايمن وورد خذ الحبة من الحب والشاة من الغنم والبعير من الابل والبقرة من البقر ابو داود وابن ماجه والحاكم عن معاذ (ويختار) اى من الغنم (صنفا) اى نوعا مجتمعا فيه (السود والبيض) كما حكى فى غنم شعيب عليه السلام

ورعى الكليم فى ذلك المقام (ولا يحرص) على تحصيل الدنيا وتعطيل العقبى فلا يباكر بالسوق ونحوها (فورد شر البقاع السوق) لانه محل الغفلة والعصيان ولو بالخطأ والنسيان وموضع راية الشيطان وجنوده اعداء الانسان (وشر اهلها اولهم دخولا وآخرهم خروجا) رواه ابونعيم من حديث ابن عباس بلفظ ابغض البقاع الى الله الاسواق وابغض اهلها الى الله اولهم دخولا وآخرهم خروجا وقد تقدم حديث شر البقاع الاسواق وغير البقاع المساجد فينبغى ان لايمنعه سوق الدنيا عن سوق العقبى واسواق الآخرة المساجد ونحوها من المدارس والمعابد والمشاهد وكان عمر يقول للتجار اجعلوا اول نهاركم لآخرتكم وما بعده لدنياكم وكان صالحوا السلف يجعلون اول النهار وآخره للآخرة والوسط للتجارة فلم يكن يبيع الهريسة والرؤس بكرة الا الصبيان واهل الذمة لانهم كانوا فى المساجد بعد وفى الخبر ان الملائكة اذا صعدت بصحيفة العبد فى اول النهار وآخره ذكر وخير كفر الله ما بينهما من سيء الاعمال ابو يعلى من حديث انس بسند ضعيف ويقويه قوله تعالى * وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار * ويؤيده حديث تلتقى ملائكة الليل وملائكة النهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر فيقول الله وهو اعلم كيف تركتم عبادى فيقولون تركناهم يصلون وجئناهم وهم يصلون فيقول الله اشهدكم انى غفرت لهم متفق عليه من حديث ابى هريرة وقد جاء فى تفسير قوله تعالى * رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله * انهم كانوا حدادين وخرازين فكان احدهم اذا رفع المطرقة او غرز الاشفار فسمع الاذان لم يخرج الاشفار المغروز ولم يوقع المطرقة ورمى بها وقام الى الصلوة وقد قيل من احب الآخرة عاش ومن احب الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح فى لاش والعاقل فى دينه فتاش (ولا يركب البحر الا لحج اوعمرة اوغزوة) رواه ابو داود من حديث عبد الله بن عمرو فكان حقه ان يقول ورد ويقال من ركب البحر للتجارة فقد استقصى فى طلب الرزق والمعنى انه يدل على كمال حرصه وعدم القناعة فى امره فكان من السلف من اذا ربح دانقا انصرف قناعة به وكان فيهم من ينصرف بعد الظهر ومنهم بعد العصر ومنهم من لايعمل فى الاسبوع الا يوما او يومين (ويتورع) اى عن الشبهات ولايكتفى بالتحرز عن المحرمات وقد حمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لبن فقال من اين لكم هذا فقيل من هذه الشاة فقال ومن اين لكم هذه الشاة فقيل من موضع كذا فشرب منه ثم قال انا معاشر الانبياء امرنا ان لا نأكل الا طيبا ولا نعمل الا صالحا الطبرانى من حديث ام عبد الله اخت شداد بن اوس بسند ضعيف ويقويه قوله تعالى * يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا * ويؤيده قوله عليه السلام ان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال * يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم وعن ابى هريرة كان اذا اتى بطعام من غير اهله سأل عنه الحديث رواه احمد من حديث

ابي هريرة باسناد جيد وله من حديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مروا بامرأة فذبحت لهم شاة الحديث وفيه فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقمة فلم يستطع ان يسيغها فقال هذه شاة ذبحت بغير اذن اهلها الحديث واسناده جيد والحاصل انه عليه السلام كان لا يسأل عن كل ما يحمل اليه الا اذا ظهر له ما يدل على ريبة لديه وفى البخارى من حديث عائشة كان لابى بكر غلام يخرج له الخراج وكان يأكل ابو بكر من خراجه فجاء يوما بشئ فاكل منه ابو بكر فقال الغلام اتدرى ما هذا فقال وما هو قال كنت تكهنت لانا س فى الجاهلية فاعطونى فادخل اصبعه فى فيه وجعل يقيء وفى بعض الاخبار انه عليه السلام لما اخبر بذلك قال اوما علمتم ان الصديق لايدخل جوفه الا طيبا فمعنى قوله ويتورع اى يطلب الورع من نفسه ويبالغ فى ترك حظه فان الورع اصل الدين كما ان الطمع فساده فى مقام المجتهدين (فورد اما الورعون فانى استحيى ان احاسبهم) اى فانهم حاسبوا انفسهم قبل ان يحاسبوا الحديث ام اعرفه (وادنى رتبه) اى مراتب التورع (الاحتراز عن الحرام وهو الورع) المخصوص به فى عرف الاعلام (ثم عن الشهوة) اى شهوة النفس وهواها وكان الظاهر ان يقول ثم عن الشبهة ولعله سهو فى النسخة (وهو التقوى) اى كمالها وجمالها (فوردع مايريبك) اى ما يوقعك فى الريبة والشبهة (الى مالايريبك) النسائى والترمذى والحاكم وصححاه من حديث الحسن بن على (وهو) اى المريب (كل ما) وفى نسخة كما (اختلف فيه) عند العلماء بالحل والحرمة والكراهة والخلو عنها كاكل الضب ونحوها (والاخذ) بالرفع او الخفض اى ثم الورع عن الاخذ او المريب كالاخذ (ممن علم) اى ظن ظنا غالبا (ان فى ماله حراما) بان يكون اكثره حراما (او عليه) اى او ان على نفسه (علامة عدم المبالاة) فى المعاملات فكل منسوب الى ظلم او خيانة او سرقة او ربوا فلا يعامله وكذا الاجناد والظلمة من الامراء والوزراء واصحابهم واعوانهم من العلماء وفى الخبر من لم يبال من اين اكتسب المال لم يبال الله عز وجل من اين ادخله النار الديلمى عن انس (وصلة السلطان) اى ثم الورع عن اخذها او كصلته واعطائه (ان اشتبه بيت المال) اى التبس مال الحرام بالحلال (واستحقاق الاخذ) اى اخذه فى تلك الحال وهو يحتمل المصدر واسم الفاعل ويؤيد الاول قوله (او قدره) اى من جملة المال (والاول فى مثله) اى فى مثل ما ذكر من مواضع الاشتباه (السؤال عن الغير) اى من اهل الانتباه فان رأى العليل عليل والنفس بالطبع الى هوسها وهواها تميل (والتعلل) اى والاولى فى مثله مال الامتناع اظهار الاعتذار (كيلا يتأذى) اى صاحبه فى الاسرار (فاسرار المؤمن) اى ادخال السرور فى قلبه بقبول ماله ولو بشبهة فى ماله (اهم من الورع) فى اظهار فعاله فعن ابن عمر ما من شئ احب الى الله من ادخال السرور على اخيك المسلم ابن النجار (اما الوهم الغير الناشئ

عن دليل) اى عما يشعر بعلة شبهة وريبة (كالاحتراز عن الصيد) اى مطلقا (لاحتمال كونه ملكا للغير) اى مسيبا (ولا اثر عليه) اى على الصيد من علامة دالة على انه للغير (فوسوسة) ويسمى شبهة الشبهة (ويبنى) اى امر الورع (فيه على ظاهر الحال) اى حال المسلم لما ورد نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر وهو اعلم بالضمائر (تحسينا للظن) اى باخيه المؤمن (فوردان بعض الظن اثم) وهو الذى لا علامة فيه مما يوافقه او ينافيه واما ما ورد من ان الحزم سوء الظن فمحمول على ما يوجد فيه امارة وفى الآية ايضا الى هذا المفهوم اشارة وعن سلمان اذا كان لك صديق عامل اوتاجر تعارف الربوا فاذا دعاك الى طعام اونحوه اواعطاك شيئا فاقبل فان المنالك وعليه الوزر فاذا ثبت هذا فى المرابى فالظالم فى معناه (ثم) اى ثم الورع (عما لا بأس به مخافة ما به بأس) ففى سنن ابن ماجه لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع مالا بأس به مخافة ما به بأس (وهو الصدق فى التقوى) اى المسمى به ومنه انه عليه السلام ارق ليلة فقال له بعض نسائه ارقت يارسول الله فقال اجل وجدت تمرة فاكلتها فخشيت ان تكون من الصدقة احمد من رواية عمرو ابن شعيب عن ابيه عن جده باسناد حسن (كترك العزب الشبع) اى المفرط (والعطر) اى الطيب الكثير وهما مما لا بأس بهما (لتحريكهما الشهوة) التى بها بأس فتكون باعثة له على الريبة والشبهة (ثم) اى ثم الورع (عما ليس له تعالى) اى خالصا لوجهه وان كان مباحا فى اصل امره (وهو الصدق المطلق) وصاحبه الصديق المحقق (كترك خطوة اولقمة) وكذا ترك نظرة وخطرة وسكون وحركة (ليس فيهما) وفى مثالهما (نية عبادة) وقصد سعادة (فهم) اى اهل هذا المقام وهم الصديقون (كانوا يقتصرون على لقيمات يقوين على العبادة) ابدانهم وروى عن عمر انه كان يأكل سبع لقم اوتسعا وقد اشير اليه بقوله لقيمات فانه اقل جمع القلة وهو مادون العشرة وفى هذا بيان الكمية وفى تصغيرها ايماء الى تقليلها فى الكيفية (والتحقيق انه كلما تشدد فى الاحتياط يكون سببا للتخفيف) اى لتخفيف الحساب وتقليل العذاب (والاصل الاستفتاء من القلب) والاستخارة فى كل امر من الرب فورد استفت قلبك وان افتاك المفتون وماخاب من استخار * ثم اعلم ان اغلب اموال السلاطين حرام فى هذه الاعصار والحلال فى ايديهم معدوم او عزيز فى الديار وقد اختلف الناس فى هذا فقال قوم كل ما لا يتيقن انه حرام فله ان يأخذه وقال آخرون لا يحل ان يؤخذ مالا يتيقن انه حلال فلا يحل شبهة اصلا والاعدل ان الحكم للاغلب فاذا كان حراما حرم واذا كان حلالا لا يفتى بحله وحكم الورع بتركه الا ان هذا الزمان لم يوجد الا الشبهات لفقد الخالص من الحلالات الطيبات ولقد احتج من جوز اخذ اموال السلاطين اذا كان فيه حلال وحرام مهما لم يتحقق ان عين المأخوذ حرام بما روى عن جماعة من الصحابة انهم ادركوا ايام الائمة الظلمة واخذوا الاموال منهم كابى هريرة وابى سعيد الخدرى وزيد بن ثابت وابى ايوب الانصارى وجرير بن

عبدالله وجابر وانس والمسور بن مخرمة فاخذ ابوسعيد وابو هريرة من مروان ويزيد بن عبد الملك واخذ ابن عمر وابن عباس من الحجاج واخذ كثير من التابعين منهم كالشعبى وابراهيم والحسن وابن ابى ليلى واخذ الشافعى من هارون الرشيد الف دينار فى دفعة واخذ مالك من الخلفاء اموالا جمة وقال على كرم الله وجهه خذ ما اعطاك السلطان فان ما يعطيك من الحلال وما يأخذه من الحلال اكثر وانما ترك من ترك منهم العطاء تورعا الاترى الى قول ابى ذر للاحنف بن قيس خذ العطاء ما كان نحلة فاذا كان اثمان دينكم فدعوه وقال ابو هريرة اذا اعطينا قبلنا واذا منعنا لم نسأل وعن سعيد ابن المسيب عن ابى هريرة انه كان اذا اعطاه معاوية سكت وان منعه وقع فيه وروى نافع عن ابن عمر ان المختار كان يبعث اليه المال فيقبله ثم يقول لا اسأل احدا ولا ارد ما رزقنى الله وعن نافع انه بعث ابن معمر الى ابن عمر سبعين الفا فقسمها على الناس ثم جاء سائل فاستقرض من بعض ما اعطاه واعطى السائل ولما قدم الحسن بن على على معاوية فقال الا اجيزك بجائزة لم اجزها احدا من العرب قبلك ولا اجيزها احدا بعدك من العرب قال فاعطاه اربعمائة الف فاخذها وعن جعفر عن ابيه ان الحسن والحسين كانا يقبلان جوائز معاوية وقال حكيم بن جبير مررنا على سعيد بن جبير وقد جعل عاشرا من اسفل الفرات فارسل الى العشارين اطعمونا مما عندكم فارسلوا بطعام فاكل منه واكلنا معه وزعمت هذه الفرقة ان ماينقل من امتناع جماعة من السلف من العطاء لايدل على التحريم بل على الورع كالخلفاء الراشدين وابى ذر وغيرهم من الزهاد فانهم امتنعوا من الحلال المطلق زهدا ومن الحلال الذى يخاف افضاؤه الى محذور ورعا ومانقل عن سعيد بن المسيب انه ترك عطاءه فى بيت المال حتى اجتمع نيفا وثلاثين الفا وما نقل عن الحسن انه قال لا اتوضأ من ماء صيرفى وان ضاق وقت الصلوة لانى لا ادرى اصل ماله كله ذلك ورع لاينكر ومن هذا القبيل ان ابابكر حسب جميع ماكان اخذه من بيت المال فبلغ ستة آلاف درهم ففرقها لبيت المال وان عمر كان يقسم مال بيت المال فدخلت ابنة له واخذت درهما من المال فنهض عمر فى طلبها حتى سقطت اللحفة عن احد منكبيه ودخلت الصبية الى بيت اهلها تبكى وجعلت الدرهم فى فيها فادخل عمر اصبعه فاخرج من فيها وطرحه على الخراج وقال ايها الناس ليس لعمر ولا لآل عمر الا ما للمسلمين قريبهم وبعيدهم وكشح ابوموسى الاشعرى بيت المال فوجد درهما فمر بنى لعمر فاعطاه اياه فرآه عمر فى يد الغلام فقال اعطانيه ابوموسى فقال يا اباموسى ماكان فى اهل المدينة بيت اهون عليك من آل عمر اردت ان لايبقى من امة محمد صلى الله عليه وسلم احد الا طلبنا بمظلمة ورد الدرهم الى بيت المال وقال عمر انى لم اجد نفسى فى مال بيت المال الا كوالى مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت

بالمعروف وعن ابن عمر انه قال فى ايام الحجاج ما شبعت من الطعام منذ انتهبت الدار الى يومى هذا وروى عن على كرم الله وجهه انه كان له سويق فى اناء مختوم يشرب منه فقيل له اتفعل هذا بالعراق مع كثرة طعامه فقال اما انى لا اختمه بخلا فيه ولكن اكره ان يجعل فيه ماليس منه فاكره ان يدخل فى بطنى غير طيب وعن ابن المبارك الذين يأخذون الجوائز اليوم ويحتجون بابن عمر وعائشة مايقتدون بهما لان كلامهما كان يفرق ما يأخذه فى مجلسه وكذا جابر بن زيد وقيل يتصدق به وكان يقول رأيت ان آخذ منهم واتصدق احب الى من ان ادعها فى ايديهم وهكذا فعل الشافعى بما قبله من هارون الرشيد فانه فرقه على قرب حتى لم يمسك لنفسه هبة واحدة فمن استجرأ على اموالهم وشبه نفسه بالصحابة والتابعين والائمة المجتهدين فقد قاس الملوك بالحدادين (ثم اعلم) ان الغنى الذى لامصلحة فيه فلايجوز صرف مال بيت المال اليه هذا هو الصحيح وان كان العلماء قد اختلفوا فيه وفى كلام عمر مايدل على ان لكل مسلم حقا فى مال بيت المال لكونه مسلما مكثرا جمع المسلمين ولكنه مع هذا ما كان يقسم المال على المسلمين كافة بل على مخصوصين بصفات فاذا ثبت هذا فكل من يتولى امرا يقوم به ويتعدى مصلحته الى المسلمين ولو اشتغل بالكسب لتعطل عليه ما هو فيه فله فى بيت المال حق الكفاية ويدخل فيه العلماء كلهم اعنى العلوم التى يتعلق بمصالح الدين من علم الفقه والحديث والتفسير والقراءة حتى يدخل فيه المعلمون والمؤذنون وكذا طلبة هذه العلوم فيه يدخلون ويدخل فيه العمال الذين تتربط مصالح الدنيا باعمالهم وهم الاجناد والمرتزقة الذين يحرسون المملكة بالسيوف والسهام عن اعداء الاسلام ويدخل فيهم الكتاب والحساب والعمال على اموال الخلال وليس يشتد فى هؤلاء الحاجة بل يجوز ان يعطوا مع وجود الغنى فان الخلفاء الراشدين كانوا يعطون المهاجرين والانصار ولم يعرفوا بالحاجة والافتقار وليس يتقدر ايضا بالمقدار بل هو الى اجتهاد الامام فى الاختيار فله ان يوسع بالعناية ويقتصر على الكفاية بحسب مايقتضيه الحال وسعة المال فقد كان عمر رضى الله عنه يعطى الجماعة لكل واحد اثنى عشر الف نقرة فى السنة واثبت لعائشة وجماعة فى هذه الجريدة لكل واحد عشرة آلاف ولجماعة ستة آلاف وهكذا واعطى عائشة فى جريدة اخرى اثنى عشر الفا وزينب عشرة آلاف وجويرية ستة آلاف وكذا صفية وسوى ابوبكر رضى الله عنه فى زمانه فراجعه عمر فقال انما فضلهم عند الله وانما الدنيا بلاغ فالسلطان اذا لم يعم بالعطاء كل مستحق كما فى زماننا فهل يجوز للواحد ان يأخذ منه فهذا مما اختلف العلماء فيه على اربع مراتب فعلا بعضهم وقال كل ما يأخذه فالمسلمون فيه شركاء ولايدرى ان حصته منه درهم اودانق اوحبة فليترك الكل وقيل له ان يأخذ قوت يومه فقط فان هذا القدر يستحقه لحاجته على المسلمين وقيل له ان يأخذ قوت سنة فان اخذ الكفاية كل يوم

عسير وهو ذوحق فى هذا المال فكيف يتركه وقيل انه يأخذ ما يعطى والمظلوم هم الباقون وهذا هو القياس لان المال ليس مشتركا بين المسلمين كالغنيمة بين الغانمين ولا كالميراث بين الاقربين لان ذلك صار ملكا لهم وهذا لو لم ينفق قسمة حتى مات هؤلاء لم يجب التوزيع على ورثتهم بحكم الميراث بل هذا الحق غير متعين وانما يتعين بالقبض بل هو كالصدقات ومهما اعطى الفقراء حصتهم من الصدقات وقع ذلك ملكا لهم ولم يمتنع لظلم المالك بقية الاصناف لمنع حقهم وقد وقع الاضطراب فى هذا الباب لانه مهم لذوى الالباب فى معرفة الخطاء والصواب *

الباب السابع فى الاتباع فى المعيشة

اى لاجل المعاش فى امر الدنيا واخذ زاد المعاد فى العقبى وهذا الباب مشتمل على انواع من الآداب كالاكل والشرب واللبس والمنام والسلام وما لايستغنى عنه الانسان (بسم الله الرحمن الرحيم) مفتاح كل كتاب كريم (وردقل ان كنتم تحبون الله) اى وتبتغون رضاه (فاتبعونى) فى كل ما قدره وقضاه وامره ونهاه تمامه * يحببكم الله * اى يثبكم فى ما خلقه من دنياه واخراه * ويغفرلكم ذنوبكم * فى عقباه * والله غفور رحيم * لمن عصاه ثم اتقاه (وما آتيكم الرسول فخذوه) اى من اوامره تمامه * وما نهاكم عنه فانتهوا * من زواجره (فالاصل) اى الذى عليه نظام الاحكام (اتباعه عليه السلام فى جميع الامور) من احوال الانام (لانه) اى اتباعه (يصير العادة عبادة وينور الباطن) ونوره يوجب سعادة (ويذكر العبودية) اى التى هى القيام بحقوق الربوبية (ويقرب الى الارتياض) اى تهذيب الاخلاق عن الاوصاف الذمائم (فالمسترسل فى اتباع الهوى يشبه البهائم) كما اشار اليه قوله تعالى * اولئك كالانعام بل هم اضل * لانها ليس لها استعداد الانام ويأكلون كما تأكل الانعام حيث لم يفرقوا بين الحلال والحرام (هذا) اى خذ هذا الكلام (وانما عدل عليه السلام من مباح الى آخر لاطلاعه بنور النبوة على فائدة فيه) دون الآخر انتقالا وفق انتفاع الهدى لا استرسالا فى اتباع الهوى (فتركه) اى ترك الاتباع (للتكذيب كفر) بالاجماع (ودونه) اى وتركه بدون التكذيب (حمق) اى جهالة وضلالة من غير النزاع (وحقه) اى وحق اتباعه عليه السلام فى انتفاعه بالطعام الذى هو اصل معاش الانام (ان يغسل اليدين) الى الرسغين فغسل اليد الواحدة او الاصابع غير كاف للقيام بالسنة كما هو مصرح فى العوارف والغنية (قبل الاكل وبعده) فهما سنتان كما فى السراجية ولو غسل يديه للطعام اوعنه يصير الماء مستعملا لاقامة السنة بخلاف ما لو قصد غسلهما من الوسخ كما فى الجامع الصغير الخانى (تنظيفا) اى تطهيرا

عن التلوث نظرا الى الثانى (وتعظيما) للنعمة نظرا الى الاول ففى الكلام لف ونشر مشوش (وورد الوضوء) المراد به اللغوى وقيل الشرعى (قبل الطعام ينفى الفقر) لاستقبال النعمة بالطهارة والنظافة (وبعده ينفى اللمم) اى اصابة الجنون من فتور العقل وظهور الغم اواصابة لمس ذوات السم وقيل صغائر الذنوب ومنه قوله تعالى * الا اللمم * وقوله عليه السلام * ان تغفر اللهم فاغفر جما واى عبد لك لا الما * وفى نسخة من الاحياء ينفى الهم قال وفى رواية ينفى الفقر قبل الطعام وبعده قال مخرجه رواه القضاعى فى مسند الشهاب من رواية موسى الرضا عن آبائه متصلا باللفظ الاول وللطبرانى فى الاوسط من حديث ابن عباس الوضوء قبل الطعام وبعده مما ينفى الفقر وهو من سنن المرسلين ولابى داود والترمذى من حديث سلمان بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده انتهى ورواه احمد والحاكم فى مستدركه وفى رواية الحاكم فى تاريخه عن عائشة الوضوء قبل الطعام عشرة وبعده عشرتان واغرب سفيان الثورى فى قوله يكره غسل اليدين قبل الطعام ولعله محمول على انها اذا كانت نظيفة بلا ريبة ولذا قيل يد المصلى طاهرة فحينئذ غسلها اسراف ولا يبعد ان يكون مأخذه ما رواه الترمذى فى الشمائل عن ابن عباس انه عليه السلام خرج من الخلاء فقرب اليه الطعام فقالوا الانأتيك بوضوء فقال انما امرت بالوضوء اذا قمت الى الصلوة وروى ايضا فيهما انه عليه السلام خرج من الغائط فاتى بطعام فقيل له الاتتوضأ فقال عليه السلام اصلى فاتوضأ فاخذ بظاهره مالك وسفيان فيكرهان الوضوء قبل الطعام والشافعى استحب تركه والتحقيق ان المراد من الوضوء المنفى هو الوضوء الشرعى فلاينافى الوضوء اللغوى العرفى من غسل اليدين مع انه عليه السلام اراد بيان جواز تركه والصريح بعدم وجوبه كما فى الترمذى عن سلمان قال قرأت فى التورية ان بركة الطعام الوضوء بعده فذكرت ذلك له عليه السلام واخبرته بما قرأت فى التورية فقال عليه السلام بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده انتهى فهو عليه السلام بعث لاتمام مكارم اخلاق الانام ثم مسح اليدين بعد الطعام مستحب ولايمسح يديه بالمنديل ونحوه قبل الطعام بل يتركه حتى يجف ليكون اثر الغسل قائما عند الاكل كذا فى الخانية (ويفتتح) اى يبتدئ بعد التسمية (باللح) اى الخالص (ويختتم به ففيه) اى فيما ذكر من الافتتاح والاختتام به (مغفرة الذنوب) اى الصغائر (ودفع سبعين بلاء) اى عن الظواهر اوالضمائر وهذا لم اجد له اصلا (ويأكل على السفرة) اى من الجلد اوالخرقة (الموضوعة على الارض) فهو اقرب الى ادبه عليه السلام وتواضعه لمقام الانعام فورد كان اذا اتى بطعام وضعه على الارض احمد فى كتاب الزهد عن الحصن مرسلا والبزار من حديث ابى هريرة نحوه وفى البخارى عن انس ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان

ولا فى سكرجة فقيل فعلى ماذا كنتم تأكلون فقال على السفر وهى جمع السفرة الدالة على السفر المذكر لسفر الآخرة وزاد متاعها الفاخرة (فالخوان) اى استعمال الموائد (والمنخل والاشنان والشبع من البدع وان لم تكن) اى ولو لم تكن هذه البدع الاربع (مذمومات غير الشبع) فانه مذموم بالشرع والطبع قال بعض الحكماء ثلاثة يبغضهم الناس البخيل والمتكبر والاكول وقال ابو سليمان الدارانى من شبع دخل عليه ست آفات: فقد حلاوة العبادة وقصور حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن ان الخلق كلهم شباع ويقل الطاعة وان يدور المؤمنون حول المساجد والمحافل وهو يدور حول المطاهر والمزابل ويقال فى قلة الاكل منافع كثيرة منها ان يكون اصح جسما واجود حفظا وازكى فهما واقل نوما واطيب نفسا واخف بدنا والطف حسنا وفى كثرة الاكل مضار كثيرة وهى اضداد ماتقدم ويتولد منها الامراض المختلفة ويقال اذا كانت العلة من قلة الاكل صلحت بمؤنة قليلة واذا كانت من كثرة الاكل تحتاج الى مؤنة كثيرة تدفعها ثم ليس كل ما ابتدع منهيا عنه بل المنهى عنه ابداع بدعة تضاد سنة قال الحجة وليس فى المائدة الارفع الطعام عن الارض ليتيسر الاكل وامثال ذلك مما لا كراهة فيه اقول وانما الكراهة من حيث انه مخالف للسنة وشعار اهل النعمة وطريق اهل الكبر والنخوة قال والاربع التى ذكرناها انها مبتدعة ليست متساوية بل الاشنان حسن لما فيه من النظافة فان الغسل مستحب والاشنان اتم فى التنظيف وكانوا لايستعملونه لانه ربما كان لايعتاد عندهم اولايتيسر وكانوا مشغولين بامور هى اهم من المبالغة فى النظافة وقد كانوا لايغسلون الايدى ايضا وكانت مناديلهم اخمص اقدامهم وذلك لايمنع كون الغسل مستحبا قلت ثبت الغسل بالاخبار فلا ينافى مافعلوه احيانا فى حال الاضطرار وفى الجملة ليست المبالغة فى النظافة من عمل السلف الاخيار وفى الخانية عن ابى حنيفة وابى يوسف لا بأس بغسل اليد بعد الاكل بالعجين والدقيق فهما بمنزلة الاشنان وهو قول محمد فبالغاسول والصابون ونحوهما اولى فان النظافة بهما انقى وفى الازهار شرح المصابيح قال العلماء ورد عنه عليه السلام انه غسل قبل الطعام وبعده وترك الغسل فى الحالين وورد مسح اليدين بالمنديل والخصباء الا ان يريد اكل شئ رطب وقد انتقض طهارته فيكره ومن هنا قيل يد المصلى طاهرة واختلاف الروايات لتفاوت الاطعمة والحالات واكثر احواله الغسل قبل الطعام وبعده او الاكتفاء بالغسل فى آخره والله اعلم قال واما المنخل فالمقصود منه تطييب الطعام وذلك مباح مالم يفته الى التنعيم المفرط واما الشبع فهو اشد هذه الاربع فانه يدعو الى تهييج الشهوات والاهواء وتحريك الادواء فى الاعضاء (متأدبا) اى يأكل حال كونه متأدبا فى هيئة جلوسه (فورد لا آكل متكئا) اى متمكنا فى مقعده سواء يكون

مستندا

مستندا او متكئا على احد شقيه او متربعا او مضطجعا والحديث رواه البخاري من حديث ابي جحيفة وفي السراجية لا بأس بالاكل متكئا اذا لم يكن عن تكبر وكذا في الاختيار مثله (انما انا عبد آكل كما يأكل العبد) البزار من حديث ابن عمر وزاد احمد في الزهد من حديث عطاء بن ابي رباح ومن حديث الحسن مرسلا واجلس كما يجلس العبد وورد بسند ضعيف انه عليه السلام زجر ان يعتمد الرجل بيده اليسرى عند الاكل (الا الفاكهة) استثناء من قوله لا آكل متكئا (على سبيل التفكه) اى التنقل من الحبوب (فيجوز متكئا ومضطجعا ويجلس على الرجل اليسرى وينصب اليمنى فهو مسنون) روى ابو الحسن المقرى في الشمائل من حديث انس كان اذا قعد على الطعام استوفز على ركبته اليسرى واقام اليمنى ثم قال انما انا عبد آكل كما يأكل العبد وافعل كما يفعل العبد وفيه تنبيه نبيه على ان الاكل على المائدة كريه وربما جثا للاكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه فقد روى ابو داود من حديث عبد الله بن بسر في اثناء حديث اتوا بتلك القصعة فالتفوا عليها فلما كثروا جثا رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وله وللنسائي من حديث انس رأيته يأكل وهو مقع من الجوع وفي القاموس اقعى في جلوسه تساند الى ما وراءه وروى عن علي انه اكل كعكا على ترس وهو مضطجع ويقال منبطح على بطنه والعرب قد تفعل ذلك اذا لم يكن مانع هنالك واما ما ورد من نهيه عليه السلام عن اكل الرجل وهو منبطح على بطنه كما رواه ابو داود وابن ماجه والحاكم فهو محمول على التنزيه وكذا يكره الاكل قائما (وينوى به) اى بالاكل (القوة على الطاعة دون التلذذ) وقصد الشهوة ومن دعاء السلف بعد الاكل اللهم اجعله عونا على طاعتك ولا تجعله عونا على معصيتك ومن ضرورة هذه النية تقليل الاكل في القضية وفي الخبر ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات تقمن صلبه فان لم يفعل فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس الترمذي وقال حسن والنسائي وابن ماجه من حديث المقدام ابن معدي كرب (ويقدمه) اى الاكل (على الصلوة ان امن فوتها) اى بخروج وقتها وانما يقدمه (لئلا يبرد) اذا قعد اليه (ولا يلتفت القلب اليه) فالاكل المخلوط بالصلوة خير من الصلاة المخلوطة بالطعام (وورد اذا حضر العشاء) بفتح العين اى طعام الليل (والعشاء) بكسره اى صلاته (فابدؤا بالعشاء) وهو يشمل العشائين وكذا اذا اتفق وقت العصر وهكذا حكم الغداء عند الظهر نظرا الى العلة وهي الشاغلة والحديث كذا في الاحياء قال العراقي شرح الترمذي لا اصل له في كتب الحديث بهذا اللفظ واصل الحديث في المتفق عليه بلفظ اذا وضع العشاء واقيمت الصلوة فابدؤا بالعشاء والجمهور على ان الامر للندب فقيل انه مقيد بمن كان محتاجا الى الاكل وهو المشهور وقيل على اطلاقه واليه ذهب ابن عمر ولقد كان ربما سمع قراءة الامام فلا يقوم عن عشائه وقيل المراد به

صلوة المغرب لرواية فابدؤا به قبل ان تصلوا المغرب ولرواية اذا وضع العشاء واحدكم صائم وقيل وهو الاظهر ينبغى حملها على العموم نظرا الى العلة وهى التشوق المفضى الى ترك الخشوع وذكر المغرب لايقتضى الحصر فيها لان الجائع غير الصائم قد يكون اشوق الى الاكل من الصائم ثم الحمل على العموم انما هو بالنظر الى المعنى الحاقا للجائع بالصائم لا بالنظر الى اللفظ الوارد كذا فى فتح البارى شرح البخارى (ويكثر الايدى) اى على الطعام ولو من اهله وولده والخدام (فورد اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه) بصيغة المجهول ابو داود وابن ماجه من حديث وحشى بن حرب باسناد حسن قيل الاكل مع العيال افضل من الاكل وحده والاكل مع الغير افضل من الاكل مع العيال (وكان عليه السلام لايأكل وحده) الخرائطى فى مكارم الاخلاق عن انس (وفيه تقليل الاكل) اى غالبا (والاتفاق) اى الايثار المحمود بالاتفاق (والجمع فى القصعة الواحدة احب الى الله تعالى) فعنه عليه السلام خير الطعام ما كثرت عليه الايدى كذا فى الاحياء وسكت عنه مخرجه وعن عمر مرفوعا كلوا جميعا ولاتفرقوا فان البركة مع الجماعة ابن ماجه (ويجتنب القصعة الصغيرة فلا بركة فيها) لعدم اتساع الايدى (ونحو الصفر والنحاس) اى ويجتنب الاكل فيهما (فالمسنون الخشب والخزف) واما الصينى فهو غاية التنعم ولم يكن يستعمله السلف (ويسمى فى الابتداء) فهو سنة مؤكدة فعن عائشة اذا اكل احدكم طعاما فليذكر اسم الله فان نسى ان يذكر اسم الله فى اوله فليقل بسم الله على اوله وآخره ابو داود والنسائى والحاكم وقيل التسمية واجب ويحمد فى الانتهاء فانه مستحب (والاحب فى كل لقمة) ان يسمى فى اولها ويحمد فى آخرها وفى الاحياء يقول مع اللقمة الاولى بسم الله ومع الثانية بسم الله الرحمن ومع الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم فعلى هذا يقول مع الاولى الحمد لله ومع الثانية زيادة رب العالمين ومع الثالثة زيادة الرحمن الرحيم (ويجهر) اى بالتسمية (تذكيرا للغير) وتحريضا له على الخير (ولا يعيب مأكولا) من المباح (فهو المأثور) اى المتفق عليه من حديث ابى هريرة انه عليه السلام كان لايعيب مأكولا ان اعجبه اكله والاتركه فذهب بعضهم الى ان العيب ان كان من جهة الخلقة يكره وان كان من جهة الصنعة فلا يكره وقال العسقلانى والذى يظهر التعميم فان فيه كسر قلب الصانع قلت لكن قد يراد به التنبيه والتعليم ومن الادب ان يأكل بيمينه (ولايتجاوز عما يليه فورد كل مما يليك) متفق عليه من حديث عمر ابن ابى سلمة وهو ربيبه عليه السلام انه قال له ادن وسم الله وكل بيمينك مما يليك (الا فى الثمار) اى الفواكه (فهو) اى استثناؤه (مروى معللا بانه ليس نوعا واحدا) اذ يوجد فيه ماهو نى ومنضوج وبين ذلك وايضا اذا كان فى الطبق انواع من الثمار ففى كل نوع له حق فلا يكره ان يأكل من غير ما يليه والحديث رواه

الترمذى وابن ماجه وابن حبان من حديث عكراش بن ذيب وفيه وجالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الطبق فقال يا عكراش كل حيث شئت فانه غير لون واحد (ولا يأكل من ذروة القصعة) اى اعلاها (ولا من وسطها) اى ولو لم يكن مرتفعا بل من جانبها فعن ابن عباس كلوا فى القصعة من جوانبها ولا تأكلوا من وسطها فان البركة تنزل فى وسطها احمد والبيهقى وفى رواية ابى داود وابن ماجه عن عبد الله ابن بسر كلوا من حواليها وذروا ذروتها يبارك فيها وفى رواية لابن ماجه هن وائلة كلوا بسم الله من جوانبها واعفوا رأسها فان البركة تأتيها من فوقها (ووسط الخبز) اى ولا من وسط الخبز بل يأكل من استدارة الرغيف قياسا على القصعة الا اذا قل الخبز فيكسر الخبز (ولا باصبعين) اى الا اذا كان لا يحتاج الى ثالثة (فهو تكبر) وكذا باصبع فان الاكل بها مع انه فعل المتكبرين لا يستلذ به الآكل ولا يستمرى به لضعف ما ينال منه كل مرة فهو كمن اخذ حقه حبة حبة (ولا باربع فهو شره) اى حرص على الطعام الا اذا احتاج به فقد قيل انه عليه السلام ربما كان يستعين فى الاكل برابع اصابعه وكان لا يأكل باصبعين وقال: الشيطان يأكل بهما (والسنة) اى المعروفة والعادة المألوفة له عليه السلام (بثلاث) ففى الشمائل للترمذى عن كعب بن مالك انه عليه السلام يأكل باصابعه الثلاث فقد قال العلماء يستحب الاكل بثلاث اصابع ولا يضم اليها الرابعة والخامسة الا لضرورة واما ما اخرجه سعيد بن منصور من مرسل ابن شهاب ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا اكل اكل بخمس فمحمول على التقليل النادر لبيان الجواز او على المائع (ولا بالشمال) اى ولا يأكل بها (فان الشيطان يأكل به) اى بهذا العضو فعن جابر لا تأكلوا بالشمال فان الشيطان يأكل بالشمال ابن ماجه وعند الضرورات تباح المحظورات (ولا يقطع الخبز واللحم بالسكين فهو منهى عنه للمتشبه بالعجم فى الترافع) اى التكبر والتنعم فى ازمنة جاهليتهم اما النهى عن قطع الخبز بالسكين فرواه ابن حبان فى الضعفاء من حديث ابى هريرة وابن حبان من حديث ام سلمة وهو ايضا مناف لاكرامه كما سيأتى بيانه فى مقامه واما حديث النهى عن قطع اللحم بالسكين فرواه ابو داود والبيهقى فى شعب الايمان من حديث عائشة مرفوعا لا تقطعوا اللحم بالسكين فانه من صنيع الاعاجم وانهشوه فانه اهنأ وامرأ وللترمذى واحمد والحاكم من حديث صفوان بن امية وقال انهشوا اللحم نهشا فانه اشهى واهنأ وامرأ وفيه ايماء الى جواز القطع ففى الشمائل عن المغيرة ابن شعبة قال ضفت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فاتى بجنب مشوى ثم اخذ الشفرة فحز لى بها منه وفى الصحيحين انه عليه السلام احتز من كتف شاة فدعى الى الصلوة فالقى والسكين التى يحتز بها ثم قام يصلى ولم يتوضأ وفى البيهقى ان النهى عن قطع اللحم بالسكين فى لحم قد تكامل نضجه هذا وقد ورد اغلعوا

نعالكم عند الطعام فانها سنة جميلة رواه الحاكم عن انس وفى روايةله ولغيره فانه اروح لاقدامكم (ويحضر البقل) اى يجعله حاضرا فى السفرة (فهو يحضر الملائكة) اى اذا لم يكن له رائحة خبيثة (ويطرد الشياطين) لانهم ما يجتمعون مع الملائكة فى محل واحد لكن لم اعرف له اصلا وفى الاحياء يقال ان الملائكة تحضر المائدة اذا كان عليها بقل وفى الخبر ان المائدة التى انزلت على بنى اسرائيل كان عليها كل البقول الا الكراث وكان عليها سمكة عند رأسها خل وعند ذنبها ملح وسبعة ارغفة على كل رغيف زيتون وهب رمان وعن على رضى الله عنه من ابتدأ غذاءه بالملح اذهب الله عنه سبعين نوعا من البلاء ومن اكل كل يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة فى بطنه ومن اكل كل يوم احدى وعشرين زبيبة حمراء لم ير فى جسده شيئا يكرهه واللحم ينبت اللحم والثريد طعام العرب والسفارجات اى السكريات او المهضمات من المعجونات تعظم البطن وترخى الاليتين ولحم البقرداء ولبنها شفاء وسمنها دواء والشحم يخرج مثله من الداء ولن يتداوى الناس لشئ مثل السمن ولن تستشفى النفساء بشئ افضل من الرطب، والسمك يذيب شحم الجسد وقراءة القرآن والسواك يذهبان البلغم ومن اراد البقاء والابقاء فليباكر بالغداء وليقل من العشاء وليلبس الحذاء اى النعل وليقل غشيان النساء وليخفف الرداء وهو الدين اى من الغرماء ولو كانوا من الكرماء (والخل) اى ويحضره (فهو ينفى الفقر) فقد ورد ما افتقر من ادم بيت فيه خل الطبرانى وابونعيم عن عائشة (ويغطى الخار) اى يستره لئلا يقع فيه شئ ولا يلتفت اليه نظر (حتى يبرد) اى يسهل اكله (فهو اعظم بركة وهو السنة) اى ثابت بها لقوله عليه السلام ابردوا بالطعام فان الخار لا بركة فيه رواه الحاكم وغيره ولا ينفخ فى الطعام الخار فهو منهى عنه بل يصبر الى ان يسهل اكله والحديث عند احمد عن ابن عباس وهو عند ابى داود والترمذى وصححه وابن ماجه الا انهم قالوا فى الاناء وللترمذى وصححه من حديث ابى سعيد نهى عن النفخ فى الشراب اى لئلا ينفصل من ريقه شئ ويقع فيه فيتنفر الطبع منه (ويكرم الخبز فورد اكرموا الخبز) اخرجه الحاكم فى مستدركه عن عائشة وفى رواية فان الله اكرمه ومن اكرم الخبز فقد اكرم الله وفى رواية (فان الله انزله من بركات السماء) اخرجه البغوى فى معجم الصحابة بكماله من حديث عبد الله ابن زيد مرفوعا والطبرانى من حديث ابى شيبة وفى رواية زيادة واخرجه من بركات الارض رواه الحكيم (فلا يمسح به اليد) ولا السكين لانه نوع اهانة (ولا يضع عليه القصعة) ولا الملحة لانه قلب الموضوع (ولا ينتظر الادام) لان العيش به تمام فى مقام النظام فطلب الزيادة مرض من خصال اللئام ولله در القائل من الكرام *

وما هى الاجوعة قد سددتها * وكل طعام بين جنبى واحد

(ويكسر باليدين) لايبدء واحدة كالمتكبرين (ويقدم المكسور على الصحيح) اى فى اكله (ولايلتفت يمينا وشمالا) لانه يوجب اختيالا (ويصغر اللقمة) ايماء الى القناعة كما يشير اليه حديث يكفى ابن آدم لقيمات بصيغة التصغير (ويجود المضغ) فانه يعين على سرعة الهضم وما لم يبتلعها فلايمد يده الى غيرها اشعارا بعدم الشره وطول الامل واهتمال قرب الاجل واما حديث الامر بتصغير اللقمة وتدقيق المضغة فقال النووى لايصح ذكره الزركشى وكذا حديث صغروا الخبز واكثروا عدده يبارك لكم فيه ضعفه ابن حبان رواه الديلمى بسند عن عائشة مرفوعا (ويستعين باليسرى) اى من اليدين (عند الحاجة) اى الملجئة اليها ففى الطبرانى عن عبدالله بن جعفر قال رأيت فى يمين النبى صلى الله عليه وسلم قثاء وفى شماله رطبا وهو يأكل من ذا مرة ومن ذا مرة (ولايجمع بين الادامين) فانه نوع من الترفه فالنهى للتنزه وكذا ما فى تحفة الملوك من ان الجمع بين الاطعمة حرام اى ممنوع مع تنزيه عند السلف الكرام والافقد قال تعالى * قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق * وقد ورد انه جمع التمر والقثاء كما رواه النسائى واخرج ابو داود وابن ماجه قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمنا له زبدا وتمرا وكان يحب الزبد والتمر (فالكل مأثور) وعند اهل الاثر مشهور والعامل به مأجور (ويلعق الاصابع) اى الثلاث ويبتدئ بالوسطى (فلايدرى فى اى جزء منه البركة) ففى صحيح مسلم من حديث انس وجابر ولايمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه فانه لايدرى فى اى طعامه بركة (والقصعة) اى ويلحسها (فهو كعتق رقبة) ففى الاحياء يقال من لعق القصعة وغسلها وشرب ماءها كان له كعتق رقبة ففى الطبرانى عن العرباض من لعق الصحفة ولعق اصابعه اشبعه الله فى الدنيا والآخرة (ويأكل السواقط) جمع الساقطة ومنه قولهم لكل ساقطة لاقطة (فهو مأثور) ففى صحيح مسلم اذا وقعت لقمة احدكم فليأخذها فليمط ما كان بها من اذى ولايدعها للشيطان وورد اكرموا الخبز فانه من بركات السماء والارض ومن اكل ماسقط فى السفرة غفرله الطبرانى (وورد فهو مهور الحور) ففى الاحياء يقال التقاط الفتات مهور الحور العين (وسبب سعة العيش) اى الرزق فى الدنيا حيث عظم نعمة المولى (والعافية فى الولد) اى ذريته من الفقر والبلاء ففى الاحياء من اكل ما يسقط من المائدة عاش فى سعة وعوفى فى ولده قال المخرج رواه ابو الشيخ فى كتاب الثواب من حديث جابر بلفظ امن من الفقر والبرص والجذام وصرف عن ولده الحمق وفى رواية اعطى سعة من الرزق ووقى الحمق فى ولده وولد ولده (ويخلل الاسنان) اى تنظيفا (ويخرج) اى بالخلال (مابقى منه) اى ولايبلعه الا اذا تخلله بلسانه (ويمضمض) اى بعد التخلل مبالغة فى النظافة واللطافة (فالكل مأثور) وبعضه فيما قدمنا مذكور وفى الاحياء

ففيه اثر من اهل البيت (ويحمد الله تعالى) بان يقول الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى والحمد لله الذى اطعمنا وسقانا وجعلنا من المسلمين والحمد لله الذى اطعمنى هذا الطعام ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة وامثال هذا مما ورد فى السنة (ان عرى) اى خلا الطعام (عن الشبهة) اى القوية (والا يستغفر) وينـدم (ويغتم) حزنا على ما اكل منه فورد كل لحم نبت من سحت فالنار اولى به البيهقى فى شعب الايمان من حديث كعب بن عجرة (ويبكى) فليس من يأكل ويبكى كمن يأكل ويلهى (ويقول الحمد لله على كل حال ويقرأ الاخلاص) اى سورة قل هو الله احد (والقريش) صوابه قريش اى سورة ايلاف قريش كذا فى الاحياء ولعل الاولى للايماء الى توحيد الذات وتفريد الصفات لاسيما النعت الصمدى بالوصف الاحدى الابدى والثانية الاشعار الى تذكار وصفه سبحانه بنعت الاحسان والامتنان حيث قال * فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف * واقول وقراءة سورة الفاتحة المشتملة على الحمد والدعاء بالاستقامة الفايحة كما هو المتعارف بين العامة مستحسن خلافا لمن منعه (ولا يقوم) اى عن السفرة (قبل الرفع) اى للطعام الا اذا كان عادة ذلك المقام (ويدعو لصاحبه ان اكل طعام الغير) فيقول اللهم بارك له فيما رزقته واغفر له وارحمه وان افطر عندقوم قال افطر عندكم الصائمون واكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة (ويقدم الافضل) اى فى السن والرتبة كالعالم والسيد (فى الغسل) اى فى غسل اليد آخرا ويؤخره اولا مراعاة لحسمته فيهما ففى السراجية ان من السنة ان يبدأ بالشباب قبل الطعام ثم بالشيوخ وبعد الطعام بالعكس (والاكل والشرب) اى ويقدمه فيهما مطلقا لقوله عليه السلام اذا وضع الطعام فليبدأ امير القوم اوصاحب الطعام او خير القوم ابن عساكر عن ابى ادريس الخولانى مرسلا (ويقبل) اى الضيف (الاكرام كتقديم الطست) من المضيف اوغيره اصله الطس ابدل من احدى السينين تاء وحكى بالشين المعجمة كذا فى القاموس والظاهر انه عجمة (فالكرامة لا ترد) بل تقبل وقد اجتمع انس بن مالك وثابت البنانى وهو تلميذه التابعى فقدم انس الطست اليه فامتنع ثابت فقال له انس اذا اكرمك اخوك فاقبل كرامته ولا تردها فانما يكرم الله عز وجل وروى ان هارون الرشيد دعا ابا معاوية الضرير فصب الرشيد على يديه فى الطست فلما فرغ قال يا ابا معاوية اتدرى من صب على يدك الماء فقال لا فقال صبه امير المؤمنين فقال يا امير المؤمنين انما اكرمت العلم واجللته فاجلك الله واكرمك كما اجللت العلم واهله (ولا يطيل انتظار الجمع) اى اذا كان هو المتبوع والمقتدى به فحينئذ ينبغى له ان لا يطول عليهم الانتظار اذا اجتمعوا للاكل وتهيئوا له (فورد فما لبث ان جاء بعجل حنيذ) اى مشوى وفيه انه لم يكن هناك من ينتظر فالاستدلال

به فيه نظر (ولا يسكت) اى حين الاكل (فهو سيرة العجم) من المجوس لكن لا يتكلم كثيرا ايضا فانه يوجب الهم وهو سيرة البجم بل يتكلم بالمعروف ويتكلم بحكايات الصالحين فى الاطعمة وغيرها مما يناسب المقام (ويرافق الرفيق) بان يؤثره احسن الاطعمة ولا يقصد ان يأكل زيادة على ما يأكله فان ذلك حرام ان لم يكن موافقا لرضى رفيقه مهما كان الطعام مشتركا (ويتعهده) اى يتفقده فى الجملة (غير ملح) اى فى عزمه على الاكل فيقول له كل (ولا يزيد على ثلاث) اى ثلاث مرات (فهو مروى) فقد كان عليه السلام اذا خوطب فى شئ ثلاثا لم يراجع بعد ثلاث رواه احمد من حديث جابر واسناده حسن وفى البخارى من حديث انس كان يعيد الكلمة ثلاثا (ولا يحلف) بتشديد اللام معلوما او مجهولا (فجاء) اى عن الحسن بن على (الطعام اهون من ان يحلف عليه) لان القسم انما يكون لامر يصعب لديه ولا يهون اليه (ولا يحوجه) اى رفيقه او مضيفه (الى التعهد) قال بعض الادباء احسن الآكلين اكلا من الرفقاء من لا يحوج صاحبه الى تفقده فى اكله وعمل بفعله عن اخيه مؤنة قوله وكان ابن المبارك يقدم فاخر الرطب الى اخوانه فيقول من اكل اكثر اعطيته بكل نواة درهما وكان النوى يعد فيعطى كل من له فضل نوى بعدده دراهم وذلك لزيادة النشاط فى بساط الانبساط وقال جعفر بن محمد احب اخوانى الى اكثرهم اكلا واعظمهم لقمة واثقلهم على من يحوجنى الى تعاهده فى الاكل (ويجمع ماء الكل فى طست ما امكن) اى مهما وسع (فورد اجمعوا وضوءكم) بالفتح اى ماء الوضوء وهو يشمل اللغوى والشرعى (جمع الله شملكم) اى تفرقكم والحديث رواه القضاعى من حديث ابى هريرة باسناد لا بأس به وكان حق المصنف ان يأتى بهذه الجملة قريبا مما سبق ليكون متعلق غسل اليدين على طبق النسق والحاصل ان الاجتماع على غسل الايدى فى الطست الكبير لا بأس به اذا كان فى حالة واحدة بل هو اقرب الى التواضع والانكسار وابعد عن طول الانتظار فان لم يفعلوا فلا ينبغى ان يصب ماء كل واحد كما يفعل ببعض المتكبرين من الاعجام لما تقدم ولقول ابن مسعود اجتمعوا على غسل الايدى فى طست واحد ولا تسنوا بسنة الاعاجم وكتب عمر بن عبد العزيز الى الامصار ولا يرفع طست من بين ايدى القوم الا ملوة ولا تشبهوا بالعجم ويؤيده ما اخرجه البيهقى والخطيب والديلمى عن ابن عمر مرفوعا اترعوا الطسوس وخالفوا المجوس وهو بالتاء قبل الراء اى املؤها والخادم الذى يصب الماء على الايدى كره بعضهم ان يكون قائما واحب ان يكون جالسا اى باركا ليكون اقرب الى التواضع وكره بعضهم جلوسه واحب قيامه * وفى الطست آداب وهى ان لا تبصق فيه وان يقدم فيه المتبوع وان يقبل الاكرام بالتقديم وان يدار يمينه وان يجتمع فيه جماعة وان يجتمع الماء فيه وان يكون الخادم قائما مائلا وان يمج الماء فيه ويرسله من يده برفق حتى لا يرش على الفراش

وعلى اصحابه ويصب صاحب المنزل بيده الماء على يد ضيفه كما فعل مالك بالشافعي في اول نزوله عليه وقال لايرعك مني ما رأيته مني فخدمة الضيف فرض قلت ولعله مأخوذ من قوله تعالى * وهل اتيك حديث ضيف ابراهيم المكرمين * وقوله عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وقوله اذا جاءكم الزائر فاكرموه الخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث انس (وتحذر عما يكره الرفيق قولا) اى مما لايعجبه ويكون سببا لكدورة خاطره (وفعلا كالنفخ) اى في الطعام او الشراب لما تقدم وكذا لايشم الطعام فانه من عمل الانعام ولا يأكل في الظلمة فهو منهي عنه ولا قائما اوماشيا لان فيه دناءة اذا جعله عادة (والنظر الى اكله) اى فيستحيي من عمله بل يشتغل بنفسه الا اذا اكل مع اهله (ونفض اليد) اى في القصعة (وتقريب الرأس) اى وتقديمه عند وضع اللقمة في فمه (واخراج شيء من الفم متوجها) اى الى رفيقه اوطعامه (واخذه باليمين) فينبغي ان يخرج الشيء من الفم صارفا وجهه وآخذا بيساره (وجعل اللقمة الممضوغة في القصعة) فانه سبب تنفر الطبيعة (والدهين في الخل) اى ولا يغمس اللقمة الدسمة بالدهن وغيره في الخل (والعكس) اى ولا الخل في الدسم فقد يكره غيره وكذا اللقمة التي قطعها بسنه فلايغمس بقيتها في المرقة والخل ونحوهما (والتكلم بالقاذورات) اى الحسية والمعنوية (والاهوال) اى الاهوال من المخوفات كذكر الموت وتذكر الاموات (والاستيذان) اى طلب الاذن في التقديم اى تقديم الطعام بل يقدمه من غير الاعلام كما يشير اليه قوله تعالى * فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين * اى ذهب اليهم بخفية قال الثوري اذا زارك اخوك فلاتقل اتأكل اواقدم اليك ولكن قدم فان اكل والافارفع (والامتناع) اى امتناع المضيف والرفيق عن الاكل (قبل امتناعه) اى امتناع صاحبه فلايمسك قبل اخوانه اذا كانوا يحتشمون الاكل بعده بل ينبغي ان يمد يده ويقبضها ويتناول قليلا قليلا الى ان يستوفوا فان كان قليل الاكل توقف في الابتداء وقال الاكل حتى اذا توسعوا في الطعام اكل معهم آخرا وقد فعل ذلك كثير من الصحابة وان امتنع بسبب فليعتذر منهم دفعا للخجالة عنهم (والرفع) اى رفع الطعام (قبل استيفائه) اى استيفاء الضيف غرضه في ذلك المقام بل يغتنم اطالة المجلس مع الاصحاب الكرام والاحباب الفخام فقد قال جعفر بن محمد اذا قعدتم مع الاخوان على المائدة فاطيلوا الجلوس فانها ساعة لاتحسب عليكم من اعماركم وقال الحسن كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وابويه فمن دونهم يحاسب عليها العبد الا نفقة الرجل على اخوانه في الطعام فان الله يستحيي ان يسأله عن ذلك ويؤيده حديث جابر عند الازدي في الضعفاء ثلاثة لايسألون عن النعيم الصائم والمتسحر والرجل يأكل مع ضيفه ورواه الديلمي نحوه من حديث ابي هريرة وقد ورد لاتزال الملائكة تصلي

على احدكم ما دامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع الطبرانى فى الاوسط من حديث عائشة وفى الاحياء روى عن بعض علماء خراسان انه كان يقدم الى اخوانه طعاما كثيرا لايقدرون على اكل جميعه وكان يقول بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الاخوان اذا رفعوا ايديهم عن الطعام لم يحاسب من اكل فضل ذلك الطعام فانا احب ان استكثره مما اقدمه اليكم لتأخذ فضل ذلك قال العراقى لم اقف للحديث على اصل وعن على لان اجمع اخوانى على صاع من طعام احب الى من ان اعتق رقبة وقيل اجتماع الاخوان على الكفاية من الانس والالفة ليس هو من الدنيا وقد ورد ان فى الجنة غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها هى لمن الان الكلام واطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام الترمذى من حديث على وعنه عليه السلام من اطعم اخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعد الله من النار سبعة خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام الطبرانى من حديث ابن عمر (والتكلف) اى تكلف المضيف للضيف (كالاستقراض) ففى البخارى عن عمر نهينا عن التكلف وفى رواية البيهقى عن سلمان مرفوعا لايتكلفن احد لضيفه ما لايقدر عليه والمعنى انه يقدم له ما حضر من الطعام فان لم يحضره شئ ولم يملك شيئا فلا يستقرض لاجله فيشق على نفسه وقال بعض السلف فى تفسير التكلف ان تطعم اخاك مالا تأكله انت بل تقصد زيادة عليه فى الجودة والقيمة وكان الفضيل يقول انما تقاطع الناس بالتكلف يدعو احدهم اخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع اليه وقال بعضهم ما ابالى من اتانى من اخوانى فانى لا اتكلف له وانما اقرب ماعندى ولو تكلفت له لكرهت صحبته ومللته وقال بعضهم كنت ادخل على اخ لى فيتكلف فقلت له انك لاتأكل وحدك هذا ولا انا فما بالنا اذا اجتمعنا اكلناه فاما ان تقطع هذا التكلف او اقطع المجئ فقطع التكلف ودام اجتماعهما بسبب ذلك (وتقديم شئ تحتاج اليه العيال) اى بان يقدم جميع ما عنده فيحجف بعياله ويؤذى قلوبهم فى منزله وروى ان رجلا دعا عليا رضى الله عنه فقال اجيبك على ثلاث شرائط لاتدخل من السوق شيئا ولاتدخر ما فى البيت ولاتحجف بالعيال (اولاتسامح النفس به) فانه من جملة التكلف (فهو بورث الانقطاع) اى انقطاع الصحبة والالفة والاطعام والضيافة قال الثورى اذا اردت ان لاتطعم عيالك مما تأكله فلا تحدثهم به ولايرونه منك وعن بعضهم دخلت على جابر بن عبد الله فقدم الينا خبزا وخلا وقال لولا انا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم رواه احمد وقال بعضهم اذا قصدت للزيارة فقدم ماحضر وان استزرت فلاتبقى ولاتذر * وعن سلمان امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لانتكلف للضيف ما ليس عندنا وان نقدم اليه ما حضرنا وروى ابو بكر بن لال فى مكارم الاخلاق من حديث سلمان لايتكلف احد لضيفه مالايقدر عليه وعن انس وغيره

من الصحابة انهم كانوا يقدمون ما حضر من الكسر اليابسة وحشف التمر ويقولون لاندري ايهما اعظم وزرا الذى يحقر مايقدم اليه او الذى يحتقر ما عنده ان يقدم (ويقدم) اى الضيف (ما يشتهى) اى مايحبه لنفسه لقوله تعالى * لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون * اوما يشتهيه الضيف اذا علم من حاله ففى الشمائل انه عليه السلام زار بعض اصحابه فذبح له شاة فقال اعلموا انا نحب اللحم ويستحسن ان يشهى المزور اخاه الزائر ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة بفعل مايقترح قال ابوبكر الكتانى دخلت على السدى فجاء بفتيت واحد فحمل نصفه فى القدح فقلت اى شئ تعمل انا اشربه لك كله فى مرة واحدة فضحك فقال هذا افضل من حجة (فورد من صادف) اى وافق كما فى رواية (من اخيه شهوة) اى علمها وقدر عليها (فقضاها) اى فاطعمها اياه (غفرله) البزار والطبرانى من حديث ابى الدرداء ومما ينبغى للزائر ان لا يقترح بشئ بعينه فربما يشق على المزور فروى الاعمش عن ابى وائل انه قال مضيت مع صاحب لى نزول سلمان فقدم الينا خبز شعير وملحا جريشا فقال صاحبى لوكان فى الملح سعتر لكان اطيب فخرج سلمان فرهن مطهرته واخذ سعترا فلما اكلنا قال صاحبى الحمد لله الذى قنعنا بما رزقنا فقال سلمان لوقنعت بما رزقت لم تكن مطهرتى مرهونة هذا وان خيره اخوه بين طعامين فليتخير ايسرهما عليه ففى الخبر ما خير عليه السلام بين شيئين الا اختار ايسرهما متفق عليه من حديث عائشة ثم اذا علم الضيف فرح المضيف باقتراحه عليه وتيسره لديه فلا بأس به بل يحصل زيادة الانبساط بسببه وقد فعل ذلك الشافعى مع الزعفرانى اذا كان نازلا عليه ببغداد وكان الزعفرانى يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الالوان ويسلمها الى الجارية فاخذ الشافعى الرقعة فى بعض الايام والحق فيها لونا آخر بخطه فلما رأى الزعفرانى ذلك اللون انكره وقال ما امرت بهذا فعرضت عليه خط الشافعى ملحقا فى الرقعة فلما وقعت عينه على خطه فرح به واعتق الجارية سرورا باقتراح الشافعى عليه وذلك لانه يدل على صداقته كما يشير اليه قوله تعالى * اوصديقكم * وقد قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابوبكر وعمر منزل ابى الهيثم بن التيهان كما فى الشمائل للترمذى وقال حسن صحيح ومنزل ابى ايوب الانصارى كما رواه الطبرانى فى المعجم الصغير عن ابن عباس بسند ضعيف لاجل طعام يأكلونه وكانوا جياعا والدخول على مثل هذه الحالة اعانة لذلك المسلم على حيازة الثواب وهى عادة السلف وكان عون بن عبد الله المسعودى له ثلاثمائة وستون صديقا يدور عليهم فى السنة ولآخر ثلاثون يدور عليهم فى الشهر ولآخر سبعة يدور عليهم فى الجمعة ثم ان دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واثقا بصداقته عالما بفرحه من حسن حاله اذا اكل من ماله فله ان ياكل بغير اذنه اذ مدار الاذن

على الرضا لاسيما فى الاطعمة فامره على السعة فرب رجل يصرح بالاذن ويحلف وهو غير راض فاكل طعامه مكروه ورب غائب لم يأذن فاكل طعامه محبوب وقد دخل عليه السلام دار بريرة واكل طعامها وهى غائبة وكان الطعام من الصدقة فقال بلغت الصدقة محلها وكان محمد بن واسع واصحابه يدخلون منزل الحسن فيأكلون ما يجدون بغير اذن فكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسر ويقول هكذا كنا وروى عن الحسن انه كان قائما يأكل من متاع بقال يأخذ من هذه الخرقة تينة ومن هذه عنبة فقال له هشام مابد الك يا ابا سعيد فى الورع تأكل متاع الرجل بغير اذنه فقال يالكع اتل على آية الاكل فتلا الى قوله اوصديقكم فقال فمن الصديق يا ابا سعيد قال من استروحت اليه النفس واطمان اليه القلب وجاء قوم الى منزل سفيان الثورى فلم يجدوه ففتحوا الباب وانزلوا السفرة وجعلوا ياكلون فدخل الثورى فجعل يقول ذكرتمونى اخلاق السلف هكذا كانوا وزار قوم بعض التابعين ولم يكن عنده مايقدمه اليهم فذهب الى منزل بعض اخوانه فلم يصادفه فى المنزل فدخل فنظر الى قدر قد طبخها والى خبز قد خبزه وغير ذلك فحمله كله وقدمه الى اصحابه فقال كلوا فجاء رب المنزل فلم ير الطعام فقيل قد اخذه فلان فقال قد احسن فلما التقيا قال يا اخى ان عادوا فعد هذا ومن الخصال الذميمة ان تقصد قوما متربصا لوقت طعامهم فتدخل وقت اكلهم لمرامهم فان ذلك من الفجعة هال الفجأة فقد قال تعالى *يا ايها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى الاان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه * اى غير منتظرين حينه ومتربصين نضجه وفى الخبر من مشى الى طعام لم يدع اليه مشى فاسقا واكل حراما البيهقى من حديث عائشة ولابى داود من حديث ابن عمر من دخل على غير دعوة دخل سارقا وخرج مغيرا (ويضيف) اى بما قدر عليه وحضر لديه (فورد لاخير فيمن لايضيف) احمد من حديث عقبة بن عامر وقال انس كل بيت لايدخله ضيف لايدخله الملائكة ومر عليه السلام برجل له ابل كثيرة وبقرة كثيرة فلم يضفه ومر بامرأة لها شويهات فذبحت له فقال عليه السلام انظروا اليها انما الاخلاق بيد الله تعالى فمن شاء ان يمنحه خلقا حسنا فعل رواه الخرائطى فى مكارم الاخلاق من رواية ابى المنهال مرسلا وقال ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل به عليه السلام ضيف فقال قل لفلان اليهودى نزل بى ضيف فاسلفنى شيئا من الدقيق الى رجب فقال اليهودى والله لااسلفه الا برهان فاخبرته فقال عليه السلام والله انى لامين فى السماء امين فى الارض ولو اسلفنى لاديته اذهب بدرعى ارهنها عنده رواه ابن مردويه فى تفسيره واسحق بن راهويه فى مسنده فان قلت قد تقدم المنع عن الاستقراض فكيف الجمع قلت محله اذا لم يكن له ما يستفكه ويخلصه فيكون تكلفا زائدا لا يحمله هذا وكان ابراهيم الخليل اذا اراد ان يأكل خرج ميلا يلتمس من يتغدى معه وكان يكنى ابا الضيفان ولصدق نيته وحسن

مقصده دامت ضيافته فى مشهده الى يومنا هذا فى بلده فلا تنقضى ليله الا ويأكل عنده جماعة من ثلاثة الى عشرة الى مائة (ويقصد به) اى باطعامه (الاتقياء) من الفقراء (اعانة على البر) وزيادة الطاعة فقد ورد فى دعائه عليه السلام اكل طعامكم الابرار وفى قوله لا يأكل طعامك الا تقى وقد تقدم (دون الاغنياء) ولو كانوا من الصلحاء (فوردانه) اى عكسه (شر الطعام) يعنى به حديث شر الطعام الوليمة يدعى اليه الاغنياء دون الفقراء متفق عليه من حديث ابى هريرة (ولا يهمل الاقرباء) اى لا يتركهم فى الطلب لضيافة الغرباء (والاخوان) اى الاحباب من الصلحاء لقوله تعالى * الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين (ولا يخص بعضهم) بل يعمهم (تحاميا عن الوحشة) اى النفرة عن الصحبة (وقطع الرحم) لا سيما اذا كان المدعو ابعد فى النسبة (وينوى) اى بالضيافة (استمالة القلوب) اى ميل قلوب الاخوان والاقارب اليه بالمحبة الدالة على محبته تعالى لديه وهو ينوى اكرام اخيه المؤمن اتباعا لقوله عليه السلام من اكرم اخاه المؤمن فكأنما يكرم الله وينوى ادخال السرور على قلبه امتثالا لقوله عليه السلام من سر مؤمنا فقد سر الله عز وجل ابن حبان والعقيلى فى الضعفاء من حديث ابى بكر الصديق (واقامة السنة) اى الطريقة الحسنة (دون المباهاة) اى لا المفاخرة بكثرة النعمة ولا قصد الرياء والسمعة ولا ارادة العوض وحمل المنة (ولا يدعو من يستثقل الحضور) اى حضور مجلس الضيافة او محفل الجماعة لان الثقيل مليل كالعليل (ولا من يتأذى به الحاضرون) كالمبروص وصاحب الجذام ومن يكثر الضحك والكلام ويبحث بالشدة مع العلماء الاعلام (ولا الفاسق فانه اعانة على الاثم) بل على الآثام وقد قال تعالى * وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان (ويجيب) اى دعوة الداعى الى وليمة ونحوها ان قدر (ناويا اكرام المؤمن فورد من اكرم اخاه المؤمن فانما يكرم الله) لان المؤمن مرآة المؤمن والحديث رواه الاصفهانى فى الترغيب والترهيب من حديث جابر والعقيلى من حديث ابى بكر (واسراره) اى تفريحه (فورد من سر مؤمنا فقد سر الله) وقد تقدم (والحذر عن المعصية فورد من لم يجب الداعى فقد عصى الله) اى الله ورسوله كما فى المتفق عليه من حديث ابى هريرة (واقامة السنة فهى مؤكدة) اى قريبة للوجوب او الاول دليل قولى والآخر دليل فعلى فلا يميز الغنى بالاجابة عن الفقير فان ذلك هو التكبر المنهى عنه ولذلك امتنع بعضهم عن اصل الاجابة وقال بعضهم انتظار المرقة مذلة وقال آخر اذا وضعت يدى فى قصعة غيرى فقد ذلت له رقبتى فقيل هذا خلاف السنة ودفع بان محله اذا كان الداعى لا يفرح بالاجابة ولا يتقلد بها المنة ولذا قال بعض الصوفية لا تجب الا دعوة من يرى انك اكلت رزقك وانه يسلم اليك الوديعة ويرى لك فى قبولها الفضل والمنة وقال السرى السقطى

الحج على لقمة ليس على الله فيها تبعة ولا المخلوف فيها منة (ويتعلل) اى ويتعذر ويأتى بنوع من العلة اذا لم يرد الاجابة وذلك (لاستثقال الداعى الاطعام) وانما هو حياء من بعض الانام (وقصده المباهاة) اى ولارادته المفاخرة فليس من السنة اجابة من يطعم مباهاة اوتكلفا فروى ابوداود من حديث ابن عباس انه عليه السلام نهى عن طعام المتباريين اى المتباهيين كما فى رواية العقيلى والمتباريان المتعارضان بفعلهما للمباهاة والرياء كما قاله ابو موسى المدينى (والتحامى) اى ويتعلل ايضا للاحتراز والاحتراس (عن ارتكاب معصية) اى مما يوجد عند الداعى (كحضور الشبهة) اى القوية (فى الطعام والمنكر فى المجلس) اى مناكر الآنام من فرش ديباج اوآنية فضة اوتصوير حيوان على حائط اوسماع شئ من المزامير اوالملاهى او تشاغل بنوع من اللهو والهزو واللعب فكل ذلك مما يمنع من الاجابة واستحبابها ويوجب تحريمها او كراهتها وكذلك اذا كان الداعى ظالما اومبتدعا اوفاسقا اوشريرا اومتكلفا طالبا للمباهاة والرياء والسمعة فلايجاب له الدعوة (فالنية) اى تصحيحها اوتحسينها (انما تؤثر فى المباح) فتجعله عبادة وتخرجه عن كونه عادة بخلاف المعصية فانها لاتؤثر فى تغييرها النية فلا يصح له ان ينوى سرور اخوانه بمساعدتهم فى شرب الخمر اوسماع المزامير ونحوها (لا) اى لايتعلله (لنقصان الجاه) اى فى الدعو (ولا لفقر الداعى فهو) اى كل منهما (تكبر وكان عليه الصلوة والسلام) مع كمال عزه وكمال جاهه (يجيب دعوة العبد والفقير) وفى الاحياء المسكين بدل الفقير وكلاهما ليس فى اصل الحديث الذى رواه الترمذى وابن ماجه من حديث انس وضعفه الترمذى وصححه الحاكم وفى ذكر العبد عنية عنه ولقد اجاب دعوة خياط كما فى الشمائل ومر الحسن بن على رضى الله عنهما بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على قارعة الطريق وقد نثروا كسرا على الارض وهم يأكلون وكان راكبا على بغلته فسلم عليهم فقالوا هلم الى الغدايا ابن بنت رسول الله فقال نعم ان الله لا يحب المستكبرين فنزل وقعد معهم على الارض واكل من طعامهم ثم سلم عليهم وركب وقال قد اجبتكم فاجيبونى فقالوا نعم فوعدهم وقتا معلوما فحضروا عنده فقدم اليهم فاخر الطعام وجلس يأكل معهم (ولا) اى لايتعلل (لبعد المسافة ان اعتيدت) اى الدعوة اليه والاجابة لديه (فورد) اى فى البخارى من حديث ابى هريرة (لودعيت الى كراع الغميم لاجبت) وتمامه ولواهدى الى ذراع لقبلت والظاهر ان المراد كراع الشاة لكن فى المتن مقيد بكراع الغميم تبعا لما فى الاحياء وهو بفتح المعجمة وكسر الميم واد بين الحرمين على مرحلة من مكة وقيل اسم موضع قريب بالمدينة وانه مما يعتاد مسافتها بالحضور اليها فى الاجابة اواريد بذكره غاية المبالغة الآن العراقى قال ذكر الغميم لايعرف ويرد هذه الزيادة ماروا الترمذى من حديث انس لواهدى

الى كراع لقبلت (ولا للصوم) ولايتعلل لاجل صومه (فيفطر) ان كان نفلا (ان الح) اى قبل الزوال (فاسرار المؤمن) اى فرحه بفطره (يعدل الصوم) مع ان الصوم له قضاء بخلاف كسر خاطر من له وفاء فانه جفاء (وورد تكلف لك اخوك) اى بطبخ الطعام (وتقول انى صائم) قاله على سبيل التوبيخ على ترك الافطار للضيف عند الالحاح والحديث رواه البيهقى من حديث ابى سعيد الخدرى صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما فاتانى هو واصحابه فلما وضع الطعام قال رجل من القوم انى صائم فقال عليه السلام دعاكم اخوكم وتكلف لكم الحديث وللدارقطنى نحوه من حديث جابر (والا) اى وان لم يفطر (فضيافته بالعطر) اى طيب المشام (وطيب الكلام والاكتحال والادهان ونحوها) من اصناف الاكرام (ويجلس حيث يجلس) فانه قد يكون رتب فى مجلسه موضع كل واحد فمخالفته لديه تشويش عليه وان اشار اليه بعض الضيفان بالارتفاع اكراما فلا يرتفع (فهو تواضع) فقد ورد ان من التواضع لله الرضى بالدون من المجلس الخرائطى فى مكارم الاخلاق وابو نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث طلحة بن عبيد الله بسند جيد ثم يخص من يجنبه بالسلام والكلام (ولاينظر الى جانب يأتى منه الطعام فهو شره) اى دال على حرص فى الاكل (ولايطيل) اى الضيف (انتظار المضيف) اذا دعاه فان الانتظار اشد من الموت خصوصا عند توهم الفوت (ولا يعجل) اى الضيف فى المجئ (قبل الاستعداد) اى استعداد المضيف الطعام وتهيئته المقام (ويغير منكرا رأى ان قدر) اى على تغييره بيده (والا) اى وان لم يقدر تغييره باليد (ينكر باللسان ويرجع) اى ولايقنع بانكار الجنان فان ذلك من اضعف الايمان حتى قال احمد بن حنبل اذا رأى مكحلة رأسها مفضض فينبغى ان يخرج وكذا اذا رأى على حيطان البيت ستورا من الديباج كما تستر الكعبة (ويبتدئ المضيف بالغسل) اى بغسل الايدى تحاميا عن تنفر السآمة (قبل الاكل لانه داع) فيكون كالمؤذن يتوضأ قبل اذانه فقد غسل مالك يده قبل الطعام وقبل القوم وقال الغسل قبل الطعام لرب البيت اولى لانه يدعو الناس الى كرامته انتهى ولايخفى ان هذا عيب فى عرف زماننا ان كان فى المجلس فالاولى ان يغسل قبل انعقاد المجلس له اوفى آخره تواضعا (ويتأخر) اى فى غسل اليد (بعده) اى فراغ الاكل (انتظارا للداخل) اى ممن يأكل معه (وتعظيما للضيف) اى بالتأخر لانه تواضع معه فى محله ولهذا ينبغى ان يكون آخرهم اكلا فقد كان بعض الكرام يقدم الطعام فاذا قارب القوم من التمام جثا على ركبتيه ومد يده الى طعام بين يديه واكل وقال بسم الله ساعدنى بارك الله عليكم وكان السلف يستحسنون ذلك منه (ويقدم ما يكفى) اى من الطعام (فالنقص) عن قدر الكفاية (ترك المروءة) اى مع وجود القدرة (والزيادة) على قدر الحاجة (رياء الا ان يجيز الذهاب به) اى

بطيب نفسه باخذ ما فضل من الطعام اونوى ان يتبرك بفضلهم وقد احضر ابراهيم بن ادهم طعاما كثيرا على مائدة فقال له سفيان يا ابا اسحاق اما تخاف ان يكون هذا سرفا فقال ابراهيم ليس فى الطعام اسراف ولعل ذلك لانه ليس فى تضييع واتلاف ويؤيده قولهم لاخير فى سرف ولاسرف فى خير فهو من قبيل المباحات والمذموم نية المباهاة فان لم يكن نية صحيحة فالتكثير تكلف وتصنع قال ابن مسعود نهينا ان نجيب دعوة من يباهى بطعامه وكره جماعة من الصحابة اكل طعام المباهاة وهذا من ذلك وكان لايرفع من بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلة طعام قط لانهم كانوا لايقدمون الا قدر الحاجة ولا يأكلون تمام الشبع بل حد الكفاية والقناعة (ويميز اولا) اى يفرز من الطعام ابتداء (نصيب العيال تحاميا عن اهتمامهم) اى لئلا تكون اعينهم طامحة الى رجوع شئ منه فلعله لايرجع فيضيق صدورهم وتنطلق فى الضيفان السنتهم ويقوم شرورهم فيكون قد اطعم الضيفان مما يتبعه كراهة قوم وتلك خيانة فى حقهم (ولا يرفعه الضيف) اى ما بقى من الاطعمة فليس للضيفان اخذه وهو الذى تسميه الصوفية الزلة لما فيه نوع من المزلة (الا ان يعلم) اى الضيف بقرينة الحال (بسروره) اى بفرح المضيف اذا اخذه فرفعه حينئذ وان كان يظن كراهته لذلك فلا ينبغى ان يؤخذ شئ هنالك الا اذا صرح صاحب الطعام بالاذن فيه عن قلب راض به واذا علم رضاه فينبغى مراعاة العدل والنصفة مع الرفقاء فلا ينبغى ان يأخذ كل واحد الا ما يخصه اويرضى به رفيقه عن طوع وسخاء لاعن كراهة وحياء ويختار ايسر الطعامين اذا خير الضيف بينهما لانه عليه السلام كان اذا خير بين امرين اختار ايسرهما ولا يقترح الضيف على المضيف الا اذا علم فرحه بذلك كما فعله الشافعى فى بيت الزعفرانى (واذا بات) اى اقام الضيف عنده فى الليل (يريه القبلة) اى يعلمه المضيف جهة الكعبة (والمتوضا) اى محل الطهارة هكذا فعل مالك بالشافعى وفيه اشارة الى قيام الليل بالتهجد ونحوه وكناية عن قضاء الحاجة فى وقته (ويكرمه) اى المضيف الضيف بما امكن من انواع الاكرام (فورد) اى عنه عليه السلام (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) اى بجميع ما يجب الايمان به واكتفى بطرف المؤمن به (فليكرم ضيفه) متفق عليه من حديث ابى شريح (وهو) اى اكرامه اولا (باظهار الانبساط والسرور) اى الفرح فى مقام النشاط عند الدخول والخروج وعلى المائدة وسائر اوقات الصحبة قيل للاوزاعى ماكرامة الضيف قال طلاقة الوجه وطيب الحديث وقال زيد بن ابى زياد ما دخلنا على عبد الرحمن بن ابى ليلى الا حدثنا حديثا حسنا واطعمنا طعاما حسنا وثانيا بتعجيل الطعام فانه يقال السلام قبل الطعام والطعام قبل الكلام وهو احد المعنيين فى قوله تعالى * هل اتيك حديث ضيف ابراهيم المكرمين

انهم اكرموا بتعجيل الطعام اليهم ودل عليه قوله سبحانه * فما لبث ان جاء بعجل حنيذ * اى مشوى وقوله * فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين * اى ذهب بسرعة اوبخفية وقد جاء بفخذ من لحم وانما سمى عجلا لانه عجله كذا فى الاحياء والاظهر ان العجل على حقيقته عبارة ويؤخذ منه العجلة اعارة وقد ورد الاناة من الله والعجلة من الشيطان كما رواه الترمذى من حديث سهل بن سعد الا ان ابا داود روى من حديث سعد بن وقاص التؤدة فى كل شئ الا فى عمل الآخرة قال الاعمش لا اعلم الا انه رفعه (وصب الماء) اى ويكبه المضيف (على اليد) اى يد الضيف وهو احد المعنيين فى الآية السابقة وقد وفد وفد النجاشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام يخدمهم بنفسه فقال اصحابه نحن نكفيك يارسول الله فقال انهم كانوا لاصحابى مكرمين وانا احب ان اكافيهم (والتشييع الى الباب) اى باب الدار قال عليه السلام من السنة للضيف ان يشيع الى باب الدار كذا فى الاحياء وسكت عنه مخرجه (واخذ الركاب) اى ركاب الضيف للركوب (فالكل ماثور) والاخير مروى عن فعل ابن عباس بزيد بن ثابت (ويرجع) اى الضيف (فرحا) اى فى نفسه (وان قصر فى حقه) اى ولو قصر المضيف فى حق الضيف (برضاء المضيف) متعلق بيرجع (فهو من حسن الخلق) فى عشرة الخلق فقد ورد حديث حسن واسناده حسن عن الحسن عن ابن الحسن عن ابى الحسن عن جد الحسن ان احسن الحسن الخلق الحسن (ولا يكون) اى لايثبت الضيف ولايقيم (اكثر من ثلاثة ايام تحرزا عن السآمة) الموجبة للملامة (وورد) فى الصحيحين من حديث ابى شريح الخزاعى (الضيافة ثلاثة ايام ومازاد فصدقة) يعنى ان شاء فعل وان شاء ترك (الا ان يلح) اى يبالغ المضيف على الضيف بالقعود عنده زيارة على الثلاثة ويعرف انه من صميم قلبه وطيب نفسه (ويعد فراش الضيف) اى يهيئه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع للشيطان مسلم من حديث جابر (ويستأذن كل) اى من الضيف والمضيف (صاحبه فى صوم النفل فهو ماثور) ويعتذر اذا كان فرضا من قضاء اونذر وعن عائشة فى رواية الترمذى من نزل على قوم فلا يصوم تطوعا الا باذنهم (ويرسل الطعام لاصحاب المصائب) اى بموت بعض الاقارب (فامر عليه السلام به) اى بارسال الطعام المسمى بالعرفة فى لسان العام (لآل حمزة) اى عمه (وجعفر) اى ابن عمه وهو اخو على بن ابى طالب من ابيه وامه فى وقت شهادتهما (الا ان يكون) اى هناك (منكر) كالنوح ولطم الوجه وخرق الثوب وكشف العورة (تحرزا عن الاعانة على الاثم) اى المعصية وقد قال تعالى * وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الاثم والعدوان * والحديث معروف فى جعفر دون حمزة فروى ابوداود

والترمذى

والترمذى وابن ماجه من حديث عبد الله بن جعفر بسند حسن انه لما جاء نعى جعفر ابن ابى طالب قال صلى الله عليه وسلم ان آل جعفر شغلوا بميتهم عن طعامهم فاصلوا اليوم ما يأكلون (ويجتنب طعام السلطان) اى اكله فانه لابد فيه نصيب من الشيطان (ويقبل) اى طعامه (لو اكره) على قبوله واكله فقد ورد رفع عن امتى الخطاء والنسيان وما استكرهوا عليه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه عن ابن عباس واذا ابتلى به فليقلل من اكله (ولا يقصد الاجود) اى الاطيب من الاطعمة هضما للنفس ومخالفة للهوى ومتابعة للكفاية والقناعة لاسيما اذا كان الطعام فيه نوع من الشبهة فقد رد بعض المزكيين شهادة من حضر طعام سلطان فقال كنت مكرها فقال رأيتك تقصد الاطيب وتكبر اللقمة وما كنت مكرها على ذلك واجبر السلطان هذا المزكى على الاكل فقال اما آكل واخلى التزكية اوازكى ولا آكل فلم يجدوا بدا من تزكيته فتركوه وحكى ان ذا النون المصرى حبس فلم يأكل اياما فى السجن وكانت له اخت فى الله فبعثت اليه من غزلها طعاما على يدى السجان فامتنع من اكله فعاتبته المرأة بعد ذلك فقال كان حلالا ولكنه جاءنى على طبق ظالم واشار به الى يد السجان وهذا غاية الورع (ونحو الثوم) اى ويجتنبه (والبصل والكراث) اى وسائر البقول التى لها رائحة خبيثة خصوصا اذا كان يريد دخول المسجد قبل زوال الرائحة الكريهة (لاسيما يوم الجمعة) لكثرة الجماعة (فهو منهى عنه لتنفر الملائكة والناس عن ريحه) ولذا يستحب التطيب فى حضوره (والاكل) اى ويجتنبه (فى السوق) وفى معناه حضر جماعة من المسجد وغيره (فهو دناءة) اى دالة على قلة المبالاة وعدم الديانة فقد حكى عن ابراهيم النخعى انه قال الاكل فى السوق دناءة وفى الاحياء واسند الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غريب لكن قال مخرجه رواه الطبرانى من حديث ابى امامة وهو ضعيف ورواه ابن عدى فى الكامل من حديثه وحديث ابى هريرة انتهى وتعدد طرقه مما يرتقيه الى حسنه كما لايخفى واما قوله فى الاحياء فقد نقل ضده عن ابن عمر انه قال كنا نأكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشى ونشرب ونحن قيام رواه الترمذى وصححه فلا يظهر وجه التضاد اذ يمكن المشى والقيام ان يكونا فى غير السوق واما قوله تعالى * مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق * فانكار منهم عليه بكل واحد منهما لا بالجمع بينهما فمعنى قولهم يأكل الطعام انه ليس من الملائكة وقولهم يمشى فى الاسواق لاحتياجه الى المبايعة (الابنية التواضع وهضم النفس) وفيه ان الكراهة لما فيه من الدلالة على الدناءة باكله فى نظر الجماعة فكيف يرتفع كراهة القضية بهذه النية وقد صرح الائمة بقدح ذلك فى الشهادة (والاهتمام) اى ويجتنبه (فى الصحة فهو يضر) اى فى الصحة (كتركه فى المرض) فان وجوده فيه الدواء من كل

الادواء وقيل من احتمى فهو على يقين من المكروه وعلى شك من العوافى ومن اللطائف انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صهيبا يأكل تمرا واحدى عينيه رمدة فقال اتأكل التمر وانت ارمد فقال يارسول الله انما امضغ بالشق الآخر يعنى الجانب السليم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ماجه من حديث صهيب باسناد جيد (ويمقل) بضم القاف اى يغمس (الذباب الواقع) فى الشراب (ثم ينقل) اى يخرج (الذباب ففى احد جناحيه داء والآخر دواء) رواه البخارى وابن ماجه عن ابى هريرة مرفوعا اذا وقع الذباب فى شراب احدكم فليغمسه ثم ينزعه فان فى احد جناحيه داء وفى الآخر شفاء (ويذكر الجائع) حال اكله ووقت شبعه ويقول اللهم لاتؤاخذنى بحق الجايعين (وحساب يوم القيمة) فان حلال الدنيا له حساب وحرامها له عقاب يوجب الملامة والندامة (ولايواكل الاشرار ولايشاربهم) بل ولايصاحبهم ولايقاربهم (بل الاتقياء) من الابرار (والعلماء) من الاخيار (فهو يورث الحكمة) اى وانواعا من الاسرار المنضمة الى الانوار الجمة (ولايواظب على البر) اى اكل عيش الخنطة (ثلاثة ايام فهو المروى) اى فى الصحيحين عن ابى هريرة ما شبع آل محمد من طعام ثلاثة ايام تباعا حتى قبض (ويأكل الشعير فهو اكثر طعام الانبياء عليهم السلام) وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالى المتتابعة واهله طاويا لا يجدون عشاء وكان خبزهم الشعير رواه الترمذى وصححه (ويخلط البر به) اى بالشعير فى اكله (فهو سبب البركة ويأكل من التمر الاوتار) اما ثلاثا واما خمسا واما سبعا (فورد من يصبح بسبع تمرات عجوة) هو جنس من تمر المدينة اوغيرها (لم يضره ذلك اليوم سم ولاسحر) احمد والشيخان وابوداود عن سعد (ولايجمع بين التمر والنوى فى طبق) اى مشترك بينه وبين رفيقه (وكف) اى ولا فى كف لتقذر صاحبه (بل يجعله) اى النوى (من الفم فى ظهر اليد) اى لا فى بطن الكف واصابعه (فيلقى) اى فى مكان يليق (وكذا نحوه) اى نحو التمر او نواته من الخوخ والعنب وكذا فضلات التين والرطب وفى رواية عبدان عن ابى موسى انه عليه السلام نهى عن فتح التمر وقشر الرطب (ويقدم الثمار) اى اكل الفاكهة الرطبة (فورد) اى فى وصف ما فى الجنة (وفاكهة مما يتخيرون) اى يختارون (ولحم طير مما يشتهون) والاستدلال به من حيث الترتيب الذكرى بينهما وهو ايضا اقرب الى قواعد الطب فانها اسرع استحالة فينبغى ان يقع فى اسفل المعدة وفيه ايضا اشارة الى تقديم الطف الالوان من الطعام حتى يستوفى منه من يريد ولا يكثر الاكل بعده بخلاف عادة المترفين من تقديم الغليظ من الاطعمة لتستأنف حركة الشهوة لمصادفة اللطيف بعده وذلك غلاف السنة لانه حيلة فى استكثار الاكل والوسعة ثم

الافضل بعد ما تقدم الفاكهة اللحم والثريد وقد ورد سيد الادام اللحم وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام فان جمع اليه الحلاوة فقد جمع الطيبات لقوله تعالى فى وصف الطيبات * وانزلنا عليكم المن والسلوى * فالمن العسل والسلوى اللحم سمى سلوى لانه يتسلى به عن جميع الادام ولا يقوم غيره مقامه فى مقام المرام قال ابو سليمان الدارانى اكل الطيبات تورث الرضاء عن الله عز وجل من جميع الجهات وتتم هذه الطيبات بشرب الماء البارد فانه من اعظم اللذات ولذا ورد فى الدعاء النبوى اجعل حبك احب الى من الماء البارد وقال بعضهم اذا كان خبزك جيدا وخلك ماضا وماؤك باردا فهو كفاية وقال تأخير الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الالوان (ويأكل ما اصاب) اى من الثمار فى مواسمها (فهو المروى) لانه سبحانه ما خلقها فى تلك الازمنة والامكنة الا لحكمة بالغة فى منفعة الخلق بها والتلذذ بسببها والتذكر بها على فواكه الجنة وكثرة انواعها وفى الاحياء ويأكل ما وجد من الطعام الحلال ان وجد تمرا دون خبز اكله وان وجد شواء اكله وان وجد خبز بر او شعير اكله وان وجد حلوا او عسلا اكله وان وجد لبنا دون خبز اكتفى به وان وجد بطيخا اكله وان وجد رطبا اكله (ويجوع النفس) اى يرتاضها ويهذبها بتقليل الاكل (لوليمة الفردوس) وذلك لان تلك الوليمة للمتجردين فى الدنيا الزاهدين فيها والمرتاضين بانواع الرياضة على انفسهم منها رضاء للمولى ولله در القائل *

ويلميك عن دار الخلود مطاعم * ولذة نفس غيها غير نافع

فقد ورد اجوعكم فى الدنيا اشبعكم فى العقبى (فكان عليه السلام يعقد الحجر) اى يربطه (على البطن) اى بطنه (من الجوع) اى من شدة ما به من الجوع وقد اشبعت الكلام عليه فى جمع الوسائل شرح الشمائل (ويجتنب الشرب فى اثناء الاكل) اى لمنع ارباب الحكمة (الا لتعلق لقمة اوصدق عطش) اى لكثرة حرارة فقد يقال ان ذلك مستحب فى الطب وانه دباغ المعدة من الغش ولا يشرب على الريق واذا عطش ولم يقدر ان يصبر فليأكل لقمة ليوافق الحكمة ويشير اليه قوله تعالى * كلوا واشربوا * وان كان الواو لمطلق الجمع فان التقديم الذكرى قد يفيد الترتيب كما حقق فى قوله تعالى * ان الصفا والمروة * وقوله عليه السلام ابدؤا بما بدأ الله سبحانه (ولا يكثر) اى من الشرب بعده (فهو يقلل الهضم) لانه يبرد المعدة ويفسدها بل يصبر قدر ساعة ونحوها (ويأخذ الكوز باليمين) لما ورد من ان الشيطان يشرب بشماله كما فى مسلم وغيره (ويشرب فى ثلاث انفاس) لما فى الصحيحين وغيره عن انس انه عليه السلام كان اذا شرب تنفس ثلاثا ويقول هو اهنأ وامرأ وابرأ وفى رواية الترمذى وابن ماجه عن ابن عباس كان اذا شرب تنفس مرتين فتحمل القضيتان على مرتين والاولى اكثر واظهر واشهر

(مفتتحا بالتسمية) وهو القياس على الاكل وعن ابن مسعود انه عليه السلام كان اذا شرب يتنفس فى الاناء ثلثا يسمى عند كل نفس ويشكر فى آخرهن ابن السنى والطبرانى ويقول الحمد لله الذى سقانا عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا اجاجا بذنوبنا الطبرانى فى الدعاء مرسلا من رواية ابى جعفر محمد بن على بن الحسين (ومختتما بالتحميد فى كل) اى فى كل نفس (وهو السنة) اى كمالها والا فالسنة المعروفة هو التسمية فى اول الشرب والتحميد فى آخره (وورد) عن انس برواية الديلمى مرفوعا (مصوا الماء مصا) اى اشربوه قليلا قليلا يشبه مصا وفى رواية ابى داود عن عطاء بن ابى رباح اذا شربتم فاشربوه مصا (ولاتعبوه عبا) اى ولاتشربوه كثيرا يشبه صبا (فان الكباد) بالضم وهو وجع الكبد (من العب) اى من هذا النوع فى الشرب وفى رواية البيهقى عن ابن شهاب مرسلا انه عليه السلام نهى عن العب نفسا واحدا وقال ذلك شرب الشيطان (من آنية الخزف) متعلق بيشرب اى من الكوز الفخار (ومن الخشب) وهو القدح وهو الانسب والى مشرب العرب اقرب (ثم بيده) اى ثم الافضل ان يشرب بيده (فهو افضل من الكرع) اى من الشرب بفمه (وغيره) اى وغير ما ذكر كما يشرب من آنية النحاس والصفر واما من آنيه الفضة والذهب فبالاجماع حرام على الذكور والنساء (لا قائما) كما فى حديث مسلم عن انس وغيره وروى عنه انه شرب قائما كما فى الصحيحين عن ابن عباس وحمل على عذر اوبيان جواز اواختصاص بماء زمزم (ولامضطجعا) لانه خلاف السنة والحكمة الالضرورة (وينظر فيه) اى فى الماء والكوز (قبل الشرب) اى قبل ان يشرب منه حتى اذا كان فيه اذى دفعه عنه (ولايتنفس فيه) اى فى داخل الاناء بل يتنفس خارجه فى الاثناء كما سبق به الايماء وورد فى الشمائل وغيره (ويحفظ اسفله) اى اسفل الكوز (عن النرشح عليه) اى على بدنه وثوبه وغيره مما يكون مكروها لديه (فالكل مامور ويتبرك) اى يطلب البركة (بسؤر المسلمين فورد سؤر المؤمن شفاء) هكذا اشتهر على الالسنة ويستأنس له بقوله عليه السلام من التواضع ان يشرب الرجل من سؤر اخيه رواه الدار قطنى فى الافراد عن ابن عباس وقال القاضى عياض فى شرح حديث ام زرع ويروى عن جزير بن عبد الله انه قال لبنيه اذا شربتم فاسأروا اى اتركوا فى الاناء سؤرا وهو بقية الشراب وفى حديث آخر فانه اجمل ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لاخير فى طعام ولا شراب ليس له سؤر وفى الحلية عن ابن عمر انه عليه السلام كان يبعث الى المطاهر اى السقايات فيؤتى بالماء فيشربه يرجو بركة ايدى المسلمين ونظيره ما وقع له عليه السلام عند زمزم والله اعلم (ولايرد الماء) اى ماء زمزم اومطلقا تعظيما للنعمة (ولايعرض) اى الماء على غيره تكثيرا للمنة (ويدار الكوز) وكذا القدح والملعقة

فى الاكل والشرب (والطست) فى وقت غسل اليد (بالايمن) فقد شرب عليه السلام لبنا وابوبكر عن شماله واعرابى عن يمينه وعمر فى ناحيته فقال عمر اعط ابابكر فناول الاعرابى وقال الايمن فالايمن مالك واحمد والجماعة عن انس (ويختار الثوب الابيض) اى للبسه لاسيما يوم الجمعة واما يوم العيد فيختار ما فيه القيمة اكثر والزينة اظهر (فهو) اى البياض (احب الالوان اليه صلى الله عليه وسلم) كما فى شمائل الترمذى وغيره عن سمرة بن جندب مرفوعا البسوا البياض فانه اطهر واطيب وكفنوا فيها موتاكم وعن ابن عباس رفعه عليكم بالبياض من الثياب ليلبسها احياؤكم وكفنوا فيها موتاكم فانها من خيار ثيابكم (وكان يلبس) الثوب (الاخضر) اى احيانا كما فى الشمائل والمراد به البحت لانه من ثياب اهل الجنة او البرد الذى فيه خطوط خضر واما ما ورد انه لبس الاحمر فمحمول على مافيه خطوط حمر من البرد فقد ورد عن انس كان احب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسه الحبرة وهو بوزن العنبة نوع من برود اليمن فيه خطوط حمر اوخضر اوزرق (والصوف) اى فى بعض الاحيان باى لون كان من الالوان (وينوى فيه) اى فى اللبس (ستر العورة) اى بالازار (والتزين لتوود المسلمين) اى يلبس الرداء ونحوه من العمامة والقباء والعباء وقد قال تعالى * يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد (ويبدأ بالايمن فى لبس كل شىء) من نحو القميص والخف والنعل وغيرها (وبالايسر فى النزع) اى نزع كل شىء كرامة لليمين فيهما فكان عليه السلام يحب التيامن ما استطاع فى طهوره وتنعله وترجله وفى شانه كله رواه احمد والجماعة عن عائشة وفى الترمذى عن ابى هريرة كان اذا لبس قميصا بدأ بميامنه (ويفتتح) اللبس (بالتسمية ويختتم) اللبس (بالتحميد) كما هو معروف من شمائله عليه السلام ففى الشمائل عن ابى سعيد الخدرى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استجد ثوبا سماه باسمه عمامة اوقميصا اورداء ثم يقول اى بعد التسمية والبسملة اللهم لك الحمد كما كسوتنيه اسألك خيره وخير ماصنع له واعوذبك من شره وشر ماصنع له وفى رواية ابى داود وغيره من لبس ثوبا فقال الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولاقوة غفرله ماتقدم من ذنبه وما تأخر (ويلبس السراويل قاعدا) اى كالخف (كيلا تصيبه آفة) اى من جهة وقوعه على جانب اودابة (ولايسبله) اى لا يسدل ثوبه من القميص والسروال والازار ونحوها (الى ماتحت الكعب ففيه) اى ففى اسباله اليه (الوعيد بالنار) فقد ورد الاسبال فى الازار والقميص والعمامة من جر منها شيئا خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيمة ابوداود والنسائى وابن ماجه عن ابن عمر بل يرفع (الى نصف الساق) فهو افضل بالاتفاق وفى رواية احمد عن انس الازار الى نصف الساق اوالى الكعبين لاخير فى اسفل ذلك وفى رواية ابن سعد عن يزيد بن ابى حبيب مرسلا كان يرخى الازار من

بين يديه ويرفع من ورائه وفى رواية الترمذى فى الشمائل ويقول انه اتقى وانقى وابقى (ويبدأ بلبس القميص) قبل كل شئ لانه استر حيث يقوم مقام الازار والرداء فعن ام سلمة كان احب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص رواه الترمذى فى الشمائل وفيه ايضا ان كمه عليه السلام كان الى الرسغ (ويلبس الخشن) اى الغليظ من الثوب ازارا ورداء وغيرهما وهو السنة اى فعلا وقولا وفى رواية الترمذى والحاكم عن معاذ بن انس من ترك اللباس تواضعا لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيمة على رؤس الخلائق حتى يخيره من اى حلل الايمان شاء لبسها (فورد) اى عن بعض السلف (من رق ثوبه) اى لطف (رق دينه) اى ضعف فكأنهما متلازمان كما يشير اليه حديث من احب آخرته اضر بدنياه ومن احب دنياه اضر بآخرته فآثروا مايبقى على ما يفنى وورد من لبس ثوب شهرة البسه الله ثوب مذلة يوم القيمة رواه احمد وابوداود وابن ماجه بسند حسن عن ابن عمر مرفوعا وفى رواية البيهقى عن ابى هريرة وزيد بن ثابت انه عليه السلام نهى عن الشهرتين رقة الثياب وغلظتها ولينها وخشونتها وطولها وقصرها ولكن سداد فيما بين ذلك واقتصاد (ولاينزع) اى ثوبه (حتى يرقعه فهو السنة) لانه عليه السلام كان يركب الحمار ويخصف النعل ويرقع القميص ويلبس الصوف ويقول من رغب عن سنتى فليس منى رواه ابن عساكر عن ابى ايوب (ويكسو المنزوع فقيرا ليكون فى حرزه تعالى) ففى رواية احمد عن عمر من استجد قميصا فلبسه فقال حين بلغ ترقوته الحمد لله الذى كسانى ما اوارى به عورتى واتجمل به فى حياتى ثم عمد الى الثوب الذى اخلق فتصدق به كان فى ذمة الله وفى جوار الله وكنف الله حيا وميتا (ولايتخذ ثوبين) اى من جنس واحد كازارين ورداءين وقميصين زهدا فى الدنيا (ويتصدق باحدهما ان اجتمعا) ميلا الى ثواب العقبى واما حديث صاحب القميصين لايجد حلاوة الايمان فلا اصل له (ويتعمم فالعمائم تيجان العرب) اى انها بمنزلة التيجان للملوك لقلة العمائم فيهم (وفيه) اى فى لبس العمامة (الوقار) اى ظهور العظمة منهم ففى الفردوس للديلمى عن ابن عباس العمائم تيجان العرب فاذا وضعوا العمائم وضعوا عزهم وفى رواية الماوردى عن ركانة العمامة على القلنسوة فصل مابيننا وبين المشركين يعطى يوم القيمة بكل كورة يدورها على رأسه نورا (ويرسل الذيل) اى ذيل العمامة المسمى بالعذبة (بين الكتفين) ويجوز فى احد الشقين مما يلى الاذنين (الى قدر الشبر اوموضع القعود اونصف الظهر وهو وسط مرضى) اى عند المصنف والا فالاول اشهر واكثر واظهر (والكل مروى) وقد جمعته فى رسالة مستقلة (ويستجد) اى يلبس الجديد (ليلة الجمعة اويومها) وهو المعروف من حديث انس كان اذا استجد ثوبا لبسه يوم الجمعة رواه ابن حبان (ويلبس ما اصاب) اى وجده من جديد اوغيره من غير تعلق بنوع منه اوتقيد

بصنف منه مالم يرد نهى عنه كالحرير ولون الاحمر والاصفر مالم يكن من احد الشهرتين فقد ورد من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة متفق عليه وفى رواية لاحمد عن جويرية البسه الله يوم القيمة ثوبا من نار وفى رواية عبد الرزاق عن الحسن مرسلا الحمرة من زينة الشيطان وفى رواية ابن ماجه عن ابى ذر من لبس ثوب شهرة اعرض الله عنه متى يضعه متى وضعه وفى رواية ابى داود وابن ماجه بسند حسن عن ابن عمر من لبس ثوب شهرة البسه الله يوم القيمة ثوبا مثله ثم يلهب فيه النار ونهى عليه السلام عن لبستين المشهورة فى حسنها والمشهورة فى قبحها الطبرانى عن ابن عمر (وينفض الخف قبل اللبس) اى مخافة ان يكون فيه مايؤذيه من دابة اوغيرها (ويقعد فى لبسه ونزعه) خوفا من وقوعه (ويحتفى احيانا تواضعا) اى لله سبحانه لقوله تعالى * والله جعل لكم الارض بساطا * وقوله تعالى * الم نجعل الارض مهادا (فهو) الاحتفاء (مأثور) اى عن الصحابة والسلف الصالحين ومنهم بشر الحافى ومن كرامته ان الدواب فى سكك بغداد لم يكن يرمين الروث مدة حياته وبوجوده فيها استدل على مماته (ويلبس النعل الاصفر فهو يوجب السرور) كأنه اخذ من قوله تعالى * صفراء فاقع لونها تسر الناظرين وورد من لبس نعلا صفراء قل همه ذكره الكشاف عن على ويروى عن ابن عباس مرفوعا بلفظ لم يزل فى سرور مادام لابسها بدل قل همه (ويتطيب) اى ويستعمل الطيب وافضله المسك وماء الورد والعود (ولا يرد الطيب) كذا رواه احمد والبخارى والترمذى والنسائى عن انس وفى صحيح مسلم وابى داود وغيرهم من عرض عليه طيب فلا يرده فانه خفيف المحمل طيب الرائحة والترمذى عن ابن عمر مرفوعا ثلاثة لاترد اللبن والوسادة والطيب (فهو) اى كل من التطيب وعدم رد الطيب (المروى) اى عنه عليه السلام فروى ابن سعد عن ابراهيم مرسلا انه عليه السلام كان يعرف بريح الطيب اذا اقبل يعنى سواء تطيب اولم يتطيب كما قرر فى محله وانما كان يتطيب لزيادة محبته فى الطيب كما يدل عليه حديث حبب الى من دنياكم الطيب والنساء الحديث (والاطيب) من الطيب (للرجل ماخفى لونه وظهر ريحه) كماء الورد والمسك (وللمرأة ماينعكس) اى ماظهر لونه وخفى ريحه كالزعفران والصندل قيل وهذا اذا اراد الخروج والا فلا حرج عليهما فى داخل بيتهما والحديث رواه الترمذى عن ابى هريرة والطبرانى والضياء عن انس مرفوعا بلفظ طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفى لونه وطيب النساء ماظهر لونه وخفى ريحه (ويجتنب الحناء) اى الخضاب به فى يده ورجله (فهو تشبه بالنساء لانه سنتهن) اى عادتهن اولانه سنة فى حقهن فقد ورد كان يكره ان يرى المرأة ليس فى يدها اثر حناء اوخضاب البيهقى عن عائشة وفى رواية احمد وابى داود والترمذى وابن ماجه عن ابن عباس لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال

بالنساء (والنمص) وهو قلع الشعر بالخيط من وجه الغير (والانتماص) قلعه من وجه نفسه اوطلبه من غيره وفى النهاية النامصة التى تنتف الشعر من الجبين والمتنمصة التى تأمر من يفعل بها ذلك (فهو) اى ماذكر من الفعلين (منهى عنهما) فورد لعن الله الواشمات والمتوشمات والمتنمصات والمفلجات للحسن المغيرات خلق الله احمد والستة عن ابن مسعود (ولا يبنى اكثر من سبعة اذرع) فى الارتفاع لانه قدر الكفاية ويعد من الاسراف والزيادة وفى الخبر من بنى بناء فوق مايكفيه كلف يوم القيمة ان يحمله على عاتقه من سبع ارضين رواه البيهقى فى الشعب وابو نعيم فى الحلية من حديث ابن مسعود مرفوعا وله شواهد (فورد فيه) اى فى حق مخالفيه (نودى الى اين يافاسق) وفى رواية يا افسق الفاسقين لان بناء القصر والصرح ثبت من شداد وفرعون ذى الاوتاد وفى رواية ابى داود عن انس مرفوعا من بنى فوق عشرة اذرع نادى مناد من السماء ياعدو الله الى اين تريد وعن الحسن كنت اذا دخلت بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت بيدى الى السقف (وينوى فيه) اى فى بنائه (التعبد) اى الموضع الذى يتعبد فيه لربه ويعتزل عن غيره (ودفع الحر والبرد) ففى الخبر ثلاث لا يحاسب بهن العبد ظل خضر يستظل به وكسرة يشد بها صلبه وثوب يوارى بها عورته احمد فى الزهد والبيهقى عن الحسن مرسلا (ولايبالغ فيه) اى فى استحكام بنائه بالجص والنورة فاول من بنى بالآجر فرعون وهامان وقد قال تعالى * اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة اى محكمة ومرتفعة ونظر عمر رضى الله عنه فى طريق الشام الى صرح قد بنى بجص وآجر فكبر وقال ماكنت اظن ان يكون فى هذه الامة من يبنى بنيان هامان لفرعون يعنى بقول فرعون فاوقد لى ياهامان على الطين ارادبه الآجر وورد لدوا للموت وابنوا للخراب البيهقى فى الشعب عن ابى هريرة الزبير مرفوعا وابو نعيم فى الحلية عن ابى ذر موقوفا واحمد فى الزهد عن عبد الواحد قال قال عيسى عليه السلام فذكره (فلم يضع عليه السلام لبنة) بكسر لام فسكون موحدة (على لبنة ولاقصبة على قصبة) اى وانما بنى الحجرات من الحجارات ولكن فى السير ذكر انه اشتغل اللبن وبنى به المسجد والبيوت للازواج الطاهرات (ويبدؤ بيوم الاحد) لانه سبحانه بدأ فيه بخلق السموات والارض كما حقق فى تفسير قوله تعالى * ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام (ويتخذ موضعا للوضوء والغسل) اى على حدة (وموضعا للبول والغائط) اى منفردا وكان مقتضى الترتيب ان يعكس الموضعين لان القصد بهما قضاء الحاجة واداء النظافة (وموضعا للضيافة فورد انه) اى بناء موضع الضيافة (زكوة البيت) اى صدقته اى زكوته ونماؤه وبهاؤه وضياؤه وقد سبق لاخير فيمن لايضيف وصح فراش للضيف (ولايتوطن) اى لايتخذ وطنا (فى دار الحرب) اى

بلاد الكفر (فورد انا برئ من كل مسلم مقيم بين ظهر انى المشركين) اى فى دار الكافرين بفتح النون ولايجوز كسرها واصله بينهم ثم ادخل الظهر مقحما اواشعارا بانه مظاهرهم ثم زيدت الف ونون فى لفظ الظهر تأكيدا وكان القياس كسر النون كما فى الربانى واللحيانى الا انه اريد ههنا به التثنية ومعناه ان ظهرا منهم امامه وظهرا وراءه فهو مكفوف من جانبيه وحواليه واذا بولغ قيل بين اظهرهم ثم كثر حتى استعمل فى الاقامة بين القوم مطلقا (ترا أى ناراهما) اى يترا أى نار المسلمين والمشركين من كمال قربهما وفيه تنبيه على عذر من سكن فيه لبعد ما بينهما وعدم قدرته على الانتقال من ابعدهما الى اسعدهما فقد قال تعالى * الذين تتوفيهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها * الآية والحديث رواه ابوداود والترمذى من حديث جرير انا برئ من كل مسلم يقيم بين اظهر المشركين قالوا يارسول الله ولم قال لا ترا أى ناراهما والمعنى لاينبغى ان يتقارب ناراهما بل ينبغى ان يتباعد دارهما واما قوله عليه السلام لاهجرة بعد الفتح فمعناه لاهجرة واجبة من مكة وغيرها الى المدينة بعد فتح مكة واستقرار الاسلام (ويلطف) اى البيت وما حوله من الملوثات والقاذورات (ولايكسو) اى جدران البيت بالستارات (ولايزخرف) اى بانواع الزينات فانها من الامور الفانية المشغلة عن الاحوال الباقية وقد نهى عليه السلام ان تستر الجدر رواه البيهقى عن على بن حسين مرسلا وقال تعالى * ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكؤن وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين * وقد ورد لوكانت الدنيا تعدل جناح بعوضة لما سقى كافرا منها شربة ماء الترمذى وغيره عن سهل بن سعد (ويقرأ عند الدخول آية الكرسى) لانها آية الحفظ (والاخلاص فانه) اى فقراءتهما وقرأة كل منهما (يورث الغناء) اى عن السوى لاشتمالها على توحيد ذاته وتفريد صفاته وقراءة الفاتحة انسب فان فيها رائحة الابتداء والحمد والشكر والثناء فائحة (ويغلق الباب ليلا) اى بعد المغرب او العشاء (مسميا) لان الشيطان لايفتح بابا اغلق عليه وسمى لديه (مياما) اى مبتديا بارد المصراع الاول اذا كان الباب ذا مصراعين ويوافقه هذا الغلق من غير الغلق (ويرخى الستر) اى فيما لم يكن له باب يغلق (ويطفئ النار) ففى الصحيحين وغيرهما من جابر مرفوعا اذا كان جنح الليل بكسر الجيم اى اوله فكفوا صبيانكم فان الشياطين تنتشر حينئذ فاذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم واغلقوا الابواب واذكروا اسم الله فان الشيطان لايفتح بابا مغلقا واوكوا قربكم واذكروا اسم الله وخمروا آنيتكم واذكروا اسم الله ولو ان تعرضوا عليها شيئا واطفؤا مصابيحكم وفى رواية الطبرانى والحاكم اذا نمتم فاطفئوا المصباح فان الفأرة تأخذ الفتيلة

فتحرق اهل البيت الحديث وفى الصحيحين عن ابن عمر لاتتركوا النار فى بيوتكم حين تنامون (ويتوضا) اى يتطهر (للنوم) ففى الخبر اذا اتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلوة رواه الستة عن البراء (لتكون رؤياه صادقة) وذلك لما ورد من بات على طهارة بات معه ملك (ويستاك) اى عند النوم لانه كمال الطهارة والنظافة ولان النوم اخو الموت ويسن للمختضر ان يستاك كما فعله عليه السلام (وبعد الطهور) بفتح الطاء اى يعى ما يتطهر به (والسواك) اى عند رأسه (وينوى القيام) اى للتهجد فى وقته (فلكل امرئ ما نوى) ونية المؤمن خير من عمله (ويستاك كلما استيقظ فكانوا) اى بعض السلف (يفعلونه ويضع وصيته) اى بماله وعليه (مكتوبة تحت الرأس) اى قريبا منه (تحاميا عن هجوم الموت) اى مجيئه بغتة (دونها) اى من غير وصية وقد ورد ما حق امرئ مسلم له شئ يريد انه يوصى فيه ببيت ليلتين الا وصيته مكتوبة عنده رواه الشيخان عن ابن عمر وروى من لم يوص لم يؤذن له فى الكلام مع الموتى وروى ترك الوصية وعار فى الدنيا ونار وشنار فى العقبى (ويتوب عن الذنوب) فلعله يكون آخر حياته فيصير صالحا عند مماته (وينوى الخير للمسلمين) اى ينوى ليستريحوا عن ايذائه اولينفعهم عند انتباهه ولذا قيل نوم الظالم عبادة كما ورد نوم العالم عبادة (ليغفرله) اى بسبب النية اوالتوبة (ولا يبسط الفراش النعيم) اى اللين الناعم (قطعا لغلبة النوم والانس بالترفه) اى بالتنعم الزائد ففى الشمائل سئلت عائشة ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتك قالت من ادم حشوه ليف وسئلت حفصة ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتك قالت مسحا بكسر الميم اى فراشا غشنا من صوف فينام عليه فلما كان ذات ليلة قلت لو ثنيته اربع ثنيات كان اوطأله فثنيناه باربع ثنيات فلما اصبح قال ما فرشتموني الليلة قلنا هو فراشك الا انا ثنيناه باربع ثنيات قلنا هو اوطأك قال ردوه لحاله الاولى فانه منعنى وطأته عن صلاتى الليلة (ولايواظب عليه) اى لايداوم بالنوم على مطلق الفراش بل ينبغى ان ينام تارة على الحصير كما ورد فى السنة وتارة على الارض كما ثبت عن ابى تراب (فهو المروى) اى عن النبى والولى (وينقضه) اى فراشه (قبل الاتيان) اى قبل قعوده لئلا يلقى ما يؤذيه فى حال رقوده ففى صحيح مسلم فليأخذ داخلة ازاره فلينفض بها فراشه وفى اكثر الروايات قيده بثلاث مرات للمبالغة فى الامتراس عن المؤذيات (ويستقبل القبلة ووجهه واخماصه) وفى نسخة واخمصاه اى بطن قدميه (اليها) فيكون هيئة الاستلقاء فقيل هو نوم الانبياء وقيل هو اردى النوم ولايضر الاستلقاء عليه للراحة من غير نوم واردى منه ان ينام على وجهه منبطحا ففى سنن ابن ماجه انه عليه السلام مر برجل فى المسجد منبطح

على وجهه فضربه برجله فقال قم واقعد فانه نومة جهنمية ولكن المعروف فى كتب الحديث ما ذكره بقوله (اوبكون كالمعود) وهو بان يضع يده اليمنى تحت خده ويضطجع على شقه الايمن كما فى مسلم وغيره ويقول باسمك ربى وضعت جنبى وبك ارفعه ان امسكت نفسى فاغفرلها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين رواه الستة (ويقرأ آية الكرسى) لانها للحفظ عن شياطين الانس والجن وهو فى صحيح البخارى ورواه الطبرانى عن ابن مسعود من قرأ عشر آيات اربع من اول البقرة وآية الكرسى واثنين بعدها وخواتيمها لم يدخل ذلك البيت شيطان حتى يصبح (وآيتين من آخر البقرة) فروى الاربعة عن ابن مسعود الانصارى مرفوعا من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه اى من قيام الليل اومن كل مكروه وقال النووى فى الاذكار روى الامام الحافظ ابوبكر بن ابى داود باسناده عن على رضى الله عنه قال ما كنت ارى احدا يعقل ينام قبل ان يقرأ الآيات الثلاث الا واخر من البقرة فالابتداء من قوله لله مافى السموات ومافى الارض (وشهد الله انى الاسلام) اى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام (والهكم اله واحد الى يعقلون) اى لا اله الا هو الرحمن الرحيم ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون (وان ربكم الله الذى خلق السموات الآية) تمامه * والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمت الله قريب من المحسنين (وقل ادعوا الله الآية) اى اوادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا (وعشرا من اول الكهف) وهى بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ما كثين فيه ابدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا مالهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا (وعشرا من آخرها) وهى افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادى من دونى

اولياء انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا (والمعوذتين) بكسر الواو وتفتح (يقرأهما) اى اولا كما فى رواية (فينفث على اليدين) بضم الفاء وتكسر اى ينفخ نفخا لطيفا عليهما بعد جمعهما ووصل كفه اليمنى بكفه اليسرى وفى رواية البخارى والاربعة عن ابى هريرة يجمع كفيه ثم ينفث فيهما فيقرأ قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس (ويمسح الوجه والبدن) وفى رواية الصحيح ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما اقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات (ففى الكل فضائل ويذكر الموت) لان النوم اخوه (والنشور) لانه قيام من القبور كالاستيقاظ من النوم ويشير اليه قوله عليه السلام عند المنام اللهم باسمك اموت واحيى وبعد القيام الحمد لله الذى احيانا بعد ما اماتنا واليه البعث والنشور وفى الطبرانى وليقرأ * قل يا ايها الكافرون * ثم لينم على خاتمتها وفى رواية احمد وغيره اذا اخذت مضجعك من الليل فاقرأ * قل يا ايها الكافرون * ثم نم على خاتمتها فانها براءة من الشرك وفى رواية البزار عن انس اذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله احد فقد امنت من كل شئ الا الموت وفى رواية احمد عن شداد ابن اوس ما من رجل يأوى الى فراشه فيقرأ سورة من كتاب الله الا بعث الله اليه ملكا يحفظ من كل شئ يؤذيه حتى يهب متى هب (وينام على حبه تعالى) اى فى قلبه من غير مشاركة لحبه (وذكره) اى بلسانه مقرونا بجنانه (وهكذا) اى فى جميع شانه (كلما يستيقظ وينام) اى فى زمانه (فهو علامة حبه تعالى) يحتمل اضافة المصدر الى فاعله ومفعوله مع انهما متلازمان كما يشير اليه قوله سبحانه * يحبهم ويحبونه * والعبرة بالعناية السابقة المترتب عليها الرعاية اللاحقة (وخير العاقبة) اى وامارة حسن الخاتمة فان النوم كالموت فى الحالة السالمة (ولا ينام وحده) اى منفردا عن اهله فانه عليه السلام كان ينام مع نسائه او المعنى لا ينام وحده فى بيت لم يكن فيه غيره ففى مسند احمد عن ابن عمر انه عليه السلام نهى عن الوحدة ان يبيت الرجل وحده (الالتقوى الحضور فى القيام) لان الحضور الكامل انما هو فى الغيبة عن مشاهدة الانام لكن كما قيل كن وسطا وامش جانبا وكن قريبا غريبا وكائنا بائنا فعن ثوبان لا تسكن الكفور فان ساكن

الكفور كساكن القبور البخاري في تاريخه والبيهقي عن ثوبان والكفور بالضم مابعد من الارض عن الناس ففيه النهي عن الرهبانية والاعتزال عن الخلق بالكلية (ولاعلى سطح غير محوط) اى بسترة لماورد فيه من النهي وورد من بات على ظهر بيت ليس عليه حجاب فقد برئت منه الذمة رواه ابو داود بسند حسن وفي رواية الترمذي عن جابر نهى عليه السلام ان ينام الرجل على سطح ليس بمحجور عليه (ولافيمالاباب له) اى ولاستارة فانها تقوم مقام الباب في هذا الباب عند بعض اولى الالباب (ولا بعد الصبح فالارض تشتكي منه اليه تعالى) حيث انه صرف وقته الشريف في غير العبادة وضيعه في النوم وفق الطبيعة والعادة وقد ورد من عثمان مرفوعا برواية البيهقي وغيره الصبحة تمنع الرزق اى المعنوي وكذا الحسي لانه عليه السلام قال بورك لامتي في بكورها (ولابعد العصر) لانه ايضا وقت شريف كما يشير اليه قوله سبحانه * يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا * وفي رواية ابي يعلى عن عائشة من نام بعد العصر فاختلس عقله فلا يلومن الانفسه (وكان عليه السلام اذا اطال القيام) اى بالصلوة بعد المنام (ينام نومة خفيفة قبل الصبح) اويضطجع ساعة لطيفة بعد ركعتي الصبح (وفيه تجد الشوق الى اداء الفرائض وذهاب اثر القيام) اى من الصفرة (عن الوجه) واثر الكسل عن جميع البدن (ويقيل) بفتح اوله اى ينام وقت القيلولة (فهي سنة) اى مستحبة لفعله عليه السلام وحثه عليها بالكلام حيث قال قيلوا فان الشيطان لايقيل ابو نعيم عن انس (معينة على القيام كالسحور على الصيام) وهو بفتح السين ما يتسحر به وبالضم اكل الطعام في وقت السحر وهو السدس الاخير من الليل لقوله عليه السلام استعينوا بطعام السحر على صيام النهار وبالقيلولة على قيام الليل رواه ابن ماجه وغيره عن ابن عباس (منضمنة للسلامة) اى من ضعف الدماغ وما هو مورث للملامة وموجب للسآمة او للسلامة من مخالطة اهل العلاقة والتحدث معهم في البطالة فعن الثورى كانوا يستحبون اذا تفزعوا ان يناموا طلبا للسلامة ولذا قيل النوم غير من النميمة (وليكن النوم) اى ليقع مجموعة (ثلث الليلة واليوم) اى والباقي وهو ثلثاهما مصروف الى اليقظة فيكون اكثر عمره للطاعة وينبغي ان يتنبه قبل الزوال لاستعداد الصلوة على وجه الكمال (ولايقص الرؤيا) اى لايحدثها اذا رأى ما يحبها (الاعلى عالم) اى بتعبير الرؤيا (ناصح) اى للرائي بان يكون محبا له ومشفقا عليه فان الرؤيا لاتستقر مالم تعبر فاذا عبرت سقطت فاذا كان العابر غير محب فقد يعبرها بما يكره فيحصل بذلك هم وغم وليس المراد ان يزيلها عما جعله الله عليه وقد يقع الرؤيا بقول اول عابر اذا كان خبيرا بالرؤيا وربما احتملت الرؤيا تأويلين واكثر فعبرها من يعرف تعبيرها على وجه يحتملها فتقع على ما انزلها فقد ورد ان امرأة اتت

النبى صلى الله عليه وسلم وقالت رأيت كان صائر بيتى اى عتبته قد انكسر فقال يرد الله عليك غائبك فرجع زوجها ثم غاب فرأت مثل هذا فأتت النبى صلى الله عليه وسلم فلم تجده ووجدت ابابكر فاخبرته فقال يموت زوجك فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل قصصتها على احد قالت نعم قال هو كما قال هذا وما فى المتن رواية الترمذى عن ابى هريرة وفى الصحيحين اذا رأى فى منامه مايحب فليحمد الله عليها وليحدث بها ولايحدث بها الامن يحب وفى رواية الحاكم عن انس ان الرؤيا تقع على ماتعبر ومثل ذلك مثل رجل رفع رجله فهو ينتظر متى يضعها فاذا رأى احدكم رؤيا فلايحدث بها الا ناصحا اوعالما (ولابكل ما يرى) ولا يحدث بجميع ما رآها اى بل بما يحبها من الرؤيا لما سبق (فان رأى مكروها) اى ما يكرهه كما فى الرواية (يبزق عن يساره) اى يبصق ثلاثا كما رواه الستة (ويتعوذ) اى بالله من الشيطان ومن شرها اى شر الرؤيا التى يكرهها ثلاثا كما رواه الستة ايضا ولايذكرها لاحد فانها لاتضره كما فى الصحيحين وغيرهما (ويتحول عن جنبه) الذى كان عليه (ويقوم ويصلى) كما رواه مسلم فيصلى (ركعتين) فانهما اقل مما يطلق عليه الصلوة للنهى عن البتيراء خلافا للشافعى فى تجويزه الركعة المنفردة (ويتصدق بشىء) لان الصدقة تدفع البلاء (ويرد المعبر الى احسن تأويل) لان الرؤيا تقع بقول اول عابر اذا كان خبيرا بالرؤيا وربما احتملت الرؤيا تعبيرين او اكثر كما تقدم ولايبعد ان يكون المعنى يعبر المعبر احسن تعبير من انواع العبارة فقد حكى ان لسلطان كان معبران وظيفة احدهما الف وللآخر نصفه مع أنهما متساويان فى الفضائل وتحسين الشمائل فسئل السلطان عن موجب تفضيل احدهما على الآخر لان الحكيم لايرجح الا لحكمة ومصلحة فقال رأيت اسنانى وقعت قدامى فحكيت لهما فقال صاحب الالف ابشر فان عمرك اطول من اعمار اقاربك وقال الآخر يموت جميع اقاربك قبلك فانظر ان مؤدى كلامهما واحد ومختلف حسن تعبيرهما ومقتضاهما عند فحواهما (ولا يقتنى كلبا) اى لا يحفظه ولا يمسكه عنده (فالملائكة) اى النازلة للرحمة (تنفر عنه) اى دون الحفظة لكنهم يتأذون ايضا عنه الا انهم لابد لهم من القرب منه (الا لماشية) من غنم وابل وبقر ونحوها (اوصيد) اذا كان معلما (اوزرع) لحفظه من الدواب وغيرها وفى الخبر من اقتنى كلبا الا كلب ماشية اوضاريا اى كلبا معلما نقص من عمله كل يوم قيراطان رواه الشيخان عن ابن عمر والمراد بكلب الماشية مايكون ليحفظ فيشمل كلب الزرع ولذا اقتصر فى الحديث عليه (ولايستقبل الشمس) اى فى قعوده وقت الشتاء (فهو داء ويستدبرها فهو دواء) اى اى للاستدفاء ونهى عليه السلام ان يقعد الرجل بين الظل والشمس الحاكم عن ابى هريرة وابن ماجه عن بريرة (ويخرج) اى من داره (مسميا متعوذا) فيقول بسم الله توكلت على الله

ولاحول ولا قوة الا بالله اللهم انى اعوذبك من ان ازل اوازل اواضل اواضل اواجهل اويجهل على رواه ابن ماجه وغيره (قارئا آية الكرسى) اى للحفظ عن شياطين الانس والجن (ويسرع فى المشى الى البيت) اى حال كونه راجعا اليه ليكون اسرع من حال خروجه منه فان دخوله فيه احسن احواله لديه فالعود احمد عليه لان الزمان زمان البيوت ولزوم السكوت والقناعة بالقوت الى ان يموت (ولايمشى بين المرأتين) فانه ابعد من العصيان وقيل يورث النسيان ففى سنن ابى داود ومستدرك الحاكم عن ابن عمر انه عليه السلام نهى ان يمشى الرجل بين المرأتين وروى البيهقى عنه مرفوعا اذا استقبلك المرأتان فلا تمر بينهما خذ يمنة اويسرة وهذا معنى قوله (ويترك الطريق للنساء) اى التى ليس لهن شىء من الحياء والا فالاليق بهن ان يتركن الطريق للرجال ويلصقن بالجدران لستر الحال (ويميط الاذى) اى ويزيل مافيه الاذى كالشوك والحجر ونحوهما عن الطريق ومنه نفسه المؤذية للرفيق (ففيه اجر جزيل) وثناء جميل لاهل التوفيق فورد الايمان بضع وسبعون شعبة فافضلها قول لااله الاالله وادناها اماطة الاذى عن الطريق رواه مسلم وغيره عن ابى هريرة وعن معقل بن يسار مرفوعا من اماط اذى عن طريق المسلمين كتب له حسنة ومن تقبلت منه حسنة دخل الجنة رواه البخارى فى تاريخه (ولايختال) اى يتبختر ماشيا (فورد ولاتمش فى الارض مرحا) تمامه * انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها * وفى آية اخرى * واقصد فى مشيك * اى توسط وفى اخرى * وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا * اى هينين لينين متواضعين متخاشعين (من تعظم فى نفسه) اى تكبر (واختال فى مشيه) اى تبختر (لقى الله وهو عليه غضبان) رواه احمد وغيره عن ابن عمر وكأنه مقتبس من قوله سبحانه * ان الله لايحب من كان مختالا فخورا (ويأخذ العصا فى الكبر) وابتداؤه من الاربعين (فهو سنة) اى للانبياء كما بينت فى رسالة الانبياء وقد قال الحسن فى العصا ست خصال سنة الانبياء وزين الصلحاء وسلاح الاعداء وعون الضعفاء والمساكين ورغم المنافقين ويقال اذا كان المؤمن مع العصا هرب الشيطان منه وامتنع المنافق والفاجر عنه وتكون قبلته اذا صلى وقوته اذا اعيى وفيها منافع كثيرة كما قال موسى * ولى فيها مآرب اخرى * كذا فى البستان واما ما اشتهر على الالسنة من وصل الاربعين ولا يمسك العصا فقد عصى فلا اصل له (ويبعد) بضم اوله (فى قضاء الحاجة) الانسانية من البول والغائط (عن الاعين) اى اعين الناظرين ان وجدوا (فى الصحراء) كما ورد به السنة وان يستتر بشىء ان وجده من شجر اوحجر ولو استتر براحلته اوذيله جاز كما فى بعض الروايات واما فى البنيان فالغالب ان يكون مستترا مكان الخلاء (ولايكشف العورة قبل الانتهاء الى موضعه) اى محل جلوسه للقضاء فى الخلاء والفضاء اذ ليس من الادب كشفها قبل الحاجة اليه (ولايستقبل النيرين) اى الشمس والقمر تعظيما للملائكة الذين

يجرونهما اولانهما آيتان عظيمتان وهو لا ينافى قوله عليه السلام شرقوا او غربوا كما لا يخفى على الاعلام (ولا) يستقبل (القبلة ولا يستدبرها) فان فيهما تحقيرا لها سواء يكون فى الصحراء اوفى البناء وفى رواية احمد وغيره انه عليه السلام نهى ان يستقبل القبلتين ببول اوغائط وفى الصحيحين اذا اتى احدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولايولها ظهره شرقوا اوغربوا وهذا امر لاهل المدينة ومن كانت قبلته على ذلك السمت ممن هوفى جهة الشمال والجنوب فاما من كانت قبلته فى جهة الشرق او الغرب فلا يجوزله ان يشرق ولايغرب وانما يجنب اويشمل كذا فى النهاية (ولايبول فى الماء الراكد) اى الواقف سواء كان ماؤه قليلا اوكثيرا وكذا لاينبغى ان يبول فى الماء الجارى ولعله اقتصر على الاول لورود الحديث فيه بناء على قلة الماء الجارى فى الحرمين حينئذ ففى صحيح مسلم وغيره عن جابر انه عليه السلام نهى ان يبال فى الماء الراكد وفى رواية الطبرانى فى الاوسط بسند ضعيف عنه انه نهى ان يبال فى الماء الجارى وفى الاحياء قال ابن المبارك ان كان الماء جاريا فلا بأس به وقد يقال اذا كان الراكد عشرا فى عشر فلا بأس به والاولى لا لعموم النهى على مالايخفى (ولاتحت الشجرة المثمرة) فروى ابن عدى عن ابن عمر انه عليه السلام نهى ان يتخلى الرجل تحت شجرة مثمرة ونهى ان يتخلى على ضفة نهر جار اى حافته وهو بكسر اوله وفتحه وكذا لا ينبغى ان يتخلى تحت شجرة مظلة يستظل تحتها الناس لان مدار النهى اذى المسلمين ولذا ورد النهى ان يبال فى قبلة المساجد وابوابها كما رواه ابو داود فى مراسيله (ولافى الجحر) بضم الجيم وسكون المهملة اى ثقب الجدار والارض مخافة اذى الدابة فروى ابو داود والحاكم فى مستدركه عن عبد الله بن سرجس انه عليه السلام نهى ان يبال فى الجحر وقد قالوا لقتادة مايكره من البول فى الجحر قال كان يقال انها مساكن الجن (ولا) فى (موضع صلب ولامهاب الريح) اى فى مال الريح استنزاها من رشاشه فروى ابو داود والبيهقى عن ابى موسى اذا اراد احدكم ان يبول فليرتد لبوله مكانا لينا اى ليطلبه وروى ابو يعلى بسنده مرفوعا اذا بال احدكم فلا يستقبل الريح ببوله فترده عليه ولا يستنجى بيمينه (ولا المغتسل) اى ولا يبول فى مغتسله لانه يورث الوسوسة ويوجب الشبهة ولورود النهى فى السنة (ويتكىء على الرجل اليسرى) اى فى جلوسه (ويقدمها داخلا) فى الخلاء (ويؤخرها خارجا) عنه اذا كان فى بنيان مراعاة لليمين عكس دخول المسجد وخروجه (ولايبول قائما) فعن عائشة من حدثكم انه عليه السلام كان يبول قائما فلاتصدقوه الترمذى وغيره وقال عمر رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابول قائما فقال ياعمر لاتبل قائما ابن ماجه باسناد ضعيف وابن حبان من حديث ابن عمر وفيه رخصة اذ روى حذيفة انه عليه السلام بال قائما وهو اما لعذر اولبيان الجواز وكذا لايبول فى المغتسل فانه عليه السلام قال عامة الوسواس

منه اصحاب السنن من حديث عبد الله بن مغفل وقال ابن المبارك قد وسع فى البول فى المغتسل اذا جرى الماء عليه ذكره الترمذى (ولايستصحب شيئا عليه اسمه تعالى اواسمه عليه السلام) والظاهر انه كذلك اسماء سائر الانبياء العظام (ولايدخل) اى بيت الخلاء (حاسر الرأس) اى كاشفه قيل فيغطيه بمئزر حياء من الله وملائكته فكان ابوبكر يفعله كذلك (ويتعوذ قبل الدخول) فيقول بسم الله اللهم انى اعوذ بك من الخبث والخبائث (ويحمد بعد الخروج) فيقول غفرانك الحمد لله الذى اذهب عنى ما يؤذينى وابقى على ما ينفعنى رواهما النسائى وغيره (ويعد النعل) بضم النون وفتحها اى بهيئ الحجر او المدر للاستنجاء (قبل الجلوس) فهو سنة والايتار مستحب وقيل واجب (ولايستنجى بالماء فى موضعه) اى محل الغائط والبول الا اذا كان محفورا بحيث لايصل اليه اثرهما (فالكل ماثور) وينبغى ان يستبرئ بالتنحنح والنثر ثلاثا وامرار اليد على اسفل القضيب ثم يستنجى فاذا وجد من بلل فيقدر انه بقية الماء فان كان يؤذيه ذلك فليرش عليه الماء حتى يقوى فى نفسه ذلك ولايتسلط الشيطان عليه بالوسواس وفى الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله اعنى رش الماء كذا فى الاحياء وقال مخرجه حديث رش الماء بعد الوضوء وهو الانتضاح رواه ابوداود والنسائى وابن ماجه وكان اخفهم استبراء افقههم فيدل الوسواس فيه على قلة الفقه وقد قدمنا كيفية الاستنجاء فى ابتداء آداب الوضوء اول الكتاب (ويزيل وسخ الشعر) اى شعر لحيته ورأسه (ودوده) اى من القمل ونحوه (بالادهان) بتشديد الدال اى استعمال الدهن للطيب وغيره او بالادهان جمع دهن (والتسريح) ففى شمائل الترمذى من حديث انس انه عليه السلام كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته وعند ابى داود والترمذى من حديث عبد الله بن مغفل باسناد صحيح انه عليه السلام نهى عن الترجل الاغبا (فورد ادهنوا) بتشديد الدال وبتخفيفها مع فتح الهاء (غبا) اى يوما بعد يوم اووقتا دون وقت ومنه حديث زرغبا تزدد حبا اخرجه جماعة وقيل الغب فى الادهان ان يكون فى كل اسبوع مرة والحديث ذكره فى الاحياء وقال ابن الصلاح لم اجد له اصلا وقال النووى غير معروف ذكره العراقى (من كان له شعرة فليكرمها) كذا فى النسخ تبعا للاحياء ولامعنى للموعدة على ما لا يخفى فصوابه من كان له شعر فليكرمه كما هو رواية ابى داود عن ابى هريرة وقد دخل عليه رجل ثائر الرأس اشعث اللحية فقال اما كان لهذا دهن ليسكن بها شعره ثم قال يدخل احدكم على كأنه شيطان ابوداود والنسائى وابن حبان من حديث جابر وقد سبق انه عليه السلام كان لايفارقه المشط فى سفر ولا حضر وقد بسطت الكلام عليه فى رسالة سميتها بالتصريح فى التسريح (وما فى الانف) اى ما يجتمع من الرطوبات المنعقدة

الملتصقة بجوانبه ويزيلها بالاستنشاق والاستنثار (والاذن) اى وما يجتمع من الوسخ فى معاطف الاذن والمسح ما يزيل ما يظهر منه وما يجتمع فى قعر صماخى اذنيه فينبغى ان ينظف برفق عند الخروج من الحمام ونحوه من الاستحمام (لئلا يصم) فان كثرة ذلك ربما تضر بالسمع واما ما يجتمع على الاسنان واطراف اللسان فيزيله بالخلال والمضمضة والاستياك وقد ورد مالى اراكم تدخلون على فلحا استاكوا البزار والبيهقى من حديث عباس والفلح محركة صفرة الاسنان (وتحت الاظفار) ففى الطبرانى عن وابصة بن معبد سالت النبى صلى الله عليه وسلم عن كل شئ حتى سألته عن الوسخ الذى يكون فى الاظفار فقال دع ما يريبك الى مالا يريبك وقد امر عليه السلام بغسل البراجم والرواجب فروى الحكيم الترمذى فى النوادر من حديث عبد الله بن بشر نقوا براجمكم ولمسلم من حديث عائشة عشر من الفطرة وفيه غسل البراجم ولاحمد من حديث ابن عباس انه قيل يارسول الله لقد ابطأ عنك جبريل فقال ولم لاتبطئ عنى وانتم لا تستنون ولاتقلمون اظفاركم ولاتقصون شواربكم ولاتنقون رواجبكم فالاول معاطف ظهور الانامل والثانى رؤس الانامل وقيل الاف وسخ الظفر والتف وسخ الاذن وقوله تعالى * ولا تقل لهما اف ولاتنهرهما * اى لاتعبهما بما تحت الظفر من الوسخ ولا تتأذبهما كما يتأذى بما تحت الظفر من الوسخ واما الدرن الذى يجتمع على جميع البدن من الوسخ والعرق وغبار الطريق فذلك يزيل بالحمام اوبالاستحمام (ويدخل الحمام) اى ويجوز دخوله (فهم) اى السلف من الصحابة والتابعين (دخلوه) اى دخلوا حمامات الشام فعن ابن عباس اتقوا بيتا يقال له الحمام فمن دخله فليستتر الطبرانى والبيهقى والحاكم وقال بعضهم نعم البيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار روى ذلك عن ابى الدرداء وابى ايوب الانصارى وقال بعضهم بئس البيت الحمام يبدى العورة ويذهب الحياء فهذا بيان آفته وما سبق اظهار فائدته فلا باس بطلب فائدته عند الاحتراز من آفته كما بينه بقوله (ويصون عورته) وهى ما بين سرته وركبته (عن نظر الغير ونظره عن عورة الغير ولا يكشفها) اى ولولم يكن هناك غيره الا لضرورة غسلها بالتصاق جدرانه فى خلوة من خلواته ومن جملة الكشف رقة الازار لاسيما عند بلته وتلصقه بجلدته وهذا اقبح فى الامرد ونحوه وكذا يصونها عن مس الغير ولا يتعاطى امرها وازالة وسخها الا بيده ويمنع الدلاك من مس الفخذ وما بين السرة الى العانة ثم من الواجب ان ينهى عن كشف العورة لان النهى عن المنكر واجب ولايسقط عنه وجوبه الا لخوف ضرب اوشتم واما قوله اعلم ان ذلك لايفيده ولايعمل به فليس بعذر اذ لايخلو قلب عن التأثر بسماع الانكار ويفتتح الامر الا لاهل الجهل وعدم العقل وفاقد الحياء وقليل المبالاة بالعلماء والصلحاء ولمثل هذا صار الحزم ترك دخول الحمام فى هذه

الايام اوتخليته عن الانام اذلا يخلو من عورة مكشوفة لاسيما ماتحت السرة الى مافوق العانة لاختلاف العلماء فى كونها عورة بل الفخذ ونحوها كذلك وقد الحقهما الشارع بالعورة وجعلهما كالحريم لماورؤى ابن عمر فى الحمام ووجهه فى الحائط وقد عصب عينه بعصابة (وينوى) بدخول الحمام (التنظيف للصلوة) لالعاجل الدنيا من اللذات (ويعطى الاجرة قبله) اى قبل دخوله (اسرار اللعماى) بعدم انتظاره وتطييب النفسه (واعلاما بالعوض) لرفع الجهالة من احد العوضين فان مايستوفيه مجهول وقد ورد اذا استأجر احدكم اجيرا فليعلمه اجره الدار قطنى فى الافراد عن ابن مسعود (ويتعوذ) اى يقول بسم الله اعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم ويقدم رجله اليسرى عند دخوله ويتعوذ بالله من شر حر النار بعد دخوله (ولايسلم) اى على احد عند الدخول وان سلم عليه لم يجب بلفظ السلام بل يسكت ان اجاب غيره (ويدعو بالمعافاة) اى يقول عافاك الله (لمن سلم) اى عليه ولم يجب عنه غيره (ولاباس بالبداءة به) اى بقول عافاك الله ونحوه (ولا بالمصافحة) اى بان يصافح الداخل احد اصحابه (ولايكثر التكلم) ولايبدأ بالكلام كيلا يكثر الكلام فى الحمام (ولايقرأ القرآن الافى النفس) اى سرا (ولاباس باظهار التعوذ) اى من الشيطان الرجيم ومن الحميم فى دار الجحيم (ويجتنبه) اى دخول الحمام (وقت الغروب) اى قريب المغرب (وبين العشائين فهو وقت انتشار الشياطين) خصوصا فى الحمام ونحوه (وعلى الريق فهو يورث الموت) اى سريعا فعن الشافعى عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر الاكل بعد ان يخرج منه كيف لايموت انتهى ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق اولا (ولايسرف فى الماء) اى يكثر صب الماء عليه بل يقتصر على قدر الحاجة اليه فانه الماءذون فيه بقرينة الحال فالزيادة على العادة لوعلمه الحمامى لم يرض به لاسيما الماء الحار فله مؤنة وزيادة مشقة (ولاباس بالدلك) اى من غيره (فهو مروى) اى عن بعض الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلا فى بعض اسفاره فنام على بطنه وعبد اسود يغمز ظهره فقلت ماهذا يارسول الله فقال ان الناقة تقحمت بى رواه الطبرانى فى الاوسط عن عمر بسند ضعيف (ويذكر ظلمة اللحد) فى مكان ظلمته (وحرارة جهنم) عند حرارته (ويحمد بعد الخروج فالماء الحار فى الشتاء من نعيم يسأل عنه) يوم القيمة كالماء البارد فى الصيف وقال ابن عمر الحمام من النعيم الذى احدثوه (ولا تدخله المرأة) اى النساء (فورد لا يحل للرجل ان يدخل حليلته) اى زوجته اوامته (الحمام) روى الترمذى وحسنه والنسائى والحاكم وصححه من حديث جابر من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام الابمئزر ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلايدخل حليلته الحمام وللحاكم من حديث عائشة الحمام حرام على نساء امتى وقال صحيح اسناده ولابى داود

وابن ماجه من حديث عبدالله بن عمر فلا يدخلها الرجال الا بالازار وامنعوها النساء الامريضة اونفساء (ويحلق الرأس) اى شعره (ان اراد التنظيف) اى زيادته (والاحتياط في الغسل) كما اختاره على كرم الله وجهه حيث كان كثير الاغتسال وقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول تحت كل شعرة جنابة ولذا قال ومن ثم عاديت رأسي فان بقاء الشعر على الرأس انفع للدماغ وادفع للبرد والحر ولذا اختاره عليه السلام وسائر اصحابه الكرام فما حلقوا الا بعد الفراغ من احد النسكين وحيث قرر عليه السلام فعل على صار سنة مع انه قال عليه السلام عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين فيستحب تركه لمن يكرمه بدهنه وترجله الا اذا ترك بعضه وحلق بعضه وجعله قزعا اى قطعا فهو دأب اهل الشطارة ومنهى عنه للصغار والكبار ولاعبرة بقول من يقول ان حلقه يورث الصداع فانه نوع من الخباع وتسويل للشيطان في مقام الخداع (ولا يرسل) اى شعر الذوائب (بحيث يشبه بالشريف) فانه نوع من التلبيس والتزييف (ويقص الشارب) اى في كل جمعة (فورد قصوا الشوارب) وهذا لفظ احمد من حديث ابي هريرة ولمسلم من حديث ابي هريرة جزوا اى اقطعوا وفي الصحيحين من حديث ابن عمر بلفظ احفوا الشوارب واعفوا اللحى فالاحفاء بالاستقصاء ومنه قوله تعالى * فيحفكم تبخلوا * اى يستقص عليكم وفي رواية حفوا اى اجعلوها حفافي الشفة وحولها ومنه قوله تعالى * وترى الملائكة حافين من حول العرش * واما الحلق فلم يرد والاحفاء قريب من الحلق وقد نقل عن الصحابة ونظر بعض التابعين رجلا احفى شاربه فقال ذكرتني اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه ايماء الى ان مختار التابعين عدم الاستقصاء ويؤيده رواية الطبراني عن الحكم بن عمير مرفوعا قصوا الشارب مع الشفاه واما قوله عليه السلام اعفوا اللحى اى كثروها ولاتقصوها وفي الخبر ان اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم فخالفوهم وكره بعض العلماء الحلق ورآه بدعة (ولا بأس بابقاء السبال) اى اطراف الشارب فعل ذلك عمر وغيره كما في الاحياء ولان ذلك لايستر الفم ولايبقى فيه غمر الطعام لعدم وصوله اليه لكن يشكل هذا بظاهر ما رواه احمد من حديث ابي امامة قلنا يا رسول الله ان اهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون سبالهم فقال قصوا سبالكم ووفروا عثانينكم وخالفوا اهل الكتاب وفي صحيح ابن حبان من حديث ابن عمر في المجوس انهم يوفرون سبالهم ويحلقون لحاهم فخالفوهم اللهم الا ان يراد بالسبال الشوارب مجازا بقرينة مقابلته بالعثانين وهي جمع العثنون بمعنى اللحية وورد اعفوا الشوارب واعفوا اللحى وانتفوا الشعر الذي في الأنف ابن عدي والبيهقي عن عمرو بن شعيب والقص يقوم مقام النتف في الانف (ولايؤخر حلق العانة ونتف الابط) وتقليم الظفر (اكثر من اربعين يوما فهو المأثور) اى المذكور في صحيح مسلم من

حديث انس انه عليه السلام وقت لنا فى قلم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة اربعين يوما وورد قص الظفر ونتف الابط وحلق العانة يوم الخميس والغسل والطيب واللباس يوم الجمعة الديلمى عن على ويحلق الابط ان لم يقدر على النتف باعتياده لئلا يجتمع الوسخ فى خلاله والمقصود النظافة فى جميع حاله (ويزيل العانة) اى شعرها (بالطلاء) اى النورة (ان اعتاد لحصول المقصود) وهو فقد الاذى الموجود (والتعامى عن الايلام) اى مع تحصيل المرام (ويبتدئ بتقديم مسبحة اليمنى او خنصر اليسرى وخنصر الرجلين ولا مسبحة فيهما) اى فى الرجلين (ويختم بالابهام فى الكل) اى فى جميع اليدين والرجلين (فهو المروى) قال العراقى لم اجد له اصلا وقد انكره ابو عبد الله المازنى فى الرد على الغزالى وشنع عليه به قلت لا وجه للتشنيع عليه حيث قال ولم ار فى الكتب خبرا مرويا فى ترتيب قلم الاظفار ولكن سمعت انه روى عنه عليه السلام انه بدأ بمسبحة اليمنى وختم بابهام اليمنى وابتدأ فى اليسرى بالخنصر الى الابهام ثم وجه هذا الترتيب بما وقع له من الالهام كما بسط عليه الكلام هذا وفى حديث جابر قصوا اظافيركم فان الشيطان يجرى مابين اللحم والظفر الخطيب فى الجامع بسند ضعيف لكن روى احمد ومسلم والاربعة عن عائشة عشر من الفطرة اى سنة الانبياء التى امرنا ان نقتدى بهم فيها قص الشارب واعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الاظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء قال وكيف يعنى الاستنجاء به قال مصعب ونسيت العاشرة الا ان يكون المضمضة وذكر عمار بن ياسر الاغتنان فى العاشرة (ويكتحل بالاثمد) اى فى كل ليلة (ثلاثا) اى ثلاث مرات متوالية (فى كل عين) ويبتدئ باليمنى (فهو مروى) اى فى الشمائل وغيره من حديث ابن عباس وحسنه الترمذى (وروى) اى من حديث ابن عمر باسناد ضعيف للطبرانى (فنتان فى اليسرى) اى وثلاث فى اليمنى فالايتار باعتبار العينين جميعا لا باعتبار كل واحدة منهما كما فى الاول فتأمل فانه الاولى قياسا على غسل اليدين ثلاثا ثلاثا ثم الابتداء باليمنى لشرفها وكذا الزيادة لها فى رواية لتعظيمها فهى احق بها وان الله تعالى وتر يحب الوتر كما ورد (وورد عليكم بالاثمد) وهو حجر يكتحل به اى الزموه ولا تتركوه (عند مضجعكم) اى مرقدكم بالليل (فانه مما يزيد فى البصر) اى فى قوته (وينبت الشعر) اى شعر الاجفان فى طرف العين والحديث رواه ابو نعيم فى الحلية عن ابن عباس بلفظ عليكم بالاثمد فانه يجلو البصر وينبت الشعر وفى رواية ابن ماجه والحاكم عن ابن عمر عليكم بالاثمد عند النوم الحديث وفى رواية الطبرانى وغيره عن على عليكم بالاثمد فانها منبتة للشعر مذهبة للقذى مصفاة للبصر وفى رواية احمد اكتحلوا بالاثمد المروح اى المطيب بالمسك (ولا يكثر التزين)

بالتسريح ونحوه (والاكتحال والادهان) فانه دأب المترفين وقد نهى عليه السلام عن الترجل الاغبا (ويقطع اللحية الطويلة) اى زيادة على القبضة فانه مستحب وقيل واجب (فالمفرط) منها فى الطول اوالعرض (يرى) بصيغة المجهول اى يظهر (سمجا) بفتح فكسر فجيم اى قبيحا فانه يشوه الخلقة (ويفتح باب الغيبة) اى فى الحضور والغيبة فلا بأس بالاحتراز عنه على هذه النية (ويبقى قدر القبضة) فقد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبى وابن سيرين (فهو الوسط) اى المتوسط المعتدل المحمود فى كل شئ قال النخعى عجبت لرجل عاقل طويل اللحية لايأخذ من لحيته ويجعلها بين لحيتين وقد قيل ما طالت اللحية الا وقد نقص العقل (المسنون) فانه عليه السلام كان يأخذ من لحيته طولا وعرضا كما رواه الترمذى عن ابن عمرو (وقيل يبقى بحالها فورد اعفوا اللحى) اى اتركوها وابقوها على حالها واختاره الحسن وقتادة وقالا تركها عافية احب للحديث المتقدم (ولايجوز تصفيرها وتحميرها) بالحناء وغيرها (لاخفاء الشيب) اى بتوهم ان فيه العيب وهو نور ووقار وسرور (الا فى الغزو) فان مبناه على مكر وغرور ومنه حديث الحرب خدعة (فوردهما غضاب المسلمين والمؤمنين) لافرق بين المسلم والمؤمن فى عرف الشرع وانما هو التفنن فى العبارة كما وقع اليه الاشارة فى قوله تعالى * فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فماوجدنا فيها غير بيت من المسلمين * واما فى اصل اللغة ففرق بينهما حيث ان الاسلام انقياد الظاهر والايمان انقياد الباطن كما يدل عليه قوله تعالى * قل لاتمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هديكم للايمان * ويقويه حديث جبريل ان الاسلام هو ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلوة الخ والايمان ان تؤمن بالله وملائكته ورسله الخ ولما كان الانقياد الظاهر لاينفع بدون الانقياد الباطن كالمنافق ولا الانقياد الباطن بدون الانقياد الظاهر كما فى ابى طالب ونحوه فالمراد بالمؤمن والمسلم واحد وهو الجامع بين الانقيادين فى استحكام الاعتقادين وعبارة المتن يحتمل ان يكون المراد بها ان كل واحد من الحمرة والصفرة غضاب اهل الاسلام والايمان وان يكون لفا ونشرا مرتبا فيوافق ما ذكره فى الاحياء من قوله عليه السلام الصفرة غضاب المسلمين والحمرة غضاب المؤمنين بناء على الفرق بينهما لغة اواشعارا بان نعت الايمان اكمل فالحمرة افضل فانهم كانوا يخضبون بالحناء للحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة وحديث الاحياء رواه الطبرانى والحاكم بلفظ الافراد من حديث ابن عمر ثم هما جائزان تلبيسا للشيب على الكفار فى الغزو والجهاد فان لم يكن على هذه النية بل للتشبه باهل الدين فهو مذموم (ويكره تسويدها فورد هو غضاب اهل النار) كذا فى الاحياء قال وفى لفظ غضاب الكفار

قال مخرجه رواه الطبرانى والحاكم من حديث ابن عمر بلفظ الكافر قيل واول من خضب بالسواد فرعون ذى الاوتاد وورد من خضب بالسواد سود الله وجهه يوم القيمة الطبرانى عن ابى الدرداء (وتبييضها بالكبريت) اى ويكره ايضا (اظهار الكبر) اى لكبر السن (ترفعا) على الشباب من اقرانه وتوصلا الى التوقير عند اخوانه واستعجالا لقبول الشهادة بعلو شانه وتصديق الرواية عن مشايخ الدراية ظنامنه بان كثرة الايام تقطعه فضلا بين الانام ولم يعرف ان الفضل بقلة الآثام وامثال ذلك من الاغراض الفاسدة والاعواض الكاسدة كما بينتها فى التصريح بالتسريح (ونتفها عبثا) اى بلا منفعة (وتشبها بالمرد فهو منكر) اى بدعة مستقبحة فان اللحية زينة الرجال كما ان شعر الرأس زينة النساء فى جميع الاحوال او استنكافا من الشيبة فقد نهى عليه السلام من نتف الشيب وقال هو نور المؤمن رواه ابو داود والترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده (وتزيينها للناس بالتدوير) وهو تقصيصها كالتعبية طاقة على طاقة للتزوير (والتسريح) اى بالتكثير وقد قال بشر فى اللحية شركان تسريحها للناس وتركها متفتلة لاظهار الزهد (والزيادة) اى وبزيادة الشعر (فى العارضين) اى الخدين (بارسال الصدغ) بضم فسكون مابين العين والاذن والشعر المتدلى عليه وهو من شعر الرأس (المتجاوزة عن عظمها) اى عظم اللحى المنتهية الى نصف الخد وذلك يباين هيئة اهل الفلاح وكثيرا مايفعله بعض الاعجام (ولا ياكل الجنب) اى لا ينبغى ان ياكل وهو جنب فاذا اراد ان ياكل فيغسل فمه اولا وكذا اذا اراد ان يشرب (ولا ينام) اى الجنب (دون الوضوء) اى اومايقوم مقامه من التيمم فعن عمر قلت للنبى صلى الله عليه وسلم ايرقد احدنا وهو جنب قال نعم اذا توضأ متفق عليه وهذا هو الاولى والا فلا بأس به وقد كان عليه السلام ينام وهو جنب ولا يمس ماء كما رواه احمد وغيره عن عائشة وكان ذلك لبيان الجواز ورحمة على ضعفاء الامة (ولا ينقص من البدن) اى لا يقطع الجنب (شعرا ولا ظفرا ولا دما) مادام جنبا (فاجزاء البدن) اى جميعها (تعاد فى الآخرة) اى كما كانت فى الدنيا قال تعالى * كما بدأكم تعودون * وقال عز وعلا * ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة * اى خفاة عراة غرلا (والمزال جنبا يكون كذلك) وهو نقصان فى المرتبة هنالك وان كانت تزول عن المؤمنين مالا يحتاج اليها اذا اغتسلوا على حياض وانهار فى باب الجنة قبل الدخول عليها وقد ورد انه عليه السلام كان يامر بدفن الشعر والاظفار الطبرانى عن وائل بن حجر وفى رواية الحكيم عن عائشة كان يامر بدفن سبعة اشياء من الانسان الشعر والظفر والدم والحيضة والسن والعلقة والمشيمة (ويكنس المسجد) اى ينظفه من القمامة فانه افضل انواع الاماطة وقد قال تعالى * وطهر بيتى * وورد ابنوا المساجد واخرجوا القمامة منها فمن بنى لله بيتا بنى الله له

بيتا فى الجنة واخراج القمامة منها مهور الحور العين رواه الطبرانى وغيره (وينوره) بالسرج ونحوها فقد قال انس بن مالك من اسرج فى مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له مادام فى ذلك المسجد ضوء رواه الحارث بن ابى امامة فى مسنده وغيره به مرفوعا وسنده ضعيف والحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الاعمال (ويفرشه) بالحصير وامثالها (ففيها) اى فى الثلاثة (فضائل) فانها كلها من عمارة المسجد وقد قال تعالى * انما يعمر مساجد الله من آمن بالله (ولا يزخرفه) اى لايبالغ فى زينته (ولاينقشه) بحيث يشغل المصلى فى احدى هيئته (ولايصوره) اى جدرانه وسقفه فضلا عن قبلته (فهو) اى مجموع ما ذكر (من البدع) اى المستبشعة (ويتعهد النعل) اى يتفقدها ويتفحصها عند بابه رعاية لجنابه (ويمسح مابه من اذى) على اطرافه (ويقدم الرجل اليمنى داخلا فيه) ويقول بسم الله اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم ويسلم على النبى صلى الله عليه وسلم ويقول اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى ابواب رحمتك رواه ابو داود وغيره (واليسرى خارجا منه) ويتعوذ ويقول اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى ابواب فضلك رواه الترمذى وغيره ولا يجلس حتى يصلى ركعتين كما فى الصحيحين وتحية المسجد الحرام هى الطواف ان قدر عليه والا فالصلوة ان لم يكن وقت مكروه والا فيقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر عملا بقوله عليه السلام اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا (ويجهر بالدعاء على من يتجر فيه اوينشد ضالة) اى يطلبها برفع صوت فورد اذا رأيتم من يبيع اويبتاع فى المسجد فقولوا لارابح الله تجارتك واذا رأيتم من ينشد فيه ضالة فقولوا لاردها الله عليك رواه الترمذى والحاكم عن ابى هريرة مرفوعا (وينظفه) اى جدرانه (عن النخامة) اى ماء الانف (والبزاق) اى ماء الفم ففى الخبر البزاق فى المسجد سيئة ودفنه حسنة احمد والطبرانى وفى الصحيحين البزاق فى المسجد خطيئة وكفارتها دفنها (ولا يتخذه بيتا) اى مسكنا الا اذا كان غريبا ولم يجد مكانا قريبا (ولا معبرا) اى طريقا ومرا الا لضرورة داعية اليه اوحاجة باعثة عليه فينبغى ان ينوى الاعتكاف ولو ساعة لديه (فالكل مروى) ففى الطبرانى عن ابن عمر لاتتخذوا المساجد طرقا الا لذكر اوصلوة (وان غلبه النعاس فيه يتحول عن موضعه) ليطير اثر نومه وفى الخبر اذا نعس احدكم وهو فى المسجد فليتحول من مجلسه ذلك الى غيره ابو داود والترمذى عن ابن عمر (ويضرب باطراف اصابعه جانب رأسه الايمن ثلاثا ثم يجلس) فى موضع آخر (ويستقبل القبلة فى الجلوس فهو عبادة) اى فى حد ذاته فضلا عن ان يكون فى حدود المسجد وجهاته وقد ورد اكرم المجالس ما استقبل به القبلة اخرجه ابو يعلى وابن عدى والطبرانى فى الاوسط واورده الحاكم وقال انه صحيح وقال ابن حبان انه خبر موضوع وقد كانت احواله عليه السلام

فى مواضع الناس ان يخطب لهم وهو مستدبر القبلة قلت وفيه انه لمصلحة سماع الناس ولم يعكس ايثارا للكثير فهو ايضا دليل على مدعانا (وفيه) اى فى الاستقبال (قوة البصر) لان وقوع القبلة بمنزلة الكعبة فى النظر (ويجلس موضعا اقرب الى التواضع) اى وابعد عن اهل الترافع (لابين الظل والشمس فهو مقعد الشيطان) اى يحبه ويعجبه ان يقع من الانسان وفى مستدرك الحاكم عن ابى هريرة وابن ماجه عن بريدة انه عليه السلام نهى ان يقعد الرجل بين الظل والشمس وفى رواية احمد نهى ان يجلس بين الضح والظل وقال مجلس الشيطان (ولايفرق) بالجلوس (بين اثنين) اى مخصوصين كاب وابن واخوين وصاحبين فقد ورد انه عليه السلام نهى ان يجلس الرجل بين الرجلين الا باذنهما رواه البيهقى عن ابن عمر (ولايقيم احدا) من موضع جلوسه فيجلس هو فيه ففى البخارى عن ابن عمر انه عليه السلام نهى ان يقام الرجل من مقعده ويجلس فيه آخر (وان قام) احد بنفسه حياء منه اوتأدبا معه (لايجلس ثمه) اما تواضعا اوعملا بظاهر النهى (ويجلس حيث اصاب) اى صادف محلا فارغا فى الصف فهذا كان دأبه عليه السلام فى المجالس كما فى الشمائل وروى البغوى والبيهقى والطبرانى عن شيبة بن عثمان مرفوعا اذا انتهى احدكم الى المجلس فان وسع له فليجلس والا فلينظر الى اوسع مكان يراه فليجلس فيه (وخلف الصف) اى ويجلس (ان لم يجد مكانا فيه ولايعود) كأنه اخذ من حديث صحابى اقتدى به عليه السلام قبل ان يصل الى الصف فقال له عليه السلام زادك الله حرصا ولاتعد فروى من العود اى لاترجع الى مثل هذا الفعل فانه مكروه بل امش حتى تصل الى الصف الذى يسعك فصل وروى من الاعادة اى ولاتعد صلاتك فانها صحيحة حيث وقعت فى المسجد فان شرط صحة الاقتداء ان يكون مقام الامام والمقتدى بقعة واحدة وقال الامام احمد ببطلان صلوة المنفرد خلف الصف اذا اقتدى بالامام واما ما رواه الطبرانى عن وابصة ايها المصلى وحده الا وصلت الى الصف فدخلت معهم اوجررت اليك رجلا ان ضاق بك المكان فقام معك اعد صلاتك فانه لاصلوة لك فمحمول على نفى الكمال عند الجمهور وعلى نفى الصحة عند الامام احمد وفى بعض الحواشى اى ولايعود الى بيته حينئذ فهو تكبر لكن لايخفى بعده (ولايتجاوز من سبق) اى لايتخطى رقاب الناس فقد ورد فيه وعيد شديد وهو ان يجعل جسر ايوم القيمة يتخطاه الناس الا اذا وجد فرجة فانه حينئذ يجوز له ان يتخطى ويصلى فيها فان التقصير من غيره فيستحق التقدم عليه (ويحى) اى ويخص بالسلام والتحية (من يقربه) اى فى ذلك المقام وفى نسخة بقربه بصيغة المصدر (ولايمد الرجل) اى قدام صاحبه فانه ترك الادب (وكان اكثر جلوسه عليه السلام ان ينصب الساقين ويجعل

اليدين عليهما) ويسمى هيئة الاحتباء وكان عليه السلام يتربع احيانا ويقعد جلسة التشهد كثيرا وقد يرفع رجله اليمنى بدون اليسرى (ويلازم) اى فى قعوده (الوقار) اى السكينة والرزانة (والتواضع) اى مع اهل المسكنة (ويجتنب الجلوس على القدمين والركبتين) فهى هيئة الاقعاء وتسمى جلسة الكلب لكن نهيه مقيد بالصلوة فروى الحاكم فى مستدركه والبيهقى عن سمرة انه عليه السلام نهى عن الاقعاء فى الصلوة وفى النهاية هو ان يلصق الرجل اليته بالارض وينصب ساقيه وفخذيه ويضع يديه على الارض (واكثار النظر) اى يجتنب تكثير نظره (الى الكاهل) بكسر الهاء وهو ما بين الكتفين (والعقب) اى الى ورائه (والالتفات) اى واكثاره اويجتنبه (الى الجوانب) فانه يعد من المعائب (واللعب مع اللحية والاصابع) فانه من اللغو وضد حال ارباب الخشوع واصحاب الخضوع وقد رأى عليه السلام رجلا يعبث بلحيته فى الصلوة فقال لوخشع قلبه لخشعت جوارحه (وتخليل الاسنان وادخال الاصبع فى الانف) وهذا كله مكروه فى المجامع والمحافل لارباب الفضائل والفواضل (واخراج البزاق) من الفم (والنخامة) من الانف (والتثاؤب على الوجوه) اى فى مقابلتها دون ادبارها (والجشاء) اى كذلك فورد اقصر جشاءك عنا وهو بضم الجيم ممدودا بخار يخرج من الفم عند الاكل الكثير (والاشارة باليد والعين) بحيث يتوهم المصاحب مالا يليق باهل المناقب قال تعالى * يعلم خائنة الاعين (ونحوها) اى ويجتنب امثال هذه المذكورات (مما يكره الناس) اى فى المعاورات والمحاضرات (ويستغفره تعالى عند القيام) اى من المجلس ففى المعالم عند قوله تعالى * وسبح بحمد ربك حين تقوم * قال سعد بن جبير وعطاء اى قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة له وروى البغوى باسناده الى ابى هريرة مرفوعا من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا كان كفارة لما بينهما وفى رواية ابى داود وابن حبان عن ابى هريرة كفارة المجلس ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك الخ ثلاث مرات وزاد عملت سوأ وظلمت نفسى فاغفرلى انه لا يغفر الذنوب الا انت (ولا يقعد فى السوق بلا حاجة) فانها ابغض البلاد الى الرحمن واحبها الى الشيطان (ولا فى الطريق) اى الجادة للعامة (ويؤدى الحقوق) اى حقوق الجلوس اوحقوق الطريق (ان جلس) وهى اماطة الاذى وارشاد الضال وقضاء حاجة الفقير والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ونصرة المظلوم واعانة الملهوف واعانة الضعيف ورد السلام واعطاء السائل ولو بجميل الكلام وفى رواية الطبرانى عن وحشى لعلكم ستفتحون بعدى مدائن عظاما وتتخذون

فى اسواقها مجالس فاذا كان ذلك فردوا السلام وغضوا من ابصاركم واهدوا الاعمى واعينوا المظلوم (ويفتح) وفى نسخة ويفتتح اى يبتدئ (الكلام) فى مجلس الكرام اذا كان ذا بال من المرام (بالتسمية والتحميد والاستعاذة) والانسب تقديم التعوذ (والصلوة عليه عليه السلام) اى على النبى عليه السلام فورد كل امر ذى بال لايبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو اقطع رواه الرهاوى فى الاربعين عن ابى هريرة وفى رواية له عنه كل امر ذى بال لايبدأ فيه بحمد الله والصلوة على فهو اقطع ابتر ممحوق البركة (ويختار العربية) اى اللغة المنسوبة الى العرب فقد ورد احبوا العرب لثلاث لانى عربى ولان كلام الله عربى ولسان اهل الجنة فى الجنة عربى وقد قيل العربية نصف العلوم النقلية (ويخفض الصوت) اى فى كلامه لقوله تعالى * واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير (ولايكثر) اى من الكلام فان كثرة الكلام تميت قلب الانام (ويهذب اللفظ) اى ينقى مبانيه ويحسن مافيه وتميز بين مايوافقه المقام وينافيه (ويبين الكلام) بتعيين معانيه وتخليصه من الزوائد المخلة والفوائد المملة (ويتفكر) اى اولا (فى الحجة) اى الادلة ثم يحتج بها ويستمسك بسببها (ويسكت عند الغضب) لقوله تعالى * ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح * اى سكن كما فى قراءة شاذة ولهذا ورد النهى للقاضى ان يحكم وهو غضبان لانه حينئذ لم يفرق بين الحق والباطل والطاعة والعصيان (ويذكره تعالى عند النسيان) لقوله تعالى * واذكر ربك اذا نسيت (ويستثنى) اى يقول ان شاء الله فيما بعده فى مستقبله لقوله تعالى * ولاتقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله (ولا يحلف عليه تعالى فهو اجتراء) اى اظهار جرأة اليه فورد ان رجلا قال والله لايغفر الله لفلان قال الله تعالى من ذا الذى يتألى على ان لا اغفر لفلان فانى قد غفرت لفلان واحبطت عملك رواه مسلم عن جندب البجلى (ويحترز عن القصص) اى قصص الملوك وارباب الشجاعة واصحاب البطالة بل عن قصص الانبياء وحكايات الاولياء اذا لم تكن ثابتة مروية عن العلماء الاصفياء (والحلف) اى ويحترز عن كثرة اليمين (ما امكن) ولوكان صادقا اذ فيه خطر الحنث ووجوب الكفارة وشبهة التهمة (وان حلف) اى على يمين (ورأى غيرها خيرا) منها (فليأت به) اى بذلك الغير الذى هو الخير (وليكفر) اى عن حنث يمينه ففى صحيح مسلم وغيره عن ابى هريرة من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه (ويراعى الادب) اى مع الاصحاب والاحباب فى قوله وفعله وسائر الابواب (ويتكلم بالقصير الجامع) وهو الكلام الجامع المانع وقد ورد اعطيت جوامع الكلم رواه ابو يعلى عن عمر وهى التى مبانيه يسيرة ومعانيه كثيرة وروى خير الكلام ماقل ودل (ويتوقف بين كلامين) اى مركبين يصح سكوت على كل منهما

(ليحفظ السامع) اى ليدركه ويفهمه ففى الصحيحين عن عائشة انه عليه السلام كان يحدث حديثا لو عده العاد لاحصاه (ولا يبحث) مع الخصم (قبل تمام الكلام) اى فى اثناء المرام اذ قد يكون له تعلق فى المقام يدفع المباحثة مع الخصام (ويستاذن للسؤال) اى تأدبا مع ارباب الكمال (فالكل مأثور) وفى الكتب المبسوطة مذكور (ويكثر البكاء فوردحرمت النار على ثلاثة اعين عين) بالجر على البدل اوبالرفع اى منها او احديها عين (سهرت فى سبيل الله) اى احتراسا لاهل الله (وعين غضت) اى غمضتها (عن محارم الله) اى ابتغاء لوجه الله (وعين بكت من خشية الله) اى من خوف يوم يلقاه الطبرانى والحاكم عن ابى ريحانة بلفظ حرمت النار على عين بكت من خشية الله وحرمت النار على عين سهرت فى سبيل الله وحرمت النار على عين غضت عن محارم الله او عين فقئت فى سبيل الله وفى رواية الحاكم عن ابى هريرة ثلاثة اعين لاتمسها النار عين فقئت فى سبيل الله وعين حرست فى سبيل الله وعين بكت من خشية الله (دون الضحك) اى لايكثر الضحك بل يقلله (فهو يميت القلب ويذهب النور) اى البهاء والضياء وفى الخبر انه عليه السلام كان طويل الصمت قليل الضحك احمد عن جابر بن سمرة (فورد فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) وهو امر معناه خبر اى يضحكون فى الدنيا قليلا من الضحك او الزمان ويبكون كثيرا من البكاء او الزمان وهذا اذا كان المراد به الخبر عن اهل الكفر فى الدنيا والعقبى واما ان كان المراد به الخبر عنهم فى دار الاخرى فالمراد من القلة العدم والله سبحانه اعلم فالمعنى من ضحك فى الدنيا قليلا يبكى فى الآخرة كثيرا فكيف حال من ضحك فى الدنيا كثيرا فانه لا يشك ان امره يكون عسيرا لايسيرا (ويخفض صوت العطاس فالتصريح به) اى بالصيحة عند الناس (حمق) اى حماقة وجهالة لمقام الاستيناس وقد ورد التثاؤب الشديد والعطسة الشديدة من الشيطان ابن السنى عن ام سلمة (ويستر) اى فمه عند العطاس (بثوبه) اى بكمه اومنديله (اويده) اى بكفه فورد اذا عطس احدكم فليضع كفيه على وجهه وليخفض صوته الحاكم والبيهقى عن ابى هريرة (ويستر الفم فى التثاؤب) اى بالثوب لانه ايضا يحصل المقصود ولان الثوب ايضا لا يكون الا بمساعدة الساعد ففى الصحيحين عن ابى هريرة التثاؤب من الشيطان فاذا تثاءب احدكم فليرده ما استطاع فان احدكم اذا قال هاه ضحك منه الشيطان وفى رواية الترمذى العطاس من الله والتثاؤب من الشيطان فاذا تثاوب احدكم فليضع يده على فمه واذا قال آه آه فان الشيطان يضحك من جوفه وان الله عز وجل يحب العطاس ويكره التثاؤب ولعل وجهه ان العطاس يطير النوم والكسل والتثاؤب يوجب النعاس والفشل واما ما ورد من ان العطاس والنعاس والتثاؤب فى الصلوة من الشيطان فوجهه ان كلا منها مانع

من

من القراءة ونحوها (ويلقى البزاق) ان لم يقدر على ابتلاعه (فى اليسار) اى ان لم يكن هناك احد من الابرار (اوتحت القدم) اى اليسرى اذا لم يكن ارض مسجد (دون القبلة) اى لايلقى الى جهة القبلة مطلقا تعظيما للكعبة بيت الله الحرام ففى الصحيحين اذا كان احدكم يصلى فلايبصق قبل وجهه فان الله قبل وجهه اذا صلى (واليمين) اى اصلا سواء يكون فيه احد ام لاتعظيما لصاحب اليمين من الملائكة المقربين ولعل صاحب اليسار يتأخر فى جانبه فانه مأمور بالنسبة الى صاحب اليمين كما قرر فى محله وفى رواية احمد واصحاب السنن الاربعة عن طارق بن عبد الله المحاربى مرفوعا اذا صليت فلا تبزقن بين يديك ولاعن يمينك ولكن ابزق تلقاء شمالك ان كان فارغا والافتحت قدمك اليسرى وادلكه قال ابويزيد لبعض اصحابه قم بنا حتى ننظر الى هذا الرجل الذى قد اشهر نفسه بالولاية وكان رجلا مشهورا بالزهد والديانة فمضينا فلما خرج من بيته ودخل المسجد رمى بزاقه تجاه القبلة فانصرف ابويزيد ولم يسلم عليه وقال هذا غير مأمون على ادب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مأمونا على ما يدعيه اى من الادب مع الرب (ويتفأل بكلمة صالحة) اى بسماعها من غيره نحو صلاح وفلاح ومنصور ومظفر فانه عليه السلام كان يعجبه الفأل الحسن ويكره الطيرة وابن ماجه عن ابى هريرة والحاكم عن عائشة (فالكل ماثور) اى منقول عن فعله عليه السلام (ومأموربه) اى بما ورد عنه من الكلام (ولايتطير) اى لايتشام بالفأل القبيح واصله التطير بالسوانح والبوارح من الطير وكان التطير يصدهم عن مقاصدهم فى زمن الجاهلية فنفاه الشرع ونهى عنه واخبر انه لاتأثير له فى جلب نفع اودفع ضر ومثاله انه خرج لحاجة وسمع كلمة فاسدة دالة على عدم قضائها فان رجع عنها بسببها كان ذلك تطيرا (فهو منهى عنه) روى احمد عن عبد الله بن عمر مرفوعا لايتطير فان فعل فكفارته ان يقول اللهم لاخير الاخيرك ولاطير الاطيرك ولا اله غيرك رواه الطبرانى عنه بلفظ من ردته الطيرة من حاجة فقد اشرك وكفارته ان يقول اللهم لاخير الخ ورواه ابوداود ولفظه اذا رأيتم من الطيرة شيئا تكرهونه فقولوا اللهم لايأتى بالحسنات الا انت ولايذهب بالسيئات الا انت ولاحول ولاقوة الا بك وفى رواية ابن ابى شيبة الا بالله (ويفتتح الكتاب) اى اذا بدأ مكتوبا الى غيره (بالتحميد والصلوة) بان يكتب الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله (ويذكر اولا) اى بعدهما (نفسه ثم المكتوب اليه فهو السنة) المعروف فى السنة ان يبدأ باسمه ثم المكتوب اليه ثم يحمد الله فيكتب مثلا من عبد الله فلان الى فلان عبد الله السلام عليك فانى احمد الله اليك وهو مقتبس من قوله تعالى * انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم * وقد كتب صلى الله عليه وسلم الى معاذ

فى ابن له يعزيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى معاذ سلام عليك فانى احمد اليك الله الذى لا اله الا هو اما بعد فاعظم الله لك الاجر والهمك الصبر ورزقنا وايك الشكر الحديث رواه ابن مردويه والحاكم عن معاذ فالواو فى الآية لمطلق الجمع (ويتربه) بتشديد الراء اى يلقى التراب على الكتاب (فهو سبب النجاح) اى وصوله الى الباب وقد ورد اذا كتب احدكم الى انسان فليبدأ بنفسه واذا كتب فليترب كتابه فهو انجح الطبرانى فى الاوسط عن ابى الدرداء والترمذى الجملة الثانية والطبرانى الاولى (ويتعفف) اى يطلب العفة (عن طلب الحاجة) اى بالمسألة من الخلق (ما امكن) اى مهما امكن التعفف ولم تلجئه الضرورة الى التكفف وفى دعاء الامام احمد اللهم كما صنت وجهى عن سجود غيرك فصن وجهى عن مسألة غيرك وقد قال بعض اهل التوفيق السؤال ذل ولو ابن الطريق (وحقه) اى حق طلب الحاجة عند الضرورة من الخليقة (ان يتوضأ ويصلى ركعتين ويرفعها اليه تعالى) اى اولا لانه غياث المستغيثين وارحم الراحمين واكرم الاكرمين وفى الخبر ليسأل احدكم ربه حاجة حتى يسأل الملح وحتى يسأله شسعه رواه الترمذى وغيره وقد ورد من كانت له حاجة الى الله او الى احد من بنى آدم فليتوضأ وليحسن وضوءه ثم ليصل ركعتين ثم ليثن على النبى صلى الله عليه وسلم وليقل لا اله الا هو الحكيم الكريم سبحان رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين اسالك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والعصمة من كل ذنب والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم لاتدع لى ذنبا الا غفرته ولا هما الا فرجته ولا حاجة هى لك رضاء الا قضيتها يا ارحم الراحمين رواه الترمذى عن ابن ابى اوفى وفى رواية له ولغيره عن ابن حنيف من كانت له ضرورة فليتوضأ فيحسن وضوءه ويصلى ركعتين ثم يدعو اللهم انى اسألك واتوجه اليك بنبيك محمد نبى الرحمة يا محمد انى اتوجه بك الى ربى فى حاجتى هذه لتقضى لى فشفعه فى (ويخرج) اى ومن حقه اى يخرج فى طلب الحاجة (بكرة الخميس) او بكرة غيره فان البركة فى البكرة كما تقدم (بعد التحميد والصلوة) اى على النبى عليه السلام (وقراءة الفاتحة) فان فيها رائحة قضاء الحاجة فائحة (وآية الكرسى) فانها الدالة على العظمة والمحافظة (وآخر آل عمران) اى من قوله * ان فى خلق السموات والارض * الى آخر السورة اومن قوله * لايغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد * اومن قوله * يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون * فقد رؤى بعض المجاديب انه يخرج بطاقة من جيبة وينظر فيها ثم يردها فاذا هو مات فرأوا فيها آية * واصبر لحكم ربك فانك باعيننا (والقدر) اى سورة القدر تنبيها له على ان الاشياء كلها بالقضاء والقدر فلا يتبدل ولا يتغير (ويقصد الاتقى) شرعا لان

عطاؤه انقى (والاكرم) طبعا لان سخاؤه ابقى (والاسمح) اى الاسهل يدا فان الخير منه ارجى (والاحسن) اى خلقا وخلقا فقد ورد اطلبوا الخير عند حسان الوجوه رواه البخارى فى تاريخه عن عائشة وجماعة عن غيرها وفى رواية ابن عدى والبيهقى عن عبد الله بن جراد بلفظ اذا ابتغيتم المعروف فاطلبوه عند حسان الوجوه لان الظاهر عنوان الباطن والغالب اجتماع حسن الخلق وحسن الخلق ومن لوازم حسن الخلق الكرم مع الخلق (والارحم) قلبا فعن ابى سعيد اطلبوا الحوائج الى ذوى الرحمة من امتى ترزقوا وتنجحوا فان الله تعالى يقول رحمتى فى ذوى الرحمة من عبادى ولا تطلبوا الحوائج عند القاسية قلوبهم فلا ترزقوا ولا تنجحوا فان الله تعالى يقول ان سخطى فيهم رواه العقيلى والطبرانى فى الاوسط (ولا يرتكب معصية فيه) اى فى طلب الحاجة بان يكذب فى مقدار ما يحتاج اليه مثل قوله ان لى ميتا اريد دفنه او عندى نفساء او ما اكلت ايام كذا او معى عيال ونحو ذلك اذا لم يكن صادقا فيما هناك (ولا يلح) اى فى الطلب من الخلق قال تعالى * لا يسألون الناس الحافا * اى الحاحا وورد ان الله يبغض السائل الملحف ويحب الحيى العفيف المتعفف رواه البيهقى عن ابى هريرة (ويشاور) اى فى امر مشكل يقع له (العاقل) اى المجرب فى الامور (العالم) اى المعظم فى الصدور (الصالح) اذ عنده الخبر المستور (الملايم ذلك الامر) اى الذى وقع له فى الدهر ويحتاج فيه النصح للنصر (كالسخى فى المال) اى فى امر يتعلق ببذل المال (والشجاع فى الحرب) لانه فى ذلك الامر من اهل الكمال * وقد علم كل اناس مشربهم * وعرف كل فريق مذهبهم (فورد وشاورهم فى الامر) * وامرهم شورى بينهم (ثم امرأته) اى ان لم يجد احدا كما فى نسخة (ويخالف) اى رأيها (فورد فيه) اى فى خلافها (البركة) لقلة عقلها ونقصان دينها واخرج العسكرى فى الامثال عن عمر قال خالفوا النساء فان فى خلافهن البركة وعن انس مرفوعا لا يفعلن احدكم امرا حتى يستشير فان لم يجد من يستشير فيستشير امرأته ثم ليخالفها فان فى خلافها البركة رواه ابن لال وروى الديلمى والعسكرى والقضاعى عن عائشة مرفوعا طاعة النساء ندامة وفى مسند احمد هلكت الرجال حين اطاعت النساء واخرجه الطبرانى والحاكم وصححه من حديث ابى بكرة مرفوعا واخرج ابن عدى من حديث ام سعد بنت زيد بن ثابت عن ابيها مرفوعا طاعة المرأة ندامة واخرج العسكرى عن معاوية قال عودوا النساء لا فانها ضعيفة ان اطعتها اهلكتك وقال بعض الشعراء * وترك خلافهن من الخلاف * واما ما اشتهر على الالسنة شاور وهن خالفوهن فباطل لا اصل له فى مبناه لكن صح معناه فيما قدمناه (ويقدم الاستخارة) اى على الاستشارة والمراد دعاؤها مجملا بان يقول اللهم خر لى واختر لى ولا تكلنى الى اختيارى او صلاتها ودعاؤها المشهور المذكور فى الحصن وشرحه المسطور وقد ورد ما خاب من استشار وما ندم من استخار ولا عال

من اقتصد الطبرانى فى الاوسط عن انس (ويختار اهون الامرين) كالتدريس والفتوى فالتدريس اهون من الفتوى والفتوى اهون من القضاء والقضاء اهون من الخلافة (وايسرهما) فروى عن بعض السلف الصبر عن النساء ايسر من الصبر عليهن والصبر عليهن ايسر من الصبر على النار وقيل الفرق بين الاهون والايسر ان الاهون باعتبار النفع والضرر والايسر باعتبار سهولته على النفس وبعده عن الخطر (ولايحب المال اكثر من العرض) بل يبذل المال لحفظ العرض وحسن الحال (ولا يبدل الدين بالدنيا) لقوله تعالى * اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين (ولايركب بقرة) ويجوز الحمل عليها (ولايحرث على حمار) لانه خلق للحمل والركوب (فالكل خلق لعمل) اى على وفق العادة كما فى الفرس والجمل وقد ورد كل ميسر لما خلق له رواه الشيخان (ويركب على ما اصاب) اى صادفه من الفرس والحمار والبغل والبعير والفيل من غير تعلق وتقيد بواحد منها قال تعالى * والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لاتعلمون * اى الفيل اذا كان الخطاب للعرب خاصة واما البعير فقال تعالى * ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم * وقال عز وعلا * وجعل لكم من الفلك والانعام ماتركبون لتسووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * اى مطيقين وقال عز وعلا * اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب افلا يشكرون * وقال عز شانه وعظم برهانه * وآية لهم انا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله مايركبون * فالبعير سفينة البر كما ان الفلك سفينة البحر (ويردف الخادم) اى وغيره سواء كان المركوب جملا اوفرسا اوحمارا (فالكل مأثور) فقد اردف النبى عليه السلام الفضل واسامة فى طريق عرفة عام حجة الوداع خلف ناقة واردف ابا هريرة على حمار فى طريق قباكما تقدم (وكان عليه السلام لايدخل البيت) اى بيته (حتى يتصدق بفاضل النفقة) اى بما فضل من النفقة فى يده اوفى بيته (ويسعى فى الحاجات) اى فى قضائها بنفسه عند قدرته فاخرج احمد عن انس انه عليه السلام كان يذبح اضحيته بيده (ويخصف النعل) على حد صنعته (ويخيط الثوب) اى بقدر معرفته فقد اخرج ابن عساكر عن ابى ايوب انه عليه السلام كان يخصف النعل ويرقع القميص ويلبس الصوف ويقول من رغب عن سنتى فليس منى اى من تركها تكبرا فليس على طريقتى (ويقطع اللحم) اى اذا كان نيا اوغير نضيج وهو ثابت فى السنة كما سبق وفى الشمائل عن جابر بن طارق قال دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم فرأيت عنده دباء يقطع فقلت ماهذا قال نكثر به طعامنا (ويشتغل

بامور البيت مع امهات المؤمنين) فروى احمد عن عائشة كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال فى بيوتهم وروى ابن سعد عنها كان يعمل عمل البيت واكثر ما يعمل الخياطة وفى رواية ابى يعلى عنها كان يغلى ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه (ولايتكلف) اى وكان عليه السلام لايتكلف فى شئ من الكسوة والطعام والضيافة والوليمة (ولايحبه) اى التكلف من غيره بل يبغضه فاخرج الدارقطنى بسند ضعيف انا والاتقياء من امتى بريؤن من التكلف ويقويه ما فى مسند الفردوس من حديث الزبير بن العوام الا انى برئ من التكلف وصالحوا امتى واخرجه ابن عساكر فى تاريخه عنه بلفظ اللهم انى وصالحو امتى برآء من كل متكلف واخرجه عن الزبير ابن ابى هالة وهو ابن خديجة زوجة النبى صلى الله عليه وسلم بلفظ انا وامتى برآء من التكلف (ولايصيد) اى بنفسه (ويحبه) اى يعجبه من غيره (ويقبل الهدية ويكافى عليها) اى بمثلها اوبازيد منها لقوله تعالى * واذا حييتم بتحية فحيوا بها حسن منها اوردوها * اى اوبمثلها على قول وفى البخارى وغيره عن عائشة كان يقبل الهدية ويثيب عليها (ويرد القرونة بالمنة وان قلت) اى الهدية اوالمنة فانها كثيرة المؤنة وثقيلة المعونة (ويغتنم العبد) وكذا الجارية (ايام الرق) اى زمان العبودية مع القيام بحق الربوبية (فحسنة بعشرين) اى فاجره مرتين كما فى حديث ثم اقل الاجر فى حسنة عشر كما قال تعالى * من جاء بالحسنة فله عشر امثالها * فاذا كان له اجران فحسنة له بعشرين حسنة (وتلزم المرأة قعر البيت) اى من الحزن ونحوه (فلاترتفع) اى هى (عليه) اى على البيت والمعنى انها لاتسكن فى العوالى خصوصا اذا كان فيها شبابك مشرفة على الحوالى (ولاتنظر الى الخارج) ولو كانت ساكنة فى الداخل (فنظرهن الى الرجال فتنة) اى فى حقهن كما ان نظر الرجال اليهن فتنة فى حقهم قال تعالى * قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم * وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن (وامرت ام سلمة بالاحتجاب عن الاعمى) اى مع انها من الازواج الطاهرات (ولاباس) اى للمرأة (بالخروج فى المهم) اى الدينى والاخروى اوالدنيوى الضرورى (فى اسوأ هيئة) اى اخشنها من لباس الجمال (واخلى طريق) اى من الرجال حال كونها (متنكرة لمن يعرف) اى نسبها اوحسبها صيانة عن عرضها (غير مسمعة صوتها) اى اذا لم تكن ضرورة بها (ويتصدق) اى الشخص (بما بقى من طعام يستحيل) اى يتغير ويفسد من اللحم المطبوخ واللبن ونحوهما (اذا ترك) اى كثيرا فانه تضييع للمال وتفويت لمقام الكمال (ويغتم الصحيح بطول السلامة) فان فرعون مضى عليه اربعمائة سنة ولم يحصل له صداع ولاحمى مقدار سنة (فورد لايخلو المؤمن من علة) اى مرض وضعف قوة (وذلة) ضد عزة بان يسلط عليه احد من الظلمة

(وقلة) اى فاقة وحاجة وقد يجتمع عليه اذا كان من اهل عناية ورعاية وحماية واذا كان خاليا عنها فى بعض الاوقات (فلابد وان يبلى فى كل اربعين يوما بشئ منها ويسترجع) اى يقول * انا لله وانا اليه راجعون (فى المصيبة) اى الحادثة (فهو ماثور) اى مروى عنه عليه السلام وعن السلف الكرام (ومدوح فى القرآن) حيث قال تعالى * وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون * الآية وفى الحديث يسترجع احدكم فى كل شئ حتى فى شسع نعله فانها من المصائب ابن السنى عن ابى هريرة وقد ورد من اصيب بمصيبة فاحدث استرجاعا وان تقادم عهدها كتب الله له من الاجر مثله يوم اصيب رواه ابن ماجه عن الحسن بن على (ويحترز عن الشق) اى شق الجيب (والضرب) اى على الوجه والصدر (والحلق) اى حلق شعر الرأس للمرأة واللحية للرجل (والنوح) وهو صياح اهل الميت (فهى) اى جميعها (منهى عنها اذ هى رسوم الجاهلية) ففى الصحيحين عن ابن مسعود ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية ولابى داود والنسائى عن ابى موسى ليس منا من سلق ومن حلق ومن حرق فالسلق رفع الصوت عند المصيبة ومنه قوله تعالى * سلقوكم بالسنة حداد * والحلق حلق الشعر والخرق خرق الثوب (ويثن المريض) فورد المريض انينه تسبيح وصياحه تكبير ونفسه صدقة ونومه عبادة ونقله من جنب الى جنب جهاد فى سبيل الله يقول الله تعالى للملائكته اكتبوا لعبدى احسن ما كان يعمل فى صحته فاذا قام ثم مشى كان كمن لا ذنب له الخطيب والديلمى عن ابى هريرة وقالا رجاله معروفون بالثقة الاحسين ابن احمد البلخى فانه مجهول (انينا يخفف بعض مابه) اى من ثقل الالم (ذاكرا) اى حال كونه ذاكرا لله تعالى فيما اعطاه من النعم والمنن ومستعينا به فيما ابتلاه من المحن ومستغيثا به فى ايام الفتن ومستعيذا به عن حلول النقم (لامتاؤها) اى بطريق الضجر والفزع من كثرة الهم والغم والافقد مدح الله سبحانه سيدنا ابراهيم الخليل بقوله * ان ابراهيم لحليم اواه منيب * فاذا كان آه اوواه لله وفى تسليم امر مولاه ورضاه بقدره وفق ماقضاه يكون خيرا له فى دنياه وعقباه (ويعصب الرأس) اى يشده بعصابة تبعا للسنة واظهارا للعجز ولانه يخفف الصداع (وينام على الفراش) اى ولوكان دأبه ان لا ينام عليه (استعانة على الصبر) اى على شدة المرض وحدة الامر (وتوقيا) اى واحترازا واحتراسا (عن التشدد) اى طلب شدة الامر باظهار التجلد فى الابتلاء للبلاء (ويستشفى) اى يطلب الشفاء (بالذكر) اى الجلى والخفى لشفاء الظاهر والباطن فان ذكر الحبيب شكر اللبيب وسكر الطبيب (والدعاء) فانه يرد البلاء ويهون القضاء اوالدعوات المأثورة للشفاء نحو اللهم عافنى واعف عنى

واشفنى

واشفنى واسألك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة (والصلوة) لقوله تعالى * واستعينوا بالصبر والصلوة * اوالصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم لان فى ذكر الخليل شفاء العليل (والقرآن) لانه شفاء اهل الايمان ودواء اهل الايقان وشفاء اهل الطغيان وخسران اهل العدوان فقد قال تعالى * وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين الاخسارا (لاسيما الفاتحة) لانها فاتحة كل خير ودافعة كل شر وضير (فورد انه) اى فاتحة الكتاب (شفاء من كل داء) اخرجه البيهقى فى الشعب من حديث عبد الله بن جابر وروى القشيرى ان آيات الشفاء وهى * ويشف صدور قوم مؤمنين * شفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين * فيه شفاء للناس * وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين * واذا مرضت فهو يشفين * قل هوللذين آمنوا هدى وشفاء * يكتب ويغسل ويشرب فانه مجرب (ويحتمى) اى حال الابتلاء خصوصا وقت الابتلاء (فهم) اى السلف (امروا به) اى بالاحتماء وقد قيل الاحتماء رأس الدواء واخرج الخلاد من حديث عائشة مرفوعا الازم دواء والمعدة بيت الداء وعودوا بدنا ما اعتاد والازم الحمية واخرج ابن ابى الدنيا عن وهب بن منبه قال اجمعت الاطباء على ان رأس الطب الحمية فلايبعد ان يكون التقدير فهم اى الحكماء امروا بالاحتماء (ويداوى) اى فانه لاينافض التوكل ولاينافى (فورد تداووا عباد الله) اى اطلبوا دواء بعضكم من بعض ياعباد الله (ما من داء الاوله دواء الا السام) اى الموت ففى مسند احمد والسنن الاربع وابن حبان والحاكم عن اسامة بن شريك مرفوعا تداووا عباد الله فان الله لم يضع داء الاوضع له دواء غير داء واحد الهرم (ويستوهب مهر امرأته) اى يطلب الهبة من بعض مهرها ويأكله ففيه شفاء لقوله تعالى * فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا * اى سائغا غير ضار ولاتنغص فيه فى الدنيا ولاتبعة معه فى الاخرى (واستوهب على رضى الله عنه امرأته) اى من مهرها (اواستقرض فى العارضة) اى العلة (من مهرها) شك من الراوى (فاشترى به العسل) لقوله تعالى فيه شفاء للناس (ومزجه) اى خلطه (بماء السماء اى المطر لقوله سبحانه * وانزلنا من السماء ماء طهورا (وشربه فصار سبب الشفاء) اى حيث اجتمع فيه اسباب الدواء (هذا) اى مضى اوخذ هذا (وازالة السكنجبين الصفراء لايفارق ارواء الماء) اى كما قال الحكماء (الا بالتعلق) اى تعلق السكنجبين فى ازالة الصفراء (بالنظر) اى التأمل (والتوقف على الشروط) اى المعتبرة التى ذكرها الاطباء فمن عرف المزاج وغلبة العلة وجودة الدواء ومقداره بحسب المزاج واقتداره لم يبق عنده فرق بين ازالة السكنجبين الصفراء وبين ارواء الماء بخلاف من لم يعرف ذلك فانه لاينفعه هنالك وهذا جواب سؤال مقدر يرد على قوله عليه السلام ما من داء الحديث

فان السكنجبين مثلا ربما لايوافق لدفع الصفراء ويؤدى الى عطش مفرط فنقول استعماله موقوف بالنظر الى احواله ومتوقف على شروط استعماله والحاصل ان الدواء سبب لدفع الداء فمهما حصل السبب فيتلوه المسبب لامحالة فى الاغلب كمعالجة الجوع بالطعام والعطش بالماء الحلو البارد وانما يتخلف نحو السكنجبين لتوقفه على شروط دقيقة يعرفها الاطباء والحكماء بخلاف اشباع الطعام وارواء الماء وكل ذلك بتدبير مسبب الاسباب وترتيبه فى الابواب بكمال قدرته وجمال حكمته فلايضر المتوكل استعمال الدواء مع النظر الى مسببه دون الطبيب والدواء (ويحتجم) اذا كان المرض دمويا اومطلقا لما ورد الحجامة تنفع من كل داء الا فاحتجموا الديلمى عن ابى هريرة (فورد ما مررت بملاء) اى جمع عظيم يملاء العيون من كثرتهم (من الملائكة) اى المقربين (الاقالوا بشر امتك بالحجامة) اى بالعافية والسلامة بسبب الحجامة (والاحب) اى الاولى ان تقع الحجامة فى النصف الاخير من الشهر لما رواه ابن ابى حبيب عن عبد الكريم معضلا الحجامة تكره فى اول الهلال ولايرجى نفعها حتى ينقص الهلال (والانسب فى سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين فهو ماثور لاسيما) اى خصوصا (اذا اتفق يوم الثلثاء سبع عشرة) من الشهر (فورد هو) اى الاحتجام لسبع عشرة من الشهر فى يوم الثلثاء (دواء من داء سنة) رواه ابن سعد والطبرانى وابن عدى عن معقل بن يسار ولفظه الحجامة يوم الثلثاء لسبع عشرة من الشهر دواء لداء سنة (الافى القفا فهو يورث النسيان) روى الديلمى عن انس مرفوعا الحجامة فى نقرة الرأس تورث النسيان فتجنبوا ذلك وقد احتجم عليه السلام فى يافوخه من وجع كان به ذكره ابن الربيع ورواه ابن سعد عن انس الحجامة فى الرأس هى المغيثة امرنى بها جبريل حين اكلت طعام اليهودية وفى رواية العقيلى عن ابن عباس الحجامة فى الرأس امان من الجنون والجذام والبرص ووجع الاضراس والنعاس ورواه الطبرانى وابن السنى فى الطب عن ابن عمر وفى رواية الطبرانى وابو نعيم عن ابن عباس الحجامة فى الرأس شفاء من سبع اذا ما نوى صاحبها من الجنون والصداع والجذام والبرص والنعاس ووجع الضرس وظلمة يجدها فى عينيه وفى رواية ابن ماجه والحاكم وابن السنى وابى نعيم عن ابن عمر الحجامة على الريق امثل وفيها شفاء وبركة وتزيد فى الحفظ وفى العقل فاحتجموا على بركة الله تعالى يوم الخميس واجتنبوا الحجامة يوم الجمعة ويوم السبت ويوم الاحد واحتجموا يوم الاثنين والثلاثاء فانه اليوم الذى عافى الله فيه ايوب من البلاء واجتنبوا الحجامة يوم الاربعاء فانه اليوم الذى ابتلى فيه ايوب وما يبدو جذام ولا برص الا فى يوم الاربعاء اوفى ليلة الاربعاء وفى الصحيحين عن جابر مرفوعا ان كان فى شىء من ادويتكم خير ففى شرطة محجم او شربة من عسل اولدغة بنار توافق

داء وما احب ان اكتوى (ويجتنب الكى ففيه خوف السراية) اى سراية الم الكى الى الموت اوسراية المرض الى سائر الجسد (والرقية) اى ويجتنبها اذا لم يعرف معناها من مبناها (ونهى عنهما) اى عن الكى والرقية فروى الترمذى والحاكم عن عمر انه عليه السلام نهى عن الكى وفى الحلية عن ابن عباس انه عليه السلام كان يكره الكى وفى رواية البزار عن انس سبعون الفا من امتى يدخلون الجنة بغير حساب هم الذين لايكتوون ولايكوون ولايسترقون ولايتطيرون وعلى ربهم يتوكلون واما الرقية بالقرآن والادعية المأثورة فلاشك فى جوازها بل فى استحبابها فكان عليه السلام يرقى اللديغ بالفاتحة سبع مرات رواه الترمذى وغيره عن ابى سعيد وكان ايضا يرقى المغتوه بالفاتحة ثلاثة ايام غدوة وعشية كلما ختمها جمع بزاقه ثم تفله رواه ابوداود والنسائى وفى صحيح مسلم وغيره عن ابى سعيد بسم الله ارقيك من كل شئ يؤذيك ومن شر كل نفس اوعين حاسد الله يشفيك بسم الله ارقيك وروى ابن ماجه والحاكم عن ابى هريرة الا ارقيك برقية رقانى بها جبريل يقول بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل داء يأتيك من شر النفاثات فى العقد ومن شر حاسد اذا حسد ترقى بها ثلاث مرات واما قوله عليه السلام لشفاء بنت عبد الله علمى حفصة رقية النملة كما رواه ابو عبيد فى الغريب عن ابى بكر بن سليمان بن ابى حثمة فقال الجلال السيوطى فى شرح ابى داود رقية النملة شئ كانت تستعمله النساء يعلم كل من يسمعه انه كلام لاينفع ولايضر ورقية النملة كما كانت تعرف بينهن ان يقال العروس تختضب وتنتعل وتحتفل ونكتحل وكل شئ يفتعل غير ان لايعصى الرجل فاراد عليه السلام بهذا الكلام تأنيب حفصة وتوبيخها لانه القى اليها سرا وافشته (ويوصى بثلث المال) اى يجوز ان يوصى به ولوكان الافضل دونه ففى الصحيحين عن ابن عباس الثلث والثلث كثير وفيهما عن سعد انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس الحديث (وارضاء الخصوم) اى بالمال والاستحلال (وقضاء الدين) اوطلب ابرائه (وفدية الصلوة والصوم) اى وبمقدار ان يفدى به الصلوات والصيام الفائتة لكل فرض ووتر نصف صاع وكذا لكل يوم صوم (فمن مات دون الوصية) اى الواجبة عليه وفى نسخة دونها اى بغير الوصية (لايؤذن له التكلم مع الموتى فى القبر الى يوم القيمة) رواه ابو الشيخ فى الوصايا عن قيس ولفظه من لم يوص لم يؤذن له فى الكلام مع الموتى وفى رواية ابن ماجه من مات على وصية مات على سبيل وسنة ومات على تقى وشهادة ومات مغفورا له (ويغتنم الموت) اى علامات حلوله وامارات نزوله ففى الخبر تحفة المؤمن الموت رواه الطبرانى باسناد جيد عن ابن عمر به مرفوعا وذلك لانه وسيلة الى وصول مولاه وحصول لقاه وفى الصحيحين عن ابى موسى مرفوعا من احب لقاء الله احب الله

لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه (ولايشتغل) اى المحتضر (عنه) اى وقت حضور الموت (بغيره تعالى ظاهرا وباطنا) لقوله تعالى * ارجعى الى ربك راضية مرضية (ويقرأ يس) اى بنفسه اويقرأها غيره فيستمعها (ففى الخبر اقرؤا على موتاكم يس) اى على من اشرف على الموت رواه احمد وغيره عن معقل بن يسار (ويحضر الصلحاء) اى ليعينوه بالتلقين ويغيثوه بالدعاء فى شدة البلاء (ولا يكره السكرات) اى لانها من جملة المكفرات اومن موجبات رفع الدرجات ويستحب ان يقول اللهم اعنى على غمرات الموت وسكرات الموت رواه الترمذى عن عائشة مرفوعا (ويطيب ماحول البيت) اى ينظفه ويبخره وفى نسخة ماحول الميت وهو المحتضر اوبعد تحقق الموت (فهو محضر الملائكة) اى ملك الموت واعوانه اوالملائكة المبشرة لقوله تعالى * ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الاتخافوا ولاتحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن اولياؤكم فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ماتشتهى انفسكم ولكم فيها ماتدعون نزلا من غفور رحيم (ويجتهد فى هدو الجوارح) اى سكونها عن الاضطراب فقد روى موتوا قبل ان تموتوا فى هذا الباب وينبغى ان يكثر الحمد فعن ابن عباس المؤمن يخير على كل حال ينزع نفسه من بين جنبيه وهو يحمد الله تعالى رواه النسائى (وورد ارقبوا) بضم القاف اى انظروا الامن والامان على المريض وقت ظهور احوال تطرؤ عليه فى ذلك الزمان (عند ثلاث) اى من علامات لكل احد من اهل الايمان اوالكفران كما فصله بقوله (اذا رشح جبينه) اى عرق وفى رواية ابى داود والترمذى والنسائى عن بريدة وصححه ابن حبان المؤمن يموت بعرق الجبين (وذرفت عيناه) اى سالت وذلك لان الدمعة علامة الرحمة (ويبست شفتاه) لانه من خوف مولاه (فهو) اى ماذكر من الخصال الثلاث (من رحمة الله تعالى قد نزلت به واذاغط) اى وارقبو اذاغط (غطيط المخنق) اى صوت كصوته وهو الصوت الذى يخرج مع نفس النائم اوحال خنقه وصرعه (واحمر لونه واربدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به) ومع هذا يحسن الظن بشانه ويحكم بايمانه لان الدليل المذكور ظنى فى مقام برهانه ولعله محمول على غالب احيانه (وكلمة التوحيد) اى ويجتهد فى اكثارها منه اومن غيره تلقينا له ونيابة عنه (فورد من مات وهو يعلم ان لااله الاالله) اى وان محمدا رسول الله (دخل الجنة) اى استحق دخولها ولابد له من وصولها وفى الصحيحين عن ابن مسعود من مات لايشرك بالله شيئا دخل الجنة وفى مسند احمد وغيره عن معاذ من كان آخر كلامه لااله الاالله دخل الجنة (وحسن الظن بالله) اى ويجتهد فى حسن ظنه بربه ان يرحمه ويعفو عنه جرمه ففى صحيح مسلم وغيره عن جابر لايموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى (فورد) فى الصحيحين (انا عند ظن عبدى بى) اى فى معاملتى معه فى الدنيا والاخرى (فليظن

بى ماشاء) اى من العفو والعقوبة فان مصيره الى وحسابه على وان قضيت له من خير اوشر فلا مرد له لدى (والخوف والرجاء) اى ويجتمعان فى الجمع بينهما (فورد لا يجتمعان فى قلب عبد) اى مؤمن (الا اعطاه الله الذى يرجوه) اى من العفو (وامنه الله الذى يخاف منه) اى من العقوبة (حين قال) ظرف ورد اى فى زمان قال (ممتضر ارجو الله واخاف ذنوبى) وفى رواية البيهقى عن سعيد بن المسيب مرسلا ولفظه ما اجتمع الرجاء والخوف فى قلب مؤمن الا اعطاه الله عز وجل الرجاء وامنه الخوف (ويكره المخلط) اى الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا (الفجاءة) اى موت البغتة لقوله تعالى * عسى الله ان يتوب عليهم * فبموت الفجاءة يفوته التوبة واما رواية احمد عن عائشة مرفوعا موت الفجاءة راحة للمؤمن واخذة اسف على الكافر فمحمولة على المؤمن الصالح اذ الفاجر فى حكم الكافر ولو من بعض الوجوه (دون الطاعون) اى لا يكره فجأته ففى الصحيحين عن انس الطاعون شهادة لكل مسلم (فورد من صبر فى ارض طاعون) اى ولم يخرج فرارا منه (كان له مثل اجر شهيد) وفى مسند احمد وصحيح البخارى عن عائشة الطاعون كان عذابا يبعثه الله على من يشاء وان الله جعله رحمة للمؤمنين فليس من احد يقع الطاعون فيمكث فى بلده صابرا محتسبا يعلم انه لا يصيبه الا ما كتب الله له الا كان له مثل اجر شهيد وفى رواية لاحمد عنها الطاعون غدة كغدة البعير المقيم بها كالشهيد والفار منها كالفار من الزحف وفى رواية الطبرانى فى الاوسط عنها الطاعون شهادة لامتى ووخز اعدائكم من الجن غدة كغدة الابل تخرج فى الآباط والمراق من مات منه مات شهيدا ومن اقام فيه كان كالمرابط فى سبيل الله ومن فر منه كالفار من الزحف وفى مسند احمد الطاعون لا يدخل مكة والمدينة اى لما فيهما من نزول السكينة *

الباب الثامن فى الصحبة

للصحبة تأثير بليغ فى المنفعة والمضرة وان كان الشخص قويا فى كمال المرتبة قال تعالى * يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين * وفى رواية النسائى عنه عليه السلام ما بال قوم يصلون معنا لا يحسنون الطهور فانما يلبس القرآن علينا اولئك وفى رواية احمد ومسلم عن ابى سعيد يا ايها الناس انها كانت ابينت ليلة القدر وانى خرجت اليكم لاخبركم بها فجاء رجلان يختقان معهما الشيطان فنسيتهما فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة وفى رواية احمد والبيهقى عن ابن عباس انه قيل يارسول الله ابطأ عنك جبريل فقال لم لا يبطئ عنى وانتم مولى لا تستنون ولا تقلمون اظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقون رواجبكم اى مفاصل انامله كم هذا والنظر الى اهل الدنيا مضر

لاهل العقبى كما يشير اليه قوله تعالى * لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا * وذلك لانه سبب للغفلة عن المولى ومن هنا قال سعيد ابن المسيب لاتنظروا الى الظلمة فتعبط اعمالكم الصالحة بخلاف ما ورد النظر الى الكعبة عبادة كما رواه ابو الشيخ عن عائشة والنظر الى على عبادة كما رواه الطبرانى والحاكم عن ابى مسعود وعن عمران بن حصين وذلك لانهما وسيلتان الى ذكر الله وورد اولياء الله الذين اذا رأوا ذكر الله (بسم الله الرحمن الرحيم) فهو اولى مايصحب به لانه الكريم الحليم ويستعان به على دفع الشيطان الرجيم والصاحب اللئيم (وردان المتحابين) بتشديد الموحدة (فى الله) اى فى سبيله لابتغاء رضاه (على منابر من نور) اى الهى موجب لانواع من سرور توضع المنابر (حول العرش) اى فى مكان المقربين (لباسهم نور) اى مجرد اوحرير بعلوه نور (ووجوههم نور) اى كنور شموس وبدور (يغبطهم النبيون والشهداء) اى يطلبون مراتبهم مع انهم من اكابر السعداء وهذا للمبالغة فى علو البهاء والمعنى ان حالهم عند الله بمثابة لوغبط النبيون والشهداء يومئذ حال غيرهم مع جلالة قدرهم لغبطوهم فى علو امرهم ولايبعد ان يراد به النبيون والشهداء الذين لم يتيسر لهم التحابب مع الاولياء والاصفياء ويؤيده ما فى الاحياء انه يروى ان الله تعالى اوحى الى نبى من الانبياء امازهدك فى الدنيا فقد تعجلت به الراحة واما انقطاعك الى فقد تعززت بى ولكن هل عاديت فى عدوا وهل واليت فى وليا والحديث رواه الطبرانى عن معاذ ان المتحابين فى الله فى ظل العرش وفى رواية له عن ابى ايوب المتحابون فى الله على كراسى من ياقوت حول العرش قال ابو ادريس الخولانى لمعاذ انى احبك فى الله فقال له ابشر ثم ابشر فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ينصب لطائفة من الناس كراسى حول العرش يوم القيمة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم لايفزعون ويخاف الناس وهم لايخافون وهم اولياء الله الذين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل من هؤلاء يارسول الله قال هم المتحابون فى الله كذا فى الاحياء وقال مخرجه رواه احمد والحاكم فى حديث طويل ان ابا ادريس قال قلت والله انى لاحبك فى الله قال فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المتحابين لجلال الله فى ظل عرشه يوم لاظل الاظله قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين وهو عند الترمذى من رواية ابى مسلم الخولانى عن معاذ بلفظ المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء وقال حسن صحيح ولاحمد من حديث ابى مالك الاشعرى ان لله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء على منازلهم وقربهم من الله الحديث وفيه تحابوا فى الله وتصافوا به يضع الله لهم يوم القيمة منابر من نور فيجعل وجوههم نورا وثيابهم نورا يفزع الناس

يوم القيمة ولايفزعون وهم اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وروى النسائى فى سننه الكبرى ورجاله ثقات من حديث ابى هريرة ان حول العرش منابر من نور عليها قوم اجسامهم نور ووجوههم نور ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء فقالوا يا رسول الله صفهم لنا فقال هم المتحابون فى الله والمتجالسون فى الله والمتزاورون فى الله (فالحب فيه تعالى) كل حب لولا الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر لم يتصور وجوده فهو منبعث من الايمان ومستزيد بالايقان فاذا علمت ذلك فاعلم ان الحب اما ان يكون لمعنى فى ذات المحبوب كحب الصور الجميلة والسير الحميدة الجليلة وهو حب بالطبع وشهوة النفس اذ هو منبعث منها واما ان يكون للتوصل به الى مقصود آخر ليس فى ذات المحبوب وذلك اما ان يكون نفس الدنيا اومتعلقا بالآخرة واما ان يكون متعلقا بالله فالاول ليس من الحب فى الله لانه منبعث من الدنيا والثانى عد من الحب فى الله (كحب عالم) اى كحب العالم الذى (يستفاد من قوله وحاله) اى من جملة اقواله وسائر افعاله واخلاقه واحواله (وصالح يتبرك به) اى بدعائه واقباله وحسن مآله فى مناله اذ العالم يستفاد من علمه والصالح يستفاض من عمله وحلمه فى الدنيا ويرجى شفاعتهما فى العقبى فقد قال بعض السلف استكثروا من الاخوان فان لكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل فى شفاعة اخيك وروى فى غريب التفسير لقوله تعالى* ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله * اى يشفعهم فى اخوانهم فيدخلهم الجنة معهم ولذا حث جماعة من السلف على الصحبة والالفة والمخالطة وكرهوا الانفراد والعزلة ولابى عبد الرحمن السلمى من حديث على مرفوعا من سعادة المرء ان يكون اخوانه صالحين فالاخ الصالح ان نسى ذكره وان ذكر اعانه ويشير اليه قوله تعالى حكاية عن موسى * واجعل لى وزيرا من اهلى هارون اخى اشدد به ازرى واشركه فى امرى كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا * وفى رواية ابى داود من حديث عائشة رضى الله عنها اذا اراد الله بالامير خيرا جعل الله له وزير صدق ان نسى ذكره وان ذكر اعانه ونقل فى الاحياء معنى الحديث وعبر عنه بقوله من اراد الله به خيرا رزقه اخا صالحا الحديث والاخ الصالح يشمل العالم والمتعلم فعن عيسى عليه السلام من علم وعمل وعلم فذلك يدعى فى الملكوت عظيما (وامرأة تفرغ) اى الرجل (للعبادة بتدبير امر البيت) وما يتعلق به من اصلاح ماله وحفظ ماله وصيانة دينه ولذا ورد فى الاخبار وفور الاجر والثواب للانفاق على العيال حتى اللقمة يضعها الرجل فى فى امرأته كما تقدم والله اعلم (وغنى يعطى مالا) اى قدر حاجة العالم اوالعابد (بصون الوقت) اى يحفظ وقتهما (عن الضياع فى الطلب) اى يحفظ وقتهما عن الضياع فى الطلب اى طلب

مالا بد لهما منه فقد كان جماعة من السلف تكفل بكفايتهم جماعة من اولى الثروة وكان المواسى والمواسى جميعا من المتحابين فى الله (ومتعبد له تعالى) اى المبتدىء فى العبادة والمظهر لها المشير الى انه من اهل السعادة (فالمحب للشىء محب لمحبه ومحبوبه) وقد ورد فى الدعاء اللهم انى اسئلك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربنى الى حبك (وكذا المبغض) اى للشىء مبغض لمبغضه ومبغوضه وفى الجملة من احب الله واحب رضاءه ولقاءه اذا احب غيره كان محبا فى الله لانه لايتصور ان يحب شيئا الا لمناسبته لما هو محبوب عنده وهو رضاء الله ومن هنا قيل احب العالم جميعه لانه خلقه وصوره واحسن خلقه وقد قال ابو مدين المغربى * لاتنكر الباطل فى طوره * فانه بعض ظهوراته * (شعر)

وقد قيل ان المؤمن اذا احب المؤمن احب كلبه وقال مجنون بنى عامر *

امر على الديار ديار ليلى * اقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شغفن قلبى * ولكن حب من سكن الديارا

فالمخلوقات باسرها مظاهر للصفات الجمالية والنعوت الجمالية فليس فى الكون سوى الله ومصنوعاته فمن احب انسانا احب صنعته ولذا كان عليه السلام اذا حمل عليه بالكورة من الفواكه مسح بها عينيه وقال انه قريب عهد بربنا الطبرانى فى الصغير من حديث ابن عباس وهذا بالنظر الى التوحيد الصرف وحقيقته واما فى مقام الشريعة وطريقته فلا بد من اعطاء كل ذى حق حقه فينادى ويقال اللهى ارنا الاشياء كما هى واللهم ارنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وارنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه وبذلك يتم الكمال فقد ورد اوثق عرى الايمان الحب فى الله والبغض فى الله رواه احمد من حديث البراء بن عازب وورد ايضا من احب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان رواه ابو داود عن ابى امامة (ويزدادان) اى الحب والبغض (بقوة الطاعة) وكثرتها (والمعصية) اى فى المحب والمحبوب (وينتقصان بضعفهما) لانهما مترتبان على وجودهما يكون على قدر شهودهما وحد الحب فى الله ان كل حب لولا الايمان بالله واليوم الآخر لم يتصور وجوده فهو حب فى الله وكذا زيادة الحب وقد يغلب الحب بحيث لا يبقى للنفس حظ الا فيما هو حظ المحبوب وانشد * (شعر)

اريد وصاله ويريد هجرى * فاترك ما اريد لما يريد

وقال سمنون المحب * فليس لى فى سواك حظ * فكيف ما شئت فاختبرنى (فالادنى) اى ادنى مراتب الحب المعبر عنه بالمصاحبة (الاخوة) فعن انس ما احدث عبد اخا فى الله عز وجل الا احدث الله عز وجل له درجة فى الجنة ابن ابى الدنيا فى كتاب الاخوان (ثم المحبة) وهى الموجبة لزيادة الصحبة من الاخوة (وهى ما تمكن فى حبة القلب)

اى سويدائه وخاصة اجزائه وخلاصة اثنائه فعن انس ما تحاب اثنان فى الله الا كان احبهما الى الله اشدهما حبا لصاحبه ابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد (ثم الخلة) بالضم اى الصداقة والمحبة الصادقة (وهى ما تخلل) اى توسط الحب وتداخل امره (فى سره) بحيث لا يسع له محبة غيره وهذا معنى قوله (ولا شركة فيها) اى فى الخلة لاحد سوى الله بل هى خاصة له سبحانه فلا بد من انفراد الخليل فى حب الجميل الجليل (فورد لو كنت متخذا خليلا) اى من المخلوقين (لا تخذت ابا بكر خليلا) لكونه عندى جليلا (ولكن صاحبكم) يعنى نفسه (خليل الرحمن) اى وحبيبه فلا يسع فى قلبه خلة غيره والحديث رواه احمد والبخارى عن ابن الزبير والبخارى عن ابن عباس بلفظ لو كنت متخذا من امتى خليلا لاتخذت ابابكر خليلا ولكن اخى وصاحبى وعن الزجاج الخليل هو الذى ليس فى صحبته خلل وقيل الذى يوالى فيه ويعادى به وقيل الخليل هو المحب المحض لشئ دون غيره ولهذا قال عليه السلام انى ابرأ الى كل خليل من خلته ولو كنت متخذا الحديث فهذا منه عليه السلام قطع المخالفة بينه وبين غيره من الانام واستشكل قول ابى هريرة وبعض الصحابة خليلى عليه السلام واجيب بان المنفى ان يتخذ هو خليلا ومانفى ان يتخذه غيره خليلا (بخلاف ما سواها) اى غير الخلة من المحبة والاخوة فانه يتصور الشركة فى كل منهما (فورد) اى فى الاخوة وكمال المحبة (على منى بمنزلة هارون من موسى الا انه لانبى بعدى) رواه ابوبكر المطيرى فى جزئه عن ابى سعيد وفى رواية الطبرانى عن ابن عمر على اخى فى الدنيا والآخرة (فيصاحب العاقل) وهو العالم العامل (والحسن الخلق) وهو الفاضل الكامل وقد قال عليه السلام يا اباهريرة عليك بحسن الخلق قال ابوهريرة وماحسن الخلق يارسول الله قال تصل من قطعك وتعفو من ظلمك وتعطى من حرمك البيهقى فى الشعب من حديث الحسن مرسلا عن ابى هريرة اذا لم يسمع منه (فاشتراطهما ماثور) وذلك لان مدار الصحبة والالفة عليهما فالبعد عن الاحمق والسئ الخلق اولى واحق وقد ورد من حديث ابى هريرة برواية ابى داود والترمذى وحسنه والحاكم وقال صحيح ان شاء الله المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل فلابد ان يتميز بصفات يرغب بسببها فى صحبته اما العقل فهو رأس المال لتحصيل الكمال وعن على كرم الله وجهه (شعر)

* ولاتصحب اخا الجهل فاياك واياه * فكم من جاهل اردى حليما حين واخاه *
* يقاس المرء بالمرء اذا ما هو ما شاه * وللشئ على الشئ مقاييس واشباه *
* وللقلب على القلب دليل حين يلقاه * كيف والاحمق قد يضرك وهو يريد نفعك *

وقال الجنيد لان يصحبنى فاسق حسن الخلق احب الى من ان يصحبنى قارئ سئ الخلق

اقول وذلك لانه اذا غلب عليه غضب او شهوة او بخل او جبن اطاع هواه فى ذلك فيعامل بمقتضى ما غلب عليه من الاخلاق هنالك فاذا غلب عليه غضب اجترأ عليك او شهوة آثر نفسه عليك او بخل قطع بك احوج ما يكون اليك او جبن لم ينصرك بل ضرره يرد عليك (والقانع) اى يصاحبه (فصحبة الحريص سم قاتل) اى يسرى من حيث لايدرى (والصالح) اى ويصاحب المتقى فعن ابى ذر مرفوعا الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة رواه الحاكم (فالفاسق) وهو مرتكب الكبيرة والمصر على الصغيرة (يستحق المقت) وهو الغضب وهو ينافى الحب فقد قال الحسن مصارمة الفاسق قربان الى الله وقد يقال يحب الفاسق لاجل ايمانه ويبغض بسبب عصيانه لكن لابد من عدم قربانه ثم المبتدع اولى بان يجتنب ففى صحبته سراية البدعة وعن عيسى عليه السلام تحببوا الى الله ببغض اهل المعاصى وتقربوا الى الله بالتباعد عنهم والتمسوا رضى الله بسخطهم قالوا ياروح الله فمن نجالسه قال جالسوا من يذكركم الله رؤيته ومن يزيد فى عملكم كلامه ومن يرغبكم فى الآخرة علمه وقد قال على رضى الله عنه رجزا * (شعر)

* ان اخاك الحق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك *

* ومن اذا ريب زمان صدعك * شتت فيه شمله ليجمعك *

وقال بعض العلماء لاتصحب الا احد رجلين رجلا تتعلم منه شيئا من امر دينك او رجلا تعلمه شيئا فى امر دينه فيقبل منك والثالث فاهرب منه فالمدار فى الصحبة على المنفعة فورد مثل الاخوين اذا التقيا مثل اليدين تغسل احديهما الاخرى وما التقى مؤمنان قط الا افاد الله احدهما من صاحبه خيرا رواه السلمى فى آداب الصحبة والديلمى عن انس وفى الخبر المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن اخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه ابوداود عن ابى هريرة اى يجمع عليه معيشته ويحفظ عليه حالته وقوله المؤمن مرآة المؤمن اى يرى منه ما لايرى من نفسه فيستفيد المرء باخيه معرفة عيوب نفسه ولو انفرد لم يستفد كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة وقال الشافعى من وعظ اخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه والله سبحانه يعاتب المؤمن يوم القيمة تحت كنفه وفى ظل ستره ويوقفه على ذنوبه سرا واما اهل المقت فينادون على رؤس الاشهاد ويستنطق جوارحهم بفضايحهم بين العباد وقيل الاخوان ثلاثة احدهم مثل الغذاء لايستغنى عنه والآخر مثل الدواء يحتاج اليه فى وقت دون وقت والثالث مثل الداء لايحتاج اليه قط ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذى لاانس فيه ولانفع منه وقال علقمة العطاردى فى وصيته لابنه يابنى ان عرضت لك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من اذا خدمته صانك واذا صحبته زانك وان قصدت بك مؤنة مانك اصحب من اذا مددت يدك بخير مدها وان رأى منك حسنة عدها وان رأى منك سيئة سدها اصحب

من

من اذا سألته اعطاك وان سكت ابتداك وان نزلت بك نازلة واساك اصعب من اذا قلت صدق قولك واذا حاولتما امرا امرك واذا تنازعتما آثرك قال ابن اكثم قال لى المأمون فاين هذا فقيل له اتدرى لم اوصاه بذلك قال لانه اراد ان لاتصعب احدا هنالك هذا وعن الحسن بن على لايغرنك قول من يقول المرء مع من احب فانك لن تلحق الابرار الا باعمالهم فان اليهود والنصارى يحبون انبياءهم وليسوا معهم اقول وربما يقال ان الكفر محبهم ومنعهم واما الايمان فيرجى ان يجمعهم فورد من احب قوما حشر معهم كما اورد الحاكم وقد يقال محبتهم لانبيائهم ليست خالصة لله بل لكونهم من انبيائهم ولذا ورد من احب ان يجد طعم الايمان فليحب المرء لايحبه الا لله تعالى رواه الطبرانى عن ابى هريرة وقال رجل لمحمد بن واسع انى لاحبك فى الله فقال احبك الذى احببتنى لاجله ثم حول وجهه وقال اللهم انى اعوذ بك ان احب فيك وانت لى مبغض وفى الجملة كما ورد الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ايتلف وما تناكر منها اختلف رواه مسلم من حديث ابى هريرة والبخارى تعليقا من حديث عائشة ورواه الطبرانى فى الاوسط عن على الارواح فى الهواء جنود مجندة تلتقى فتشام وعنه عليه السلام ان ارواح المؤمنين لتلتقى على مسيرة يوم وما رأى احدهم صاحبه احمد من حديث عبد الله بن عمر فالجنسية علة الضم فروى ان امرأة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدينة اخرى فنزلت المكية على المدنية فدخلت على عائشة رضى الله عنها فاضحكتها فقالت اين نزلت فذكرت لها فقالت صدق الله ورسوله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الارواح جنود مجندة الحديث رواه الحسن ابن سفيان فى مسنده وعنه عليه السلام لو ان مؤمنا دخل الى مجلس فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس اليه ولو ان منافقا دخل الى مجلس فيه مائة مؤمن ومنافق واحد لجاء حتى يجلس اليه البيهقى فى الشعب موقوفا على ابن مسعود ومن هنا قيل ان لله ملائكة تجر الاهل الى الاهل ويشير اليه قوله تعالى * وهو على جمعهم اذا يشاء قدير * وقال بعض الحكماء كل انسان يأنس الى شكله كما ان كل طير يطير مع مثله واذا اصطحب اثنان برهة من الزمان ولم يتشاكلا فى الحال فلابد ان يفترقا فى الاستقبال ورأى يوما غرابا مع حمامة فعجب من ذلك وقال اتفقا وليسا من شكل واحد ثم طارا فاذا هما اعرجان فقال من هنا اتفقا هذا وقد اختلف طرق السلف فى اظهار البغض مع اهل المعصية واتفقوا على اظهار البغض للظلمة والمبتدعة وكل من عصى الله بمعصية تجاوزت منه الى غيره فاما من عصى الله فى نفسه فمنهم من نظر بعين الرحمة الى العصاة كلهم ومنهم من شدد الانكار واختار المهاجرة فقد كان احمد بن حنبل يهجر الاكابر فى ادنى كلمة حتى هجر يحيى بن معين فى قوله انى لااسأل احدا شيئا ولو حمل السلطان الى شيئا لاخذته وهجر الحارث المحاسبى فى تصنيفه للرد على المعتزلة وقال

انك اولا تورد شبههم وتحمل الناس على التفكر فيها ثم ترد عليهم وهجر ابا ثور فى تأويله قوله عليه السلام كما فى مسلم من حديث ابى هريرة ان الله خلق آدم على صورته كذا ذكره فى الاحياء ولم يبين تأويله فقيل على صفته الجمالية والجلالية اوعلى صفته من السمع والبصر والكلام وقيل الضمير فى صورته لآدم والله اعلم والحاصل ان مختار الامام احمد ان هذا الحديث من احاديث الصفات المشكلات كالآيات المتشابهات نؤمن بمعناها ولا نتعرض لمعناها مع اعتقاد نزاهة الله سبحانه عن المشابهة بالمخلوقات ومقتضاها واما الجمهور فما اختاروا مهاجرة اهل المعصية للعلم بان الذين شربوا الخمر وتعاطوا فواحش الامر فى زمانه عليه السلام وايام اصحابه الكرام فلم يكونوا يهجرونهم بالكلية بل كانوا منقسمين فيهم الى من يغلظ القول فيه ويظهر البغض اليه والى من يعرض عنه ولم يتعرض لما لديه والى من ينظر اليه بعين الرحمة ولا يؤثر التباعد والمقاطعة وهذا هو المناسب لهذه الامة فانهم اتباع نبى الرحمة وما يدل على تخفيف الامر فى الفسق القاصر الذى هو بين العبد وبين الله ما روى البخارى من حديث ابى هريرة ان شارب خمر ضرب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرات وهو يعود فقال واحد من الصحابة لعنه الله ما اكثر مايشرب فقال عليه السلام لاتكن عونا للشيطان على اخيك (ويقدم حاجته) اى حاجة اخيه (فى المال) اى اعطائه (والنفس) اى عظما (وهو) اى التقديم (الاولى) اى لانه المقام الاعلى لقوله تعالى * ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة * اى مجاعة ولقد كان بعض الانصار ممن آخا النبى صلى الله عليه وسلم بينه وبين احد من المهاجرين انه اعطاه احسن داريه واثمن بستانيه واحسن امرأتيه وقال ابن عمر اهدى لرجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال اخى فلان احوج منى فبعث به اليه فبعثه ذلك الانسان الى آخر فلم يزل يبعث به واحد الى آخر حتى رجع الى الاول بعد ان تداوله سبعة وقيل اربعون (ثم التسوية) اى المساواة فى المال بينه وبين اخيه على السوية فقد عرض سعد بن الربيع نصف ماله واهدى زوجتيه على عبد الرحمن بن عوف فقال له عبد الرحمن بارك الله لك فى اهلك ومالك رواه البخارى من حديث انس (ثم التأخير) اى تأخير حق صاحبه عن حق نفسه فان فضل منه شئ فليصرفه الى اخيه (وان عدم هذا) اى الاخير وهو التأخير (فلا اخاء) بل هو فى مقام التقصير (والاولان) اى التقديم والتسوية (مأثوران) اى مرويان عن السلف الكرام كما قدمنا (وورد مامن صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من نهار الا سئل عن صحبته هل اقام فيه حق الله تعالى اواضاعه) وفى نسخة ام اضاعه (حين اعطى) اى ورد الحديث المتقدم حين اعطى (عليه السلام اقوم المسواكين) اى اعدلهما (الى الصاحب وهو ابو بكر الصديق وقال انت احق به يارسول الله) فقال ماقال وفى الاحياء ان اقتداء الكل فى الايثار برسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم فانه دخل غيضة مع بعض اصحابه فاجتنى منها سواكين احدهما معوج والآخر مستقيم فدفع المستقيم الى صاحبه فقال له يا رسول الله كنت احق بالمستقيم منى فقال مامن صاحب الحديث قال مخرجه لم اقف له على اصل اقول لكن رواه ابن جرير الطبرى كما ذكره ابن عطية فى تفسيره (امرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون) اى كانوا خلطاء فى الاموال لايميز بعضهم رحله عن بعض وكان فيهم من لايصحب من قال نعلى لانه اضافه الى نفسه (وكانوا لايميزون املاكهم) كما حكى عن ابراهيم بن شيبان كنا لانصحب من يقول نعلى وقال ابو محمد الفلانسى وكان من استاذ الجنيد صحبت اقواما بالبصرة فاكرمونى فقلت مرة لبعضهم اين ازارى فسقطت من اعينهم ومن هنا قيل الصوفى لا يملك ولا يملك فهو كالملك (ويظهر البشاشة فيه) اى فى اتفاق صاحبه (والسرور) اى الفرح بسببه فقد جاء فتح الموصلى الى منزل اخ له وكان غائبا فامر اهله فاخرجت صندوقه ففتحه فاخذ حاجته فاخبرت الجارية مولاها فقال ان صدقت فانت حرة سرورا بما فعل وذلك لانه دل على صداقته كما حقق فى قوله تعالى * اوصديقكم * وقال تعالى * اوما ملكتم مفاتحه * وكان الاخ يدفع مفاتيح بيته الى اخيه ويفوض اليه التصرف فيه وكان يتحرج عن الاكل بحكم التقوى حتى انزلت هذه الآية واذن لهم فى الانبساط فى طعام الاخوان والاصدقاء (ويقبل المنة) اى على نفسه بقبول المصاحب احسانه فقد جاء رجل الى ابى هريرة وقال انى اريد ان اواخيك فى الله فقال اتدرى ما حق الاخاء قال عرفنى قال الا تكون احق بدينارك ودرهمك منى فقال لم ابلغ هذه المنزلة بعد قال فاذهب عنى وقال على بن الحسين لرجل هل يدخل احدكم يده فى كم اخيه اوكيسه فيأخذ منه مايريد بغير اذنه قال لا قال فلستم باخوان وجاء رجل الى ابراهيم بن ادهم وهو يريد بيت المقدس فقال له اريد ان ارافقك فقال له ابراهيم على ان اكون املك لشيئك منك قال لا قال اعجبنى صدقك (ولا يحوجه) اى اخاه (الى السؤال) اى اصل الطلب اومقداره بل يبادره للمواساة بالمال قبل كشف الحال (فهو) اى الاحواج الى السؤال (تقصير) فى مقام الكمال فان ادنى الاعانة هو القيام بالحاجة عند السؤال وقد قال ابو سليمان الدارانى كان لى اخ بالعراق فكنت اجيئه فى النوائب فاقول اعطنى من مالك شيئا وكان يلقى الى كيسه فآخذ منه ما اريد فجئته ذات يوم فقلت احتاج الى شئ فقال كم تريد فخرجت حلاوة اخائه من قلبى وقال بعضهم اذا طلبت من اخيك مالا فقال ماذا تصنع به فقد ترك حق الاخاء قال بعضهم اذا استقضيت اخاك الحاجة فلم يقضها فذكره ثانية فلعله ان يكون قد نسى فان لم يقضها فتوضأ للصلوة وكبر عليه اربع تكبيرات واقرأ هذه الآية * والموتى يبعثهم الله * وكان فى السلف من يتفقد عيال اخيه واولاده بعد موته اربعين سنة يقوم بحاجتهم ويتردد كل يوم اليهم ويمونهم بماله وكانوا لايفقدون من ابيهم الا عينه بل كانوا يرون منه مالا يرون

من ابيهم فى حياته وكان الواحد منهم يتردد الى باب دار اخيه ويسأل ويقول هل لكم زيت هل لكم ملح هل لكم حاجة فكان يقوم بها من حيث لا يعرفه اخوه وقال ميمون بن مهران من لم تنتفع بصداقته لا تبال بعداوته وكان الحسن يقول اخواننا احب الينا من اهلينا واولادنا لان اهلينا يذكروننا بالدنيا واخواننا يذكروننا بالعقبى (ويتودد باللسان) اى بالكلام مرة وبالسكوت تارة فقد ورد رأس العقل بعد الايمان التودد الى الناس واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر الطبرانى فى الاوسط عن على بن الحسين عن ابيه عن جده فقال انس كان عليه السلام لا يواجه احدا بشئ يكرهه رواه الترمذى وغيره ولكن مدار الصحبة والاخوة على النصيحة بل ورد ان الدين النصيحة فمن قنع بالسكوت صحب اهل القبور فى البيوت وينبغى ان تعلم انك لو طلبت منزها عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولم تجد من تصاحبه ساعة كما ورد الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة واخبر تقله وانشد *

(شعر) * اتمنى على الزمان محالا * ان ترى مقلتاى طلعة حر *

فما من احد من الناس الا وله محاسن ومساوى فاذا غلبت المحاسن المساوى فهو الغاية والمنتهى فى المنى وفى الصحيحين لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا فالتجسس بتطلع الاخبار والتحسس بالمراقبة بالابصار فستر العيوب والتجاهل والتغافل عن الذنوب شيمة اهل الدين من التخلق باخلاق علام الغيوب فورد يا من اظهر الجميل وستر القبيح (ويتفقد الاحوال ويظهر المشاركة معه فى السراء والضراء) فورد لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه رواه الشيخان وقد نظر ابو الدرداء الى ثوربن يحرثان فى فدان فوقف احدهما يحك جسمه فوقف الآخر فبكى ابو الدرداء وقال هكذا الاخوان فى الله يعملان لله فاذا وقف احدهما وافقه الآخر وفى المثل لولا الوءام لهلك الانام وقد ورد المؤمنون كرجل واحد ان اشتكى رأسه اشتكى كله وان اشتكى عينه اشتكى كله احمد ومسلم عن النعمان بن بشير ولا يصحبن احدا لا يرى لك من الفضل كمثل ما ترى له (ويدعوه باحب الاسماء) اى اسمائه فى حال ندائه فعن عمر رضى الله عنه ثلاث تصفين لك ود اخيك ان تسلم عليه اذا لقيته وتوسع له فى المجلس وتدعوه باحب اسمائه اليه (وورد اذا احببت احدا فاسأله عن اسمه واسم ابيه وعن منزله) رواه البيهقى عن ابن عمر ولفظه اذا آخيت رجلا فاسأل عن اسمه واسم ابيه فان كان غائبا حفظته وان كا . يضا عدته وان مات شهدته وفى رواية ابن سعد والبخارى فى تاريخه والترمذى عن يزيد بن نعامة الضبى بلفظ اذا آخى الرجل الرجل فليسأله عن اسمه واسم ابيه وممن هو فانه اوصل بالمودة وممن هو اى من اى قوم وقبيلة هو (وكان عليه السلام يدعوهم) اى اصحابه الكرام (بالكنى) اذا كانوا معروفين بالكنية كابى بكر ونحوه حتى قال يا اباعمير ما فعل النغير (ويثنى عليه)

اى

اى على اخيه (وعلى اهله) اى من ابيه وبنيه بل على صنعته وفعله وخلقه وهيئته وعقله وجميع مايفرح به مال كونه (صادقا) فى قوله (مقتصدا) اى متوسطا فى مدحه لامقصرا ولا مفرطا فى وصفه ويكون معلنا به (بحيث يبلغ اليه فهو بؤكد المحبة) اى يزيدها لديه (وينبه على العيوب) اى الناشئة من الذنوب (متلطفا) فى بيانها (فى الخلاء) خوفا من الفضيحة فى الملاء فورد المسلم مرآة المسلم فاذا رأى به شيئا فليأخذه ابن منيع عن ابى هريرة وقد قيل لمسعر اتحب من يخبرك بعيوبك فقال ان نصحنى فيما بينى وبينه فنعم وان قرعنى فى الملاء فلا وعن عمر رضى الله عنه رحم الله من اهدى الى بعيوب نفسى وقال لسلمان وقد قدم عليه ما الذى بلغك عنى مماتكره فاستعفى فالح عليه فقال بلغنى ان لك حلتين تلبس احديهما بالنهار والاخرى بالليل وبلغنى انك جمعت بين ادامين على مائدة واحدة فقال عمر اما هذان فقد كفيتهما فهل بلغك غيرهما فقال لا وكتب حذيفة المرعشى الى يوسف بن اسباط بلغنى انك بعت دينك بجبتين وقفت على صاحب لبن فقلت بكم هذا فقال بسدس فقلت بثمن فقال هولك وكان يعرفك (ففى الملاء افضاح) اى اشاعة فيما فضاعة وايضاح (وفيه) اى فى الافضاح (اوعد بعقابه تعالى يوم القيمة) لقوله سبحانه * ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة * وهذا كله فى عيب وهو غافل عنه فانه يرجى النفع منه (ويسكت ان علم علمه به) اى بعيبه (وعدم انتفاع النصح) اى بسببه (لكونه ماسور الطبع) لامقهور الشرع (والقطع حينئذ) اى قطع مصاحبته (اسلم) بل انسب (والابقاء) اى ابقا اخوته (اقرب لرجاء تأثير الصحبة فيه) فيقبل النصيحة بعده وقيل القطع اولى لمن كان ضعيفا والابقاء لمن كان قويا (فورد مثل الجليس الصالح مثل صاحب المسك) البخارى عن ابى موسى ولفظه مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد لايعدمك من صاحب المسك اما تشتريه اوتجد ريحه وكير الحداد يحرق بيتك اوثوبك اوتجد منه ريحا خبيثة (ولان القطع منهى عنه) اى فى الانتهاء لحديث من هجر اخاه سنة فهو كسفك دمه احمد فى مسنده (بخلاف الابتداء فتركه ماءمور به) لئلا يقع فى البلاء بحديث لاتصاحب الامؤمنا اى كاملا احمد وغيره (وبجاهل عن تقصيره) اى فى خدمته اوصحبته قال الاحنف حق الصديق ان يتحمل منه ثلاثة ظلم المعصية وظلم المذلة وظلم الهفوة (الا اذا ادى الاستمرار الى القطع) اى جواز مقاطعته (فالاولى الاحتمال) وهو مختار اهل الكمال فقد اختلف الصحابة والتابعون فى ادامة مودته اومقاطعته فذهب ابو ذر الى الانقطاع فقال اذا انقلب اخوك عما كان عليه فابغضه من حيث احببته ورأى ذلك فى مقتضى الحب فى الله والبغض فى الله واما ابو الدرداء وجماعة من الصحابة فذهبوا الى خلافه فقال ابو الدرداء اذا تغير اخوك ومال عما كان عليه

فلاتدعه لاجل ذلك فان اخاك يعوج مرة ويستقيم اخرى وفى الخبر اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته البغوى فى المعجم وابن عدى فى الكامل من حديث عمرو ابن عوف المزنى (ثم العتاب فى السر) حكى عن اخوين من السلف انقلب احدهما من الاستقامة فقيل لاخيه الانقطعه وتهجره فقال اهوج ما كان الى فى هذا الوقت لماوقع فى عشرته ان آخذ بيده واتلطف له فى المعاتبة على المخالفة وادعوله بالعود الى ما كان عليه من الموافقة (والكتابة بالكناية ثم التصريح) اى فى السر والكتابة والاظهر ان السر فى السر والعلانية فى العلانية ففى حديث عمر وقد سئل عن اخ كان اخاه فخرج الى الشام فسال عنه بعض من قدم عليه فقال مافعل اخى فقال ذاك اخو الشيطان قال مه قال انه قارف الكبائر حتى وقع فى الخمر فقال اذا اردت الخروج فأذن لى فكتب عمر عند فروجه اليه * بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم * غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب * ذى الطول لااله الاهو اليه المصير * ثم عاتبه تحت ذلك وعزله فلما قرأ الكتاب بكى وقال صدق الله ونصح لى عمر فتاب ورجع (ثم المشافهة) اى ان كان غائبا ولم يتعظ بصريح الكاتبة فى المعاتبة (اذا المقصود) اى الاصلى (اصلاح النفس برعاية الحق) اى حق المصاحبة (وتحمل الاذى) على رجاء المراجعة فقد قيل لابى الدرداء الاتبغض اخاك وقد فعل كذا فقال انما ابغض عمله ولعله اقتبس من قوله تعالى * فان عصوك فقل انى برئ مما تعملون * حيث لم يقل انى برئ منكم مراعاة لحق القرابة واخوة الدين آكد من اخوة القرابة ولذا قيل لحكيم ايما احب اليك اخوك اوصديقك فقال انما احب اخى اذا كان صديقا وكان الحسن يقول كم من اخ لم تلده امك ولذا قيل القرابة تحتاج الى المودة والمودة لاتحتاج الى القرابة (ويقبل المعذرة) اى وجوبا (فعلى من لم يقبلها مثل اثم صاحب المكس) وهو الذى يأخذ المال ظلما من التاجر كالعاشر وقد ورد من اعتذر اليه اخوه بمعذرة فلم يقبلها كان عليه من الخطيئة مثل خطيئة صاحب المكس رواه ابن ماجه وابو داود فى المراسيل من حديث جودان واختلف فى صحته وباقى رجاله ثقات ورواه الطبرانى فى الاوسط من حديث جابر بسند ضعيف هذا وقد قيل ينبغى ان تستنبط لزلة اخيك سبعين عذرا فان لم يقبله قلبك فرد اللوم على نفسك وقل لقلبك ما اقساك يعتذر اليك اخوك سبعين عذرا فلاتقبله وانت المعيب لااخوك (ويدعوله) اى فى الحضور والغيبة (فيستجاب فيه) اى فى حق اخيه (ما لايستجاب لنفسه) فعن عبد الله بن عمرو ان اسرع الدعاء اجابة دعوة غائب لغائب ابوداود والترمذى وعن ابى الدرداء دعوة الاخ لاخيه مستجابة رواه مسلم (وله مثل ذلك) ففى صحيح مسلم من حديث ابى الدرداء اذا دعا الرجل لاخيه بظهر الغيب قال الملك ولك بمثل ذلك (ويحفظ الوفاء) اى وفاء العهد قال تعالى

* واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم (بالثبات على المحبة معه ومع اهله واخوانه) اى فى حال غيبته وبعد موته وبعد زمانه (فكانوا) اى السلف (يبالغون فيه) كما تقدم وورد قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثيره فى الحيوة (فيحبون كلب الحبيب) اى مراعاة لقلب الحبيب ويشير اليه قوله سبحانه وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ولله در القائل *

﴿ شعر ﴾ رأى المجنون فى البيداء كلبا * فمال له من الاحسان ذيلا
فلاموه على ما كان منه * وقالوا لم منحت الكلب نيلا
فقال دعوا الملامة ان عينى * رأته مرة فى حى ليلى

(ووردانها) اى العجوز (كانت تأتينا ايام خديجة وان كرم العهد) اى حسنه وبقاءه (من الايمان) اى كماله (عين) اى ورد عين (اكرم عليه السلام عجوزا) اى دخلت عليه فقيل له فى ذلك فقال انها الحديث (والاصل) اى فى حقوق الصحبة (تسوية الظاهر والباطن والغيبة والحضور) والا فلا يكون مراعيا موافقا بل يكون مرائيا منافقا (ولا يغير الحال) اى من التواضع فى الفعل والقال (عند ارتفاع القدر) اى باتساع الجاه او زيادة المال (فهو من اللؤم) اى الدناءة والخساسة واصل اللؤم ضد الكرم ولقد قال بعض ارباب الكمال *

﴿ شعر ﴾ ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا * من كان يألفهم فى المنزل الحشن

واوصى بعض السلف ابنه فقال يابنى لا تصحب من الناس الا من اذا افتقرت اليه قرب منك وان استغنيت عنه لم يطمع فيك وان علت مرتبته لم يرتفع عليك وحكى الربيع ان الشافعى آخى رجلا ببغداد ثم ان اخاه ولى السيبين وهما نهران احدهما بالبصرة والآخر فى ذنابة الفرات فتغير له عما كان عليه فكتب الشافعى هذه الابيات اليه *

﴿ شعر ﴾ اذهب فودك من ودادى طالق * ابدا وليس طلاق ذات البين
فان ارعويت فانها تطليقة * ويدوم ودك لى على ثنتين
واذا امتنعت شفعتها بمثالها * فتكون طلقتين فى حيضين
فاذا الثلاث اتتك منى بتة * لم يغن عنك ولاية السيبين

(ولا ينفرد عنه فى اكل اللذيذ) وكذا شربه وفى لبسه بل ينبغى ان يؤثره على نفسه (وحضور السرور) لانه بحضوره يحصل نور على نور (ويستوحش) اى يحزن (عند فراقه) اى لكمال اشتياقه اليه وقد قيل *

﴿ شعر ﴾ وجدت مصيبات الزمان جميعها * سوى فرقة الاحباب هينة الخطب

اى سهل الامر وانشد ابن عيينة هذا البيت وقال لقد عهدت اقرانا فارقتهم منذ ثلاثين سنة ما تخيل لى ان حسرتهم ذهبت من قلبى وانشدت عائشة رضى الله عنها * ذهب الذين يعاش فى اكنافهم * البيت (ويساعده) اى يوافقه فى الامور (الا فيما يخالف الحق) فقد

ورد لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق احمد والحاكم عن عمران وفى الصحيحين عن على لاطاعة لاحد فى معصية الله انما الطاعة فى المعروف وفى رواية احمد عن انس لاطاعة لمن لم يطع الله (فالوفاء) اى الوفاق (فيه) اى فى الخلاف (هو الخلاف) اى الشقاق (ويشاوره) لقوله تعالى * وامرهم شورى بينهم (ولا يحفظ السر عنه) حيث لا يخاف الشر منه (ولا يحب عدوه لئلا يكون شريكا له فى العداوة) اى ومن الوفاء ان لا يصادق عدو صديقه قال الشافعى اذا اطاع صديقك عدوك فقد اشتركا فى عداوتك (ويخفف) اى ثقالة الصحبة ومؤنة الكلفة (بترك التكلف) اى فى نفسه (والتكليف) لصاحبه (فى اداء الحقوق وغيرها) والمراد بها ما يلزم مروءة لا لزوما شريعة قال بعض الحكماء تمام التخفيف بطى بساط التكليف حتى لا يستحيى منه فيما لا يستحيى من نفسه ومن هنا قيل اذا ثبتت المحبة سقط الادب وقال على رضى الله عنه شر الاصدقاء من تكلف لك ومن اموجك الى مداراته والجأك الى اعتذار فى حالاته وقال الفضيل انما تقاطع الناس بالتكلف يزور احدهم اخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه وقيل لبعضهم من نصحب قال من يرفع عنك ثقل التكلف وتسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ وعن جعفر بن محمد اثقل اخوانى على من يتكلف لى واتحفظ منهم واخفهم على قلبى من ان اكون كما اكون وحدى والحاصل انه لا ينبغى ان يكلف اخاه ما يشق عليه فى حالاته بل يروح سره من مهماته وحاجاته ويرفهه عن ان يحمله شيئا من اعبائه ومشقات مؤناته ولا يكلفه التواضع له والتفقد لاحواله والقيام بحقوقه بل لا يقصد بمحبته الا الله تبركا بدعائه واستيناسا بلقائه واستعانة به على دينه وتقربا الى الله تعالى فى تقوية يقينه وقال بعضهم كن مع ابناء الدنيا بالادب ومع ابناء الآخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت يعنى لانهم كل ما يرونه انما يرونه من الرب ولا ينظرون الى السبب وقال آخر لا تصحب الا من يتوب عنك اذا اذنبت ويتعذر عنك اذا اسأت ويحمل عنك مؤنة نفسك ويكفيك مؤنة نفسه وهذا عزيز الوجود فى ميدان الشهود (كنوافل العبادة تركا واتيانا) اى فعلا قال الامام حجة الاسلام ومن التخفيف وترك التكلف والتكليف ان لا يعترض فى نوافل العبادات لان طائفة من الصوفية يصطحبون على شرط المساواة بين اربعة معان ان اكل احدهم الدهر كله لم يقل له صاحبه صم وان صام الدهر كله لم يقل له افطر وان نام الليل كله لم يقل له قم وان صلى الليل كله لم يقل له نم وتستوى حالاته عنده بلا مزيد ولا نقصان لان ذلك ان تفاوت حرك الطبع الى الرياء والتحفظ لا محالة وقد قيل من سقطت كلفته دامت الفته ومن خفت مؤنته دامت مودته ومن مفادات شيخنا العارف بالله الولى نور الدين على المتقى فى هامش هذا الكتاب الموجز النقى اعلم ان الله تعالى خفف على عباده فى عبادات النوافل تخفيفين احدهما انه خفف فى اصل التكليف يعنى اذا لم يأت الشخص بعبادة النفل رأسا لا تكلف عليه ولا مؤاخذة لديه وثانيهما فى وصفه من التكلف لجواز صلوة

النفل حالة القعود مع القدرة والركوب متوجها الى اى جهة ونحوها فينبغى للمصاحب ان يتخلق باخلاق الله تعالى ويتخفف فى حقوق الصحبة مثل هذا التخفيف فى عبادة النافلة مثلا اذا اشترط المصاحبان على انفسهما شرطين بان قال احدهما على مؤنة السالخ الطبخ وقال الآخر على تحصيل الماء والحطب فاذا قصر احدهما فى شرطه بان لم يأت باصل الشرط مطلقا فلا يؤاخذه لان التكلف متروك فى النفل واذا اتى باصل الفعل ولكن اتى بترك التكلف بان طبخ طعاما مالحا او قليل الملح فلا يؤاخذه لان التكلف متروك ايضا وعلى هذا القياس ينبغى فى جميع حقوق الصحبة مراعاة هذه القاعدة الصعبة فلله در المؤلف حيث اتى بهذه العبارة الوجيزة فى مبانيها مع كثرة معانيها (فورد انا واتقياء امتى برآء من التكلف) الدار قطنى فى الافراد من حديث الزبير بن العوام ولفظه الا انى برئ من التكلف وصالحوا امتى واسناده ضعيف ويقويه قوله تعالى * قل ما اسألكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين * اى المتقولين القرآن من تلقاء نفسى فمن يقول شيئا من تلقاء نفسه فقد تكلف فى امره وكذا الحكم فى فعله (ويرفع الآداب) اى من القيام والاعتذار ونحوهما مع اهل الوداد (عند تمام الاتحاد) فعند كمال الانبساط مع الاصحاب يطوى بساط الادب (فالمقصود صفاء القلب) مع احباب الرب (والادب) اى الظاهر (عنوانه) فاذا عرف اصل المكتوب فلا يحتاج الى عنوانه من المطلوب (ويزور) اى صاحبه (غبا) اى يوما بعد يوم او وقتا بعد وقت (فورد زرغبا تزدد حبا) لحصول الاشتياق الى الوصال (الآن يأمن من الملال) اى الموجب للقطع فى الاستقبال (وينوى فيه) اى فى التزاور (الاستيناس) اى طلب الانس (باللقاء) اى لقاء اهل اليقين (والاستعانة على الدين) كما هو شان المجتهدين (والتقرب اليه تعالى باقامة الحق) اى حق الاخوة والصحبة (وتحمل المؤنة) اى كلفة الالفة ففى مسند احمد وغيره عن ابن عمر المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على اذاهم افضل من المؤمن الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم وفى رواية الدار قطنى عن جابر المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف خير الناس انفعهم للناس وقد قال تعالى * واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا * الآية هذا وجاء فى الخبر ان الله يقول حقت محبتى للذين يتزاورون من اجلى وحقت محبتى للذين يتعاطون من اجلى احمد من حديث عمرو بن عنبسة وعبادة بن الصامت والحاكم وصححه وعن انس ما زار رجلا فى الله الا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة رواه ابن عدى والترمذى وابن ماجه من حديث ابى هريرة من عاد مريضا او زار اخا فى الله ناداه مناد من السماء طبت وطابت ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا وعنه عليه السلام ان رجلا زار اخا له فى الله فارصد الله له ملكا فقال اين تريد فقال اريد ازور اخى فلانا فقال لحاجة لك عنده قال لا قال لقرابة بينك وبينه قال لا قال فلنعمة له عندك قال

لا قال فبم قال احبه فى الله قال فان الله ارسلنى اليك يخبرك بانه يحبك لحبك اياه وقد اوجب لك الجنة رواه مسلم من حديث ابى هريرة (ويسلم على المسلم) صغيرا او كبيرا غنيا او فقيرا لحديث افشوا السلام واطعموا الطعام الترمذى عن ابى هريرة وفى رواية الحاكم عن ابى موسى افشوا السلام بينكم تحابوا وفى رواية البيهقى من حديث هانى بن يزيد ان من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام (وان لقيه مرارا) اى مرة بعد مرة لعموم قوله عليه السلام حق المسلم على المسلم ست اذا لقيته فسلم عليه رواه مسلم (او حالت شجرة او جدار) وكذا اسطوانة (فاويا) اى بهذا السلام (تجديد عهد الاسلام) اى (بان لا يؤذى) بصيغة المعلوم او المجهول (فى عرضه وماله) اى وسائر احواله (قبل الكلام) متعلق بيسلم اى يأتى بالسلام قبل ان يشرع فى الكلام فانه تحية اهل الاسلام حتى فى دار السلام (فورد من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجبه) اى لا ترد عليه الكلام (حتى يبدأ بالسلام) اى ويترك الابتداء بالكلام والحديث رواه الطبرانى فى الاوسط وابو نعيم فى الحلية عن ابن عمر ولفظه من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه (وعند الدخول فى بيته) اى يسلم على اهله فللترمذى عن انس انه قال عليه السلام له اذا دخلت على اهلك فسلم يكون بركة عليك وعلى اهل بيتك (وبيت غيره) اى كذلك (لئلا يدخل الشيطان معه) لحديث جابر اذا دخلتم بيوتكم فسلموا على اهلها فان الشيطان اذا سلم احدكم لم يدخل بيته الخرائطى فى مكارم الاخلاق (وهو مأمور به) اى فى قوله تعالى * فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم * اى على جنسكم من المسلمين (وان كان) اى البيت (خاليا) وهو اعم من بيته وبيت غيره (فتحيته) اى حينئذ يكون بلفظ (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فالملائكة) اى الحفظة او الكتبة (ترده) فانهم من جملة عباد الله الصالحين (والدخول) اى ويسلم عند دخوله (فى قوم) اى على قوم وهو ظاهر متعارف (والخروج) اى ويسلم ايضا عند خروجه (عنهم ليكون مشاركا لهم فى كل خير) اى ابتداء وانتهاء ولان السلام الاول للملاقاة والثانى للموادعة ولعل هذا وجه التكرار فى قوله سبحانه * لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما * ولابى داود والترمذى وحسنه من حديث ابى هريرة اذا انتهى احدكم الى مجلس فليسلم فان بدا له ان يجلس فليجلس ثم اذا قام فليسلم فليست الاولى باحق من الاخرى (وبدأ به) اى بالسلام (فهو المروى) اى عنه عليه السلام انه كان يبدأ بالسلام كما فى الشمائل وفى نسخة يبدر وفى مسند احمد عن ابى امامة من بدأ بالسلام فهو اولى بالله ورسوله وقد قال العلماء ان هذه سنة اجرها اكثر من جواب السلام مع انه فرض وذلك لما فى البدء به من التواضع ولانه تسبب فى اداء الفرض وقد ورد اذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل

درجة لانه ذكرهم السلام وان لم يردوا رد عليه ملأ غير منهم واطيب البيهقى فى الشعب عن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا والبزار عنه مرفوعا السلام اسم من اسماءالله وصفةالله فى الارض فافشوه بينكم فان الرجل المسلم اذا مر بقوم فسلم عليهم الحديث (ولا يسلم على جمع النساء) اى من الاجانب (ويرد عليهن) اى اذا سلمن عليه فان الرد فرض فلايترك لتوهم الوقوع فى الريبة وكان انس يمر على الصبيان فيسلم ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه فعل ذلك رواه الشيخان وفى النسائى عن انس انه عليه السلام كان يزور الانصار ويسلم على صبيانهم ويمسح رؤسهم (ولا) اى ولايسلم (عند تلاوة القرآن) اى لاعلى تاليه ولاعلى مستمعيه لئلايقع خلل فيه (والاذان) لاشتغال المؤذن والمجيب به (وقضاء الحاجة ونحوها) اى من الحمام وكشف العورة وحالة الجماع (فلايكلم فيها) اى مطلقا فضلا عن السلام ورده وعن ابن عمر ان رجلا سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبول فلم يرد عليه (ولا اللعب) اى ولايسلم عند اللعب (بالشطرنج) اى على لاعبه ولاعلى من معه من صاحبه (ونحوه) اى النرد ومجلس الشرب وآلات الغناء وامثالها (اهانة ولايرد فيها) اى فى المذكورات التى لايسلم فيها (ويزيد فى الجواب) اى بطريق الاستحباب (فورد واذا حييتم بتحية) اى اذا سلم عليكم بسلام وقيل السلام عليكم (فحيوا باحسن منها) اى بالزيادة عليها فقولوا وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته (اوردوها) اى قولوا فى جوابها مثلها (والاولى بالبداءة) اى بابتداء السلام (الداخل) على المدخول عليه (والماشى) على القاعد ونحوه (والراكب) على النازل (والصغير) على الكبير (والقليل) على الكثير ففى الصحيحين عن ابى هريرة يسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير واذا بلغ سلاما من احد فليقل وعليه السلام ورحمة الله وبركاته رواه الستة عن عائشة اووعليك وعليه السلام رواه النسائى عن انس كذا فى الحصن فيجوز الاكتفاء بالاول والجمع بينهما افضل واوللتنويع فى اختلاف الرواية وفى الاذكار يعنى اذا بعث انسان سلاما فقال الرسول سلم عليك فلان يجب عليه ان يرد على الفور ويستحب ان يرد على المبلغ ايضا فيقول وعليك وعليه السلام ثم الافضل ان يقول المسلم السلام عليكم بصيغة الجمع وان كان المسلم عليه واحدا ويقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ويأتى بواو العطف ويجوز تنكير السلام ايضا واما الجواب فاقل الاستحباب وعليك السلام اووعليكم السلام فان حذف الواو فقال عليكم السلام اجزأه ذلك وفى الصحيحين عن ابى هريرة خلق الله عزوجل آدم على صورته طوله ستون ذراعا فلما خلقه قال له اذهب فسلم على اولئك النفر من الملائكة جلوس فاستمع مايجيبونك انها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم

فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوا ورحمة الله انتهى وفيه دليل على ان السلام عليك يصلح للتحية وجوابها لكن بشرط ان يكون احدهما بعد الآخر فلا تقعا معا فانه حينئذ يجب على كل واحد جواب الآخر فتدبر (وورد اذا سلم واحد من القوم اجزأ عنهم) مالك فى الموطأ عن زيد بن اسلم مرسلا ولابى داود من حديث على يجزئ عن الجماعة اذا مروا ان يسلم احدهم ويجزئ عن الجلوس ان يرد احدهم فعلم ان السلام سنة كفاية كما ان جوابه فرض كفاية وفى الديلمى عن على السلام تطوع والرد فريضة (ولايشير بالاصبع والاكف فهو عادة الكفار) اى من اهل الكتاب (منهى عنه) ففى الترمذى من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده لاتشبهوا باليهود والنصارى فان تسليم اليهود الاشارة بالاصبع وتسليم النصارى الاشارة بالكف وفى رواية ابى يعلى وغيره عن جابر تسليم الرجل باصبع واحدة يشير بها فعل اليهود والمعنى انه لا يكتفى بهما عند السلام فلو جمع بين الاشارة والسلام لزيادة الاعلام اولبعد المقام اولكون المسلم عليه لا يسمع الكلام فلابأس به الا انه لابد من اسماع كل منهما خلافا لما يفعله كثير من العامة وبعض الطلبة باخفاء السلام اورده والاكتفاء باشارة بعض الاعضاء من اليد اوالرأس ويؤيده حديث عبد الحميد بن بهرام انه عليه السلام مر فى المسجد يوما وعصبة من الناس قعود فالوى بيده بالتسليم اى مقرونا به واشار عبد الحميد بيده رواه الترمذى وقال حسن وقال احمد لابأس به ورواه ابوداود وابن ماجه من وجه آخر (ولايخص المعارف) بالتسليم بل يعم السلام على من يعرف ومن لا يعرف اذا عرف بالاسلام فان السلام من حقوق المسلم على المسلم. (فهو) اى تخصيص المعارف بالسلام (من اشراط الساعة) اى علاماتها التى من جملتها قلة العلم وكثرة الجهل (ولايبدأ بعليك السلام فهو تحية الميت) اى يجوز ان يقال له ذلك ويقال السلام عليك اذا صح انه عليه السلام قال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليك السلام فقال ان عليك السلام تحية الميت قاله ثلاثا ثم قال اذا لقى احدكم اخاه فليقل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته رواه الترمذى والنسائى فى اليوم والليلة وقال الترمذى حسن صحيح (ويصافح) اى صاحبه من المتقين (لاسيما الكبراء فى الدين) من العلماء والاولياء والشرفاء اذا كانوا من الضعفاء لا السلاطين والامراء والوزراء (فهو) اى التصافح (من تمام التحية) وعن الحسن المصافحة تزيد فى المودة وعن ابى هريرة مرفوعا تمام تحياتكم بينكم المصافحة الخرائطى فى مكارم الاخلاق وهو عند الترمذى من حديث ابى امامة وضعفه (وورد فيها) اى فى المصافحة (قسمة مائة مغفرة تسعة وتسعون لاحسنهما بشرا) فعن ابى هريرة اذا التقى المسلمان فتصافحا قسمت بينهما مائة رحمة تسعة وتسعون لابشهما واطلقهما وابرهما واحسنهما مسألة

باخيه الطبرانى فى الاوسط وعن انس اذا التقى المسلمان فتصافحا قسمت بينهما مائة رحمـــــة تسعة وتسعون لاسنهما بشرا الخرائطى بسند ضعيف وعن عمر مرفوعا اذا التقى المسلمان فسلم كل واحد على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة للمبادى تسعون وللمصافح عشرة البـزار فى مسنده والخرائطى واللفظ له والبيهقى فى الشعب وقد ورد قبلة المسلم اخـاه المصافحة الخرائطى وابن عدى من حديث انس وقـال غير محفوظ والمعنى ان المصافحة تقوم مقام قبلة اليد وفى الاحياء ولا بأس بقبلة يد المعظم فى الدين تبركا به وتوقيرا له فعن عمر قبلنا يد النبى صلى الله عليه وسلم ابو داود بسند حسن وعن كعب بن مالك قال لما نزلت توبتى اتيت النبى صلى الله عليه وسلم وقبلت يده ابوبكر بن المقرى فى كتاب الرخصة فى تقبيل اليد بسند ضعيف وروى ان اعرابيا قال يارسول الله ايذن لى فاقبل رأسك ورجليك قال واذن له ففعل الحاكم من حديث بريدة وقال صحيح الاسناد وعن البراء بن عازب انه سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه فرد عليه ومد يده اليه فصافحه فقال يا رسول الله ماكنت ارى هذا الامن اخلاق الاعاجم فقال عليه السلام ان المسلمين اذا التقيا وتصافحا تحاتت ذنوبهما الخرائطى بسند ضعيف وهو عند ابى داود والترمذى وابن ماجه مختصرا مامن مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما قبل ان يتفرقا (ويجعل الاصابع فى الاصابع) اى اصابعه فى اصابع اخيه وهذا غير محفوظ فى السنة ولا هو مأخوذ من اللغة اذ مفهومها وضع صحفة الكف واليد او اصابعها فى كف صاحبه ونحوه (ولا يدع) اى يد اخيه (حتى يدع صاحبه) اى يده فيدل على كمال التواضع واظهار المسكنة وللطبرانى فى الاوسط باسناد حسن عن ابى هريرة انه عليه السلام كان لايأخذ احد بيده فينزع يده حتى يكون الرجل هو الذى يرسله ولم يكن ترى ركبته خارجة عن ركبة جليسه ولم يكن احد يكلمه الا اقبل عليه بوجهه ثم لم يصرفه عنه حتى يفرغ من كلامه ولابى داود والترمذى وابن ماجه نحوه من حديث انس (فهو السنة) المروية فى شمائله من فضائله (لا من وراء الثوب) اى لايصافح من وراء الاكمام (فهو جفاء من عادة الكفار) اى المتكبرين من الاعجام والاروام (ويعانق القادم) اى الواصل من السفر وفى الاحياء ان الالتزام والتقبيل ورد به الخبر عند القدوم من السفر وقد رواه الترمذى من حديث عائشة قالت قدم زيد بن حارثة المدينة وفيه فاعتنقه وقبله وقال حسن غريب وقال ابوذر ما لقيته عليه السلام الاصافحنى وطلبنى يوما فلم اكن فى البيت فلما اخبرت جئت وهو على سرير فالتزمنى فكانت اجود واجود رواه ابو داود (ويأخذ ركاب العلماء للتوقير) فقد فعل ابن عباس ذلك بركاب زيد بن ثابت كما تقدم واخذ عمر بغرز زيد اى بركابه حتى رفعه وقال

هكذا فافعلوا بزيد واصحابه (ويوسع المجلس) مسجدا كان اوغيره لقوله تعالى * واذا قيل لكم * بلسان القال او ببيان الحال * تفسحوا فى المجلس فافسحوا يفسح الله لكم * والفسح الوسع وفى الصحيحين من حديث ابن عمر لايقم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا وعنه عليه السلام اذا اخذ القوم مجالسهم فان دعا رجل اخاه فاوسع له فليأته فانما هى كرامة من الله عز وجل اكرم بها اخاه فان لم يوسع له فلينظر الى اوسع مكان يجده فليجلس فيه البغوى فى معجم الصحابة من حديث ابن ابى شيبة ورجاله ثقات وابن ابى شيبة هذا ذكره ابوموسى المدينى فى ذيله فى الصحابة (ويكرم الداخل) ان كان من ذوى الفضائل او الفواضل (فيبسط له الثوب) اى من الرداء ونحوه فروى انه عليه السلام دخل بعض بيوته فدخل عليه اصحابه حتى وهش المجلس فامتلأ فجاء جرير بن عبد الله البجلى فلم يجد مكانا فقعد على الباب فلفى عليه السلام رداءه فالقاه اليه فقال له اجلس عليه فاخذه جرير ووضعه على وجهه وجعل يقبله ويبكى ثم لفه ورمى به اليه صلى الله عليه وسلم وقال ما كنت لاجلس على ثوبك اكرمك الله كما اكرمتنى فنظر النبى صلى الله عليه وسلم يمينا وشمالا ثم قال اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد وروى ان ظئر رسول الله صلى الله عليه وسلم التى ارضعته جاءت اليه فبسط لها رداءه ثم قال مرحبا بامى ثم اجلسها على الرداء ثم قال لها اشفعى تشفعى وسلى تعطى فقالت قومى فقال اماحقى وحق بنى هاشم فهو لك فقام الناس من كل ناحية وقالوا وحقنا يا رسول الله ثم وصلها بعد ووهب لها سهماته بخيبر وهى احد عشر سهما فبيع ذلك من عثمان بن عفان بمائة الف درهم كذا فى الاحياء ورواه ابوداود والحاكم وصححه من حديث ابى الطفيل مختصرا فى بسط رداءه لها دون ما بعده ولاحمد من حديث ابن عمر انه دخل عليه صلى الله عليه وسلم فالقى له وسادة من ادم حشوها من ليف الحديث واسناده صحيح وللطبرانى من حديث سلمان دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متكئ على وسادة فالقاها الى الحديث وسنده ضعيف (ويخفف) اى المدخول عليه (الصلوة) فريضة اونافلة (ويشتغل به) اى باكرامه من سلامه وكلامه وتحصيل مرامه (ثم يعاود فيها) اى فى اتمام صلوته (فالكل مروى) الاان تخفيف الصلوة الخ ليس له اصل فى السنة (ولاينحنى) فان الانحناء يكره للسلاطين وغيرهم ولانه صنيع اهل الكتاب كذا فى المحيط والذخيرة ولانه شبيه الركوع الذى هو ركن من اركان الصلاة فكما لايجوز ان يسجد احد لاحد لايجوز ان يركع له وكذا القيام على هيئة الوقوف فى الصلوة لحديث من سره ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار ابو داود والترمذى وحسنه من حديث معاوية وعن انس قلنا يا رسول الله اينحنى بعضنا لبعض قال لا قال

فيقبل

فيقبل بعضنا بعضا قال لا قال فنصافح قال نعم الترمذى وحسنه وابن ماجه وضعفه احمد والبيهقى وفى الاحياء لا بأس بالانحناء لدفع شر الاشقياء (ولا يقوم) اى للداخل كما هو عادة اهل المحافل (فهو منهى عنه) اى فى الحديث معلل بانه (من عادة الاعاجم) فعن ابى امامة اذا رأيتمونى فلا تقوموا كما يقوم الاعاجم ابو داود وابن ماجه وعن انس ما كان شخص احب الينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك الترمذى وقال حسن صحيح وفى الاحياء ان القيام مكروه على سبيل الاعظام لا على سبيل الاكرام اقول وقد صار هذا القيام من ابتلاء العام اذ يترتب على تركه انواع الملام فيكون النهى للتنزيه فى هذا المقام وعن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن واما ما فى صحيح مسلم عن ام هانى انها سلمت على النبى صلى الله عليه وسلم فقال من هذه فقيل له ام هانى فقال عليه السلام مرحبا بام هانى فمحمول على زيادة الترحيب للاكرام بعد جواب السلام (ويوقر الكبراء) اى العظماء فى الرتبة اوالسن (كالعلماء) العاملين (والصلحاء) الكاملين (والشرفاء) الطاهرين (والشيوخ) السابقين لتقدمهم فى دخول الاسلام فلهم قدم صدق وبينهم سبق فى هذا المقام وقد قال تعالى * والسابقون السابقون * لكن تقدم الرتبة من العلم والتقوى والنسب على مجرد كبر السن فى الحسب واشار المصنف الى الترتيب فى غاية من التهذيب فالعلماء كما قال تعالى * يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات * والمتقون كما قال عز وعلا * ان اكرمكم عند الله اتقيكم (ويقدمهم فى المشى) اذا ضاق المقام (والكلام والجلوس فورد ليس منا) اى من اتباعنا واشياعنا (من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا) رواه احمد والترمذى عن ابن عباس واحمد والحاكم عن عبادة بن الصامت بزيادة ولم يعرف لعالمنا حقه وفى رواية لاحمد والترمذى والحاكم عن ابن عمرو بلفظ من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا وللبخارى فى تاريخه وابى داود عن ابن عمرو بلفظ من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا (واوعد) بصيغة المجهول اى جاء الوعيد (فى التقديم) اى تقديم الصغير (على الكبير بالفقر) اى بسبب فقر الكبير اوالمعنى اوعد بالفقر بخلاف من عظم الكبير فانه يعذر له من يعظمه فى كبره ففى الخبر ما اكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله له فى سنه من يكرمه وهذا بشارة له بطول عمره وسهولة امره والحديث رواه الترمذى عن انس ومن تمام توقير المشايخ ان لا يتكلم بين ايديهم الا باذن قال جابر قدم وفد جهينة على النبى صلى الله عليه وسلم فقام غلام ليتكلم فقال عليه السلام مه فاين الكبير الحاكم وصححه مسلم (ويراعى قلب الصغار) اى الاطفال وغيرهم دون البلوغ (فكان عليه السلام يبالغ فيه)

اى فى مراعاة قلوبهم فكان يمسح رؤسهم ويدعولهم ويجلسهم فى حجره ويحنكهم وقد كان يقدم من السفر فيتلقاه الصبيان فيقف عليهم ثم يأمرهم فيرفعون اليه فيرفع منهم بين يديه وخلفه ويأمر اصحابه ان يحملوا بعضهم فربما يفاخر الصبيان بعضهم لبعض حملنى رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه مسلم من حديث عبد الله ابن جعفر كان اذا قدم من سفر تلقى بنا قال فتلقى بى وبالحسن اوبالحسين قال فحمل احدنا بين يديه والآخر خلفه وفى رواية تلقى بصبيان اهل بيته وانه قدم من سفر فسبق بى اليه فحملنى بين يديه ثم جئ باحد ابنى فاطمة فاردفه خلفه وفى الصحيحين ان عبد الله بن جعفر قال لابن الزبير اتذكر اذا تلقانا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وانت وابن عباس قال نعم فحملنا وتركك هذا لفظ مسلم وقال البخارى ان ابن الزبير قال لابن جعفر فالله اعلم كذا قاله مخرج الاحياء ولايبعد ان يحمل على قضيتين فيكون فى كل منهما جبر لخاطر الآخر فتدبر ولاحمد بن منيع من حديث حسن بن على عن امرأة منهم بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستلقيا على ظهره يلاعب صبيا اذبال فقامت لتأخذه وتضربه فقال دعيه ايتونى بكوز من ماء الحديث واسناده صحيح (ويتكفل اليتيم) قريبا اواجنبيا (فورد انا وكافل اليتيم) اى مربيه ومصلحه (كهاتين فى الجنة واشار الى المسبحة والوسطى) وهو كناية عن كمال الرتبة وجمال القربة والحديث رواه احمد والبخارى وابوداود والترمذى عن سهل بن سعد بلفظ انا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا ولابن ماجه من حديث ابى هريرة خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه ولاحمد والطبرانى من حديث ابى امامة من وضع يده على رأس يتيم كانت له بكل شعرة يمر عليها يده حسنة ولابن حبان من حديث ابن ابى اوفى من مسح يده على رأس يتيم رحمة له الحديث (ويظهر البشاشة) اى الانبساط اذا حضر مع اصحابه فى بساط النشاط (فورد ان الله يحب السهل) اى اللين الهين (الطلق) بفتح فكسر اى صاحب طلاقة الوجه والحديث رواه البيهقى عن ابى هريرة بلفظ الطليق وقد ورد اتدرون على من حرمت النار قالوا الله ورسوله اعلم قال على الهين السهل القريب الترمذى وحسنه عن ابن مسعود (ويشمت) اى يجيب (العاطس الحمد) اى الذى قال الحمد لله بعد عطاسه (بدعاء الرحمة والمغفرة ويجيب بدعاء الهداية والصلاح) اتفق العلماء على انه يستحب للعاطس ان يقول الحمد لله عقيب عطاسه ويستحب عند الشافعى ويجب عندنا على من سمعه ان يقول له يرحمك الله اى ويستحب للعاطس بعد ذلك ان يقول يهديكم الله ويصلح بالكم اويغفر الله لنا ولكم والاحاديث فى هذا كثيرة كما بيناها فى شرح الحصن واما اذا لم يحمد العاطس فلايستحق الجواب لما فى الصحيحين عن انس انه عليه السلام شمت عاطسا ولم يشمت آخر فسأله عن ذلك فقال انه حمد الله وانت سكت

(ففيه فضل كثير) اى واجر كبير (الا اذا زاد على الثلاث فورد انه زكام) فعن ابى هريرة شمت اخاك ثلثا فان زاد فهو زكام ابو داود وفى صحيح مسلم عن سلمة بن الاكوع انه شمت عاطسا فعطس اخرى فقال انك مزكوم وعن ابى هريرة كان عليه السلام اذا عطس غض صوته واستتر بثوبه اويده ابوداود والترمذى وقال حسن صحيح وفى رواية لابى نعيم فى اليوم والليلة غمر وجهه وفاه وفى الصحيحين التثاؤب من الشيطان فاذا تثاوب احدكم فليضع يده على فيه فاذا قال آه آه فان الشيطان يضحك من جوفه وعن على من عطس عنده فسبق الى الحمد لم يشتك خاصرته الطبرانى فى الاوسط فى الدعاء (ويصلح ذات البين) اى احوالا ناشئة مما بينه اوبين غيره وبين احد من المسلمين بالمودة وترك المنازعة قال تعالى * لاخير فى كثير من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف اواصلاح بين الناس * وقال عز وعلا فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم (فهوافضل الصدقة) فللطبرانى والبيهقى عن ابن عمر وافضل الصدقة اصلاح ذات البين ولابى داود والترمذى وصححه من حديث ابى الدرداء الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلوة والصدقة قالوا بلى قال اصلاح ذات البين وافساد ذوات البين هى الحالقة وللشيخين من حديث ام كلثوم بنت عقبة بن ابى معيط ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا اونمى خيرا (ويستر العيوب) اى عيوب غيره وكذا عيوب نفسه (فورد) اى فى صحيح مسلم عن ابى هريرة (من ستر على مسلم ستره الله فى الدنيا والآخرة) وللشيخين عن ابن عمر من ستر مسلما ستره الله يوم القيمة وللطبرانى عن ابى سعيد لايرى امرؤ من اخيه عورة فيسترها عليه الا دخل الجنة وروى احمد عن رجل من ستر اخاه المسلم فى الدنيا ستره الله يوم القيمة وللطبرانى والضياء عن شهاب من ستر على مؤمن عورة فكأنما احيى ميتا وللبخارى فى تاريخه وابى داود والحاكم عن عقبة بن عامر من رأى عورة فسترها كان كمن احيى موؤدة من قبرها وللترمذى وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث على من اذنب ذنبا فى الدنيا فستره الله عليه وعفا عنه فالله اكرم من ان يرجع فى شئ قد عفا عنه ومن اذنب ذنبا فى الدنيا فعوقب عليه فالله اعدل من ان يثنى عقوبته على عبده وعنه عليه السلام اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين يوم القيمة الحاكم وصححه وضعفه البخارى وابن حبان وللطبرانى من حديث ابن عمر ان من احب الاعمال الى الله ادخال السرور على المؤمن (ويتقى مواضع التهم تحرزا عن سوء ظنهم) اى بالريبة (ووقوعهم فى الغيبة) فانهم اذا عصوا الله بذكره وكان هو السبب فيه كان شريكا فى وزرهم قال تعالى * ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم * وقال عليه السلام كيف ترون من يسب ابويه فقالوا وهل من احد يسب ابويه

قال نعم يسب الرجل ابوى غيره فيسب ابويه متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو عن انس انه عليه السلام كلم احدى نسائه فمر به رجل فدعاه فقال يافلان هذه زوجتى صفية فقال يارسول الله من كنت اظن فيه فانى لم اظن فيك فقال ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم رواه مسلم وفى رواية للشيخين عن صفية انى خشيت ان تقذف فى قلبكما شيئا وفى نسخة سرا وكانا رجلين وقال على رسلكما انها صفية الحديث وكانت قد زارته فى العشر الاواخر من رمضان وعن عمر رضى الله عنه من اقام نفسه مقام التهمة فلا يلومن من اساء به الظن ومر برجل يكلم امرأة على الطريق فعلاه بالدرة فقال يا امير المؤمنين انها امرأتى قال فهلا بجنب لا يراك الناس (ويشفع) اى فى غير الحدود لقوله تعالى * من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها (فورد اشفعوا تؤجروا) تمامه ويقضى الله على لسان نبيه ماشاء رواه الشيخان من حديث ابى موسى وورد ماصدقة افضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك قال الشفاعة يحقن بها الدم وتجر بها المنفعة الى آخر ويدفع بها المكروه عن آخر الخرائطى والطبرانى عن سمرة (ويرشد الضال) اى يهديه الى طريقه الحسى او المعنوى (وينشد ضالته) اى يطلبها لكن فى غير المسجد لما تقدم ويقول ياهادى الضال ويارادالضالة اردد على ضالتى بعزتك وسلطانك فانها من عطائك وفضلك رواه ابن ابى شيبة موقوفا من قول ابن عمر والطبرانى عنه مرفوعا (ويفرج المكروب) اى ويزيل هم المغموم (وينصر المظلوم) ففى الصحيحين انصر اخاك ظالما اومظلوما فقيل كيف ينصر ظالما فقال يمنعه من الظلم قلت وفى منعه من الظلم نصر للمظلوم ايضا (فورد من فرج عن مغموم اواعان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة) الخرائطى فى مكارم الاخلاق وابن حبان فى الضعفاء وابن عدى من حديث انس بلفظ من اغاث ملهوفا (ويسعى فى حاجته فالمشى فيها ساعة خير من اعتكاف شهرين وان لم تقض) فللحاكم وصححه من حديث ابن عباس لان يمشى احدكم مع اخيه فى قضاء حاجته واشار باصبعه افضل من ان يعتكف فى مسجدى هذا شهرين وللطبرانى فى الاوسط من مشى فى حاجة اخيه كان خيرا له من اعتكاف شهرين وكلاهما ضعيف وروى البخارى فى تاريخه والطبرانى والخرائطى عن انس بسند ضعيف من قضى لاخيه حاجة فكأنما خدم الله عمره ولابن المبارك فى الزهد والرقائق باسناد ضعيف مرسلا من اقر عين مؤمن اقر الله عينه يوم القيمة وقال انس عرضت له عليه السلام امرأة وقالت لى معك حاجة وكان معه ناس من اصحابه فقال اجلسى فى اى نواحى للسكك شئت اجلس اليك ففعلت فجلس اليها حتى قضيت حاجتها رواه مسلم (ويعظه) اى يبشر الناس بالثواب فى الطاعة وينذرهم بالعقاب على المعصية قال تعالى * واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لا تشرك بالله

ان الشرك لظلم عظيم * الآيات وقال تعالى * يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات * وورد ان الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم رواه مسلم وغيره عن تميم الدارى وقال عليه السلام لمعاذ اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وصدق الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام البيهقى فى كتاب الزهد وابو نعيم فى الحلية (ويعين الضعيف) اى فى عمله وصنعته (والمحسن) اى بزيادة معرفته او يعين الضعفاء والفقراء والمحسن الى العلماء والصلحاء ليكون مشاركا لهما فى ثواب يوم الجزاء فقد صح من كان فى عون اخيه كان الله فى عونه (ويحفظ الغيبة) اى غيبة اخيه فيمنع احدا عن ان يقع فى غيبة فيه ففى الخبر يامعشر من آمن آمن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لاتغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته فضحه ولو كان فى جوف بيته ابو داود من حديث ابى برزة باسناد جيد والترمذى نحوه من حديث ابن عمر وحسنه وعن ابى الدرداء من رد عن عرض اخيه كان له حجابا من النار الترمذى وحسنه وللطبرانى عن ابى الدرداء بلفظ ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيمة ولاحمد من حديث اسما بنت يزيد نحوه ولابن ابى الدنيا فى الصمت عن انس من ذكر عنده اخوه المسلم وهو يستطيع نصرة فلم ينصره ولو بكلمة اذله الله عز وجل بها فى الدنيا والآخرة ومن ذكر عنده اخوه المسلم فنصره نصره الله تعالى فى الدنيا والآخرة ولابى داود من حديث معاذ بن انس من حمى عرض اخيه المسلم فى الدنيا بعث الله له ملكا يحميه يوم القيمة من النار ولابى داود من حديث جابر وابى طلحة ما من امرئ ينصر مسلما فى موضع ينتهك فيه عرضه ويستحل حرمته الا نصره الله فى موطن يحب فيه نصرته وما من امرئ خذل مسلما فى موطن ينتهك فيه حرمته الا خذله الله فى موطن يحب فيه نصرته (ويبر الحلف) اى يمين صاحبه فى الحضور والغيبة بان وعد اخوه بشخص باعطاء شئ وحلف عليه ولم يتيسر له فالصاحب يعطيه ذلك لئلا يقع صاحبه فى الحنث هنالك وهو من جملة اخلاق الله مع من اتبع رضاه كما ورد فى الصحيحين عن انس ان من عباد الله من لو اقسم على الله لابره اى لجعله بارا فى يمينه بما قدره وقضاه وفى الصحيحين من حديث البراء امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع فذكر منها وابرار القسم او المقسم (ويحب التائب) لقوله تعالى * ان الله يحب التوابين * خصوصا الشاب فورد ان الله يحب الشاب التائب ابو الشيخ عن انس ولابى نعيم فى الحلية عن ابن عمر ان الله يحب الشاب الذى يفنى شبابه فى طاعة الله ولاحمد والطبرانى عن عقبة بن عامر ان الله تعالى ليعجب من الشاب ليست له صبوة (ويستغفر للمذنب) اقتداء بالملائكة المقربين

* الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا * الآية وللطبرانى عن عبادة من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة وله للضياء عن ابى الدرداء من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كل يوم سبعا وعشرين مرة كان من الذين يستجاب لهم ويرزق به اهل الارض واما حديث انس اربع من حق المسلمين عليك ان تعين محسنهم وان تستغفر لمذنبهم وان تدعو لمدبرهم وان تحب نائبهم فقد ذكره صاحب الفردوس ولم اجد له اسنادا قاله العراقى (ويعامل على حسب حاله) اى حال صاحبه فى اعلى مناقبه اوادنى مراتبه (فعرض الفقه) اى مسائله الغامضة (لاهل اللهو) اى لارباب الاشتغال بما يلهيهم عن العلم والفهم والكمال (والبيان) اى وعرض الفصاحة والبلاغة واصناف البديع وانواع البيان (لثقيل اللسان ابذاء النفسين) بل المناسب ان يعرض عليهم مايكتسب من الطاعات وما يجتنب من المحرمات (وينتصف من نفسه) وفى نسخة وينصف من الانصاف بالكسر اى يعمل بالنصفة بفتحتين اى العدالة (فهو من ثلاث خصال يستكمل به الايمان) وفى نسخة يستكمل الايمان وفى الخبر لايستكمل العبد الايمان حتى يكون فيه ثلاث خصال الانفاق من الاقتار والانصاف من نفسه وبذل السلام الخرائطى من حديث عمار بن ياسر ووافقه البخارى عليه (ولايعلم احدا مقدار ماله وان كان من اهل البيت) اى المطلعين على حاله (فالعلم بالقلة يورث الاهانة) اى بعده من الفقراء (وبالكثرة عدم الرضاء) اى بانفاقه وعده من البخلاء (وورد استر ذهبك) اى ونحوه من الفضة وغيرها (وذهابك) اى انتهاء سفرك من حضرك (ومذهبك) اى فى موضع تخلف اظهاره فاظهر مشربك والحديث لم اجد له اصلا (ولايستحقر احدا) اى من الفجار بل من الكفار (فالعاقبة مستورة) وورد انما الاعمال بالخواتيم كما فى صحيح البخارى عن سهل بن سعد (ولايستعظم الدنيا) فان الله قد استحقرها حيث قال * متاع الدنيا قليل * وورد لوكانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء الترمذى وغيره عن سهل بن سعد والمعنى انه لاينظر الى اهل الدنيا بعين التعظيم لهم فى حال دنياهم ومهما عظم اهل الدنيا فى نفسك فقد عظمت الدنيا فتسقط من عين الله عز وجل والحكيم الترمذى عن ابى هريرة اذا عظمت امتى الدنيا نزعت منها هيبة الاسلام (فهى حقيرة وما فيها) الاذكر الله وما والاه لحديث الدنيا ملعونة وملعون ما فيها الا ما كان لله منها ابونعيم فى الحلية عن جابر وفى مسند احمد عن عائشة الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له ولها يجمع من لاعقل له (ولايتكبر على الفقير) اى لفقره فانه موجب لفخره (بل على المتكبر) اى بماله وجاهه على الفقير فروى التكبر على المتكبر صدقة (ويجالس الفقير فهو السنة) فلابى نعيم عن ابن عمر تواضعوا وجالسوا المساكين تكونوا

من

من الكبراء وتخرجوا عن الكبر (دون الغنى) اى لا يجالس الغنى فضلا عن ان يصاحبه فورد اياكم ومجالسة الموتى قيل ومن الموتى قال الاغنياء الترمذى وضعفه والحاكم وصحح اسناده من حديث عائشة اياك ومجالسة الاغنياء (وحبيب العافية) اى الذى يكره المرض او الذى ما تأتيه الحمى ونحوها من الصداع فان فرعون مكث اربعمائة سنة ما هم ولا عصل له صداع ولا كسر له ظرف فى مطبخه وقد ورد انه عليه السلام مدح له امرأة مسنة فرغب فيها فقيل من نعتها انها لا يأتيها مرض فقال مالى اليها حاجة وفى صحيح مسلم من يرد الله به خيرا يصب منه (والعامى) اى وغير الجاهل (واذا ابتلى) اى بمجالس العامى (لايخوض فى كلامه) اى ويكتفى بما يحصل من مرامه (ويتغافل عما يجرى عليه) اى بحسب مقامه (والسلطان) عطف على قوله الغنى اى ودون السلطان والمعنى لا يجالسه (واذا ابتلى به يكثر الحذر) اى عن غضبه (وان اظهر المحبة) اى فى وجهه (ولا يعتمد) اى على اقباله ولا على جاهه واعطاء ماله (فيرافقه مرافقة الطفل) فيتحمل منه مايتحمل عنه (ويتكلم على حسب ارادته) وفق طاعته واطاعته لكن لا بما يضره فى دينه وآخرته (ولا يدخل بينه وبين اهل بيته) فى معاملته ومجاملته (فهو مضر وبمالغ فى الادب) ومن آدابه لاصحابه ترك الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوائج وتهذيب الالفاظ والمبانى وتحسين البيان والمعانى وتصحيح الاعراب فى الخطاب والمذاكرة باخلاق الملوك السابقة واللاحقة وقلة المداعبة فى مجلس المصاحبة وان لايتجشى بحضرته ولا يتخلل بعد الاكل فى صحبته (ويتبرك بالعادل) فهو من سبعة يظلهم الله يوم القيمة يوم لاظل الاظله (ويدعو له بالصلاح) ولو كانت له دعوة واحدة مستجابة (ففيه صلاح العامة) ونفع العام خير من نفع الخاص مع ان الخاص داخل فى العام (ويستعين) اى بالله الملك العلام (عند الدخول عليه) خوفا من الزلل والخطأ لديه (وعليه) اى ويجب على السلطان (الاهتمال) اى التحمل عن مجالسه ومؤانسه (الا فى كشف السر) اى لغير المحرم (والقدح فى الملك) اى الطعن فيه بما ينافيه (والتعرض فى الحرم) اى من امرأته اوجاريته او ولده او عبده (والعامة) اى ودون عامة الناس فلا يجالسهم (لفساد الزمان) اى اهله فانهم لا يقبلون لك عثرة ولا يقبلون منك معذرة ولا يغفرون لك زلة ولا يسترون عورة ويحاسبون على النقير والقطمير ويحسدون على القليل والكثير ينتصفون ولاينصفون ويؤاخذون على الخطاء والنسيان ولا يعفون بغرون الاخوان بالنميمة والبهتان فصحبة اكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان ان رضوا فظاهرهم الملق وان سخطوا فباطنهم الحنق لايؤمنون فى ضحكهم ولايرجون فى ملقهم ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب يقطعون بالظنون ويتغامزون وراك

بالعيون ويتربصون بصديقهم من الحسد ريب المنون يحصون عليك العثرات فى صحبتهم ليواجهوك بها فى غضبهم ووحشتهم فان ابتلى بهم فادبه معهم ترك الخوض فى حديثهم وقلة الاصغاء الى اراجيفهم والتغافل عما يجرى من سوء الفاظهم ومبانيهم وعدم درك تعارفهم ومعانيهم وقلة اللقاء لهم مع الحاجة اليهم وعدم التودد والتحبب لديهم (وورد غالطوا الناس باعمالهم وزايلوا القلوب) اى وجانبوها عن ملاحظة احوالهم ومحافظة اقوالهم والحديث لم اجده وللطبرانى عن ابى حجيفة مرفوعا جالسوا الكبراء وسائلوا العلماء وخالطوا الحكماء (ولايعتمد) اى فى المحاورة والمجالس المؤتلفة (الاعلى من جرب) اى امتحنه (تحقيقا فى الاحوال المختلفة) كالفقر والغنى والحضر والسفر وغير ذلك من البعد والقرب والمحبة والعداوه فانه يظهر حقيقة كل احد هنالك (فلا يجد جزأ) اى سهما واحدا (من مائة) بل من الف جزء (مما يظهرونه) من المودة وفى الخبر اخبر تقله وفى حديث آخر الناس كابل مائة لاتجد فيها راحلة فلا يعول على مودة لم يختبره حق الخبرة بان يصحبه مدة فى دار اوموضع واحد من قرار فيجربه فى عزله وولايته وغنائه وفاقته اوسافر معه او يعامله او يقع فى شدة وبلية فيحتاج اليه فى دفع الغضب ثم اياك ان تمازح لبيبا اوغير لبيب فان اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترىء لديك ولان المزاح يخرق الهيبة ويذهب بجلاوة المودة ويشين فقه الفقيه ويحرك داعية السفيه ويورث الذلة ويوجب الزلة ويسقط المنزلة وهو اذا اكثر يميت القلب ويباعد عن ذكر الرب وبه تظلم السرائر وتموت الخواطر وبه تكثر العيوب وتظهر الذنوب ومن بلى بمجلس فيه مزاح اولغط فليذكر الله عند قيامه ليكون كفارة لما وقع فى مقامه فورد من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا غفر له ما كان فى مجلسه ذلك كله الترمذى من حديث ابى هريرة وصححه (ولايطمع) اى من العامة (رعاية الحق) اى مراعاة حقه من الادب فى قربه (ولا ما فى ايديهم) اى ولا يطمع ما فى ايديهم من المال والجاه فعن سهل بن سعد مرفوعا ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى ايدى الناس يحبك الناس ابن ماجه وغيره والمعنى لاتبذل لهم دينك لتنال من دنياهم فتصغر فى اعينهم ثم تحرم دنياهم فان لم تحرم كنت قد استبدلت الذى هو ادنى بالذى هو خير (ولا يعاتب من لم يقض حاجته والا لطال الامر) اى امر المعاتبة لان كثرة المعاتبة ربما تجرى الى المقاطعة فى المصاحبة (ولا يعظ من لم يتوقع منه القبول الا مجملا) اى تلويحا (تحرزا من تعصبه) اذا وعظ تصريحا وقد قال تعالى * فذكر ان نفعت الذكرى * اى الموعظة الحسنى (ويحمده تعالى ان رأى منهم كرامة) اى احسانا وتعظيما واقبالا وتكريما

ويكلهم

(ويكلهم اليه) اى ويترك امرهم الى الله سبحانه (ان رأى مكروها) تفويضا اليه وتوكلا عليه وقد قال تعالى فى مؤمن آل فرعون * فستذكرون ما اقول لكم وافوض امرى الى الله ان الله بصير بالعباد فوقيه الله سيئات ما مكروا * وقال عيسى عليه السلام * ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم (ويستعيذ به من شرهم ويشاركهم فى مقهم) اى فى حق صدر عنهم (ويتغافل عن باطلهم) اى منكر ظهر منهم (ويحسب الكبير كاب) اى فى التوقير (والصغير كالابن) اى فى الترحم (والمساوى كالاخ) اى الشقيق فى الشفقة والرفق (ويبالغ فى الاحتمال) اى فى التحمل عن اذا هم (والاحسان) بالاعطاء وغيره (الى اهله وغير اهله فورد) عن على بن الحسين عن ابيه عن جده (اصنع المعروف الى اهله) اى مستحقه (وغير اهله فان لم تصب) اى فى احسانك (اهله فانت من اهله) اى من اهل الاحسان الى افراد الانسان ولو باللسان ذكره الدار قطنى فى العلل وهو ضعيف (والاصل) اى القاعدة المطردة فى حقوق المسلم (ان يحب له مايحب لنفسه) اى مثل مايحب وكذا يكره له ما يكره لنفسه كما سبق فى الحديث وورد من سره ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فليأته منيته وهو يشهد ان لااله الاالله وان محمدا رسول الله وليأت الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمر وقال عليه السلام ياابا هريرة احسن مجاورة من جاورك تكن مؤمنا واحب للناس ماتحب لنفسك تكن مسلما الخرائطى فى مكارم الاخلاق (ولايهجره) اى اذا غضب عليه (فوق ثلاثة ايام فورد) اى فى الصحيحين عن ابى ايوب (انه) اى الشان (لايحل) اى لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث يلتقيان (ويستأذن للدخول ثلثا) اى ثلاث مرات لما سيأتى (يمكث بعد كل) اى كل استيذان (قدر ان يصلى ركعتين) وهو الاقل (اواربع ركعات) وهو الاكثر (وان يفرغ من الاكل) ان كان مشتغلا به (والتوضىء) اوالغسل اوالصلوة اوامر آخر من المهمات (فورد) عن ابى هريرة كما رواه الدار قطنى فى الافراد بسند ضعيف (الاستيذان ثلاث) اى ثلاث مرات (فالاولى) وفى رواية فالاولة (يستنصتون) اى يطلبون السكوت ليستكشفوا من المستأذن وما غرضه وفى رواية يستمعون اى يتسمعون (والثانية يستصلحون) اى يطلبون صلاحهم فى الاذن بدخوله اوبعدمه ويتشاورون (والثالثة يأذنون اويردون) اى وفق ما يختارون وفى الصحيحين من حديث ابى موسى الاستيذان ثلاث فان اذن لك والافارجع وقد قال تعالى * وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم (ولايطلع على الباب) اى لايقف بحيث ينكشف الحجاب (ويدقه لينا) اى بظفر ونحوه هينا (ولايقول انا) اى فلان (عند الباب) اولا يقول انا اذا قيل من بل يقول انا فلان ونحوه (ولايا غلام) اى من وراء الاستار بان

ينادى احد غلمان صاحب الدار اوعبده فى مقام الاظهار (بل يحمد ويسبح) اى ويذكر الله بالتهليل ونحوه (ويتنحنح) اى اذا كان معروفا بتنحنحه اوايماء بانه هناك من يريد دخوله (ويعود المريض) فهو من جملة حقوق المسلم على المسلم ففى الصحيحين من حديث ابى هريرة حق المسلم على المسلم خمس رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز واجابة الدعوة وتشميت العاطس (فى ثياب نظيفة) بل فى بياض لطيفة لئلا يتوهم المريض من ثياب كثيفة انه حزين عليه لما رأى علامة الموت لديه (غير عابس) اى فى وجهه بل يدخل عليه ببشاشة بشرح صدره وفتح امره (ويجلس عند ركبة المريض) اى اذا كان مضطجعا ليقع نظر المريض على وجه زائره (دون رأسه) اى لا يجلس فوق رأسه لئلا يحوجه الى التكلف فى توجهه اليه وتلقنه عليه (ويضع اليد على جبهته اويده) يعنى على نبضه اذا كان له معرفة ببسطه وقبضه (ويسأله) اى عن غيره (كيف هو) اى لئلا يكون تكلفا عليه فى جوابه وهذا اذا كان مغلوبا فى بابه والا فيقول كيف انتم وما حالكم او كيف نجدك ونحو ذلك (فهو السنة) اى المروية عنه عليه السلام تمام عيادة المريض ان يضع احدكم يده على جبهته اوعلى يده ويسأله كيف هو (ولا يحدث) اى عنده (الا بما يسره) اى لا بما يضره (وما هو خير) من الدعاء له ولنفسه (فالملئكة يؤمنون عليه) اى يقولون فيه آمين فيكون علامة الاجابة فى ذلك الحين (ويبشره بطول العمر وسرعة الصحة) اى وسهولة الامر وبان المرض كفارة للسيئات ورفع الدرجات وانه انما يكون فى قليل من الاوقات فينبغى الصبر عليه بل الشكر لديه فورد اذا مرض العبد بعث الله تعالى اليه ملكين فقال انظرا مايقول لعواده فان هو اذا جاؤه حمد الله واثنى عليه رفعا ذلك الى الله وهو اعلم فيقول لعبدى علىّ ان توفيته ان ادخله الجنة وان انا شفيته ان ابدل له لحما خيرا له من لحمه ودما خيرا من دمه وان اكفر عنه سيئاته مالك فى الموطأ من حديث عطاء بن يسار ووصله ابن عبد البر فى التمهيد من روايته عن ابى سعيد الخدرى وفيه عباد بن كثير الثقفى ضعيف الحديث وللبيهقى من حديث ابى هريرة قال الله تعالى اذا ابتليت عبدى المؤمن فلم يشكنى الى عواده اطلقته من اسارى ثم ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ثم يستأنف العمل واسناده جيد وجملة آداب المريض حسن الصبر وقلة الشكوى وعدم الضجر والفزع الى الدعاء والتوكل بعد الدواء على خالق الداء والدواء وسائر الاشياء (ويغتنم دعاءه) اى المريض (فهو كدعاء الملائكة) فى كونه مستجابا وقد سبق كون دعاء المريض مجابا (ويدعوله بالشفاء سبع مرات ففيه الشفاء ان لم يحضر اجله) فلابى داود وغيره عن ابن عباس مرفوعا من عاد مريضا لم يحضر اجله فقال عنده سبع مرات اسأل الله العظيم رب العرش العظيم ان يشفيك الا عافاه الله من ذلك المرض (ويغب فيها) بضم اوله اى

يعوده يوما بعد يوم اووقتا بعد وقت لماسبق من حديث زرغبا تزددحبا وعن جابر اغبوا فى العيادة واربعوا الا ان يكون مغلوبا ابن ابى الدنيا وابو يعلى واسناده ضعيف وقال بعضهم عيادة المريض بعد ثلاث وينبغى ان يخفف فيها فروى ابن ابى الدنيا فى كتاب المرض من حديث انس باسناد فيه جهالة عيادة المريض فواق ناقة ورواه البيهقى عنه بلفظ العيادة فواق ناقة وقال طاوس افضل العيادة اخفها (وهى مرة سنة) عند الشافعى وفرض كفاية عندنا (والزيادة فضل) واما ما فى الاحياء من ان ابن عباس قال عيادة المريض مرة سنة فمحمول على ان ثبوتها بالسنة واما الزيادة فمستحبة والاجر الكثير عليها مرتبة فى التعمية الكتابية والحسابية ان العيادة فيها الزيادة على العبادة وقد تقدم حديث اذا عاد المسلم اخاه اوزاره ناداه مناد طبت وطاب مثواك وتبوأت منزلا فى الجنة الترمذى وابن ماجه عن ابى هريرة وفى السنن الاربع والحاكم من حديث على من اتى اخاه المسلم عائدا مشى فى خرفة الجنة حتى يجلس فاذا جلس غمرته الرحمة فان كان غدوة صلى عليه سبعون الف ملك حتى يمسى وان كان مساء صلى عليه سبعون الف ملك حتى يصبح واللفظ لابن ماجه وصححه الحاكم وحسنه الترمذى ولمسلم من حديث ثوبان من عاد مريضا لم يزل فى خرفة الجنة والحاكم والبيهقى من حديث جابر اذا عاد الرجل المريض خاض فى الرحمة فاذا قعد عنده انغمس فيها وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم وكذا صححه ابن عبد البر وذكره مالك فى الموطأ بلاغا بلفظ قرت فيه ورواه الواقدى بلفظ استقر فيها والطبرانى فى الصغير من حديث انس فاذا قعد عنده غمرته الرحمة وله فى الاوسط من حديث كعب بن مالك وعمرو بن حزم استنقع فيها (وورد النهى فى عيادة صاحب الرمد) بفتحتين اى وجع العين (والدمل) بضم فتشديد ميم مفتوحة (ووجع الضرس) اى السن (والجرب) بفتحتين وهو الحكاك (والعرق) بالكسر (المدنى) منسوب الى المدينة اذلم توجد غالبا فى القرية لان منشأها العفونة الكثيرة التى تبدو من الجماعة الكبيرة (ويسمع) اى العائد (المحتضر) اى الذى احتضره الموت بعلامات دالة على الفوت وهو سواد الظفر وبرودة الرجلين والتفافهما واعوجاج الانف وانفتاح العين وانخفاض الصدغين (كلمة التوحيد) وهى لا اله الا الله فتقدم حديث من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وفى صحيح مسلم وغيره لقنوا موتاكم لا اله الا الله اى المشرفين على الموت كحديث اقرؤا على موتاكم يس احمد وغيره (دون الحاح) اى لايلح على المحتضر بان يقول له قل لا اله الا الله بل يقول عنده ليسمعها وينتفع بها اذ لايبعد انه حال الغلبة والشدة يمتنع عن قبول الكلمة فيتوهم له سوء الخاتمة فنعوذ بالله من ذلك مع ان المدار على ايمان القلب هنالك وانما يستحب النطق باللسان لانه ترجمان الجنان

على اختلاف فى الاقرار انه شرط او شطر للايمان فى اول دخول المسلم فى ميدان الاحسان وايوان الايقان والله المستعان (ويعجل تغطية وجه الميت) اى بعد ربط منكه ورجليه (وتغميض عينيه) فان الميت اذا برد تيبس اعضاؤه وتوحش اجزاؤه (وتجهيزه) اى غسله وما يتعلق به (وتكفينه باطيب الثياب) بان يكون من وجه حلال لايقع فيه العتاب والعقاب (وابيضها) لاحاديث ورد فى هذا الباب كقوله عليه السلام البسوا الثياب البيض فانها اطهر واطيب وكفنوا فيها موتاكم رواه احمد وغيره عن سمرة وفى رواية له عنه بلفظ عليكم بالبياض من الثياب فليلبسها احياؤكم وكفنوا فيها موتاكم فانها من خيار ثيابكم وفى رواية الدارقطنى فى الافراد عن انس خير ثيابكم البياض فالبسوها احياءكم وكفنوا فيها موتاكم (لا اكثرها قيمة) بل اوسطها المعتبر فى جميع الباب (ويعزى المصاب) اى المبتلى بموت احد من الاقارب والاحباب (وهى) اى التعزية المعبر عنها بالتسلية (تسكين قلبه) اى قلب المصاب (بالموعظة) اى بما وقع من الكتاب (والاعلام بجزيل الثواب) حيث قال تعالى * وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة * وانما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب * وبان الجزع لاينفع ويفوت به الاجر ويقع فى مقام الحجاب ففى الترمذى وابن ماجه عن ابن مسعود مرفوعا من عزى مصابا فله مثل اجره وللترمذى عن ابى برزة ولفظه من عزى ثكلى كسى بردا يوم القيمة (مصافحا) اى لامعانقا كما يفعله عامة اهل مكة (بالتواضع) اى باظهاره معه (واظهار الحزن) اشعارا بمشاركته له فيه (وقلة التكلم) اى بامور الدنيا (وترك التبسم) لانه دلالة على الغفلة عن احوال العقبى (ويشهد له) اى للميت (بالخير) اى باعمال الخير ظاهرا (والايمان) اى باطنا تحسينا للظن بالمسلم (ويدعو له عند الذكر) اى عند ذكره (فورد لاتذكروا موتاكم الابخير) ففى ابى داود وغيره عن ابن عمر اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم (ويشيع الجنازة) ففى الصحيحين عن ابى هريرة من شيع جنازة فله قيراط من الاجر فان وقف حتى يدفن فله قيراطان ولمسلم من حديث ثوبان القيراط مثل جبل احد ولما روى ابو هريرة الحديث وسمعه ابن عمر قال لقد فرطنا الى الآن فى قراريط كثيرة (خاشعا) اى حال كونه مقرونا بالخشوع والخضوع (متفكرا فى الموت) اى وفيما بعده وقبله من الفوت وكان مكحول الدمشقى اذا رأى جنازة قال اغد فانا رايحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والآخر لا عقل له وخرج مالك بن دينار خلف جنازة اخيه وهو يبكى ويقول والله لاتقر عينى حتى اعلم الى ما صرت ولا والله لا اعلم مادمت حيا (والاستعداد له) اى للموت لحديث كفى بالموت واعظا الطبرانى عن عمار ولاحمد فى الزهد كفى بالموت مزهدا فى الدنيا ومرغبا فى الآخرة ولابن السنى عن انس كفى بالدهر واعظا وبالموت مفرقا

(غير متكلم) اى من كثرة الحزن والملال واشتغال البال فى امر المآل قال الاعمش كنا نشهد الجنائز فلا ندرى لمن نعزى لحزن القوم كلهم واما كلام الغزالى وان يمشى امام الجنازة بقربها وملاحظة الميت فمذهب للشافعى والمختار عندنا ان يمشى وراءها فان الجنازة متبوعة لاتابعة كماورد وملاحظة الميت انما تتصور اذا كان وراءه مع مافيه من الاشارة الى انه من السابقين وانا من اللاحقين ولانه ربما احتيج الى مساعدة حمل الميت فهو حينئذ انسب واقرب (ويصلى عليه) اى صلوة الجنازة فهى فرض كفاية (ويقرأ الفاتحة عند رأسه) اى بعد دفنه (واول البقرة) اى الى المفلحون (عند رجليه ويدعو له) اى بالرحمة والمغفرة اوبالتثبيت فى جواب الملكين (ويتبرك به) اى حيث انه خرج من الدنيا محل الفتنة والبلوى فقد نظر ابراهيم الزيات الى الناس ترحمون على ميت فقال اوترحمون على انفسكم لكان اولى انه نجا من اهوال ثلثة وجه ملك الموت قدرأى ومرارة الموت قد ذاق وخوف الخاتمة قدأمن (ويجتهد) اى المصاب (أن يكون عدد المصلين) اى على جنازة قريبه (اربعين) اى لا اقل من ذلك (فهو علامة قبول الشفاعة) اى لانه يبعد عن كرم الله ان لايقبلها من هذه الجماعة ولعله رواية والا ففى ابن ماجه عن ابى هريرة من صلى عليه مائة من المسلمين غفر له (ولا يرجع) اى من غير ضرورة (حتى يفرغ من الدفن) ليجوز بالقيراطين (ويقعد) اى لايقف (بعد وضع الجنازة) اى لاقبله واختلف ان المراد به وضعها عن الرقاب اوكما قال المصنف (فى القبر مخالفة لاهل الكتاب) فى هذا الامر (ويتصدق الولى قبل مضى ليلة بشئ) اى من الصدقات والخيرات (ان تيسر) فان الميت حينئذ كالغريق المتغوث يريد الخلاص والنجاة (والا) اى وان لم يتيسر التصدق الحسى فيتصدق بالمعنوى وهو ان (يصلى ركعتين بالفاتحة وآية الكرسى) اى لاجل حفظه من العذاب (والتكاثر) اى وسورة الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر للاعتبار والتذكر وترك المفاخر (عشرا) اى عشر مرات (فى كل) اى من الركعتين (ويهبه الثواب) رجاء النجاة من العذاب (ويسلم) اى على صاحب القبر (ويقف مستدبر القبلة) اى ومستقبل الميت كما هو فى آداب السلام مع الانام ويجوز ان يجلس عنده حتى يستأنس به وكان ابو الدرداء يقعد الى القبور فقيل له فى ذلك فقال اجلس الى قوم يذكرونى معادى وان قمت عنهم لم يتغابونى (ويواظب) اى الولى (على الصدقة سبعة ايام ويزور القبر) اى قبر صاحبه اوالقبور (ناويا به الدعاء) لاهله (والرقة والعبرة) لنفسه (فورد زوروا القبور فانها تذكر الآخرة) وفى رواية ابن ماجه عن ابى هريرة فانها تذكركم الآخرة (وتدمع العين وترق القلب) وفى رواية الحاكم عن انس كنت نهيتكم عن زيارة القبور الافزوروها فانها ترق القلب

وتدمع العين وتذكر الآخرة ولاتقولوا هجرا وفى رواية ابن ماجه عن ابن مسعود فانها تزهد فى الدنيا وتذكر الآخرة (من لم يئس) اى وورد ايضا من لم يئس (المقابر والبلى) اى التفتت فى عالم البلاء (حين قيل من ازهد الناس) ظرف لورد المقدر فتدبر وفى رواية البيهقى عن الضحاك مرسلا ازهد الناس من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر مايبقى على مايفنى ولم يعد غدا من ايامه وعد نفسه فى الموتى وفى رواية الترمذى وغيره عن اسماء بنت عميس بئس العبد عبد تخيل واختال ونسى الكبير المتعال بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الاعلى بئس العبد عبد سها ولها ونسى المقابر والبلى بئس العبد عبد عتا وطغا ونسى المبتدأ والمنتهى بئس العبد عبد يختل الدنيا بالدين اى يطلب بئس العبد عبد يختل الدين بالشبهات بئس العبد عبد طمع يقوده بئس العبد عبد هوى يضله بئس العبد رغب يذله والحاصل ان المقصود من زيارة القبور المزائر الاعتبار بهذا البلاء وللمزور الانتفاع بالدعاء وعن عمر ابن عبد العزيز انه دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورة الخليفة لكثرة الجهد والعبادة فقال عمر للفقيه لو رأيتنى بعد ثلاثة ايام وقد ادخلت فى قبرى وقد خرجت الحد فتان فسالتا على الخدين وتقلبت الشفتان وخرج الصديد من الفم ونتن البطن وعلا الصدر وانفتح الفم وخرج الدود والصديد من المناخر لرأيت اعجب مما تراه الآن (ويقرؤا القرآن ماتيسر) ففى صحيح مسلم عن ابى امامة الباهلى اقرؤا القرآن فانه يأتى يوم القيمة شفيعا لاصحابه (ثم يسبح ويدعو) اى بالرحمة والمغفرة لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات فان الاذكار كلها نافعة له فى تلك الدار وعن حاتم الاصم من مر بالمقابر فلم يعتبر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم وقال سفيان من اكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النيران (وورد قراءة يس فى المشاهير) اى فى الاحاديث المشهورة او الروايات المأثورة فقد تقدم حديث اقرؤا على موتاكم يس وحمله الجمهور على ان المراد بالموتى المشرفون على الموت ولايبعد حمله على حقيقته واما الجمع بين الحقيقة والمجاز فلا يجوز عندنا خلافا للشافعى (والاخلاص سبعا) اى سبع مرات (فوعد فيه مغفرة الميت والقارئ ان غفر الميت) اى ان كان الميت مغفورا ولم اجد له اصلا والمشهور انه يقرا ثلاث مرات لانه بمنزلة ختم القرآن بجميع الآيات ففى مسند احمد وغيره عن ابى من قرأ قل هو الله احد فكانما قرأ ثلث القرآن وفى رواية العقيلى عن رجاء الغنوى من قرأ قل هو الله احد ثلث مرات فكانما قرأ القرآن اجمع وفى رواية لاحمد عن معاذ بن انس من قرأ قل هو الله احد عشر مرات بنى الله له قصرا فى الجنة (ويعين لها) اى لزيارة القبور (يوم الخميس

والجمعة

والجمعة) ففى رواية ابن عدى عن ابى بكر من زار قبر والديه اواحدهما يوم الجمعة فقرأ عنده يس غفرله (والسبت) اى لقربه الى الجمعة (والاثنين) فانها ايام فواضل وللعبادة فيها زيادة فضائل (فالموتى يعلمون زوارهم فيها) اى زيادة علم بها (ولا يطأوه) اى لايدوس القبر ولايقعد عليه فللخطيب عن ابى هريرة لان اطأ على جمرة احب الى من ان اطأ على قبر (ولايمس) اى القبر ولا التابوت ولا الجدر (فورد النهى) اى عن مثل ذلك بقبره عليه السلام فكيف بقبور سائر الانام (ولايقبل) فانه زيادة على المس فهو اولى بالنهى فالتقبيل مختص بالحجر الاسود وبايدى الانبياء والعلماء والصلحاء (بر الوالدين) اى يحسن اليهما فان فيه خير الدارين قال تعالى * ووصينا الانسان بوالديه حسنا * وفى قراءة احسانا (فالعقوق) اى مخالفة احدهما على وجه لايحتمل لهما (من الكبائر) وقلة الادب معهما من الصائر وقد سئل عليه السلام عن الكبائر فقال سبع الاشراك بالله وعقوق الوالدين الحديث وقال عز وعلا * وقضى ربك الاتعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا * وللطبرانى فى الصغير من حديث ابى هريرة ان الجنة توجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام لايجد ريحها عاق (لاسيما الام فورد برها ضعفان على الوالد) اى على حقه كذا فى الاحياء وقال مخرجه غريب بهذا اللفظ وقد ورد فى معناه حديث بهز بن حكيم عن ابيه عن جده من ابر قال امك ثم امك ثم امك ثم اباك ثم الاقرب فالاقرب ابو داود والترمذى والحاكم وصححه وفى الصحيحين من حديث ابى هريرة قال رجل من احق الناس بحسن الصحبة قال امك ثم امك ثم امك ثم اباك ولعله مقتبس من قوله تعالى * حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا * فان مشقة الحمل والوضع والفطام من زيادة حق الوالدة مع مالها من كمال الشفقة والمرحمة هذا وللنسائى من حديث طارق المحاربى واحمد والحاكم من حديث ابى رمثة بر امك وابالك واختك واخاك ثم ادناك فادناك (مقدما) حال من فاعل يبر (على المندوبات لا الواجبات) اى الفرائض العينية من العبادات (فهو المراد بما ورد بر الوالدين افضل من الصلوة والصوم والحج والعمرة والجهاد) اى اذا كانت هذه الطاعات نوافل ولا يبعد ان يراد به المبالغة او يراد به من حيث انه من حقوق العباد المستلزمة لحق الله سبحانه افضل من مجرد حقوق الله تعالى فان العفو فى ترك حقوق الرب اقرب ويؤيده ما فى الاحياء من ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام يا موسى انه من بر والديه وعقنى كتبته بارا ومن برنى وعق والديه كتبته عاقا واما حديث المتن فكذا فى الاحياء وقال مخرجه لم اجد هكذا وروى ابو يعلى والطبرانى فى الصغير والاوسط من حديث انس اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى اشتهى الجهاد ولا اقدر عليه قال هل بقى من والديك احد قال امى قال فجاهد فى برها فاذا فعلت ذلك فانت حاج ومعتمر ومجاهد واسناده حسن (ويستاذن للدخول عليهما) اى ادبا معهما حال حياتهما (ويستغفر لهما) اى

بعد مماتهما (وينفذ عهودهما ووصاياهما) بل يقضى حقوقهما ولو من غير عهدهما (ويكرم اصدقاءهما فورد) اى فى صحيح مسلم من حديث ابن عمر (ان من ابر البر) اى من افضل الاحسان واكمل الامتنان بالنسبة الى الوالدين للانسان (ان يصل الرجل) اى الشخص (اهل ودابيه بعد ان يولى الاب) اى فى غيبته سواء كان فى حال حياته اوموته وكذا حكم الوالدة بل هو الاولى كما لا يخفى فروى ابو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد عن مالك بن ربيعة قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذجاءه رجل من بنى سلمة فقال هل بقى على من بر والدى شىء ابرهما بعد وفاتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التى لايوصل الابهما (ويتصدق لهما) لحديث الطبرانى فى الاوسط ماعلى احد اذا اراد ان يتصدق بصدقه ان يجعلها لوالديه فيكون لوالديه اجرهما ويكون له مثل اجورهما من غير ان ينقص من اجورهما شىء (ويزورهما حياومينا) واقله فى كل جمعة مرة (فورد من زار قبر ابويه اواحدهما فى كل جمعة) اى بخصوصها وهو الافضل لتضاعف الحسنة فيه بسبعين مرة اوفى كل اسبوع (غفر له وكتب برا) الحكيم الترمذى عن ابى هريرة (ويقطع لسان السفيه عنهما بماله فهو من البر) اى فى حقه وحقهما ففى رواية العسكرى والقضاعى عن جابر مرفوعا ما وقى به المرء عرضه فهو له صدقة (ويقدم حق المعلم) اى للعلوم الشرعية (على حقهما) فان حقهما من الامور الفرعية (فهو) اى المعلم سبب (حيوة) اى فى الابد وهما سبب ايجاد الجسد فى دار النكد والكبد (ولايقرع باب داره) بل يقف كالعبد فى انتظاره فروى الشيخ فى قومه كالنبى فى امته (فورد) اى فى التنزيل (ولوانهم) اى المؤمنين الذين اتوا النبى صلى الله عليه وسلم (صبروا) اى من غير خطاب ولادق باب (حتى تخرج اليهم) وقت ذهاب اواياب (لكان خيرا لهم) فى كثرة ثواب وحسن مآب (ويصل الرحم بما امكن من عطاء وزيارة ودعاء) وكذا مايعرض له من هناء وعزاء (فورد من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه) ام اجد اصله وفى الصحيحين من حديث عائشة عنه عليه السلام يقول الله تعالى انا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها تبته اى قطعته البتة وفيهما من حديث انس من سره اى نسأله فى اثره اى يؤخر فى اجله ويوسع له فى رزقه فليصل رحمه وزاد احمد والحاكم باسناد جيد من حديث على فليتق الله وليصل الرحم ولاحمد والطبرانى من حديث ذرة بنت ابى لهب باسناد حسن انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى الناس افضل قال اتقاهم لله واوصلهم للرحم وآمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر وللطبرانى والبيهقى من حديث عبد الله بن عمرو ان الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمكافى ولكن الواصل الذى اذا قطعت رحمه وصلها وهو

عند البخارى دون قوله الرحم معلقة بالعرش فرواها مسلم من حديث عائشة ولاحمد من حديث معاذ وللطبرانى من حديث ابى امامة افضل الفضائل ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتصفح عن من ظلمك وقالت اسماء بنت ابى بكر قدمت على امى فقلت يارسول الله ان امى قدمت على امى مشركة افاصلها قال نعم صليها رواه الشيخان وفى رواية افاعطيها قال نعم صليها وهو مقتبس من قوله تعالى * وصاحبهما فى الدنيا معروفا * وللترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجه من حديث سلمان بن عامر الضبى الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى الرحم صدقة وصلة (بلوا) اى وورد بلوا وهو بضم الباء واللام المشددة اى جددوا وفى رواية صلوا (ارحامكم ولو بالسلام) اى مشافهة او مكاتبة والحديث رواه العسكرى من حديث انس مرفوعا (قيل يكره جوار القريب) اى مجاورته وكذا مسافرته (فهو يرفع الحرمة ويورث القطيعة) اى بسبب الملالة كما قيل فى كراهة مجاورة مكة والمدينة انها سبب قلة الحشمة والعظمة وعن عمر رضى الله عنه انه كتب الى عماله مروا الاقارب ان ينزلوا وروا ولا يتجاوروا ونظيره انه كان يقول فى الحج يا اهل اليمن يمنكم ويا اهل العراق عراقكم ويا اهل الشام شامكم (ويزوره غبا) اى ليزداد حبا (ويراعى حق الكبير من الاخ والاخت والعم والعمة والخال والخالة (كحق الابوين والصغير) اى منهم (كالولد) اى والمساوى كالاخ (ويشتريه) اى قريبه (مملوكا ليعتق) اى لاجل ان يعتقه اوليعتق عليه اذا كان من ذى رحم محرم منه كما هو مذهبنا (لاسيما الوالدين فهو فضاء حقهما) وفى صحيح مسلم عن ابى هريرة لن يجزى ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه اى بان ينوى عتقه اويصير سببا لعتقه (ويبالغ فى استرضاء الجار) فقيل الجار ثم الدار واستنبط هذه النكتة من قول آسية امرأة فرعون * اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة * (فورد) اى فى الصحيحين عن عائشة وابن عمر (مازال جبريل يوصينى فى الجار) اى بالاحسان فى حقه بالماء وغيره (حتى ظننت انه) اى الجار (سيورثه) اى الجار الآخر وفيهما عن ابى شريح من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره وللبخارى عنه لايؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه والبزار وابى الشيخ وابى نعيم عن جابر الجيران ثلاثة جار له حق وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فالجار الذى له ثلاثة حقوق هو الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم واما الذى له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام واما الذى له حق واحد فالجار المشرك اقول فلعل حقه اقوى من غيره لانه لايسامحه فى تقصيره وكان هذا هو الموجب فيما نقله ابن مجاهد كنت عند عبد الله بن عمر وغلام له يسلخ شاة فقال ياغلام اذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودى حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول هذا فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى

خشينا انه سيورثه رواه ابوداود والترمذى وقال حسن غريب ولاحمد والحاكم وصححه من حديث ابى هريرة انه قيل له عليه السلام ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذى جيرانها فقال هى فى النار وللخرائطى وابن عدى عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده اتدرون ما حق الجار ان استعان بك اعنته وان استقرضك اقرضته وان افتقر عدت اليه وان مات شيعت جنازته وان اصابه خيرا هنأته وان اصابته مصيبة عزيته ولاتستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه واذا اشتريت فاكهة فاهد له فان لم تفعل فادخله سرا ولايخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولاتؤذه بقتار قدرك الا ان تغرف له منها اتدرون ما حق الجار والذى نفسى بيده لايبلغ حق الجار الامن رحمه الله وقال ابوذر اوصانى خليلى عليه السلام وقال اذا طبخت فاكثر المرق ثم انظر اهل بيت من جيرانك فاغرف لهم منها رواه مسلم وعن ابى هريرة مرفوعا يانساء المسلمات لاتحقرن جارة لجارتها ولوفرسن شاة رواه البخارى وجملته ان يحب له ما يحب لنفسه فقد حكى ان بعضهم شكا كثرة الفأر فى داره فقيل لو اقتنيت هرا فقال اخشى ان يسمع الفأر صوت الهر فيهرب منه الى دار الجار فاكون قد احببت له مالا احب لنفسى (ويمن الدار) اى وورد بركته (سعته) اى وسعته بقدر كفايته (وحسن جوار اهله) اى مجاورته فى محاورته والحديث اخرجه مسلم من حديث ابن عمر الشوم فى الدار والمرأة والفرس قيل فيمن الدار سعته وحسن جوار اهله وشؤمه ضيقه وسوء جوار اهله وشؤم المرأة عقم رحمها وسوء خلقها ويمنها خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها ويمن الفرس ذله وحسن خلقه وشؤمه صعوبته وسوء خلقه وللديلمى من رواية سالم بن عبد الله مرسلا اذا كان الفرس ضروبا فهو مشؤم واذا كانت المرأة قد عرفت زوجا قبل زوجها فحنت الى الزوج الاول فهى مشؤمة واذا كانت الدار بعيدة من المسجد لايسمع منها الاذان والاقامة فهى مشؤمة واسناده ضعيف ووصله صاحب الفردوس بذكر ابن عمر فيه وهو لاينافى ما ورد من قوله تعالى * ونكتب ما قدموا وآثارهم * وقوله عليه السلام يابنى سلمة دياركم دياركم يكتب آثاركم فانه محمول على ان الاجر على قدر المشقة فهى بهذا الاعتبار مباركة ومقبولة (وورد فى حد اربعون دارا) فعن الزهرى مرسلا ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فامر عليه السلام ان ينادى على باب المسجد الا ان اربعين دارا جار ابوداود فى مراسيله قال الزهرى اربعون بكذا واربعون بكذا واومأ الى اربع جهات ووصله الطبرانى من رواية الزهرى عن ابن كعب بن مالك عن ابيه ورواه ابويعلى من حديث ابى هريرة وقال اربعون ذراعا وكلاهما ضعيف (وروى اربعون فى كل جهة) وهذا قد علم مما تقدم فكأنه يشير الى ما قيل من ان المراد باربعين فى مجموع الجهات بان يكون عشرة فى كل جهة وعن عائشة

قلت

قلت يارسول الله ان لى جارين احدهما مقبل ببابه والآخر نائ ببابه عنى وربما كان الذى عندى لايسعهما فايهما اعظم حقا قال المقبل عليك ببابه رواه البخارى ففيه تنبيه الى مراعاة الاقرب كما يشير اليه قوله تعالى * والجار ذى القربى والجار الجنب * وعن ابن مسعود قال رجل يارسول الله كيف لى ان اعلم اذا احسنت واسأت قال اذا سمعت جيرانك يقولون قد احسنت فقد احسنت واذا سمعت جيرانك يقولون اسأت فقد اسأت احمد والطبرانى باسناد جيد ولاحمد وغيره عنه عليه السلام من اراد به خيرا عسله قيل وما عسله قال يحببه الى جيرانه وفى رواية البيهقى يفتح له عملا صالحا قبل موته حتى يرضى عنه من حوله واسناده جيد (ويحترز عن النظر الى بيته) بان لايطلع من السطح وغيره على عوراته وان اطلع من غير قصد فيصفح عن زلاته (واجراء الميزاب اليه) بان يكون ضرر الانصباب عليه (ووضع السارية) اى الاسطوانة (على حائطه) اى جداره ففى الصحيحين عن ابى هريرة لا يمنعن احدكم جاره ان يغرز خشبة فى جداره وفى مكارم الاخلاق للخرائطى عن ابى هريرة قضى عليه السلام ان الجار يضع جذعه فى حائط جاره شاء ام ابى واسناده جيد (والمضايقة فى القاء التراب) اى ونحوه من الرماد وغيره (بين يدى داره ولايمنع عنه الريح برفع البناء) وكذا الضوء بسد الهواء (ولا نحو الملح والماء والنار) فان منعها مطلقا من العار فكيف عن الجار (ويرسل اليه ثمرة) اى فاكهة (يشتريها او يخفيها) بان لا يبديها لانه اذا رآها ربما يشتهيها ولم يكن قادرا على ان يشتريها (ولايبلغه) اى لايوصله (ريح القدر) اى غليانه ودخانه (الا ان يرسل اليه) والا فيقال فى حقه احسانه ما يأتينا دخانه يعمينا (ويسامح ما امكن) اى من تقصيراته لانه ليس حق الجار مجرد كف الاذى بل احتمال الاذى ولايكفى احتمال الاذى بل لابد من الرفق وبذل الندى (ويحسن المعاشرة مع المرأة) فيحسن الخلق معهن ويحتمل الاذى عنهن ترحما عليهن لقصور عقلهن (فورد) اى فى القرآن (وعاشروهن بالمعروف) تمامه * فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا * وفى آية اخرى * فامساك بمعروف اوتسريح باحسان * وفى اخرى * ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف * وعن ابن عباس انى احب ان اتزين لامرأتى كما تحب امرأتى ان تتزين لى لهذه الآية (من صبر) اى ورد من صبر (على سوء خلق امرأته اعطاه الله من الاجر مثل ما اعطى ايوب على بلائه ومن صبرت على سوء خلق زوجها اعطاها الله ثواب آسية) امرأة فرعون كذا فى الاحياء وقال مخرجه لم اجد له اصلا قلت ومما يدل على عدم ثبوته فقد الملائمة بين الفقرتين فان امرأة ايوب كانت من الصلحاء والصابرات على المشقات فحسن المقابلة ان يقال مثل ما اعطى نوح اولوط على بلائه اى ابتلائه بامرأته فيكون مشيرا الى

قوله تعالى * ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما * اى بالكفر لان حرم الانبياء مصونات عن الزنا الى ان قال * وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون * الآية وقد ورد عنه عليه السلام اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله الترمذى والنسائى والحاكم وصححه وللترمذى من حديث عائشة وصححه خيركم خيركم لاهله وانا خيركم لاهلى ثم ليس حسن الخلق معها مجرد كف الاذى عنها بل تحمل الاذى منها والحلم عند طيشها وغضبها وقلة ادبها اقتداء به عليه السلام فان ازواجه كن يراجعنه فى الكلام وتهجره الواحدة منهن الى الليل كما فى الصحيحين من حديث عمر فى الحديث الطويل فى قوله * وان تظاهرا عليه * اى عائشة وحفصة وفى رواية ابى يعلى فى مسنده وابى الشيخ فى كتاب الامثال وفيه ابن اسحق وقد عنعنه قالت عائشة له مرة فى كلام غضبت عنده انت الذى تزعم انك نبى الله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتمل ذلك حلما وكرما اقول وهذا لعلمه عليه السلام بانها ما خرجت بهذا الكلام من الاسلام لما اطلعه الله سبحانه من علم الغيب فى الاحكام والا فظاهره ردة لو صدر مثله من غيرها لحكم بكفرها وكان عليه السلام يقول لها انى لاعرف غضبك على من رضاك قالت وكيف تعرفه قال اذا رضيت قلت لا والله محمد واذا غضبت قلت لا والله ابراهيم قالت صدقت انما اهجر اسمك وراجعت امرأة عمر فى الكلام فقال اوتراجعنى فقلت ان ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه فقال عمر خابت حفصة وخسرت اى ان راجعته ثم قال لحفصة لاتغتري يابنت ابن ابى قحافة بانها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويروى انه وقعت احداهن فى صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها امها فقال عليه السلام دعيها فانهن يصنعن اكثر من ذلك (ويبسط لعبا ومزاحا) فانه يوجب اصلاحا ويفيد فلاحا (فورد) اى خطابا لجابر (هلا بكرا) اى اخذتها (تلاعبها وتلاعبك) وفى نسخة تداعبها وتداعبك وكان عليه السلام يمزح معهن وينزل الى درجة عقولهن حتى روى انه كان يسابق عائشة فى العدو فسبقته يوما وسبقها فى بعض الايام فقال عليه السلام هذه بتلك ابو داود والنسائى فى الكبرى وابن ماجه من حديث عائشة بسند صحيح وقالت عائشة سمعت اصوات اناس من الحبشة وغيرهم يلعبون فى يوم عيد فقال لى اتحبين ان ترى لعبهم قالت قلت نعم فارسل اليهم فجاؤا وقام عليه السلام بين البابين فوضع كفه على الباب ومد يده وجعلت ذقنى على يده وجعلوا يلعبون وانظر وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حسبك يا حميراء واقول لا تعجل مرتين والحديث رواه الشيخان والنسائى مع اختلاف فى بعض الالفاظ وقال عمر رضى الله عنه مع خشونته ينبغى للرجل ان يكون فى اهله كالصبى فاذا التمس ما عنده وجد رجلا وكذا روى عن

لقمان ووصفت اعرابية زوجها وقدمات فقالت كان ضحوكا اذا والج سكوتا اذا خرج آكلا ماوجد غير سائل عما فقد (ولايدع الانقباض) اى بالمرة حتى لايصير محكوما للمرأة واسيرا لها فى الحرمة فكانت نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار ازواجهن وتقول لبنتها اختبرى زوجك قبل الاقدام والجراءة عليه انزعى زج رمحه فان سكت فقطعى اللحم على ترسه فان سكت فكسرى العظام بسيفه فان صبر فاجعلى الاكاف على ظهره فانما هو ممارك فى امره طول عمره هذا وفى البخارى عن ابى بكرة لا يفلح قوم تملكتهم امرأة وروى ان اسماء بنت خارجة الفزارى قال لابنته عند زفافها انك خرجت من العش الذى فيه درجت وصرت الى فراش لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فكونى له ارضا يكن لك سماء وكونى له مهادا يكن لك عمادا وكونى له امة يكن لك عبدا لا تلحفى به فيقلاك ولا تتباعدى عنه فينساك ان دنا فاقربى منه وان نأى فابعدى عنه واحفظى انفه وسمعه وعينه لايشم منك الا طيبا ولايسمع منك الا حسنا ولاينظر منك الا جميلا وقال رجل لزوجته * (شعر)

* خذى العفو منى تستديمى مودتى * ولا تنطقى فى سورتى حين اغضب *
* ولا تنقرينى نقرة الدف مرة * فانك لا تدرين كيف المغيب *
* لانى رأيت الحب فى القلب والاذى * اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب *

(فورد) اى كما سبق (وخالفوهن) اى فى المشورة واصل الحديث شاوروهن وخالفوهن (فالبركة فى خلافهن) اى لقلة عقلهن ونقصان دينهن وهو من تتمة كلام عمر رضى الله عنه خالفوا النساء فان فى خلافهن البركة وقال الحسن والله ما اصبح رجل يطيع امرأته بما تهوى الا اكبه الله فى النار واما ماورده الغزالى من حديث تعس عبد الزوجة فلا اصل له وانما ثبت فى صحيح البخارى من حديث ابى هريرة تعس عبد الدنيا تعس عبد الدرهم والله سبحانه اعلم (ويغار بمبادى الامور) لئلا تتأدى الى مناهى الشرور (ولها غوائل) جملة حالية اى والحال ان للمرأة مفاكر ورذائل فانهن كما ورد للشيطان حبائل فالغيرة بعد ظهور الريبة من اخلاق الرجال وارباب الفضائل واصحاب الفواضل من باب التخلق باخلاق الله (وورد ان الله تعالى يغار والمؤمن) اى الكامل (يغار) اى على امرأته وجاريته وقرابته وهذا ظاهر (وغيرة الله ان يأتى المؤمن ما حرم الله عليه) اى من الزنى وغيره والحديث متفق عليه من حديث ابى هريرة الا ان البخارى لم يقل والمؤمن يغار والحاصل ان الغيرة كراهة الرجل اشتراك غيره فيما هو من حقه وغيرة الله ان يكون مخالفة امره (ولا يفرط) اى لايبالغ فى الغيرة لئلا يقع فى محظور (فورد) اى فى رواية ابى داود والنسائى وابن حبان من حديث جابر بن عتيك (من الغيرة غيرة يبغضها الله وهى غيرة الرجل) اى على اهله (من غير ريبة) اى شك وشبهة وفى رواية ان من الغيرة ما يحبه الله تعالى

ومنها ما يبغضه الله الحديث وجاء فى الحديث عنه عليه السلام انى لغيور وما من امرئ لايغار الا منكوس القلب وقد قال على رضى الله عنه لاتكثر الغيرة على اهلك فترمى بالسوء من اجلك وقد ورد نهيه عليه السلام من تتبع عثرات النساء الطبرانى ولان الغيرة من غير الريبة من سوء الظن الذى نهينا عنه فان بعض الظن اثم ثم اعلم ان مثل المرأة الصالحة فى النساء كمثل الغراب الاعصم من مائة غراب كما رواه الطبرانى من حديث ابى امامة بسند ضعيف والاعصم الابيض البطن ولاحمد من حديث عمرو بن العاص كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نمر الظهران فاذا بغربان كثيرة فيها غراب اعصم احمر المنقار فقال لايدخل الجنة من النساء الامثل هذا الغراب فى هذه الغربان واسناده صحيح وهو فى السنن الكبرى والنسائى وورد استعيذوا من الفواقر الثلاث جار ان رأى حسنة دفنها وان رأى سيئة اذاعها وامام ان احسنت لم يرض عنك وان اسأت غضب منك وامرأة ان دخلت عليها لسنتك وان غبت عنها خانتك الديلمى عن ابى هريرة بسند ضعيف وجاء بلفظ آخر رواه الطبرانى من حديث فضالة بن عبيد ثلاث من الفواقر فذكر منها وامرأة ان حضرتك اذتك وان غبت عنها خانتك وسنده حسن (ويمنع) اى المرأة الشابة (عن الحضور فى المسجد) وجوز بعض فقهائنا حضور العجوز من غير زينة فى الصبح والعشاء حال الظلمة والمتأخرون اطلقوا منعهن لفساد الزمان خصوصا فى حق الشوان وفى الاحياء كان عليه السلام قد اذن للنساء فى حضور المساجد وهو متفق عليه من حديث ابن عمر ائذنوا للنساء بالليل الى المساجد والصواب الآن المنع فالمنع حسن الا للعجائز بل استصوب ذلك فى زمن الصحابة حتى قالت عائشة رضى الله عنها لو علم النبى صلى الله عليه وسلم ما احدث الناس بعده لمنعهن الخروج متفق عليه ولما قال ابن عمر كما فى الصحيحين قال عليه السلام لاتمنعوا اماء الله مساجد الله قال بعض بنيه وهو بلال وقيل سالم بلى والله لنمنعهن فضربه وغضب عليه وهجره وقال تسمعنى اقول قال عليه السلام لاتمنعوا فتقول بلى وانما استجرأ على المخالفة لعلمه بتغير الزمان وانما غضب عليه لاطلاقه اللفظ بالمخالفة ظاهرا من غير اظهار العذر قال والخروج الآن ايضا مباح للمرأة العفيفة برضاء زوجها ولكن القعود اسلم والله اعلم فاذا خرجت فينبغى ان تغض بصرها عن الرجال ولسنا نقول ان وجه الرجل فى حقها عورة كوجهها فى حقه بل هو كوجه الصبى الامرد فى حق الرجل فيحرم النظر عند خوف الفتنة فان لم تكن فتنة فلا اذ لم يزل الرجال على ممر الزمان مكشفى الوجوه والنساء يخرجن متنقبات ولو كانت وجوه الرجال عورة فى حق النساء لامروا بالتنقب او منعوا من الخروج الا للضرورة انتهى وقد بالغ النووى وحرم النظر الى الامرد الحسن الوجه ولو بغير شهوة (ويعتدل فى النفقة) ففى الخبر الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة الطبرانى والبيهقى عن ابن عمر

(فورد) اى فى القرآن (ولاتجعل يدك مغلولة الى عنقك) وهى كناية عن البخل (الآية) اى * ولاتبسطها كل البسط * وهى كناية عن الاسراف والتبذير * فتقعد ملوما محسورا * وقال عز وعلا فى نعت عباد الرحمن * والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما * وقيل كان لعلى اربع نسوة يشترى لكل واحد منهن فى كل اربعة ايام لحما بدرهم وقال ابن سيرين يستحب للرجل ان يعمل لاهله فى كل جمعة فالوذجة فان الحلاوة وان لم تكن من المهمات ولكن تركها بالكلية تقتير باعتبار العادات (ولايختص) اى الرجل (باجود الطعام) اى لاينبغى له ان يستأثر عن اهله بمأكول طيب فلا يطعمهم منه فان ذلك مما يوغر الصدور ويوجب الضجر الا اذا ارضى اهله وطاب عندهم عمله والا فليأكله فى خفية بحيث لايطلع عليه غيره ولا ينبغى ان يصف عندهم طعاما ليس يريد اطعامهم اياه بل اذا وصف عنده طعاما فينبغى ان يطعمهم اياه (ويشتركان) اى هو والعيال (فيه) اى فى الاكل على مائدته (فورد فيه فضل كثير) ومنه ما تقدم من ان خير الطعام ما كثرت عليه الايدى وقال سفيان بلغنا ان الله وملائكته يصلون على اهل بيت يأكلون فى جماعة (ويعلم) اى المرأة (ما يجب عليها) من علم الحيض واحكامه واحكام الصلوة وما يقضى منها فى الحيض ومالايقضى فانه امر بان يقيها النار لقوله تعالى * قوا انفسكم واهليكم نارا * فعليه ان يلقنها اعتقاد اهل السنة ويزيل عن قلبها البدعة ويخوفها بالله اذا تساهلت فى امر دينها وفى الاحياء مهما انقطع دمها قبل المغرب بمقدار ركعة فعليها قضاء الظهر والعصر واذا انقطع قبل الصبح بمقدار ركعة فعليها قضاء المغرب والعشاء انتهى وهذا مذهب الشافعى واما عندنا فلايجب عليها الاقضاء العصر والعشاء ثم ان قصر عن ذلك علم الرجل ناب عنها بالسؤال عن اهل العلم والجواب لها والافيجب عليها الخروج ويعصى الرجل بمنعها فى تلك الحال (ويعدل بين النساء فى البيتوتة) اى فى مبيت الليل عندهن (والاعطاء) اى من نفقتهن وكسوتهن فلايميل الى بعضها دون غيرهن حتى لوخرج الى سفر وأراد استصحاب واحدة منهن اقرع بينهن كذلك كان يفعله عليه السلام كما فى الصحيحين عن عائشة وذلك لقوله تعالى * ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء * اى كمال العدل * ولوحرصتم * اى من طريق الفضل * فلا تميلوا كل الميل * اى الى واحدة عن اخرى * فتذروها كالمعلقة * بين المزوجة والمطلقة (فورد فى المائل) اى فى القسم (جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل) اصحاب السنن وابن حبان من حديث ابى هريرة مرفوعا من كان له امرأتان فمال الى احديهما دون الاخرى وفى رواية مال مع احديهما وفى اخرى فلم يعدل بينهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل اى ساقط (بخلاف المباشرة) استثناء معنوى من البيتوتة والاعطاء اى لكن

المجامعة بل الملامسة والملاعبة (والمحبة) اى التى يتفرع عليها غالب اسباب الملايمة (فلا اختيار فيهما) اى طبعا فلا حرج فى عدم العدل فيهما شرعا (وورد) اى عنه عليه السلام انه كان يعدل بينهن ويقول (اللهم هذا) اى الذى فعلته من القسم (جهدى) بالضم الطاقة وبالفتح المشقة اى غاية اجتهادى (فيما املك) اى من العدل بينهن (ولا طاقة لى فيما لا املك) اى من زيادة المحبة او المجامعة الى بعضهن (بعد القسم) ظرف اورد اى قال هذا الكلام بعد القسم والحديث رواه اصحاب السنن وابن حبان من حديث عائشة انه عليه السلام كان يعدل بينهن ويقول اللهم هذا جهدى فيما املك ولا طاقة لى فيما تملك ولا املك ولابن سعد فى الطبقات من رواية محمد بن على بن الحسين ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يحمل فى ثوب وبطاق به على نسائه وهو مريض يقسم بينهن وفى مرسل آخر له لما ثقل عليه السلام قال اين انا غدا قالوا عند فلانة قال فاين انا بعد غد قالوا عند فلانة فعرف ازواجه انه يريد عائشة الحديث وللبخارى من حديث عائشة كان يسأل فى مرضه الذى مات فيه اين انا غدا اين انا غدا يريد يوم عائشة فاذن له ازواجه ان يكون حيث شاء وفى الصحيحين لما ثقل استأذن ازواجه ان يمرض فى بيتى فاذن له هذا وقال تعالى * وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير * ولابى داود من حديث عائشة قالت سودة وهى بنت زمعة حين اسنت وفرقت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله يومى لعائشة الحديث وللطبرانى فاراد ان يفارقها وهو عند البخارى بلفظ لما ان كبرت سودة وهبت يومها لعائشة فكان يقسم لها بيوم سودة وللبيهقى مرسلا طلق سودة فقالت اريد ان احشر فى ازواجك الحديث ثم انه عليه السلام بحسن عدله وقوة فضله كان اذا ناقت نفسه الى واحدة من نسائه فى غير يومها جامعها ثم طاف من يومه ذلك او ليلته على سائر نسائه فمن ذلك ما فى الصحيحين عن عائشة طاف على نسائه فى ليلة واحدة وللبخارى كان يطوف على نسائه فى ليلة واحدة وله تسع نسوة ولابن عدى فى الكامل عن انس انه عليه السلام طاف على تسع نسوة فى ضحوة نهار قيل وهذا من خصوصياته عليه السلام (ولو وقع الخصومة) اى المخالفة (من الجانبين) اى جانبى الزوجين (او جانبه) اى الرجل وحده (ولا تلتئم) اى خصومتهما ولا يجتمع امرهما (فلابد من حكمين من اهله واهلها فورد) فى القرآن (ان يريدا) صدر الآية وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا (اصلاحا يوفق الله بينهما) وضمير يريدا الى الزوجين كضمير بينهما او الاول الى الحكمين والثانى الى الزوجين ويؤيده ان عمر رضى الله عنه بعث حكمان الى زوجين فعادا ولم يصلحا امرهما فعلاهما بالدرة وقال ان الله يقول ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فعادا واحسنا النية وتلطفا

فى القضية فانصلح مابينهما وقد جرى بينه عليه السلام وبين عائشة نوع من الكلام حتى ادخلا بينهما ابابكر حكما فاستشهد فقال لها عليه السلام تكلمين او اتكلم فقالت تكلم انت ولاتقول الاحقا فلطمها ابو بكر حتى دمى فمها فقال ياعدية نفسها اويقول غير الحق فاستجارت برسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف ظهره فقال له عليه السلام لم ندعك لهذا ولم نرد هذا منك (وان كان) اى النشوز (من جانبها) اى المرأة فقط فقد قال تعالى * وللرجال عليهن درجة * وقال * الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا * وهذا معنى قوله (يعظ الزوج) اى ينصحها ويلاطفها معها اولا لقوله تعالى * ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة (ثم يخوف) اى يحذر المرأة من الضرب ونحوه (ثم يستدبر فى الفراش) بان يوليها ظهره فى المضجع (ثم يعزلها) اى يتفرد بفراشه عنها (دون البيت) اى من غير ان يخرج هو اوهى من البيت (ثم يهاجر) اى يهجرها وهو مع ذلك فى البيت معها (ثلاثة ايام) اى من ليلة الى ثلاث ليال (وجاء) اى ورد انه جاز ان يهجرها (عشرة اوعشرين اوشهرا ان كان للدين) كترك صلاة وغسل جنابة واباء عن فراش ونحوها فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رسل بهدية الى زينب فردتها عليه فقال له التى هو فى بيتها لقد اقمأتك اذ ردت عليك هديتك اى اذلتك واستصغرتك فقال عليه السلام انتن اهون على الله ان تقمئينى ثم غضب عليهن كلهن شهرا الى ان عاد اليهن كذا فى الاحياء وذكره ابن الجوزى بغير اسناد فى الوفاء وفى الصحيحين من حديث عمر كان اقسم ان لايدخل عليهن شهرا من شدة فوجدته عليهن وفى رواية آلى منهن شهرا ولمسلم من حديث جابر ثم اعتزلهن شهرا (ثم يضرب) اى المرأة ضربا (غير جارح ولا كاسر) لعظم (ولامطخ بدم) ولا على وجه ايضا (فوردفيه) اى فى بيان هذا الحكم من امره ونهيه عنه عليه السلام وقد قيل له ما حق المرأة على الرجل فقال (يطعمها اذا طعم ويكسوها اذا اكتسى ولايقبح الوجه ولايضرب الاضربا غير مبرح) اى غير مؤلم ولايهجر الا فى البيت ابوداود والنسائى فى الكبرى وابن ماجه من رواية معاوية بن حيدة بسند جيد وقال ولايضرب الوجه ولايقبح اى لايقول قبحك الله اوقبح الله وجهك وفى رواية لابى داود ولايقبح الوجه ولايضرب (ولا يطلق) اى من غير احتياج الى اختيار الفراق (فوردابغض المباحات عند الله الطلاق) رواه ابوداود وابن ماجه والحاكم فى مستدركه عن ابن عمر ولفظه ابغض الحلال الى الله الطلاق وفى رواية للحاكم ما احل الله شيئا ابغض اليه من الطلاق وعند الديلمى من حديث

معاذ بن جبل ان الله يبغض الطلاق ويحب العتاق وفى رواية ما احل الله حلالا احب اليه من النكاح ولا احل حلالا اكره اليه من الطلاق قد يقال المباح ما استوى فعله وتركه ولا يتصور ان يكون احد طرفيه مبغوضا فلابد من التجوز فى المباح بارادة ما يشمل المكروه ففى الكافى ان الطلاق محظور فى اصل مباح نظرا الى الحاجة فاطلاق المباح نظر الى الحاجة والوصف بالمبغوضية نظر الى اصله انتهى وحاصله انه عند الحاجة مباح وعند غيرها مكروه ونظيره السؤال عن الناس فانه محرم باصله ويباح عند الضرورة الى فرعه (ولانه) اى الطلاق (ايذاء) اى فى مقام الافتراق ولايباح ايذاء الغير (الالضرورة منه) اى من جانبه (اوجناية منها) اى من جانبها بان كانت تؤذى زوجها اواهله اوتكون سيئة فى خلقها اوفاسدة فى دينها والافقد قال تعالى* فان اطعنكم فلاتبغوا عليهن سبيلا (اوامر الاب) اى اولاجل امر اب الزوج (به) اى بطلاقها (ان صح الغرض) اى غرض الاب ولايكون عن هظ النفس اوالغضب (وهو مأثور) اى مروى عن ابن عمر انه قال كان تحتى امرأة احبها وكان ابى يكرهها ويأمرنى بطلاقها فراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن عمر طلق امرأتك اصحاب السنن قال الترمذى حسن صحيح (وورد فلا جناح عليهما الآية) وتمامها فان خفتم الايقيما حدود الله فلاجناح عليهما فيما افتدت به * والمعنى اذا كان الاذى من الزوج فلها ان تفتدى ببذل مال ويكره للرجل ان ياخذ منها اكثر مما اعطاها فان ذلك اجحاف بها وتحامل عليها وتجارة على بضعها فاللائق بالفداء رد ما اخذته من العطاء (فيطلق) اى حينئذ (فى طهر خال عن الجماع) فان الطلاق فى الحيض والطهر الذى جامعها فيه بدعى حرام وان كان واقعا لما فيه من تطويل العدة وتحصيل المضرة فان فعل ذلك فليراجعها فقد طلق ابن عمر امرأته فى الحيض فقال عليه السلام لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء طلقها وان شاء امسكها فتلك العدة التى امر الله ان تطلق لها النساء وانما امره بالصبر بعد الرجعة من طهرين لئلا يكون مقصود الرجعة الطلاق فقط كذا فى الاحياء وهو موافق لمذهب الشافعى ان الخلع فسخ او طلاق رجعى واما على مذهبنا انه طلاق باين فلا يمكن ان يراجعها اذا كان الطلاق رجعيا واما حديث ابن عمر فمحمول على الطلاق الرجعى (واحدة فقط) أى يقتصر على طلقة واحدة ولا يجمع بين الثلاث فانه طلاق بدعى ايضا وهو حرام عندنا ومكروه عند الشافعى ولان الطلقة الواحدة تفيد المقصود من المفارقة ويستفيد بها الرجعة ان ندم فى العدة وتجديد النكاح ان اراد بعد العدة واذا طلق ثلاثا ربما ندم فيحتاج فى ان يتزوجها الى محلل والى الصبر مدة وعقد المحلل منهى عنه مكروه فيه ويكون هو الساعى له ثم يكون قابه معلقا بزوجة الغير ومطلقته اعنى زوجة المحلل بعد

ان زوجت منه فيورث كل ذلك تنفيرا فى الزوجة وكل ذلك ثمرة الجمع بين الطلقات الثلاث (بلا تعنيف واستخفاف) اى ينبغى ان يتلطف فى التعلل لتطليقها ولايستعجل فى امر تفريقها (ويسر بهدية) اى ويخفى بارسال هدية على سبيل المتعة فى القضية (جبرا للمصيبة) اى لما اصابها من البلية وقد قال تعالى * ومتعوهن بالمعروف * وذلك واجب فى بعض الصور ومستحبة فى بعضها وفى الكتب الفقهية يذكر تفصيلها وكان الحسن بن على رضى الله عنهما مطلاقا منكاحا قائلا انى وجدت الغنى فيهما حيث قال سبحانه * ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله * وقال * وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته * وقد وجه ذات يوم بعض اصحابه بطلاق امرأتين من نسائه وقال قل لهما اعتديا وادفع الى كل واحدة عشرة آلاف درهم ففعل فلما رجع اليه قال ماذا فعلتا فقال اما احديهما فسكتت ونكست رأسها واما الاخرى فبكت وانتحبت وسمعتها تقول * متاع قليل من حبيب مفارق * فاطرق الحسن ورحمها وقال لوكنت مراجعا امرأة بعدما افارقها لراجعتها ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له فى المدينة نظير وبه ضربت المثل عائشة رضى الله عنها حيث قالت لولم اسر مسيرى ذلك لكان احب الى من ان يكون لى سنة عشر ذكرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عبد الرحمن بن الحارث فدخل الحسن فى بيته فعظمه عبد الرحمن واجلسه واكرمه فقال الا ارسلت الى فكنت آتيك فقال لحاجة لها فقال وماهى قال جئتك خاطبا ابنتك فاطرق عبد الرحمن ثم رفع رأسه فقال والله ما على وجه الارض احد يمشى عليها اعز على منك ولكن تعلم ان ابنتى بضعة منى وانت مطلاق فاخاف ان تطلقها وان فعلت خشيت ان يتغير قلبى فى محبتك واكره ان يتغير قلبى عليك لانك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان شرطت ان لاتطلقها زوجتك فسكت الحسن وقام فخرج فقال بعض اهل بيته سمعته وهو يمشى ويقول ما اراد عبد الرحمن الا ان يجعل ابنته طوقا فى عنقى وكان على رضى الله عنه يضجر من كثرة تطليقه وكان يعتذر منه على المنبر الى ان قال فى خطبته ان حسنا مطلاق فلا تنكحوه فقام رجل من همدان فقال والله يا امير المؤمنين لننكحنه ما شاء فان احب امسك وان احب ترك فسر ذلك عليا فقال لوكنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام (ولاتطلبه) اى الطلاق (المرأة) اى من غير الضرورة (ففيه الوعيد) اى التهديد الشديد فلابى داود والترمذى وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث ثوبان ايما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير بأس لم ترح رائحة الجنة وفى لفظ فالجنة عليها حرام ومما ينبغى للزوج ان لا يفشى سرها عند النكاح ولا عند الطلاق فقد ورد فى افشاء سر النساء فى الخبر الصحيح وعيد عظيم كذا فى الاحياء وفى صحيح مسلم من حديث ابى سعيد قال عليه السلام ان

اعظم الامانة عندالله يوم القيمة الرجل يفضى الى امرأته وتفضى اليه ثم يفشى سرها يعنى اوتفشى سره فان المجالس بالامانة كما ورد وروى ان بعض الصالحين اراد طلاق امرأته فقيل له ما الذى يريبك منها فقال العاقل لايهتك ستر امرأته فلما طلقها قيل له لم طلقتها قال ما لى وامرأة غيرى وهذا بيان ما على الزوج واما حق الزوج على المرأة فكما بينه بقوله (وتطيع الزوج) اى مطلقا فى كل ما طلب منها فى نفسها مما لامعصية فيه (فورد ايما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة) الترمذى وابن ماجه من حديث ام سلمة وقال الترمذى حسن غريب (ولاتمنع نفسها) اى عنه ولوكانت على تنور اوقتب مستور فلابن حبان من حديث ابى هريرة اذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها واطاعت زوجها دخلت جنة ربها وفى الصحيحين من حديث ابن عباس اطلعت فى النار فاذا اكثر اهلها النساء فقلن لم يارسول الله فقال تكثرن اللعن وتكفرن العشير يعنى الزوج المعاشر ولاحمد من حديث ابى امامة اطلعت فى الجنة فاذا اقل اهلها النساء فقلت اين النساء قال شغلهن الاحمران الذهب والحرير ولابى نعيم ويل للنساء من الاحمرين الذهب والزعفران يعنى الحلى وسائر الاسباب ومصبغات الثياب (وتتقى) اى نفسها وتزينها (لتمتعه) اى لانتفاعه بها مستعدة فى الاحوال كلها فعن الاصمعى رأيت فى البادية امرأة عليها قميص احمر وهى مختضبة وبيدها سبحة فقلت ما ابعد هذا من هذا فقالت *

﴿شعر﴾

* ولله منى جانب لا اضيعه * وللهو منى والبطالة جانب *

قال فعلمت انها امرأة صالحة لها زوج تتزين له (وتستأذنه فى الاعطاء من البيت) اى من متاعه بل ومن متاعها عند بعض العلماء وفى الاحياء عنه عليه السلام لايحل لها ان تطعم الا الرطب الذى يخاف فساده ولابى داود من حديث سعد قالت امرأة يارسول الله انأكل على آبائنا وابنائنا وازواجنا فما يحل لنا من اموالهم قال الرطب تأكلنه وتهدينه وصحح الدارقطنى فى العلل ان سعدا هذا رجل من الانصار ليس ابن ابى وقاص وذكر البزار فى مسنده انه ابن ابى وقاص واختاره ابن القطان ولمسلم من حديث عائشة اذا انفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها اجرها بما انفقت ولزوجها اجره بما كسب (والخروج عنه) اى وفى خروجها عن البيت ولوالى المساجد ونحوها (وصوم النفل) اى اذا كان عندها فللبيهقى عن ابن عمر انت امرأة من خثعم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت انى امرأة ايم واريد ان اتزوج فما حق الزوج على المرأة قال من حق الزوج على المرأة اذا ارادها على نفسها وهى على ظهر بعير ان لاتمنعه ومن حقه ان لاتعطى شيئا من بيته الاباذنه فان فعلت ذلك كان عليها الوزر وله الاجر ومن حقه ان

لاتصوم تطوعا الا باذنه فان فعلت جاعت وعطشت ولم يقبل منها ومن حقه ان لاتخرج من بيتها بغير اذنه فان فعلت لعنتها الملائكة حتى ترجع الى بيتها اوتتوب وللحاكم وصححه عن ابي هريرة انت فتاة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يانبي الله انى امرأة فتاة اخطب وانا اكره التزويج فما حق الزوج على المرأة قال لوكان من قرنه الى قدمه صديد فلحسته ما اديت شكره قالت فلا اتزوج اذا وللترمذى وابن حبان من حديث ابي هريرة لوامرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها (ولاتعيبه بالقبح) اى لا فى صورته ولا فى سيرته ولاتؤذيه فى سره وعلانيته فللترمذى وابن ماجه عن معاذ بن جبل لاتؤذى امرأة زوجها فى الدنيا الاقالت زوجته من الحور العين لاتؤذيه قاتلك الله فانما هو عندك دخيل يوشك ان يفارقك الينا ولا تتفاخر على الزوج بمالها وجمالها فقد روى الاصمعى قال دخلت البادية فاذا انا بامرأة من احسن الناس تحت رجل من اقبح الناس فقلت لها ياهذه اترضين لنفسك ان تكونى تحت مثله فقالت ياهذا اسكت فقد اسأت فى قولك لعله احسن فيما بينه وبين خالقه فجعلنى ثوابه اولعلى اسأت فيما بينى وبين خالقى فجعله عقوبتى افلا ارضى بما رضى الله لى فاسكتنى وفى رواية له رأيت فى البادية اعرابية من احسن الناس ورأيت زوجها من اقبح الناس وهى تقول لزوجها بشرى لك فانت وانا فى الجنة فقالت ما اعلمك بذلك فقالت ابتليت انا بقبحك فصبرت وموضع الصابرين فى الجنة وابتليت انت بحسنى فشكرت وموضع الشاكرين فى الجنة (وتقدم حقه) اى حق الزوج (على الاقارب) حتى على الوالدين فللطبرانى فى الاوسط عن انس كان رجل خرج الى سفر وعهد الى امرأته ان لاتنزل من العلو الى السفل وكان ابوها فى السفل فمرض فارسلت المرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن فى النزول الى ابيها فقال عليه السلام اطيعى زوجك فمات ابوها فاستأذنته فقال اطيعى زوجك فدفن ابوها فارسل عليه السلام بخبرها ان الله غفر لابيها بطاعتها لزوجها (ولا تنبسط) اى بالكلام والسلام (مع حبيبه) اى صديق زوجها لاسيما فى حال غيبته عن بلدها (وتنقبض فى غيبته بترك الملاعبة) فى حال المصاحبة (والالتذاذ) بانواع من الطعام واصناف من الزينة فى ذلك المقام لان الوقت يقتضى الحزن والاهتمام (وتقوم بامور البيت) اى بكل خدمة فى الدار تقدر عليها من غير نظر الى عار اهل الديار فقد روى عن اسماء بنت ابي بكر الصديق رضى الله عنهما انها قالت تزوجنى الزبير رضى الله تعالى عنه فى الارض من مال ولامملوك ولاشىء غير فرسه وناضحه فكنت اعلف فرسه واكفيه مؤنته واسوسه وادق النوى لناضحه واعلفه واستقى الماء واخرز قربه واعجن وكنت اقفل النوى اى اجمعه على رأسى من ثلثى فرسخ حتى ارسل الى ابوبكر بخادم فكفانى سياسة الفرس فكأنما اعتقنى ولقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ومعه

اصحابه والنوى على رأسى فقال عليه السلام اخ اخ لينبخ ناقته ويحملنى خلفه فاستحييت ان اسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان اغير الناس فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم انى استحييت فجئت فحكيت له ما جرى فقال والله لحملك النوى على رأسك اشد من ركوبك معه عليه السلام رواه الشيخان ومن جملة القيام بامور بيتها دوام لزوم سكونها وعدم خروجها من غير ضرورتها فلابن حبان من حديث ابن مسعود اقرب ما تكون المرأة من ربها اذا كانت فى قعر بيتها وان صلاتها فى صحن دارها افضل من صلاتها فى المسجد (ولاتستبدل زوجا بعد وفاته لتكون زوجته فى الجنة) اى على تقدير ايمانهما البتة واما اذا تزوجت بعده فاختلف فى انها تكون للاول او الثانى او تخير فيهما وهو الاظهر وفى البستان اما من قال هى للآخر منهما فذهب الى ما روى عن معاوية بن ابى سفيان انه خطب ام الدرداء فقالت سمعت ابا الدرداء يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المرأة لآخر ازواجها فى الآخرة وقال لى ان اردت ان تكونى زوجى فى الآخرة فلا تتزوجى بعدى واما من قال انها تخير فقد ذهب الى ما روى عن ام حبيبة سألت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله المرأة منا ربما يكون لها زوجان لايهما تكون فى الآخرة قال تخير فتختار احسنهما خلقا معها ثم قال عليه السلام ذهب حسن الخلق بخيرى الدنيا والآخرة هذا ولابى داود من حديث ابى مالك الاشجعى انا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين فى الجنة اراد امرأة تأيمت عن زوجها وحبست نفسها على اولادها حتى باتوا اوماتوا وللخرائطى عن ابى هريرة حرم الله على كل آدمى الجنة ان يدخل قبلى غير انى انظر عن يمينى فاذا امرأة تبادرنى الى باب الجنة فاقول مالهذه تبادرنى فقال يامحمد هذه امرأة كانت حسناء جميلة وكان عندها يتامى لها فتصبرت عليهم حتى بلغ امرهم الذى بلغ فشكر الله لها ذلك ومما يجب عليها من حقوق النكاح اذا مات عنها زوجها ان لاتحد عليه اكثر من اربعة اشهر وعشر ليال فتجتنب فى تلك المدة الطيب والزينة قالت زينب بنت ابى سلمة دخلت على ام حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وسلم حين توفى ابوها ابوسفيان بن حرب فدعت بطيب فيه صفرة خلوق اوغيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت والله مالى بالطيب من حاجة غير انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت اكثر من ثلاثة ايام الاعلى زوج اربعة اشهر وعشرا رواه الشيخان ومن اهم آداب المرأة ترك المطالبة بما وراء الحاجة كما يشير اليه قوله تعالى * يا ايها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها * الآية والاهتمام بالتعفف عن كسبه الحرام وهذه كانت عادة النساء فى السلف الكرام كان الرجل اذا خرج من منزله تقول امرأته وابنته اياك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار وهم

رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره فقالوا لزوجته لم تدعينه ولم يدع لك نفقة فقالت زوجي منذ عرفته عرفته اكالا وما عرفته رزاقا ولى رزاق وهو الخلاق فيذهب الاكال ويبقى الرزاق وخطبت رابعة بنت اسمعيل احمد بن ابي الحوارى فكره ذلك لما كان فيه من العبادة فقال لها والله مالى همة فى شيء لشغلى بحالى فقالت والله انى لاشغل بحالى منك ومالى شهوة ولكنى ورثت مالا كثيرا من زوجى فاردت ان تنفقه على اخوانك واعرف بك الصالحين فيكون طريقا الى الله تعالى فقال حتى استاذن استاذى فرجع الى ابي سليمان الدارانى قال وكان ينهانى عن التزوج ويقول ماتزوج احد من اصحابنا الا تغير فلما سمع كلامها فقال تزوج بهاهذه ولية الله هذا كلام الصديقين قال فتزوجها فكان فى منزلها كر من جص نقى من غسل ايدى المستعجلين للخروج بعد الاكل فضلا عمن غسل بالاشنان قال وتزوجت عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمنى الطيبات وتطيبنى وتقول اذهب بنشاطك وقوتك الى ازواجك وكانت هذه تشبه فى اهل الشام برابعة العدوية فى البصرة (ويحافظ حال الولد) اى من صغره ففى الطبرانى من حديث ابن عمر قال رجل يارسول الله من ابر قال بر والديك فقال ليس لى والدان فقال بر ولدك فكما ان لوالديك عليك مقاكذلك لولدك عليك حق (ولا يشتمه) اى لئلا يصير طبعا له فى كبره (لاسيما سمى الانبياء) لانه حينئذ قد يقال بكفره (ويلقنه كلمة التوحيد فى اول ما ينطلق به اللسان) ففى رواية ابن السنى عن ابن عمر و مرفوعا اذا فصح الولد فليعلمه لااله الاالله وهو شامل لتلقين معناه وتبيين معناه وفى رواية له ايضا عن انس انه عليه السلام كان اذا فصح الولد من بنى عبد المطلب علمه * وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا * اقول ويناسبه ايضا تعليم سورة الاخلاص والفاتحة (ويعلمه علوم الدين) اى اصول الشريعة وفروعها ويمنعه عن تعلم المنطق والكلام والهيئة والحكمة وسائر علوم الفلاسفة لما ورد عنه عليه السلام اسألك علما نافعا واعوذ بك من علم لاينفع (والكتابة) فانها وسيلة لوقاية الرواية والدراية وهما من اسباب الهداية فى البداية والنهاية (والرمى) لقوله تعالى * واعدوا لهم ما استطعتم من قوة * وقوله عليه السلام الا ان القوة الرمى وقد سبق ماورد فى فضل فعله وذم تركه (والسباحة) وهى معرفة الغوص فى الماء ولعله للاحتياج اليه فى سفر البحر للحج والغزو لاسيما وقد ورد ان شهداء البحر افضل من شهداء البر ومن اللطائف ان نحويا خاطب بحريا فقال هل تعلمت النحو فقال لا قال ضيعت نصف عمرك فسكت حتى ماج البحر فقال هل تعلمت السباحة يانحوى فقال لا قال ضيعت جميع عمرك (ويؤدب) اى ولده بضرب ونحوه (لست سنين) اى اذا خالف فى آداب الصالحين واخلاق المحسنين اوفيما يتعلق بحقوق الوالدين

والاقربين فللبيهقى عن ابن عباس مرفوعا من حق الولد على الوالد ان يحسن ادبه ويحسن اسمه واما مادون ست سنين فتأديبه باللسان والاحسان (ويعزل الفراش) اى عن امه واخته ونحوهما (لسبع سنين) لانه حينئذ وقت تمييزه بين النساء وغيرهن (ويضرب على الصلوة) اى على تركها (لعشر) اى حتى يتدرب بفعلها وتحمل ثقلها ولابى داود والبيهقى عن رجل من الصحابة مرفوعا اذا عرف الغلام يمينه من شماله فمروه بالصلوة (وروى لثلاث عشرة) فانه قارب البلوغ (ويزوج لست عشرة) لتحقق البلوغ حينئذ فيجب صيانته ولابن السنى عن انس مرفوعا اضربوه على الصلوة لسبع واعزلوا فراشه لتسع وزوجوه لسبع عشرة فاذا فعل ذلك فليجلسه بين يديه ثم ليقل لاجعلك الله على فتنة ورواه ابو الشيخ عن انس بلفظ فاذا بلغ سبع سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلاثة عشر ضرب على الصلوة فاذا بلغ ستة عشر زوجه ابوه ثم اخذ بيده وقال قد ادبتك وعلمتك وانكحتك اعوذ بالله من فتنتك فى الدنيا وعذابك فى الآخرة (ويسوى بين الاولاد فى الاهداء) فعنه عليه السلام رحم الله والدا اعان ولده على بره اى لم يحمله على عقوقه بسوء عمله فى حقوقه ابو الشيخ وابن حبان فى كتاب الثواب عن على وابن عمر رضى الله عنهم وجاء رجل الى عبد الله بن المبارك فشكى اليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه فقال نعم فقال انت افسدته (ويبدأ) اى فى الاعطا (بالاطفال) اى لصغرهم وقلة صبرهم (والبنات) لجبرهن عن كسرهن فروى ساووا بين اولادكم فى العطية كذا فى الاحياء ولم يتعرض له مخرجه وفى الجامع الصغير بلفظ ساووا بين اولادكم فى العطية فلو كنت مفضلا احدا لفضلت النساء الطبرانى والخطيب وابن عساكر عن ابن عباس والظاهر ان القبلة ونحوها فى حضورهم ينبغى فيها التسوية قياسا على العطية بخلاف زيادة المحبة القلبية فانها ليست من الافعال الاختيارية كما وقع ليعقوب فى يوسف واخوته فى تلك القضية ثم الظاهر ان التسوية فى الاعطاء انما هو اذا كانوا كلهم فقراء او اغنياء واما اذا كان بعضهم فقراء فزادهم فى العطاء فلا بأس به بل يجب عليه نفقة ذوى الرحم المحرم عندنا هذا وبالجملة الولد محل المرحمة فقد عثر الحسين وهو عليه السلام على منبره فنزل فحمله وقرأ قوله تعالى * انما اموالكم واولادكم فتنة * كذا فى الاحياء وقال مخرجه رواه اصحاب السنن من حديث ابى بريدة فى الحسن والحسين يمشيان ويعثران قال الترمذى حسن غريب وللنسائى من رواية عبد الله بن شداد عن ابيه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بالناس اذ جاء الحسن او الحسين فركب عنقه وهو ساجد فاطال السجود بالناس حتى ظننا انه قد حدث امر فلما قضى صلاته قالوا قد اطلت السجود حتى ظننا انه قد حدث امر فقال ان بنى قد ارتحلنى فكرهت ان اعجله حتى يقضى حاجته اى يفرغ غرضه من ملاعبته ورواه الحاكم

وقال

وقال صحيح على شرط الشيخين ورأى الاقرع بن حابس النبى عليه السلام وهو يقبل ولده الحسن فقال ان لى عشرة من الولد ماقبلت واحدا منهم فقال عليه السلام ان من لايرحم لا يرحم البخارى عن ابى هريرة وللحافظ الذهبى فى ترجمة اسامة من كتابه سير النبلاء من مجاهد عن الشعبى عن عائشة قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اغسلى وجه اسامة فجعلت اغسله وانا انفته فضرب بيدى ثم اخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال قد احسن بنا اذ لم يكن جارية يعنى لئلا يحوجنا الى الحلية وكسوة الزينة والتزويج ونحوها من المحنة لحديث احمد عن عائشة ان اسامة عثر بعتبة الباب فدمى فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يمصه ويقول لوكان اسامة جارية لحليتها ولكسوتها حتى انفقها واسناده صحيح وعنه عليه السلام الولد من ريح الجنة الخرائطى وابن حبان فى الضعفاء عن ابن عباس وقد قيل ولدك ريحانتك سبعا وخادمك سبعا ثم هو عدوك او شريكك وقال يزيد بن معاوية ارسل الى ابى الاحنف بن قيس فلما صار اليه قال له يا ابا الحسن ماتقول فى الولد فقال يا امير المؤمنين ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم ارض ذليلة وسماء ظليلة وبهم نصول على كل خليلة فان طلبوا فاعطهم وان غضبوا فارضهم يمحوك ودهم ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقلا فيملوا حياتك ويحبوا وفاتك ويكرهوا قربك فقال له معاوية لله انت يا احنف لقد دخلت على وانا مملوغضبا وغيظا على يزيد فلما خرج الاحنف من عنده رضى على يزيد وبعث اليه بمائتى الف درهم ومائتى ثوب فارسل يزيد الى الاحنف بمائة الف درهم ومائة ثوب فقاسمه اياها على الشطر ثم اعلم ان اكثر العلماء على ان طاعة الوالدين واجبة فى الشبهات حتى اذا كانا يتنغصان بانفرادك عنهما بالطعام فعليك ان تأكل معهما لان ترك الشبهة ورع ورضى الوالدين حتم وكذلك ليس لك ان تسافر فى مباح اونافلة الا باذنهما والمبادرة الى الحج الذى هو فرض اسلام نفل على القول بالتراخى والخروج لطلب العلم نفل الا اذا كنت تطلب علم الفرض العينى من الصلوة والصوم ونحوهما ولم يكن فى بلدك من يعلمك وذلك كمن يسلم ابتداء فى بلد ليس فيه من يعلمه شريعة الاسلام فعليه الهجرة من ذلك المقام ولا يتقيد بحق الوالدين قال ابو سعيد الخدرى هاجر رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن واراد الجهاد فقال عليه السلام باليمن ابواك قال نعم قال هل اذنا لك فقال لا قال عليه السلام فارجع الى ابويك فاستأذنهما فان فعلا فجاهد والافبرهما فان ذلك خير مما تلقى الله بعد التوحيد احمد وابن حبان وجاء آخر اليه صلى الله عليه وسلم يستشيره فى الغزو فقال الك والدة قال نعم قال فالزمها فان الجنة تحت قدميها ابن ماجه والحاكم من حديث معاوية بن جاهمة قال الحاكم صحيح الاسناد وجاء آخر وطلب البيعة على الهجرة وقال ما جئتك حتى ابكيت

والدى فقال ارجع اليهما فاضحكهما كما ابكيتهما ابو داود والنسائى وابن ماجه والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح الاسناد (ويتوضا فى موته) اى فى موت ولده (ويصلى ركعتين) عند فقده لقوله تعالى * واستعينوا بالصبر والصلوة (ويأخذ بناصية المشترى) اى من العبد والجارية والدابة (ويدعو بالبركة) ويقول اللهم بارك لنا فيه وارزقنا خيره واكفنا شره واجعله طويل العمر كثير الرزق او اللهم اعطنى خير ما انت آخذ بناصيتها انك على صراط مستقيم (ويذيقه) اى العبد او الجارية (الحلوا) اى شيئا من الحلوا (اولا) اى تفاؤلا بحلاوته آخرا ولحديث معاذ اذا ابتاع احدكم الخادم فليكن اول شئ يطعمه الحلو فانه اطيب لنفسه الطبرانى فى الاوسط والخرائطى (ويطعمه مما يطعم) اى مما يأكله بنفسه (والاولى ان ياكل معه) اى تواضعا لربه ولما فى الصحيحين وليأكل معه فان ابى فليتأوله وفى رواية اذا كفى احدكم مملوكه صنعة طعامه وكفاه حره ومؤنته وقربه اليه فليجلسه وليأكل معه اولياْخذ اكلة فروغها واشار بيده وليضعها فى يده وليقل كل هذه وللبخارى فى تاريخه والبيهقى عن ابى هريرة مرفوعا ما استكبر من اكل معه خادمه وركب الحمار بالاسواق واعتقل الشاة فحلبها (ويكسوه مما يكتسى ولايكلفه مالا يطيق) وكان عمر رضى الله عنه يذهب الى العوالى فى كل سبت فاذا وجد عبدا فى عمل لايطيقه وضع عنه وروى عن ابى هريرة انه رأى رجلا على دابته وغلامه يسعى خلفه فقال له ياعبد الله احمله فانه اخوك روحك مثل روحه ثم قال لايزال العبد يزداد من الله بعدا مامشى خلفه وقد دخل رجل على سلمان وهو يعجن فقال يا ابا عبد الله ما هذا قال بعثنا الخادم فى شغل وكرهنا ان نجمع عليه عملين (ويمسك ما احب) اى ما دام يحب امساكه (ولايعذب) اى مملوكه اذا لم يحب امساكه بل يبيعه (فالكل ماْثور) ففى ابى داود من حديث على كان آخر كلامه عليه السلام الصلوة الصلوة اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم وفى الصحيحين من حديث انس كان آخر وصيته عليه السلام حين حضره الموت الصلوة الصلوة وما ملكت ايمانكم ولهما من حديث ابى ذر اطعموهم مما تأكلون والبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم مايغلبهم فان كلفتموهم فاعينوهم وهذا لفظ مسلم وفى رواية لابى داود من يلائمكم من مملوكيكم فاطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ومن لم يلائمكم منهم فبيعوه ولاتعذبوا خلق الله تعالى فان الله ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم واسناده صحيح وفى رواية لمسلم من حديث ابى هريرة للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولايكلف من العمل ما لايطيق (وورد كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته) رواه الشيخان عن ابن عمر (ولايضرب غضبا) اى من طريق الغضب (بل تاْديبا) اى كضربه على سبيل الادب فيكون تهذيبا لاتعذيبا ففى صحيح مسلم عن ابن مسعود الانصارى قال

بينا انا اضرب غلامالى فسمعت صوتا من خلفى اعلم اعلم ابامسعود مرتين فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فالقيت السوط من يدى فقال والله لله اقدر عليك منك على هذا وعن ابن المنكدر ان رجلا من اصحابه عليه السلام ضرب عبدا له فجعل العبد يقول اسألك بالله اسألك بالله اسألك بوجه الله فلم يعفه فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح العبد فانطلق اليه فلما رآه امسك يده فقال عليه السلام يسألك بوجه الله فلم تعفه فلما رأيتنى امسكت يدك قال فانه حر لوجه الله يارسول الله فقال لولم تفعل لسفعت وجهك النار ابن المبارك فى الزهد هكذا مرسلا وفى صحيح مسلم من حديث ابى سعيد فجعل يقول اعوذ بالله قال فجعل يضربه فقال اعوذ برسول الله فتركه وفى رواية له فقلت هو حر لوجه الله فقال اما انك لو لم تفعل للفحتك النار اولمستك النار وللترمذى عن ابى سعيد اذا ضرب احدكم خادمه فذكر الله فارفعوا ايديكم (لاعلى زلة) اى لايضربه على ماصدر منه من عثرة اوغفلة (ونسيان) اى تخلقا باخلاق الله حيث عفا عن الخطأ والنسيان كمايشير اليه قوله * ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا اواخطأنا * وحديث رفع عن امتى الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه وقيل لاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم قيل فما بلغ من حلمه قال بينما هو جالس فى داره اذا تته جارية بسفود عليه شواء فسقط السفود من يدها على ابن له فعقره فمات فدهشت الجارية فقال ليس يسكن روع هذه الجارية الا العتق انت حرة لوجه الله لابأس عليك وكان عنده ميمون بن مهران ضيف فاستعجل على جاريته بالعشاء فجاءت مسرعة ومعها قصعة مملوة فعثرت وارافتها على رأس سيدها فقال ياجارية اهرقتنى قالت يامعلم الخير ومؤدب الناس ارجع الى ما قال الله تعالى قال وما قال تعالى قالت * والكاظمين الغيظ * قال قد كظمت غيظى قالت * والعافين عن الناس * قال قد عفوت عنك قالت زد فان الله يقول * والله يحب المحسنين * قال انت حرة لوجه الله (ولايزيد على ثلاث) اى ضربات ثلاث اذا كان الذنب صغيرا واما اذا كان كبيرا فينقص من الاربعين فانه غاية التعزير (فانه) اى المزيد عليه (قصاص) اى مقتص منه (يوم القيمة وورد اعف عنه) اى عن الخادم (سبعين مرة لمن قال كم اعفو) فلابى داود والترمذى وقال حسن غريب عن ابن عمر جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كم نعفو عن الخادم فصمت ثم قال اعف عنه كل يوم سبعين مرة وكان عون بن عبد الله اذا عصاه غلامه قال ما اشبهك بمولاك مولاك يعصى مولاه وانت تعصى مولاك فاغضبه يوما فقال انما تريد ان اضربك اذهب فانت حر (ويعتق) اى المملوك (ان طالت المدة) وطول المدة تكون لسبع سنين فاكثر على ما فى الشرعة (ففيه العتق من النار) لقوله عليه السلام من اعتق رقبة مسلمة اعتق الله

بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى فرجه بفرجه رواه الشيخان عن ابى هريرة وفيهما ايضا عنه عليه السلام من كانت عنده جارية فعالها واحسن اليها ثم اعتقها وتزوجها فله اجران وقالت جارية لابى الدرداء انى سمعتك منذ سنة وما عمل فيك شيئا فقال لم فعلت ذلك فقالت اردت الراحة منك قال اذ هبى فانت حرة لوجه الله اقول وكانها كانت مدبرة (ولا يهزل معه) اى لا يمزح مع مملوكه (فهو يسقط الوقار) اى الهيبة والرزانة فلا يعجبه بعد ذلك الخدمة والمهابة هذا وفى الصحيحين عن ابن عمر مرفوعا اذا نصح العبد لسيده واحسن عبادة الله فله اجره مرتين ولما اعتق ابو رافع بكى وقال كان لى اجر ان فذهب احدهما (ويهذب اهل البيت) من الولد والزوجة والخدم (بالرياضة) اى بتحسين الاخلاق (لا سيما الولد المراهق) اى القريب الى البلوغ الذى وقع فيه تكليف الخالق (فهو) اى التهذيب فى حال الصغر (ايسر) اى اسهل على كل منهما (وورد) اى فى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا (قوا انفسكم واهليكم) اى احفظوها (نارا وقودها الناس والحجارة) عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون مايؤمرون (ولا يطا حيوانا) اى لا يدوسه (فانه يسأل عنه) اى هل كان عبثا اوعمدا اوخطاء اونسيانا وقد قال تعالى حكاية عن النمل * لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون وقد قيل البر من لا يؤذى الذر (ويطوف طوافات البيت) اى يجوز ان يدخلوا فى بيته الاماء والعبيد الصغار دون الخصى والعبيد الكبار (فهو مأثور) اى مروى فى الكتاب والسنة قال تعالى * يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض * ولا يبعد ان يراد بالطوافات الهرات فعن كبشة بنت كعب بن مالك وكانت تحت ابن ابى قتادة دخل عليها فسكبت له وضوءا فجاءت هرة تشرب منه فاصغى لها الاناء حتى شربت قالت كبشة فرآنى انظر فقال اتعجبين يا ابنة اخى فقلت نعم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انها ليست بنجسة انها من الطوافين عليكم والطوافات رواه الاربعة وقال الترمذى حسن صحيح (ولا يضرب شيئا) اى حتى الدواب (على الوجه ولا يعذب) اى الوجه وغيره (بالنار) اى بالكى ونحوه واختلف فى تجويز تحريق الزنديق (فنهى عنهما) فلابى داود عن ابى هريرة اذا ضرب احدكم فليتق الوجه وللترمذى والحاكم عن عمران انه عليه السلام نهى عن الكى (ويعرض الماء والعلف على الفرس) اى فى الجهاد ونحوه (سبعين مرة) ولعله اريد به الكثرة للمبالغة والا فقد سبق حديث للملوك طعامه وكسوته بالمعروف (وورد يمن الفرس ذله) اى انقياده لراكبه (وحسن خلقه) اى لصاحبه وقد تقدم والله اعلم (ولا يدخل على الظلمة) اى

الشاملة للكفرة والفجرة قال تعالى * ولاتركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار * فالاولى والاسلم من الاموال ان يعتزل عنهم فلا نراهم ولايرونك ودون هذه الحالة ان يدخلوا عليك ويترددوا اليك وشر الاموال ان تدخل عليهم وتتوسل اليهم وهذا مذموم فى الكتاب والسنة (تحاميا عن استعمال دارهم) اى المغصوبة من اهل ديارهم (ومظلتهم) اى ومكان ظل خيمهم واشجارهم (وفراشهم) اى بساطهم ودثارهم (فلا يخلو عن حرام) وقد قال تعالى * وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم * وهو بعموم مبناه يشمل الاحياء والاموات وان كان الكفار الاموات تراد فى معناه ولما وصف عليه السلام الامراء الظلمة قال فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم اوكاد يسلم ومن وقع معهم فى دنياهم فهو منهم الطبرانى من حديث انس بسند ضعيف وفى رواية من خالطهم هلك وانما قال او كاد يسلم فان من اعتزلهم سلم من اثمهم واكن ربما لايسلم من عذاب نقمة معهم ان نزل بهم لتركه المنابذة والمنازعة (والتواضع لهم) اى وعن اظهار المذلة والمسكنة المستلزم لاكرام الظلمة لاسيما ان ركع او سجد او تمثل له قائما فى الخدمة والتواضع للظالم من المعصية بل من تواضع لغنى ليس بظالم لاجل غناه لا لمعنى آخر يقتضى التواضع نقص ثلثا دينه فكيف اذا تواضع للظالم فلا يباح له الا مجرد السلام فاما تقبيل اليد والانحناء فلا الا عند خوف ولقد بالغ بعض السلف حتى امتنع عن رد جوابهم فى السلام قال فى الاحياء وفيه نظر لان ذلك واجب فلا ينبغى ان يسقط بالظلم قلت قد سقط بادنى من ذلك ومن جملته انه عليه السلام مارد جواب من لبس ثوبا احمر (فورد من اكرم فاسقا) وهو مرتكب الحرام وكان الاكرام من غير ضرورة فى ذلك المقام (فقد اعان على هدم الاسلام) اى على تعطيل بعض اركانه بتعظيم الظالم الذى يجب الاهانة فى شانه والحديث غريب بهذا اللفظ والمعروف من وقر صاحب بدعة رواه ابن عدى من حديث عائشة والطبرانى فى الاوسط وابو نعيم فى الحلية من حديث عبد الله بن بسر باسانيد ضعيفة (والسكوت) اى وعن عدم الانكار بلسانه (على منكر رآه عندهم) اى وقدر على انه ينكر باللسان عليهم كأن يكون من العلماء والمشايخ العظماء وذلك لانه يرى فى مجلسهم من الفرش الحرير واوانى الفضة والحرير الملبوس عليهم وعلى غلمانهم ماهو حرام من خاتم الذهب ونحوه وكل من رأى سيئة وسكت عليها فهو شريك فى تلك السيئة فان قلت انه يخاف على نفسه فهو معذور فى السكوت فهذا حق لكنه مستغن عن ان يعرض نفسه لارتكاب مالايباح الا لعذر فانه لولم يدخل ولم يشاهد لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة حتى يسقط عنه بالعذر وعند هذا يقال من علم فسادا فى موضع وعلم انه لم يقدر على ازالته فلا يجوز له ان يحضر ذلك الموضع ليجرى ذلك الفساد بين يديه وهو يشاهد ويسكت عليه (والدعاء لهم بالبقاء) اى حال

التحية او وقت الاعطاء (فورد من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله فى ارضه) اى من الابتدا الى الانتهاء والحديث ذكره الزمخشرى فى تفسيره والغزالى فى الاحياء قال السخاوى ولم نره فى المرفوع بل اخرجه ابونعيم فى الحلية من قول سفيان الثورى وقال العراقى رواه ابن ابى الدنيا من قول الحسن البصرى وكذا قال العسقلانى فى تخريج الكشاف (والمدح) اى وعن ثناء الفاسق (وان صدق) اى فى مدحه اى وكذا ان صدقه فيما يقول من باطل بصريح قوله او بتحريك رأسه او باستبشار فى وجهه (فهو اعانة على الاثم) وتحريك للرغبة فى المعصية والاعانة على المعصية معصية ولو بشطر كلمة لانه بسبب مدحه يجترى على ظلمه وفسقه (وورد ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق) ابن ابى الدنيا وابن عدى وابو يعلى والبيهقى عن انس ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك فى برية هل يسقى شربة ماء فقال لا دعه حتى يموت لان ذلك اعانة له وقال غيره يسقى الى ان تثوب اليه نفسه ثم يعرض عنه وانما يجوز له ان يدعو بقوله اصلحك الله فى الاوقات او وفقك للخيرات اوطول عمرك فى الطاعات (والمحبة لهم) بان يظهر لهم الموالاة والاشتياق الى الملاقاة (فهى ارادة الظلم) اى منهم فيكون شريكا لهم فى الاثم معهم ثم ان كان كاذبا عصى معصية الكذب والنفاق وان كان صادقا عصى بحبه بقاء ظالم فى الآفاق وحقه ان يبغضه فى الله ويمقته فالبغض فى الله واجب ومحب المعصية والراضى بها عاص ومن احب ظالما فان احبه لظلمه فهو عاص بمحبته وان احبه بسبب آخر فهو عاص من حيث انه لم يبغضه وان اجتمع فى شخص خير وشر وجب ان يحبه لذلك الخير ويبغضه لذلك الشر وقد حكى عن بعض عباد البصرة انه كان يأخذ اموال الامراء ويفرقها على الفقراء فقيل له الا تخاف ان تحبهم فقال لو اخذ رجل بيدى وادخلنى الجنة ثم عصى ربه ما احبه قلبى لان الذى سخره للاخذ بيدى هو الذى ابغضه لاجله شكرا له على تسخيره اياه اقول وهذا مقام دقيق لان الطبع يميل الى من يحسن اليه كما روى عن عائشة جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها كذا فى الاحياء وهو من رواية البيهقى فى الشعب عن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا ويؤيده حديث اللهم لا تجعل لفاجر عندى يدا فيحبه قلبى رواه ابن مردويه فى التفسير عن رجل لم يسم والديلمى عن معاذ وروى ان بعض الامراء ارسل الى مالك ابن دينار بعشرة آلاف فاخذها كلها فاتاه محمد بن واسع فقال ما صنعت بما آتاك هذا المخلوق فقال سل اصحابى فسألهم فقالوا اخرجه كله فقال انشدك الله قلبك اشد حبا له الآن ام قبل ان ارسل اليك فقال بل الآن فقال انما كنت اخافنى هذا وقد صدق فانه اذا احبه احب بقاءه وكره عزله وفناءه وكل ذلك حب لاسباب الظلم وهو مذموم عند اهل العلم (واستحقار نعمته تعالى على نفسه) اى وعن استصغار نعمه سبحانه الظاهرة والباطنة عليه من العلم والعمل

واختيار الفقر والقناعة بالكفاية للقيام بالطاعة (برؤية التوسع عليهم) ومشاهدة اسباب التنعم لديهم فللحاكم من حديث عبد الله بن الشخير وصحه اقلوا الدخول على الاغنياء فانه اجدر ان لا تزدروا نعم الله عزوجل وقد تقدم حديث ابي هريرة ابغض القراء الى الله عزوجل الذين يأتون الامراء وحديث انس العلماء امناء الرسول على عباد الله مالم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الله ورسوله فاحذروهم واعتزلوهم ولابي عمرو الدانى فى كتاب الفتن من رواية الحسن مرسلا لاتزال هذه الامة تحت يد الله وكنفه مالم يمال قراؤها امراءها ورواه الديلمى عن على وابن عمر بلفظ مالم يعظم ابرارها فجارها ويداهن خيارها شرارها ولابي داود والترمذى وابن ماجه عن ابن مسعود مرفوعا لما وقعت بنوا اسرائيل فى المعاصى نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم فى مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ولفظه للترمذى وقال حسن غريب والحاصل ان الافضل فى حقه ان يغفل عنهم واذا خطر بباله تنعمهم فليذكر ماقال خاتم الاصم ان مابيني وبين الملوك يوم واحد اما امس فلا يجدون لذته واني واياهم فى غد على وجل وانما هو اليوم فعسى ان يكون فى اليوم وما قال ابو الدرداء ان اهل الاموال يأكلون ونأكل ويشربون ونشرب ويلبسون ونلبس لهم فضول اموال ينظرون اليها وتنظر معهم اليها وعليهم حسابها ونحن منها برآء قلت وهو مقتبس من قوله تعالى * ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون * (الا) استثناء من قوله ولا يدخل على الظلمة الا (لرعاية اطاعة الرعية) فللبخارى من حديث انس اسمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة ولمسلم من حديث ابي هريرة عليك بالطاعة فى منشطك ومكرهك وله ايضا عنه من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية (ودفع التأذى) اى ولدفع شر الاذى (والظلم عن نفسه اوغيره) من اهله ونحوه (فيدخل) اى حينئذ (مراعيا مقه تعالى) حيث قال * يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم (ويكره) اى بالقيام ونحوه كرها (ان دخلوا) اى الظلمة (عليه) اى معتقدين لما يديه (مكافاة) علة للاكرام اى مجازاة (لاكرامه) اى اكرام الظالم له (عزا للدين) اى لعز اهله من اهل العلم والعمل به وقد قال تعالى * هل جزاء الاحسان الا الاحسان * وقد سبق حديث اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه (ورعاية للحشمة بين الرعية) اى فى الملاء (ويجوز الاهانة فى الخلاء) اى بترك القيام وزيادة الكلام بعد رد السلام (وعند العلم بعدم اضطراب الرعية) اى من الامراء والوزراء اذا كان اهانته (بنية اعزاز الدين) واهله من العلماء المجتهدين (وتحقير الظلم) اى فى نظرهم (واظهار الغضب له تعالى) كما هو واجب على اهل العلم

وغيرهم كما ورد فى احاديث الحب فى الله والبغض فى الله ولقد دعى سعيد بن المسيب الى البيعة للوليد وسليمان ابنى عبد الملك بن مروان فقال لا ابايع اثنين ما اختلف الليل والنهار فان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن بيعتين فقال ادخل من الباب واخرج من الباب الآخر قال لا والله لايقتدى لى احد من الناس فجلد مائة والبس المسوح رواه ابونعيم فى الحلية باسناد صحيح والحاصل انه لايجوز الدخول عليهم الابعذر ان يكون من جهتهم امر الزام لاامر اكرام وعلم انه لوامتنع اوذى اوفسد عليهم طاعة الرعية واضطرب امر السياسة العرفية فيجب عليه حينئذ الاجابة طاعة لهم ومراعاة لمصلحة الخلق حتى لايضطرب امر الولاية (والاصل الاستغناء من القلب) اى فى جهة رضاء الرب (ونية الاصلاح) اى حملهم على صلاح حالهم وفلاح مآلهم (لا الاشتهار) اى بانه من اهل العلم والصلاح وانه من الفائزين بالنجاة والنجاح فان العاقبة مستورة فينبغى ان تكون النية فى هذه الامور صحيحة مبرورة (وهو) اى ماذكر من نية الاصلاح وعدم الاشتهار (يعرف بالفرحة عند حصول الموعظة) اى للظلمة (من غيره) اى الموجودين من الوعاظ الابرار والعلماء الكبار ثم اذا ابتلى بالدخول عليهم يجب ان ينصحهم فقد ورد ان الدين النصيحة قيل لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المؤمنين وعامتهم روى عن محمد بن صالح قال كنت عند حماد بن سلمة واذا ليس فى البيت الا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه عمله ومطهرة يتوضأ فيها فبينا انا عنده اذ دق داق الباب فاذا هو محمد بن سليمان فاذن له فدخل وجلس بين يديه ثم قال مالى اذا رأيتك امتلأت منك رعبا قال حماد لانه عليه السلام ان العالم اذا اراد بعلمه وجه الله هابه كل شئ وان اراد ان يكنز به الكنوز هاب كل شئ ثم عرض عليه اربعين الف درهم وقال تأخذها وتستعين بها قال اردها على من ظلمته بها قال والله ما اعطيك الا ما ورثته قال لاحاجة لى فيها قال فتأخذها وتقسمها قال لعلى ان عدلت فى قسمتها ان يقول بعض من لم يرزق منها انه لم يعدل فى قسمتها فيأثم فازورها عنى كذا فى الاحياء وقال مخرجه حديث حماد بن سلمة مرفوعا هذا معضل وروى ابو الشيخ وابن حبان فى كتاب الثواب من حديث واثلة بن الاسقع من خاف الله خوف الله منه كل شئ ومن لم يخف الله خوفه الله من كل شئ وللعقيلى فى الضعفاء من حديث ابى هريرة نحوه (والاولى الاجتناب عنهم وعن خواصهم) لئلا يقع فى طمع من جاههم واموالهم (والتغافل عن احوالهم) بالتجاهل عن افعالهم واقوالهم والاشتغال بعيوب نفسه ومحاسبة يومه وامسه ومذاكرة الموت وما بعده من حال رمسه فعن حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل وما هى قال ابواب الامراء يدخل احدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول مالیس فيه وقال ابوذر لسلمة لاتغشى ابواب السلاطين

فانك

فانك لاتصيب من دنياهم شيئا الا اصابوا من دينك افضل منه وقال سفيان فى جهنم وادلايسكنه الا القراء الزوارون للملوك والامراء وقال الاوزاعى ما من شئ ابغض الى الله عزوجل من عالم يزور عاملا وقال سمنون ماامسح بالعالم يؤتى الى مجلسه فلايوجد فيسال عنه فيقال انه عند الامير قال وكنت اسمع انه يقال اذارأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت اذ مادخلت قط على هذا السلطان الاوحاسبت نفسى بعد الخروج فارى عليها الدرك معما اواجههم به من الغلظة والمخالفة لهواهم وقال ابوذر فى حديث من كثر سواد قوم فهومنهم اى من كثر سواد الظلمة وقال ابن مسعود ان الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولادين له لم قال لانه يرضيه بسخط الله وقال الفضيل ما ازداد رجل من ذى سلطان قربا الا ازداد من الله بعدا وقال وهب هؤلاء الذين يدخلون على الملوك لهم اضر على الامة من المقامرين وقال محمد بن مسلمة الذباب على العذرة احسن من قارئ على باب هؤلاء الجورة ولما خالط الزهرى السلطان كتب اخ له فى الدين اليه عافانا الله واياك ابابكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغى لمن عرفك ان يدعو لك ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله لما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء فقال عزوجل * واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه * واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغى بدنوك ممن لم يود حقا ولم يترك باطلا حتى اتخذوك قطبا تدور عليك رحى ظلمهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيه الى ضلالتهم واغوائهم يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك فى جنب ماخربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله تعالى فيهم * فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات * الآيه وانك تعامل من لايجهل ويحفظ عليك من لايغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهبئ زادك فقد حضر سفر بعيد وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء والسلام فان قلت فقد كان علماء السلف يدخلون على السلاطين فاقول نعم تعلم الدخول منهم ثم ادخل فقد حكى ابن هشام بن عبد الملك قدم حاجا الى مكة فلما دخلها قال ائتونى برجل من الصحابة فقيل يا امير المؤمنين قد تفانوا قال فمن التابعين فاتى بطاوس اليمانى فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساط ولم يسلم عليه بامرة المؤمنين ولكن قال السلام عليك ياهشام ولم يكنه وجلس بازائه وقال كيف انت يا هشام فغضب هشام حتى هم بقتله فقيل له انت فى حرم الله وحرم رسوله فلا يمكن ذلك فقال له ياطاوس ما الذى حملك على ما صنعت فقال وما الذى

صنعت فازداد غضبا وغيظا فقال خلعت نعليك بحاشية بساطى ولم تقبل يدى ولم تسلم على بامرة المؤمنين ولم تكننى وجلست بازائى بغير اذنى وقلت كيف انت ياهشام فقال اما ما فعلت من خلع نعلى بحاشية بساطك فانى اخلعهما بين يدى رب العزة كل يوم خمس مرات ولايعاقبنى ولايغضب على واماقولك لم تقبل يدى فانى سمعت امير المؤمنين على ابن ابى طالب رضى الله عنه تقول لا يحل لرجل ان يقبل يد احد الا امرأته من شهوة اوولده من رحمة واما قولك لم تسلم على بامرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بامرتك فكرهت ان اكذب واما قولك لم تكننى فان الله سمى اولياءه وقال يا داود يايحيى ياعيسى وكنى اعداءه فقال تبت يدى ابى لهب واما قولك جلست بازائى فانى سمعت امير المؤمنين على ابن ابى طالب يقول اذا اردت ان تنظر الى رجل من اهل النار فانظر الى رجل جالس وحوله قوم قيام فقال له هشام عظنى فقال سمعت امير المؤمنين على بن ابى طالب يقول ان فى جهنم حيات كالفلال وعقارب كالبغال تلدغ كل امير لايعدل فى رعيته ثم قام وهرب عن صحبته وعن سفيان الثورى قال ادخلت على ابى جعفر بمنى فقال لى ارفع الينا حاجتك فقلت له اتق الله فقد ملأت الارض ظلما وجورا قال فطأطأ راسه ثم رفع رأسه فقال ارفع الينا حاجتك فقلت انما انزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والانصار وانباؤهم يموتون جوعا فاتق الله واوصل اليهم حقوقهم قال فطأطأ رأسه ثم رفع رأسه فقال ارفع الينا حاجتك فقلت حج عمر رضى الله عنه فقال لخازنه كم انفقت قال بضعة عشر درهما وأرى ههنا اموالا لايطيقها الجبال ولما استعمل عثمان بن عفان العباس اتاه اصحاب النبى عليه السلام وابطأ عنه ابو ذر وكان له صديقا فعاتبه فقال ابوذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل اذا ولى ولاية تباعد الله عنه كذا فى الاحياء وقال مخرجه لم اقف له على اصل وكان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان ابن عبد الملك فسمع سليمان صوت الرعد ففزع ووضع صدره على مقدم الرجل فقال عمر هذا صوت رحمته فكيف اذا سمعت صوت عذابه ثم نظر سليمان الى الناس يوم عرفة فقال ما اكثر الناس فقال عمر خصماؤك ياامير المؤمنين فقال سليمان ابتلاك الله بهم وحكى ان سليمان بن عبد الملك قدم المدينة وهو يريد مكة فارسل الى ابى حازم فدعاه فلما دخل عليه قال سليمان يا ابا حازم مالنا نكره الموت فقال لانكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم ان تنتقلوا من العمران الى الخراب فقال يا ابا حازم كيف القدوم على الله قال يا امير المؤمنين اما المحسن فكالغائب يقدم على اهله واما المسىء فكالآبق يقدم به على مولاه فبكى سليمان وقال ليت شعرى مالى عند الله فقال ابو حازم اعرض نفسك على كتاب الله حيث قال * ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم * قال سليمان فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين ثم قال

سليمان يا ابا حازم اى عباد الله اكرم قال اهل المروءة والتقى قال فاى الاعمال افضل قال اداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال فاى المؤمنين اكيس قال رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس اليها قال فاى المؤمنين احسر قال من باع آخرته بدنيا غيره قال سليمان ما تقول فيما نحن فيه قال اوتعفيني قال لا ولكن نصيحة تلقيها الى قال يا امير المؤمنين ان آباءك قهروا الناس بالسيف فأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضى منهم حتى قتلوا قتلة عظيمة وقد ارتحلوا فلو شعرت ما قالوا وما قيل لهم فقال له رجل من جلسائه بئس ما قلت قال ابو حازم ان الله قد اخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه فقال فكيف لنا ان نصلح هذا الفساد فقال ان تأخذ المال من حله فتضعه فى حقه فقال سليمان ومن يقدر على ذلك قال من يطلب الجنة ويخاف النار قال سليمان ادع لى فقال اللهم ان كان سليمان وليك فيسره لخير الدنيا والآخرة وان كان عدوك فخذ بناصيته الى ما تحب وترضى فقال سليمان اوصنى فقال او صيك واوجز عظم ربك ونزهه ان يراك حيث نهاك او يفقدك حيث امرك وحكى ان ابا بكرة دخل على معاوية فقال اتق الله يا معاوية واعلم انك فى كل يوم يخرج عنك وفى كل ليلة تأتى عليك لا تزداد من الدنيا الا بعدا ومن الآخرة الا قربا وعلى اثرك طالب لا تفوته وقد نصب علم لا تجوزه فما اسرع ما تبلغ العلم وما اوشك ما يلحق بك الطالب وانا وما نحن فيه زائل وفى الذى نحن اليه صائرون باق ان خيرا فخير وان شرا فشر (ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر) لقوله تعالى * كنتم خير امة اخرجت للناس * اى اظهرت * تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقوله * والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر * الآية وقوله * الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور * وقوله عليه السلام المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا رواه الشيخان عن ابى موسى (وهو) اى ما ذكر من الامر والنهى وافراد الضمير باعتبار التلازم بينهما (فرض) اى بالاجماع والكتاب والسنة (على الكفاية) اى اذا اطلع على الامر جماعة وامر اونهى واحد منهم سقط عن الباقين والا اثم الجميع واذا كانوا معذورين باليد واللسان فحينئذ عليهم ان ينكروا بالجنان وذلك اضعف زمان الايمان اواهله فى مقام الاتقان اومراتب ارباب الاحسان (فى الفرض) اى من المعروف (فعلا) كالصلوة والصيام (وتركا) كاجتناب ما عرف من الحرام (ومندوب) اى وهو مستحب (فى المندوب) اى من المعروف فعلا وتركا (وورد) فى التنزيل (ولتكن منكم امة) اى جماعة منكم وهو دليل كونه من الكفاية (يدعون الى الخير) اى المحض وهو الايمان (ويامرون بالمعروف الآية) اى * وينهون عن المنكر

واولئك هم الفلحون * اى الناجون من العذاب والمظفرون بالثواب هم هؤلاء القائمون به والمباشرون له وهو القطب الاعظم فى الدين والامر المهم الذى بعث الله له النبيين اجمعين فلو طوى بساطه واهمل علمه وعمله بالمرة تعطلت النبوة وعمت الفترة واضمحلت الديانة وارتفعت الامانة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة وظهر الفساد وخرب البلاد وهلك العباد وان لم يشعروا بالهلاك الى يوم التناد ولاصحاب السنن عن ابى بكر الصديق انه قال فى خطبة خطبها ايها الناس انكم تقرؤون هذه الآية وتتأولونها عن خلاف تأويلها * يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لايضركم من ضل اذا اهديتم * وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم عملوا بالمعاصى وفيهم من يقدر على ان ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك ان يعمهم الله تعالى بعذاب من عنده ولابى داود والترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث ابى ثعلبة الخشنى انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى * لايضركم من ضل اذا اهتديتم * فقال يا اباثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فاذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بنفسك ودع العوام ان من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم للتمسك فيها بمثل الذى انتم عليه اجر خمسين منكم قيل بل منهم يارسول الله قال بل منكم لانكم تجدون على الخير اعوانا وللبزار من حديث عمر والطبرانى فى الاوسط من حديث ابى هريرة مرفوعا لتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر اوليسلط الله عليكم شراركم ثم يدعوا خياركم فلايستجاب لهم وللترمذى وحسنه من حديث حذيفة نحوه الا انه قال اوليوشكن الله يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلايستجيب لكم ولابن ماجه باسناد جيد مرفوعا ان الله تعالى ليسأل العبد مامنعك اذا رأيت المنكر ان تنكره فاذا لقن الله العبد حجته قال يارب وثقت بك وفرقت من الناس وللطبرانى والبيهقى وحسنه عن عكرمة عن ابن عباس لاتقفن عند رجل يقتل مظلوما فان اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه ولاتقفن عند رجل يضرب مظلوما فان اللعنة تنزل على من حضره وللبيهقى عن ابن عباس بسند حسن لاينبغى لامرئ شهد مقاما وفيه حق الا تكلم به فانه لن يقدم اجله ولن يحرمه رزقه هوله ورواه الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث ابى سعيد بلفظ لا يمنعن رجلا هيبة الناس ان يقول بحق اذا علمه ولابن عدى من حديث ابى هريرة من حضر معصية فكرهها فكأنه غاب عنها ومن غاب عنها فامضاها فكأنه حضرها ثم الامر

والنهى يجب على العبد (وان عدم العدالة) اى منه بفقد عمله بها (تحرزا عن انسداد باب الاحتساب) اى الحسبة بالامر والنهى لاجل الثواب (لتعذر العصمة) اى عن جميع المعصية الا لارباب النبوة دون الصحابة فضلا عمن دونهم والانبياء كما قال الحجة قد اختلف فى عصمتهم عن الخطايا والقرآن دال على نسبة آدم الى المعصية وكذا جماعة من

الانبياء ولذا قال سعيد بن جبيران لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر الامن لايكون فيه شئ لم يأمر احد بشئ فاعجب ذلك مالكامن سعيد بن جبير (ولان الواجب عليه) شيئان وهما (الامتناع) اى بنفسه عن المعصية (والمنع) اى لغيره عنها (فلايسقط ترك احدهما) وهو الامتناع (الآخر) وهو المنع كما فى عكسهما فلا تلازم بينهما (واما ما ورد فى ذم القائل بما لايعمل) كقوله تعالى * يا ايها الذين آمنوا لم تقولون مالاتفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالاتفعلون * وقوله * اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون * وحديث مررت ليلة اسرى بى بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من انتم فقالوا كنا نأمر بالخير ولانأتيه وننهى عن الشر ونأتيه وكما روى ان الله تعالى اوحى الى عيسى عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والافاستحيى منى وكقول القائل

﴿شعر﴾ * لاتلم المرء على فعله * وانت منسوب الى مثله *
* من ذم شيئا واتى نحوه * فانما يزرى على عقله *

(فلعدم العمل) اى لالمجرد الامر والقول كما توهمه قوم (واذن الامام) اى وان عدم اذنه بالحسبة (لعموم الادلة واطلاقها) اى من غير تقييد باحد دون آخر (حتى يحتسب على الامام ايضا) كما يدل عليه حديث ابى سعيد الخدرى افضل الجهاد كلمة حق عند امام جائر ابوداود وابن ماجه والترمذى وحسنه فاذا جاز الحكم على الامام على مراغميه فكيف يحتاج الى اذنه وقد شرط قوم هذا الشرط ولم يثبتوا للآحاد من الرعية الحسبة وهذا الاشتراط فاسد فان الآيات والاخبار تدل على ان كل من رأى منكرا فسكت عليه عصى ايس ما رآه وكيف ما رآه على العموم فالتخصيص بشرط التفويض من الامام تحكم لااصل له والعجب ان الروافض زادوا على هذا فقالوا لايجوز الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مالم يخرج الامام المعصوم وهو الامام الحق عندهم وهؤلاء اخس رتبة من ان يكلموا بل جوابهم ان يقال لهم اذا جاؤا الى القضاء طالبين لحقوقهم فى دمائهم واموالهم ان نصرتكم امر بالمعروف واستخراج حقوقكم من ايدى من ظلمكم نهى عن المنكر وطلبكم لحقكم من جملة المعروف وماهذا زمان النهى عن الظلم وطلب الحقوق لان الامام الحق بعد لم يخرج هذا واستمرار عادات السلف فى الحسبة على الولاة قاطع باجماعهم على الاستغناء عن التفويض بل كل من امر بمعروف فان كان الوالى راضيا به فذاك وان كان ساخطا له فسخطه له منكر يجب الانكار عليه فكيف يحتاج الى اذنه فى الانكار عليه ومن جملة ما انكر السلف على الامراء ما روى ان مروان بن الحكم خطب قبل الصلوة فى العيد فقال له رجل انما الخطبة بعد الصلوة فقال له مروان ترك ذلك يافلان فقال ابوسعيد اما هذا فقد قضى ماعليه قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فلينكره بيده فان لم يستطع

فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان وروى ان المهدى لما قدم مكة لبث ماشاء الله فلما اخذ فى الطواف نحى الناس عن البيت فوثب عبدالله ابن مرزوق فلببه بردائه وقال له انظر ماتصنع من جعلك بهذا البيت احق ممن اتاه من البعد حتى اذا صاروا عنده حلت بينهم وبينه من جعل لك هذا فنظر فى وجهه وكان يعرفه لانه من مواليهم فقال له عبدالله بن مرزوق فقال نعم فأخذ فجىء به الى بغداد فكره ان يعاقبه عقوبة يشنع بها عليه فى العامة فجعله فى اصطبل الدواب ليسوسها وضموا اليه فرسا عضوضا سىء الخلق ليعقره الفرس فلين الله له الفرس قال ثم صيره الى بيت واغلق عليه واخذ المهدى المفتاح عنده فاذا هو قد خرج بعد ثلاث الى البستان يأكل البقل فاذن به المهدى فاستدعاه فقال من اخرجك قال الذى حبسنى قال من حبسك قال الذى اخرجنى قال فضج المهدى وصاح وقال اما تخاف ان اقتلك فرفع عبدالله اليه رأسه وضحك وهو يقول لو كنت تملك حيوة او موتا لكان ذلك فما زال محبوسا حتى مات المهدى ثم خلى عنه فرجع الى مكة قال وكان قد جعل على نفسه نذرا ان خلصه الله من ايديهم ان ينحر مائة بدنة فكان يعمل فى ذلك حتى نحر مائة بدنة وروى عن جنان بن عبدالله قال تنزه هارون الرشيد بالدوير ومعه رجل من بنى هاشم وهو سليمان بن ابى جعفر فقال له هارون قد كانت لك جارية تغنى فتحسن فجئنا بها قال فجاءت فغنت فلم يحمد غناها فقال ماشانك قالت ليس هذا عودى فقال للخادم جئنا بعودها قال فجاء بالعود فوافق شيخا يلقط النوى فقال الطريق ياشيخ فرفع الشيخ رأسه فرأى العود فاخذه وضرب به الارض فاخذه الخادم وذهب به الى صاحب الربع فقال احتفظ بهذا فانه طلبه امير المؤمنين فقال له صاحب الربع ليس ببغداد اعبد من هذا فكيف يكون طلبه امير المؤمنين فقال له اسمع ما اقول لك ثم دخل على هارون فقال انى مررت على شيخ يلقط النوى فقلت له الطريق فرفع رأسه فرأى العود فاخذه فضرب به الارض فكسره فاستشاط هارون وغضب واحمرت عيناه فقال له سليمان بن ابى جعفر ما هذا الغضب يا امير المؤمنين ابعث الى صاحب الربع يضرب عنقه ويرمى به فى دجلة فقال لا ولكن نبعث اليه ونناظره اولا فجاءه الرسول وقال اجب امير المؤمنين فقال نعم قال اركب قال لا فجاء يمشى حتى وقف على باب القصر فقيل لهارون قد جاء الشيخ فقال للندماء اى شىء ترون نرفع ما قد امنا من المنكر حتى يدخل هذا الشيخ او نقوم الى مجلس آخر ليس فيه منكر فقالوا له نقوم الى مجلس ليس فيه منكر اصلح بنا فقاموا صغرة اى اذلاء الى مجلس ليس فيه منكر ثم امر بالشيخ فادخل وفى كمه الكيس الذى فيه النوى فقال له الخادم اخرج هذا وادخل على امير المؤمنين فقال هذا عشائى الليلة قال نحن نعشيك قال لا حاجة لى فى عشائك فقال له هارون اى شىء تريد منه فقال فى كمه نوى فقلت له اطرحه وادخل على امير المؤمنين فقال دعه لا يطرحه قال فدخل فسلم وجلس فقال له هارون ياشيخ ما معلك

على

على ماصنعت فقال واى شئ صنعت وجعل هارون يستحيى ان يقول كسرت عودنا فلما اكثر عليه قال انى سمعت آباءك واجدادك يقرؤن هذه الآية على المنبر * ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى * رأيت منكرا فغيرته قال فغيروا لله ماقال الا هذا فلما خرج اعطى رجلا بدرة فقال له اتبع الشيخ فان رأيته يقول قلت لامير المؤمنين وقال لى فلا تعطه شيئا وان رأيته لا يكلم احدا فاعطه البدرة فلما خرج من القصر اذا هو بنواة فى الارض قد غاصت فجعل يعالجها ولم يكلم احدا فقال له يقول لك امير المؤمنين خذ هذه البدرة فقال قل لامير المؤمنين يردها من حيث اخذها ويروى انه اقبل بعد فراغه من كلامه على نواة يعالج قلعها من الارض وهو يقول * (شعر)

* ارى الدنيا لمن هى فى يديه * هموما كلما كثرت لديه *
* تهين المكرمين بها بصغر * وتكرم كل من هانت عليه *
* اذا استغنيت عن شئ فدعه * وخذ ما انت محتاج اليه *

(وحقه) اى وحقوق وجوب الاحتساب ثلاثة (العلم) اى معرفة غطاء الامور وصوابها (ليعلم الحدود) اى بمراتبها (والحقوق) المتعلقة باصحابها فالجاهل بمعزل عن هذا الباب بل شرط ان يكون مسلما مكلفا قادرا على الاحتساب ومن ههنا قال بعض علمائنا ان العامى انكاره بالجنان والعالم انكاره باللسان والامير انكاره بالاركان فانه يجب ان يعلم المحتسب مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها ليقتصر على حد الشرع فى ابوابها وذلك معنى قوله (والورع) اى عن المنكرات مطلقا اوعن ذلك المنكر والاول اظهر ليردعه ورعه عن مخالفة معلومه فما كل من علم عمل بعلمه بل ربما يعلم انه مسرف فى الحسبة وزائد على الحد المأذون فيه شرعا ولكن يحمله عليه غرض من الاغراض الفاسدة اوعوض من الاعواض الكاسدة وليكون كلامه ووعظه مقبولا (لعدم تأثير قول الفاسق وسقوط اعتباره) عند الخلايق لان الحسبة تارة تكون بالنهى بالوعظ وتارة بالقهر ولاينفع وعظ من لايتعظ اولا وكذا ان قهر بالفعل فقد قصر بالحجة اذ يتوجه عليه ان يقال فانت لم تقدم عليه فينفر الطباع عن قهره بالفعل فلايفيد فائدة لاسيما مع ارباب الجهل والا فلا يخرج الفعل عن كونه حقا كما ان من يذب الظالم عن آحاد المسلمين ويهمل اباه وهو مظلوم معهم تتنفر الطباع عنه ولا يخرج دفعه عن المسلم عن كونه حقا فتحصل من هذا ان الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من يعرف فسقه لانه لايتعظ به واذا لم يكن عليه ذلك وعلم انه يفضى الى تطويل اللسان فى عرضه بالانكار فنقول ليس له ذلك ايضا فرجع الكلام الى ان احد نوعى الاحتساب وهو الوعظ قد بطل بالفسق وصارت العدالة مشروطة فيه واما الحسبة القهرية فلايشترط فيها ذلك فلاحجر

على الفاسق فى اراقة الخمر وكسر الملاهى وغيرها اذا قدر عليه قال الغزالى وهذا غاية الانصاف والكشف فى المسألة انتهى ولا يخفى ان هذا مخالف لما تقدم من ان العدالة ليست بشرط فى هذا الباب بل هو من باب الكمال والله اعلم بالصواب وقد ورد عن انس قلنا يا رسول الله لا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله قال عليه السلام بل مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله الطبرانى فى المعجم الصغير والاوسط (وحسن الخلق) اى ليقدر به على ترتيب الحسبة على الخلق بالحكمة اولا وبالموعظة ثانيا وبالمجادلة من المدافعة والمضاربة والمقاتلة ثالثا (وهو الاساس) اى مدار سياسة الناس ففى الاحياء ورد لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر الا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه الحديث قال مخرجه لم اجده هكذا وللبيهقى فى الشعب من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده من امر بمعروف فليكن بمعروف والحاصل ان العلم والورع لا يكفى فيه بل لابد من حسن الخلق ايضا فان الغضب اذا هاج لم يقم العلم والورع فى قمعه ما لم يكن فى الطبع قبول له لحسن الخلق وعلى التحقيق فلا يتم الورع الا مع حسن الخلق والقدرة على دفع الشهوة ومنع الغضب وبه يصبر المحتسب على ما اصابه فى دين الله كما قال تعالى حكاية عن لقمان * يابنى اقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور * وعن بعض السلف اذا اراد احدكم ان يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق من الله بالثواب والاجر فمن وثق باجر المولى لم يجد مس الاذى والا فاذا اصيب عرضه اونفسه بشتم اوضرب نسى الحسبة وغفل عن دين الله وتصحيح النية وتحسين الطوية فاشتغل بنفسه الردية واخلاقها الدنية بل ربما يقدم عليه ابتداء لطلب الجاه اوطمع المال اوللرياء والسمعة ولعل هذا وجه قول القائل هذا زمان السكوت ولزوم البيوت وقال كعب الاحبار لابى مسلم الخولانى كيف منزلتك عند قومك قال حسنة قال ان التورية يقول ان الرجل اذا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال ابومسلم صدقت التورية وكذب ابومسلم (فهيجان الغضب) اى منه اومن غيره (لايسكن دونه) اى عند امر من الامور بل يتحرك فيه انواع من الشرور (وورد) اى فى طه (فقولا له قولا لينا) اى ملايما هينا (لعله يتذكر) اى يتعظ فيترك الكفر ابتداء (اويخشى) اى عقاب ربه فينتهى عن خلافه انتهاء فاذا كان الانبياء مأمورين بالرفق مع شر الخلق فكيف بالعلماء مع اهل الحق وحكى عن المأمون اذ وعظه واعظ وعنف له فى القول فقال يارجل ارفق فقد بعث الله تعالى من هو خير منك الى من هو شر منى وامره بالرفق فقال * فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى * وقد

روى ابو امامة ان غلاما شابا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يانبى الله اتأذن لى فى الزنا فصاح الناس به فقال عليه السلام اقروه ادن فدنا حتى جلس بين يديه فقال عليه السلام اتحبه لامك قال لا جعلنى الله فداك قال كذلك الناس لايحبونه لامهاتهم قال اتحبه لابنتك قال لا جعلنى الله فداك قال كذلك الناس لايحبونه لبناتهم قال اتحبه لاختك قال لا جعلنى الله فداك قال كذلك الناس لايحبونه لاخواتهم وزاد ابن عوف انه ذكر العمة والخالة وهو يقول فى كل ذلك لا جعلنى الله فداك وهو عليه السلام يقول كذلك الناس لا يحبونه وقالا جميعا فى حديثهما اعنى ابن عوف والراوى الآخر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه فلم يكن شئ ابغض اليه منه اى من الزنا رواه احمد باسناد جيد رجاله رجال الصحيح وقيل للفضيل بن عياض ان سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان فقال ما اخذ منهم الا دون حقه ثم غلابه وعذله ووبخه فقال سفيان يا ابا على ان لم نكن من الصالحين فانا لنحب الصالحين (واوله) اى بدء الحسبة (التعريف) اى تعريف قبح المعصية (ثم الوعظ) اى النصيحة بالكلام اللطيف (والتخويف منه تعالى) اى بالعقوبة فى الدنيا والاخرى (لايتجاوز) اى المحتسب (عنه) اى عما ذكر من الامور الثلاثة (ان كان) احتسابه (على الوالدين) وقد سئل الحسن عن الولد كيف يحتسب على والده قال يعظه ما لم يغضب فاذا غضب سكت عنه قيل وفى معنى الوالدين الاستاذ واما ما فى الاحياء من الاخبار الواردة فى ان الجلاد ليس له ان يجلد اباه فى الزنا ولا ان يباشر اقامة الحد عليه ولا ان يباشر قتل ابيه الكافر وانه لو قطع يده لم يلزمه القصاص ثم قال وثبت بعضها بالاجماع فقال مخرجه لم اجد فيه الا حديث لايقاد الوالد بالولد رواه الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عمر (او المولى) اى المالك من العبد (او البعل) اى الزوج من المرأة (او السلطان) اى اوعلى الخليفة ومن فى معناه من الرعية من امرائه ووزرائه فانه يكاد يفضى الى خرق هيبته واسقاط حشمته وترتب عليه الفساد من جهة حميته والغضب على رعيته فللحاكم فى مستدركه من حديث عياض بن غنم الاشعرى من كانت عنده نصيحة لذى سلطان فلا يكلمه بها علانية وليأخذ بيده فليخل به فان قبلها والا كان ادى الذى عليه والذى له وقال صحيح الاسناد والترمذى وحسنه من حديث ابى بكرة من اهان سلطان الله فى الارض اهانه الله فى الارض وهذا منه عليه السلام طريق رأفة ورحمة على الانام والا فقد ورد عنه من حديث ابى عبيدة قلت يا رسول الله اى الشهداء اكرم على الله قال رجل قام الى وال جائر فامره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله الحديث رواه البزار والحاكم فى مستدركه وصحح اسناده من

حديث جابر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام الى امام جائر فامره ونهاه فقتله ويقويه ماسلف من السلف حتى قارب امرهم الى الهلاك والتلف والحاصل انه لايجب عليه الا انه يستحب له ويثاب عليه (بل يشتغل بالدعاء) اى لتوفيقهم بالمعروف (والاستغفار) اى المجاوزة عنهم فى المنكر فان هذين الامرين نفعهما اكثر خصوصا فى هذا الزمان فتدبر (ثم التعنيف) اى الكلام الخشن (والسب) اى الشتم (دون الفحش) فلا يقول له يا كافر يايهودى يانصرانى ياخنزير ياكلب يا فاسق بل يقول (مثل ياجاهل ياأحمق) الا تخاف من الله ومايجرى مجراه (لايتجاوز عنه) اى من هذا الامر (ان كان) الاحتساب (على المسلم من الذمى تحرزا عن استيلاء الكافر) فان الذمى اذا منع المسلم بفعله دون قوله فهو يسلط عليه فيمنعه من الوصول اليه لقوله تعالى * ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا * واما مجرد قوله لاتزن ونحوه من النصيحة والتخويف من الفضيحة فلامحذور فيه بل ربما يكون سببا للامتناع عما فيه (ثم التغيير) اى تغيير المنكر باليد والمباشرة على سبيل المنع بالقهر (ككسر الملاهى) اى من آلات المناهى كالمزمار والاوتار (واراقة الخمر) اى التى هى ام الخبائث واصل المعاصى واساس الشر وكذا اختطاف الثوب الحرير من رأسه واستلاب الشئ المغصوب من يده ورده على صاحبه فللترمذى من حديث ابى طلحة انه قال يا نبى الله انى اشتريت خمر الايتام فى حجرى قال اهرق الخمر واكسر الدنان (ثم التهديد) اى التخويف بالضرب من عنده اومن عند غيره من الحاكم ونحوه (ثم الضرب) اى بمباشرته ان كان قدرة لديه حتى يمتنع عما هو عليه (وهو بقدر الوسع) اى الطاقة فى تأدية الطاعة كالمواظب على القذف والغيبة فان سلب لسانه ممكن ولكن يحمل على اختيار السكوت بالضرب وهذا قد يحوج الى استعانة وحصول اعانة (وان لم يقدر) اى على الضرب ونحوه (فالكراهة) اى بقلبه كافية (فورد) اى فى حديث اوله من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه (فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان) اى اضعف اهل الايمان اواضعف زمانه اواضعف مراتبه فى شانه رواه احمد ومسلم والاربعة عن ابى سعيد مرفوعا ولايخفى ان العاجز ليس عليه حسبة الا بقلبه اذ كل من احب الله يكره معاصيه وينكرها قال ابن مسعود جاهدوا الكفار بايديكم فان لم تستطيعوا الا ان تكفهروا فى وجوههم فافعلوا ثم اعلم انه لايتوقف سقوط الوجوب على العجز الحسى فقط بل يلتحق به ما يخاف عليه مكروها يناله فذلك فى معنى العجز وكذا اذا لم يخف مكروها ولكن علم ان انكاره لاينفع وهذا معنى قوله (فان ظن الاصرار لايجب) اى الانكار بالقول (بل يستحب اظهارا لامر الدين) نعم يلزمه ان لايحضر مواضع المنكر ويعتزل فى بيته حتى لا يشاهد ولا

يخرج

يخرج الا لحاجة مهمة او واجب ولايلزمه مفارقة تلك البلدة والهجرة الا اذا كان يرهق الى الفساد ويحمل على مساعدة السلاطين فى الظلم والمنكرات فتلزمه الهجرة ان قدر عليها فان الاكراه لايكون عذرا فى حق من يقدر على الهرب من الاكراه (وان ظن اصابة مكروه) من ضرب ونحوه (اوفعل منكر آخر) اى بسببه كضرب غيره من اصحابه اواقاربه اورفقائه (يحرم) اى حينئذ الاحتساب (الاان يظن الامتناع ايضا) فاذا تعارض الظنان (فيستفتى من القلب) فى اختيار ما يلهمه الرب (وينظر فى صلاحه) اى صلاح الامر من حاله (مبالغا) فى تحسين مآله فروى عن العالم الربانى ابى سليمان الدارانى انه قال سمعت من بعض الخلفاء كلاما فاردت ان انكر عليه وعلمت انى اقتل ولم يمنعنى القتل ولكن كان فى ملأ من الناس فخشيت ان يعترينى التزين للخلق فاقتل من غير اخلاص فى الفعل للحق فان قيل فما معنى قوله تعالى * ولاتلقوا بايديكم الى التهلكة * اجيب بانه لاخلاف فى ان المسلم الواحد له ان يهجم على صف الكفار ويقاتل وان علم انه يقتل وهذا ربما يظن انه يقتل وهذا ربما يظن انه مخالف لموجب الآية وليس كذلك فقد قال ابن عباس ليس التهلكة ذلك بل ترك النفقة فى طاعة الله تعالى اى من لم يفعل ذلك فقد اهلك نفسه ويؤيده الجملتان السابقة واللاحقة اذ قال تعالى * وانفقوا فى سبيل الله ولاتلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا * ولايبعد ان نفس التهلكة باسراف المال وتضييع العيال وقال ابو عبيدة هو ان يذنب ثم لايعمل بعده خيرا حتى يهلك ذكره فى الاحياء وهو صحيح فى المعنى لكن يبعد مأخذه من الآية بحسب ايراده من المبنى ثم اذا جاز ان يقاتل الكفار حتى جاز ايضا ذلك فى الحسبة (والاعتبار للظن الغالب) فى حصول فائدة من المحارب والمحتسب (من معتدل الحال) بان يكون فى طبعه من ارباب الكمال (فالجبان) وهو ضعيف القلب فى ميدان البيان (يستقرب البعيد) اى من الامكان فيرى البعيد قريبا حتى كأنه يشاهده ويرتاع منه ولايجاهده (والمتهور يعكس) اى الامر بان يستبعد القريب فى الزمان والمكان فيبعد وقوع المكروه به بحكم ما جبل عليه من حسن امله واصل طبعه حتى انه لايصدق به الابعد وقوعه والحاصل ان الجبن مرض وهو ضعف فى القلب بسبب قصور فى القوة وتفريط والتهور افراط فى القوة وخروج عن الاعتدال بالزيادة وكلاهما نقصان وانما الكمال فى الاعتدال الذى يعبر عنه بالشجاعة فلا التفات الى الطرفين فى الاخلاق والاحوال (ولايتجسس) فيشترط ان يكون المنكر ظاهرا للمحتسب بغير تفحصه فكل من ستر على معصية فى داره واغلق على بابه لايجوز لاحد ان يتجسس عليه من طاقته وجداره وامثاله (كوضع الاذن) لسماع الملاهى (والانف) لشم الخمر والمذاهى (لاحساس صوت الاوتار) متعلق بوضع الاذن (ورائحة الخمر) فى تلك الدار (وطلب اراءة ماتحت الثوب) فاذا روى فاسق وتحت

ذيله شي نحو ظرف خمر اوخشب عود لم يجز ان يكشف عنه مالم يظهر بعلامة خاصة بان كانت له رائحة فايحة اوتشكل العود اذا كان الثوب الساتر رقيقا والافمجرد الظن لايعمل به فانه قد يستر قارورة الخمر فى الكم وتحت الذيل ولايدل فسقه على ان الذى معه خمر يشرب منها اذ الفاسق يحتاج ايضا الى الخل وغيره ولايجوز ان يستدل باخفائه وانه لوكان خلالما اخفاه لان الاغراض فى الاخفاء لاتحصر بالاستقصاء كذا فى الاحياء (فهو) اى التجسس (منهى عنه) اى فى قوله تعالى * ياايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولاتجسسوا * وروى ان عمر رضى الله عنه تسور دار رجل فرآه على حالة مكروهة فانكر عليه فقال يا امير المؤمنين ان كنت قد عصيت الله من وجه فقد عصيته انت من ثلاثة اوجه فقال ماهى فقال قد قال الله تعالى * ولاتجسسوا * وقد تجسست وقال * وأتوا البيوت من ابوابها * وقد تسورت من السطح وقال تعالى * لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها * وما سلمت فتركه عمر وشرط عليه التوبة وقد شاور عمر الصحابة وهو على المنبر وسألهم عن الامام اذا شاهد بنفسه منكرا فهل له اقامة الحد فاشار على بان ذلك منوط بعدلين فلايكفى فيه واحد (ويدخل الدار عند ارتفاع الاصوات) اى اصوات الملاهى وما يدل على مجالس المنكرات من المناهى وهذا بمنزلة الاستثناء من الحكم السابق والمعنى انه لايجوز الدخول على من اغلق باب داره وتستر بحيطان جداره الا ان ظهر فى الدار ظهورا يعرفه من هو خارجها كاصوات المزامير والاوتار اذا ارتفعت بحيث جاوز ذلك حيطان الدار فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملاهى وقطع الاوتار وكذا اذا ارتفعت اصوات السكارى بالكلمات المألوفة بينهم بحيث يسمعهم اهل الشوارع فهذا الاظهار موجب للحسبة والانكار (ويحتسب على غير المكلف) اذ شرط المحتسب عليه ان يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه فى حقه منكرا ولولم يكن معصية بالنسبة اليه ولعله يكفى فى ذلك ان يكون انسانا ولا يشترط كونه مكلفا اذ تقرر ان الصبى لو شرب الخمر منع منه واحتسب عليه وان كان قبل البلوغ ولايشترط كونه مميزا لما تحقق ان المجنون لوكان يزنى بمجنونة اويأتى بهيمة اويشرب الخمر وجب منعه نعم من الافعال ما لايكون منكرا فى حق المجنون كترك الصلوة والصوم وغيره (ففى المحتسب عليه لايشترط التكليف) اى بخلاف المحتسب فانه يشترط تكليفه فى حق الوجوب عليه واما امكان الفعل وجوازه فلا يستدعى الا العقل حتى ان الصبى المراهق للبلوغ المميز وان لم يكن مكلفا فله انكار المنكر وله ان يريق الخمر ويكسر الملاهى فاذا فعل ذلك نال به ثوابا ولم يكن لاحد منعه من حيث انه ليس بمكلف فان هذه قربة وهو من اهلها كالصلوة والامامة وسائر القربات وليس حكمه حكم الولايات حتى

يشترط فيه التكليف ولذلك اثبتوا الحسبة للعبد وآحاد الرعية نعم فى المنع بالفعل وابطال المنكر نوع ولاية وسلطنة ولكنها تستفاد بمجرد الايمان كقتل المشرك وابطال اسبابه وسلب اسلحته فان للصبى ان يفعل ذلك حيث لا يستضر به فالمنع عن الفسق كالمنع عن الكفر (الا فى محل الخلاف) اى لا يحتسب الا فى المتفق على كونه منكرا فكل ما هو فى محل الاجتهاد فلا حسبة فيه (كاكل الشافعى الضب) فليس للحنفى ان ينكر عليه اكله وكذا فى اكل الضبع ومتروك التسمية عمدا ولا للشافعى ان ينكر على الحنفى شربة النبيذ الذى ليس بمسكر وتناوله ميراث ذوى الارحام وجلوسه فى دار اخذها لشفعة الجوار الى غير ذلك من مجارى الاجتهاد نعم لو رأى الشافعى شافعيا يشرب النبيذ او ينكح بلا ولى ويطأ زوجته او رأى الحنفى حنفيا يلعب بالشطرنج او يلبس الثوب الاحمر فهذا فى محل النظر كما فى الاحياء والاظهر ان له الحسبة والانكار اذ لم يذهب احد من المحصلين الى ان المجتهد يجوز له ان يعمل بموجب اجتهاد غيره ولا ان الذى ادى اجتهاده فى التقليد الى شخص رآه افضل العلماء ان له ان يأخذ بمذهب غيره فينتقد من المذاهب اطيبها عنده بل على كل مقلد اتباع مقلده فى كل تفصيل فاذن مخالفته للمقلد متفق على كونه منكرا بين المحصلين وهو عاص بالمخالفة الا انه جوز له تقليد غيره من الائمة فى بعض المسائل فاذا اعتذر وقال انا مقلد للشافعى او الحنفى فى هذا الباب يرتفع عنه الاحتساب والله اعلم بالصواب وقد ذهب جمع الى انه لا حسبة الا فى مثل الخمر والخنزير ومايقع بكونه حراما كاكل الميتة والدم وما اجمع على تحريمه حيث جوزوا لكل مقلد ان يختار من المذاهب ما اراد رفقا به ولعل وجه كلامهم ما ورد من ان الله سبحانه يحب ان يؤتى رخصه كما يحب ان يؤتى عزائمه وقد قال تعالى * فسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون * فمن تبع عالما لقى الله سالما ومن المعلوم ان الله سبحانه ما كلف احدا ان يكون حنفيا او مالكيا او شافعيا او حنبليا بل كلفهم ان يعملوا بالكتاب والسنة ان كانوا علماء وان يقلدوا العلماء اذا كانوا من الجهلاء (ولا قبل الارتكاب) اى ولا يحتسب قبل مباشرة ما يجب عليه الاجتناب فيشترط ان يكون المنكر موجودا فى الحال لا انه يتوقع منه فى المآل (فهو) اى وجوده قبل الارتكاب (مشكوك فيه) فلا يجوز فيه الاحتساب كمن يعلم بقرينة حاله وهيئته انه عازم على الشرب فى ليلته فانه لا حسبة عليه الا بوعظه ونصيحته فان انكر عزمه عليه لم يجز وعظه ايضا لديه فان فيه اساءة ظن بالمسلم وربما يصدق فى قوله وربما لا يقدم على مايعزم عليه لعائق عن فعله وليتنبه للدقيقة المتفرعة على هذا الاصل وهى ان الخلوة بالاجنبية معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء ومايجرى مجراه من سائر الاشياء (ولا بعده) اى ولا يحتسب بعد الارتكاب وفراغه من هذا الباب (فهو) اى هذا النوع من الاحتساب (حق الامام) اى ومن جعله من النواب (وعلى المحتسب عليه القبول والاعتذار) اى واجبان عليه ولازمان لديه

(فهو المأثور) اى عن السلف الابرار (ويبغض المصر) اى الملازم على المعصية من غير رجوع بالتوبة سوا كان كافرا اوفاجرا اومبتدعا ولو لم يكن داعيا (فيه) اى فى الله (تعالى) اى شانه وتعاظم برهانه (بالاعراض عنه) اى فى السلام والكلام (والاهانة) اى بزيادة المهانة (وترك الاعانة) اى فى مايظهر من الاغاثة (وابطال اغراض تعين على المعصية دون غيرها) اى غير المعصية (ولواهان) اى فى الاغراض التى تعين على غير المعصية (تحريضا على قبول النصح) اى فيما يذكر له من الكلام (اولحق الاسلام فحسن) اى فاهانته مستحسن قال تعالى * لاينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين * فهذا فى زماننا يتصور فى حق اهل الذمة (فالحال تختلف بالنية) اى باختلافها وتفاوت الطوية (كما فى الترك للفسق) اى كما يختلف فى ترك الاحسان لخوف الفسق (الا ان يعلم) مخرج من قوله ولواعان اى الا ان يعلم المبغض (الاقتداء) اى اقتداء الناس كما فى نسخة فلايعينه حينئذ (كما فى المبتدع) اى الداعى لا يعينه (والمعلن بالفسق فى الملاء) تأكيد للاعلان اوقيد للمبتدع والمعلن فهو احتراز من البدعة والفسق فى الخلاء والاظهر انه ظرف ليبغض المصر كما يشير اليه قوله (حتى يترك السلام) اى فى الابتداء ورده فى الانتهاء (فهو) اى حق السلام ورده (يسقط بادنى غرض) كالبول فى الحمام ونحوه (فورد من انتهر) اى زجر و قهر (صاحب بدعة) اى منكرة (ملأ الله قلبه ايمانا) اى معرفة وايقانا (ومن اهانه امنه الله) اى جعله آمنا من عذابه (يوم الفزع الاكبر) وهو القيمة الكبرى (ومن لان له) اى فى الكلام (اواكرمه) اى بالقيام (اولقيه ببشر) اى فى حال السلام (فقد استخف بما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم) اى فلم يعمل بما يجب عليه من الاحكام وان استعل ذلك فقد خرج عن دائرة اهل الاسلام والحديث لم اجد فى كتب الاعلام ولكن ورد عنه عليه السلام من وقر صاحب بدعة فقد اعان على هدم الاسلام (ويستفتى من القلب فى الخلاء) اى اذا كان وحده اوفى حكم الخلاء (ان اظهار البغض اقرب الى الانزجار) اى امتناع المبتدع والفاسق عن حالهما (ام التلطف بالنصح) انسب الى اصلاح امرهما فيفعل بمقتضى ذلك (ولايحسن الى من جنى) اى ظلم (فى حق الناس) اى لا بالحماية ولا بالشفاعة والعناية (فهو) اى الاحسان الى الظالم (اساءة فى حق المظلوم) اى الاولى بالرعاية كما فى نسخة (بخلاف عفه) اى فله ان يعاقبه بمثله وله ان يحسن اليه فى مقابلة ظلمه عليه بل هذا من الخلق الممدوح لديه قال تعالى * ادفع بالتى هى احسن (ويضطر الذمى الى اضيق الطرق) اى بنية اهانته وعزة المسلم وغلبته فالاسلام يعلو

ولا يعلى عليه (ولا يبدأ بالسلام عليه) لانه من باب الاكرام لديه والاحسان اليه (ولا يزيد فى جوابه) اى على قوله وعليك اوعليك فحسب وعبارة المصنف موهمة ان يقول له وعليك السلام من غير زيادة ورحمة الله وبركاته وليس كذلك فانه مخالف للرواية والدراية (ويسلم على من اتبع الهدى ان كان) الذمى اوالحربى اوالفاسق اوالمبدعى (فى جمع المسلمين) وكائنه مقتبس من قول موسى عليه السلام * والسلام على من اتبع الهدى * وكذا فى العكس بان كان المسلم بين الكافرين اوالفاجرين وقيل يقول السلام عليكم وينوى المسلمين الكاملين (ويدعو فى تشميته) اى جواب عطسته (بالهداية) اى بان يقول يهدينا ويهديكم الله (لابالرحمة) فلايقول يرحمكم الله (ولا يرشده) اى لا يدله (الى معبده) اى من البيعة لليهود والكنيسة للنصارى فانه اعانة على المعصية وقال تعالى * وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الاثم والعدوان (ولا يصافحه) لان المصافحة من باب كمال المصالحة (ويعيد الوضوء) اى اللغوى وهو غسل اليد (ان صافحه) اى كافرا لظاهر قوله تعالى انما المشركون نجس (ولا يستقبل جنازته بالوجه) اى بالمواجهة بل يدبر عنها وجهه اذا اتته فى المقابلة *

الباب التاسع فى الصمت وآفات اللسان

المراد بالصمت السكوت فى ميدان البيان فقد ورد من صمت نجا رواه الترمذى من حديث عبد الله بن عمر بسند فيه ضعف والطبرانى بسند جيد الصمت حكمة وقليل فاعله الديلمى عن ابن عمر بسند ضعيف والبيهقى فى الشعب من حديث انس بلفظ حكم بدل حكمة قال والصحيح عن انس ان لقمان قال ولابى نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر من كثر كلامه كثر سقطه وما احسن قول القائل * (شعر)

* ما ان ندمت على سكوتى مرة * ولقد ندمت على الكلام مرارا *

(بسم الله الرحمن الرحيم) خير كلام صدر من كل حكيم (ورد ان اكثر خطايا ابن آدم فى لسانه) الطبرانى وابن ابى الدنيا فى الصمت وللبيهقى فى الشعب بسند حسن وللترمذى وصححه وابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين من حديث معاذ قلت يارسول الله انؤاخذ بما نقول فقال ثكلتك امك وهل يكب الناس على مناخرهم الا حصائد السنتهم وللترمذى وحسنه من حديث عقبة بن عامر قلت يارسول الله ما النجاة قال املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وفى الصحيحين من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليسكت ولابن ابى الدنيا وغيره من حديث انس مرفوعا رحم الله عبدا تكلم فغنم اوسكت فسلم (ففى الصمت الوقار) اى حصول

الرزانة والطمانينه (واجتماع الهمة) اى للامور المهمة (والفراغ للعبادة) التى هى وسيلة الى سيادة السعادة (والسلامة من آفات الدارين) اى من الكونين وفتن المحلين (فان البلاء) اى فى الدنيا والاخرى (موكل بالمنطق) مصدر ميمى ان ينطق اللسان الصادر عن الانسان فى معرض البيان فاللسان صغير جرمه وكبير جرمه اذ لا يتبين الكفر والايمان والطاعة والعصيان الا بشهادة اللسان ثم الذى ادرجه المصنف فى كلامه حديث رواه الخطيب فى تاريخه عن ابن مسعود بلفظ البلاء مؤكل بالمنطق فلو ان رجلا غير رجلا برضاع كلبة لرضعها قال السخاوى ضعيف اقول ويقويه مانسبه الزركشى الى ابن لال فى مكارم الاخلاق من حديث ابن عباس والديلمى من حديث ابى الدرداء قال السيوطى والديلمى ايضا من حديث ابن مسعود مرفوعا واحمد فى الزهد عنه موقوفا وابن السمعانى فى تاريخه من حديث على مرفوعا وبهذا تبين غلط ابن الجوزى حيث ذكره فى الموضوعات لكن لفظه البلاء مؤكل بالقول ولعل هذا سبب نسبته الى الوضع (منها) اى من آفات اللسان (مالا يعنى) اى ما لا ينفع الانسان من البيان (وهو) اى ما لا يعنى (مالا اثم عليه ولا ثواب) اى لا اجر لديه وينبغى ان يزاد ولا حاجة اليه وقد يعبر عنه باللغو ومنه قوله تعالى * والذين هم عن اللغو معرضون * واذا مروا باللغو مروا كراما * والاصل فى اللغو وما لا يعنى كلاهما شمول القول والفعل بل خطور القلب وتصوره فى ميدان العقل الا ان الاكثر استعمالها فيما يتعلق باللسان (ففيه) آفات كثيرة وعاهات شهيرة ذكر المصنف منها ثلاثة عشر آفة الاولى (تضييع الوقت) وهو يوجب المقت فانك به مضيع زمانك ومحاسب على عمل لسانك فرأس مال العبد اوقاته ومهما صرفها الى ما لا يعنيه ضاعت حالاته ومضت ايامه فى الدنيا ولم يدخر فيها ثوابا للعقبى ومن هنا قال الصديق الاكبر ليتنى كنت اغرس الا عن ذكر الله وفى الحديث ليس يتحسر اهل الجنه يوم القيمة الا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها رواه الطبرانى والبيهقى عن معاذ وجاء فى حديث ضعيف ان الله امرنى ان يكون نطقى ذكرا وصمتى فكرا ونظرى عبرة (وقساوة القلب) لانها بالغفلة عن ذكر الرب قال تعالى * فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله * وقال عز وعلا * الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب * اى تكن وتلين وقال عز وعلا فى بيان القرآن وذكره * تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله (ووهن البدن) اى ضعفه بضعف بعض جسده فانه اذا اشتكى بعض الاعضاء يتالم معه سائر الاجزاء (وتاخير الرزق) اى المعنوى او الحسى ايضا جزاء لما فاته من الرفق (وايذاء الحفظة) اى الكرام الكاتبين بالقاء كلامه واملاء مرامه من غير فائدة فى تمامه قال عطاء

بن ابى رباح ان من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون منه ماعدا كتاب الله وسنة رسوله او امرا بمعروف اونهيا عن منكر اونطقا بحاجتك فى معيشتك التى لابد لك منها اتنكرون * ان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون * وعن اليمين وعن الشمال قعيد * مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد * اما يستحيى احدكم ان لو نشرت صحيفته التى املاء صدر نهاره كان اكثر ما فيها ليس من امر دينه ولا دنياه (وارسال كتب) اى صحائف من (اللغو اليه تعالى) اى للعرض عليه قبل القيمة (وقراءته بين يديه تعالى يوم القيمة على رؤس الاشهاد) كما يشير اليه قوله تعالى * اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا * ومن هنا قال عمر رضى الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وهو مستفاد من قوله تعالى * ياءيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله * وتكرار الامر بالتقوى لانها مطلوبة فى الدنيا والاخرى فافهم (والحبس من الجنة) اى بمقدار ما اختاره فى الدنيا من الغفلة عن الحضرة (والحساب) اى لما اثبته فى الكتاب من استحقاق الثواب او استيجاب العقاب (واللوم) كما يشير اليه قوله سبحانه * لا اقسم بيوم القيمة ولا اقسم بالنفس اللوامة * فانها تلوم نفسها على وجه الندامة فانها ان عملت خيرا تلوم نفسها لما ذا ما زادت عليه وان عملت شرا فظاهر فى حقها الملامة (والتعيير) اى التوبيخ على التقصير (وايقاع الحجة) اى ابطالها فى تلك الحالة (والحياء منه تعالى) لماله من الجمالة (وورد) اى من حديث ابى هريرة فى رواية الترمذى وابن ماجه (من حسن اسلام المرء تركه ما لايعنيه) بل ورد ما هو اشد من هذا فعن انس استشهد غلام منا يوم احد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه وقالت هنيئا لك الجنة يا بنى وقال عليه السلام وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه او يمنع ما لا يضره ابن ابى الدنيا وللترمذى مختصرا وفى حديث آخر انه عليه السلام فقد كعبا فسأل عنه فقالوا مريض فخرج يمشى حتى اتاه فلما دخل عليه قال له ابشر يا كعب فقالت امه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال عليه السلام من هذه المقالية على الله قال هى امى يارسول الله قال وما يدريك يا ام كعب لعل كعبا قال ما لا يعنيه اومنع ما لا يغنيه والمعنى ان الجنة انما تتهيأ لمن لا يحاسب ولا يعاقب ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه وان كان كلامه مباحا فلا تتهيأ الجنة له لاسيما مع المناقشة فى الحساب فانه نوع من العذاب (ومنها الفضول) اى فضول الكلام (وهو زيادة فيما يعنى) يعنى على قدر الحاجة فان من يعنيه امر يمكنه ان يذكره بكلام يختصره ويمكنه ان يبسطه ويعزره ويكرره ومهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول اى فضل على الحاجة فعن ابن مسعود انذركم

فضول الكلام بحسب امرئ ما بلغ به حاجته اى من المرام فى المقام (فورد طوبى لمن امسك الفضل من لسانه فانفق الفضل من ماله) وتمامه ووسعته السنة ولم تستهوه البدعة رواه البغوى والبيهقى وقال ابن عبد البر حديث حسن وفضول الكلام لاينحصر ولايحصى بل المهم محصور فى كتاب الله تعالى * لاخير فى كثير من نجويهم الا من امر بصدقة اومعروف اواصلاح بين الناس * وقد ورد الدنيا ملعونة ملعون مافيها الا امرا بمعروف اونهيا عن منكر اوذكر الله البزار عن ابن مسعود والطبرانى عن ابى الدرداء بلفظ الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما ابتغى به وجه الله عز وجل (ومنها الخوض فى الباطل) وهو الكلام فى المعاصى (كمحاسن النساء) اى حكايات احوالهن من قدهن وخدهن وجمالهن (ومقامات الفساق) من مجالس الخمر وسماع الزمر (وتنعم الاغنياء) اى بالمأكول والمشروب من الاشياء (وتجبر الملوك) اى واتباعهم من الامراء والوزراء (وهروب الصحابة) كقصتى الجمل وصفين على طريق الاخباريين لاعلى رواية المحدثين (والمذاهب الباطلة) وما يتعلق بها من المشارب العاطلة فان كل ذلك مما لايحل الخوض فيه (فورد اعظم الناس خطايا) جمع خطيئة كقضية وقضايا (يوم القيمة اكثرهم خوضا فى الباطل) ابن ابى الدنيا من حديث قتادة مرسلا ورجاله ثقات ورواه هو والطبرانى موقوفا على ابن مسعود بسند صحيح وهو فى الحكم المرفوع ولابن ماجه والترمذى وقال حسن صحيح من حديث بلال بن الحارث ان الرجل لينكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن ان تبلغ به ما بلغت يكتب الله بها رضوانه الى يوم يلقاه وان الرجل لينكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن ان تبلغ به ما بلغت يكتب الله بها عليه سخطه الى يوم القيمة وكان علقمة يقول كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحرث ولابن ابى الدنيا من حديث ابى هريرة بسند حسن مرفوعا ان الرجل لينكلم بالكلمة يضحك بها جلساؤه يهوى بها ابعد من الثريا وللشيخين والترمذى واللفظ له وقال حسن غريب ان الرجل لينكلم بالكلمة لايرى بها بأسا يهوى بها سبعين خريفا فى النار (وهو) اى الخوض فى الباطل (حرام) كما يشير اليه قوله تعالى * وكنا نخوض مع الخائضين * وقوله * فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره * وقال سلمان اكثر الناس ذنوبا يوم القيمة اكثرهم كلاما فى معصية الله وقال ابن سيرين كان رجل من الانصار يمر بمجلس لهم فيقول توضأوا فان بعض ماتقولون شر من الحدث يعنى فان الحدث مباح وكلام المعصية منكر ولذا كان بعض السلف يتوضأ من الغيبة والنميمة والمقصود الطهارة الظاهرة والباطنة عن المعصية الذميمة (والاولان) اى مالايعنى وفضول الكلام (مكروهان) كراهة تنزيه لانهما ترك الاولى كما لايخفى (وسبب الكل) اى باعث جميع ما ذكر مما لايعنى والفضول والخوض (هو الحرص على علم لاينفع) بل انه يضر ولايدفع

ومن هنا قال عليه السلام انتم اعلم بامور دنياكم وقال الانساب بيان علم لا ينفع وجهل لا يضر (والانبساط بالكلام للتودد) اى للتعجب مع الانام والغفلة عن ذكر الملك العلام (وامضاء الوقت) من الليالى والايام من غير منفعة للخاص والعام (والعلاج) اى معالجة الكل ستة (ذكر اتيان الموت) لانه به يتدارك الفوت فى الاوقات وقد ورد اكثروا ذكر هادم اللذات (والسؤال) اى وذكر السؤال عن الاموال يوم العرض على الملك المتعال (ولحوق الخسران بتضييع الوقت) اى الزمان فى الهذيان فقد قال تعالى * قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا * (والعزلة وهو الانفع) اى فى المعالجة لان اكثر الضرر فى الصحبة والخلطة (والقاء نواة فى الفم) او مصاة (وهو مروى عن الصديق) رضى الله عنه نفى الاحياء عنه انه كان يضع مصاة فى فيه يمنع بها نفسه عن الكلام فيما لا يعنيه فكان يشير الى لسانه ويقول هذا الذى اوردنى الموارد اى المهالك الصادرة من شانه (والسكوت عن بعض المهمات) هذرا من كل الآفات لانه لانجاة من هذا الامر الا بالسكوت عن كل مالا يأثم به او سكت فى المقامات وعن بعضهم جعلت على نفسى بكل كلمة فيما لا يعنى صلاة ركعتين فسهل ذلك على فجعلت لكل كلمة صوم يوم فسهل على ولم تفته حتى جعلت على نفسى بكل كلمة ان اتصدق بدرهم فصعب على فانتهت كذا فى شرح الخطب (ومنها المراء وهو) فى هذا المقام (الطعن فى الكلام) اى كلام الغير (باظهار خلل) اى نقصان (اوطغيان) اى زيادة فى معرض بيان بحسب المبنى اومن جهة المعنى (وهو حرام) قال تعالى * فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا * وعنه عليه السلام لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده وعدا فتخلفه الترمذى من حديث ابن عباس وللطبرانى من حديث ابى الدرداء وابى امامة وانس بن مالك وواثلة بن الاسقع وابن ابى الدنيا موقوفا على ابن مسعود ذروا المراء فانه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته (والواجب السكوت) باظهار كونه معترفا اومتوقفا وهذا اذا لم يكن بامور الدين متعلقا (او السؤال مستفيدا) اى متعرفا (او التعريف) اى تعريف الخلل (متلطفا) اى لا متعنتا ولا متكلفا (وورد من ترك المراء وهو محق) اى صاحب حق (بنى له بيت فى اعلى الجنة ومن ترك وهو مبطل بنى له فى اسفل الجنة) وفى رواية بنى له بيت فى ربض الجنة رواه الترمذى وابن ماجه من حديث انس مع اختلاف قال الترمذى حديث حسن ولابن ابى الدنيا من حديث ابى هريرة لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يذر المراء وان كان محقا وهو عند احمد بلفظ لا يؤمن العبد حتى يترك الكذب فى المزاحة والمراء وان كان صادقا وللديلمى من حديث ابى مالك الاشعرى ست خصال من الخير من كن فيه بلغ حقيقة الايمان الصيام فى الصيف وتعجيل الصلوة فى يوم الدجن اى الغيم والصبر على المصيبات واسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء

وهو صادق وللطبرانى من حديث ابى امامة تكفير كل لحاء ركعتان واللحاء مصدر لامى بمعنى مارى وآفات المراء كثيرة ومضراته مستطيرة قال سفيان لو خالفت اخى فى رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسعى بى الى السلطان وقال ايضا صانى من شئت ثم اغضبه بالمراء فليرمينك بداهية تمنعك من العيش وقال ابن ابى ليلى لا امارى صاحبى فاما ان اكذبه واما ان اغضبه (ومنها الجدال) اى البحث لترجيح كلامه كيف ما كان على وفق مرامه (وهو) اى فى العرف او الغالب (مراء متعلق باظهار المذاهب) اى الفروعية الخلافية او الاصولية الاعتقادية قال تعالى * ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شىء جدلا * وقال عز وعلا * ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن * وقال عز وعلا * ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن * فهو مأذون فيه مع اهل الكفر والبدعة ومنهى عنه فى حق المسلمين من اهل السنة والجماعة فللترمذى من حديث ابى امامة وصححه ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدال (وهو) اى الجدال المذموم (يعرف بكراهة اصابة الخصم) اى الحق والصواب فى اثنائه (وارادة اغطائه) وهو قد يوجب ظهور كفره واغوائه (واظهار فضل النفس) فى اهوائه (وورد) اى من حديث ام سلمة (ان اول ما عهد الى ربى ونهانى عنه بعد عبادة الاوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال) اى مجادلتهم ومنازعتهم ومماراتهم رواه ابن ابى الدنيا والبيهقى وابو داود مرسلا من حديث عروة بن رويم (والسبب) اى الباعث للمراء والجدال (الرفع) باظهار الفضل والكمال والتهجم على الغير باظهار نقصه فى العلوم او الاعمال (والغضب) اى وتهيجه فى محافل الرجال (وعلاج كل) اى من الترفع والغضب (فى موضعه) اى الاليق به ومجمله ان علاج الترفع ترك الكبر والتواضع وعلاج الغضب تصور قدرة الرب ويروى ان الامام المعلم ابا حنيفة قال لداود الطائى احد تلاميذه لم آثرت الانزواء فقال لاجاهد نفسى بترك الجدال والمراء فقال احضر المجالس واسمع ما يقال ولا تتكلم فى الاثناء قال ففعلت ذلك فما رأيت مجاهدة اشد مما هنالك قال فى الاحياء وهو كما قال لان من سمع من غيره خطأ وهو قادر على كشفه يعسر عليه الصبر عنه جدا ولذا قال عليه السلام من ترك المراء وهو محق بنى له بيت فى اعلى الجنة لشدة ذلك على النفس وما يحصل لها من المحنة ثم قال وينبغى للانسان ان يكف اللسان عن اهل القبلة واذا رأى احد المبتدعة تلطف فى نصحه على الخلوة بطريق المجادلة الحسنة والمعاورة المستحسنة فعنه عليه السلام رحم الله من كف لسانه عن اهل القبلة الا باحسن مايقدر عليه ابن ابى الدنيا من حديث هشام ابن عروة مرسلا وقال هشام بن عروة كان يردد قوله هذا سبع مرات (ومنها الخصومة) وهى من الصفات المذمومة والاخلاق المشؤمة (وهى لجاج) اى مخاصمة زائدة (فى الكلام) مع اصحابه الكرام

(لاستيفاء حق) اى له اولغيره اصالة اونيابة (ابتداء اواعتراضا) كاثبات الوراثة ودفع الخصومة انتهاء فالاول نعت المدعى بالكسر والثانى وصف المدعى عليه ومن هنا قيل الصوفى لايخاصم ولايخاصم (فورد) اى فى البخارى عن عائشة (ابغض الرجال الى الله الالد الخصم) اى اللجوج الشديدة الخصومة والحديث مقتبس من قوله تعالى * ومن الناس من يعجبك قوله فى الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو الد الخصام * ولابن ابى الدنيا وغيره عن ابى هريرة من جادل فى خصومة بغير علم لم يزل فى سخط الله حتى يفرغ (وهو حرام الا لمظلوم ينصر حجته بطريق الشرع مقتصرا على الحاجة) اى قدر حاجته من غير تعد الى حد لجاجته لقوله تعالى * لايحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم * وقوله * والذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون * (والاولى الترك) اى اذا وجد اليه سبيلا فى مكان الامكان (لعسر ضبط اللسان على الاعتدال) فى ميدان البيان (والاحتراز عن موجبات الاثم) اى والاحتراس عن مقتضيات انواع العصيان (كالحقد والغضب والسب) وغيرها من نحو الكذب والبهتان (والفرح بغم المسلم) فى ذلك المقام (وفوت طيب الكلام) اى ولفوته وقد قال عليه السلام بوجب الجنة اطعام الطعام وحسن الكلام الطبرانى من حديث هانى ابن شريح باسناد جيد وقال عمر رضى الله عنه *

(شعر) بنى ان البر شئ هين * وجه طليق وكلام لين

ولاجل ما تقدم قال تعالى * فمن عفا واصلح فاجره على الله * وقال عز وعلا * وقولوا للناس حسنا * وقد قال بعضهم ما خاصم قط ورع فى الدين وقال ابن قتيبة مر بى بشر بن عبد الله بن ابى بكر فقال ما يجلسك قلت خصومة بينى وبين ابن عم لى قال ان لابيك عندى يدا وانى اريد اجزيك بها وانى والله ما رأيت شيئا اذهب للدين ولا انقص للمروة ولا اضيع للذة ولا اشغل للقلب من الخصومة قال فقمت لارجع فقال لى خصمى مالك فقلت لا اخاصمك فقال عرفت انه حقى فقلت لا ولكنى اكرم نفسى عن هذا قال فانى لا اطلب منه شيئا هو لك (ومنها التشدق) اى التكلف فى الكلام والتوسع فى المرام (بتكلف السجع والتصنع فيه) اى من غير ان يكون فى سجيته سجيع الطبع كما قيل لبعض المشايخ فى ذم السجع فقال رجعت عما سجعت واما اصل السجع فغير مذموم فى الشرع كما نزل فى فواصل آى القرآن القديم وورد فى كثير من حديث النبى الكريم ومنه اعوذ بك من علم لاينفع وقلب لايخشع ونفس لاتشبع ودعاء لايسمع ومن هؤلاء الاربع واما ماورد من انه عليه السلام قضى بغرة فى الجنين فقال بعض قوم الجانى كيف ندى من لاشرب ولا اكل ولاصاح ولااستهل ومثل ذلك يطل اى يهدر ويبطل فقال عليه السلام اسجعا كسجع الاعراب وانكر ذلك لان اثر التكلف والتصنع بين عليه

فى هذا الباب والحديث رواه مسلم من حديث المغيرة بن شعبة وابى هريرة واصلهما عند البخارى ايضا (فورد شرار امتى الذين يتشدقون فى الكلام) ابن ابى الدنيا من حديث فاطمة شرار امتى الذين غذوا فى النعيم يأكلون الوان الطعام ويلبسون الوان الثياب ويتشدقون فى الكلام ولمسلم من حديث ابى مسعود الاهلك المتنطعون ثلاث مرات والتنطع هو التعمق والاستقصاء ولاحمد من حديث ابى ثعلبة وهو عند الترمذى من حديث جابر وحسنه ان ابغضكم الى الله وابعدكم منى مجلسا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون (والسبب اظهار الفصاحة) والبلاغة (واما تحسين الالفاظ فى المواعظ) وكذا فى الخطب والتصنيف (للتاثير فى القلوب فجائز دون الافراط) اى من غير الاطناب فى الاغراب لان المقصود تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها وتحقيقها وتدقيقها ولرشاقة الالفاظ والمبانى تأثير فى ميدان المعانى واما المحاورات التى تجرى فى قضاء الحاجات فلا يليق بها السجع فيما بين الكلمات فالاشتغال به من التكلف المذموم اذ لا باعث عليه الا الرياء الملوم (ومنها الفحش وهو التصريح بالذمائم) اى بالكلمات الذميمة (كلفظ الجماع) اى تصريحا لا تلويحا فعن ابن عباس ان الله حى كريم ويكنى كنى باللمس عن الجماع فالمسيس واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع وليست بفاحشة بالاجماع (والبول) وكذا الخرء بالاولى فينبغى ان يكنى عنهما بقضاء الحاجة او بالغائط فانه من كنايات القرآن اذ حقيقته الموضع المنخفض من الارض مع ما فيه من التنبيه ان مثل هذا المكان يليق بقضاء حاجة الانسان (والجذام) ونحوه من البرص والقرع والبواسير والقولنج والاسهال بل يقال العارض الذى يشكوه (وزوجتك) وكذا امرأتك وسريتك بل يقال من فى البيت او العيال او اهل البيت او ام الاولاد ونحو ذلك والظاهر ان زوجك من كنايات القرآن حيث قال تعالى * اسكن انت وزوجك الجنة * وقال * امسك عليك زوجك (فورد الفحش ليس من الاسلام) احمد وابن ابى الدنيا باسناد صحيح من حديث جابر بن سمرة بلفظ ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام فى شئ الحديث وللنسائى والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو اياكم والفحش فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش ولابن ابى الدنيا وابى نعيم فى الحلية من حديث عبد الله بن عمرو باسناد لين الجنة حرام على كل فاحش ان يدخلها قال العلاء بن زياد وكان عمر بن عبد العزيز يتعفظ فى منطقه فخرج جراح فى ابطه فقلنا نسأله ماذا يقول فقلنا من اين يخرج فقال من باطن اليد ومن هذا القبيل قوله عليه السلام لامرأة رفاعة حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك رواه البخارى من حديث عائشة ومن ذلك ما اتفق الشيخان عليه من حديثها فى المرأة التى سألته عن الاغتسال من الحيض خذى فرصة ممسكة فتطهرى بها الحديث (ومنها

السب

السب) اى الشتم (فورد سباب المؤمن فسق) رواه الشيخان عن ابن مسعود ولفظه سباب المسلم فسوق وقتله كفر ولمسلم من حديث ابى هريرة المستبان ماقالا فعلى البادى مالم يتعد المظلوم ولاحمد وابى يعلى والطبرانى من حديث ابن عباس باسناد جيد ملعون من سب والديه وفى رواية الصحيحين من حديث عبدالله بن عمرو من اكبر الكبائر ان يسب الرجل والديه قالوا يا رسول الله كيف يسب الرجل والديه قال يسب ابا الرجل فيسب الآخر اباه ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ان يسب قتلى بدر من المشركين وقال لاتسبوا هؤلاء فانه لايخلص اليهم شئ مما تقولون وتؤذون الاحياء رواه ابن ابى الدنيا من حديث محمد بن على الباقر مرسلا ورجاله ثقات وللنسائى من حديث ابن عباس باسناد صحيح ان رجلا وقع فى اب للعباس كان فى الجاهلية فلطمه الحديث وفيه لاتسبوا اموتانا فتؤذوا احياءنا ولابى داود والترمذى وقال غريب من حديث ابن عمر اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم وللنسائى من حديث عائشة لاتذكروا موتاكم الابخير واسناده جيد وللبخارى من حديث عائشة لاتسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ماقدموا (والرخصة فى مثل هل انت الامن بنى فلان) اى اذا كان بنوفلان من القبائل الدنية واهل الشمائل الردية فيكون صادقا فى قوله (ياسى الخلق) لان الخلق لايخلو من سوء الخلق (لاحياء لك) اى حق الحياء (يا احمق) اذ لايخلو احد من نوع حماقة (ياجاهل) لان كل احد جهله اكثر من علمه لقوله تعالى * وما اوتيتم من العلم الاقليلا * (فكل) اى من افراد الانسان (لا يخلو عن جهل وحمق) ولو فى بعض الاحيان والله المستعان (ومنها اللعن) بمعنى الطرد (وهو الابعاد عنه تعالى) اى طلب بعد الغير عن رحمته سواء يكون بجملة خبرية كلعنه الله اودعائية كاللهم العنه (فهو حكم عليه تعالى) لان الخبر ايضا بمعنى الامر (فلا يجوز) اى على احد من فاسق ومبتدع وفاجر بل لايجوز (لاعلى ميت كافر) اى بحسب حكم ظاهر (لجواز انه اسلم) اى ولم يطلع على ايمانه احد (الا اذا علم موته كافرا) بنص قطعى من كتاب كابى لهب اوبتواتر فى حديث (كابى جهل وفرعون) فان كفره ثابت بالكتاب والسنة واجماع الامة ولاالتفات الى كلام ابن العربى ومن تبعه كما بينته فى رسالة مستقلة (ولاعى) اى ولاعلى كافر حى (لاحتمال انه يسلم) فى آخر عمره وخاتمة امره (بخلاف الترحم للاسلام الحالى) جواب سؤال مقدر وهو انه ينبغى ان لايجوز الترحم للمسلم فى الحال لجواز انه يكفر فى المآل فقال انما يجوز (لانه) اى الدعاء بالرحمة للمسلم (سؤال الثبات على الاسلام وهو مستحب) باجماع الاعلام (وسؤال الثبات على الكفر كفر) لانه يدل على رضاه به بخلاف الدعاء لاحد بالموت على الكفر فان رضاءه ليس بكفره بل بموته على كفره تغيظا فى امره ويدل على جوازه دعاء موسى وهارون على فرعون وقومه بقولهما *

ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم * ومن المعلوم ان ايمانهم عند رؤية العذاب ايمان بأس وتوبة يأس فلا يقبل لقوله تعالى * فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا * قوله * حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن * وقوله عليه السلام ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر واما اذا قيل اغفر وارحم فلانا وهو كافر واراد به الدعاء له بان يجعله سبحانه اهلا للمغفرة والرحمة بالايمان والمعرفة فقيل لا بأس والظاهر انه لا يجوز لنهى الشارع ان يقال فى جواب عطسة الكافر يرحمك الله بل يقال يهديك الله (ويجوز التعميم مثل لعن الله الكافرين) لقوله تعالى * فلعنة الله على الكافرين * و * الا لعنة الله على الظالمين * بل يجوز التعميم ايضا فى حق الفاجرين من غير تعيين بان يقال لعن الله آكل الربوا وموكله وكاتبه وشاهده وهم يعلمون كما رواه الطبرانى عن ابن مسعود مرفوعا ولعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبايعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها كما اخرجه ابو داود والحاكم عن ابن عمر ولعنت القدرية على لسان سبعين نبيا رواه الدار قطنى فى العلل عن على رضى الله عنه ويجوز لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى الخوارج والروافض (والاولى الترك) اى ترك اللعن (مطلقا) اى عموما وخصوصا فيما لم يرد فى الكتاب والسنة لعنه (اذ هو مما لا يعنيه) قال مكى بن ابراهيم كنا عند ابن عوف فذكروا بلال بن ابى بردة فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عوف ساكت فقالوا يا ابن عوف انما نذكره لما ارتكب منك فقال ابن عوف انهما كلمتان تخرجان من صحيفتى يوم القيمة لا اله الا الله ولعن الله فلانا فلان تخرج من صحيفتى لا اله الا الله احب الى من ان يخرج لعن الله فلانا وعلى الجملة ففى لعنة الاشخاص خطر فليجتنب فى امره ولا خطر فى السكوت عن لعن ابليس فضلا عن غيره (وورد المؤمن) اى الكامل (ليس بلعان) اى بذى لعن فالصيغة للنسبة كالتمار واللبان او للمبالغة فانه ربما يصدر عن المؤمن فى حالة من احوال الغضب او الغفلة وهو مذموم سواء يكون لانسان او جماد او حيوان والحديث رواه الترمذى وحسنه من حديث ابن عمر لا يكون المؤمن لعانا ولابى داود والترمذى من حديث سمرة بن جندب وقال الترمذى حسن صحيح لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم وقال عمران بن الحصين بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض اسفاره اذا امرأة من الانصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال عليه السلام خذوا ما عليها واعروها فانها ملعونة قال فكانى انظر الى تلك الناقة تمشى فى الناس لا يتعرض لها احد رواه مسلم ولابن ابى الدنيا باسناد جيد من حديث انس كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير فلعن بعيره فقال يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون وانما قال ذلك انكارا عليه كذا فى الاحياء وعن ابى ذر وابى الدرداء ما لعن الارض احد

الا قالت لعن الله اعصانا لله وعن عائشة قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه وقال يا ابابكر اللعانين والصديقين كلا ورب الكعبة اللعانين والصديقين كلا ورب الكعبة مرتين او ثلاثا فاعتق ابو بكر يومئذ رقيقه وجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال لا اعود رواه ابن ابى الدنيا ولمسلم من حديث ابى الدرداء ان اللعانين لا يكون شفعاء ولا شهداء يوم القيمة وشرب نعيمان الخمر فحد مرات فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما اكثر مايؤتى به فقال عليه السلام لا تكن عونا للشيطان على اخيك وفى رواية لا تقل هذا فانه يحب الله ورسوله ابن عبد البر فى الاستيعاب وللبخارى من حديث ابن عمر ان رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اسمه عبد الله وكان يلقب حمارا وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد جلده فى الشراب فاتى به يوما فامر به فجلد فقال رجل من القوم اللهم العنه ما اكثر مايؤتى به فقال عليه السلام لا تلعنوه فوالله ما علمت الا انه يحب الله ورسوله وهذا يدل على ان لعن فاسق بعينه لا يجوز وفى الصحيحين من حديث ثابت بن الضحاك لعن المؤمن كقتله والتحقيق ان اللعن غير جائز الا على من يتصف بصفة تبعده عن الله وهو الكفر والفسق والظلم والبدعة وذلك غيب باعتبار الخاتمة اذ ربما يموت صاحبه على التوبة فلعن الاعيان فيه خطر لان الاحوال تنقلب على الاعيان الا انه عليه السلام يجوز ان يعلم من يموت على غير الاسلام ولذا كان يقول فى دعائه على قريش اللهم عليك بابى جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وغيرهما ممن قتلوا على الكفر ببدر كما فى الصحيحين من حديث ابن مسعود واما من لم يعلم عاقبته وكان يلعنه فنهى عن ذلك اذ روى انه كان يلعن الذين قتلوا اصحاب بئر معونة فى قنوته شهرا فنزل قوله تعالى * ليس لك من الامر شئ اويتوب عليهم اويعذبهم فانهم ظالمون * يعنى انهم ربما يتوبون فمن اين تعلم انهم ملعونون كذا فى الاحياء وقال مخرجه رواه الشيخان من حديث انس دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا اصحاب بئر معونة ثلاثين صباحا الحديث وفى رواية لهما قنت شهرا يدعو على رعل وذكوان الحديث ولهما من حديث ابى هريرة كان يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه الحديث وفيه العن لحيان ورعلا الحديث وفيه ايضا ثم بلغنا انه ترك ذلك لما انزل الله * ليس لك من الامر شئ * ولفظه لمسلم واما من بان موته على الكفر فجاز لعنه ان لم يكن فيه اذى على مسلم لما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ابابكر عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله وعلى رسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه وهو عمرو بن سعيد قال يارسول الله هذا قبر رجل كان اطعم للطعام واضرب للهمام من ابى قحافة فقال ابو بكر يكلمنى هذا يارسول الله

بمثل هذا الكلام فقال عليه السلام لعمرو اكفف عن ابي بكر وانصرف ثم اقبل على ابي بكر فقال يا ابا بكر اذا ذكرتم الكفار فعمموا فانكم اذا خصصتم غضب الابناء للآباء فكف الناس عن ذلك كذا في الاحياء قال مخرجه رواه ابو داود في المراسيل من رواية علي بن ربيعة قال لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة توجه من فوره ذلك الى الطائف ومعه ابو بكر ومعه ابنا سعيد بن العاص فقال ابو بكر لمن هذا القبر قالوا قبر سعيد بن العاص فقال ابو بكر لعن الله صاحب هذا القبر فانه كان يحاد الله ورسوله الحديث وفيه فاذا سببتم المشركين فسبوهم جميعا وللترمذي من حديث المغيرة بن شعبة ورجاله ثقات لاتسبوا الاموات فتؤذوا الاحياء فان قيل هل يجوز لعن يزيد لكونه قاتل الحسين او آمرا به فقال الغزالي هذا لم يثبت اصلا فلا يجوز ان يقال انه قتله او امر به مالم يثبت فضلا عن اللعن لانه لا يجوز نسبة مسلم الى كبيرة من غير تحقيق وبصيرة نعم يجوز ان يقال قتل ابن ملجم عليا رضي الله عنه وقتل ابو لؤلؤة عمر رضي الله عنه لان ذلك ثبت متواترا ولايجوز ان يرمي مسلم بكفر وفسق من غير تحقيق فعنه عليه السلام لايرمي رجل رجلا بالكفر ولايرميه بالفسق الا ارتد عليه ان لم يكن صاحبه كذلك رواه الشيخان من حديث ابي ذر وللديلمي من حديث انس ماشهد رجل على رجل بالكفر الا اتى احدهما ان كان كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه وهذا معناه ان يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر ببدعة او غيرها كان مخطئا لا كافرا فان قيل فهل يجوز ان يقال قاتل الحسين لعنه الله او الآمر بقتله لعنه الله قلت الصواب ان يقال قاتل الحسين ان مات قبل التوبة لعنه الله لانه محتمل ان يموت بعد التوبة فان وحشيا قاتل حمزة قتله وهو كافر ثم تاب عن القتل والكفر جميعا ولايجوز ان يلعن والقتل كبيرة ولا ينتهي رتبة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة واطلق كان فيه خطر كذا في الاحياء وقد تقدم عنه انه لايجوز لعن احد الا اذا تحقق موته على الكفر فالصواب ان يقال قاتل الحسين ان مات على الكفر لعنه الله اذ لايجوز لعنه ان مات على الايمان وتاب عن العصيان والله المستعان (ومنها نسبة الذنب الى المسلم) يعني وهو بريء (الا الذنب بعد التحقيق) اي الا الذنب الذي تحقق وقوعه منه فقد قال تعالى * ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا (ومنها الدعاء على احد) قال تعالى * ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا (فورد ان المظلوم ليدعو على الظالم) اي فيقول لاصح الله جسمه ولاسلم الله روحه ونحوه (حتى يكافيه) اي يماثله في الظلم (ثم يبقى للظالم عنده فضلة) اي زيادة (يوم القيمة) اي ان زاد على مثله لقوله تعالى * فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم * والحديث

كذا فى الاحياء وقال مخرجه لم اقف له على اصل وللترمذى من حديث عائشة بسنة ضعيف من دعا على من ظلمه فقد انتصر قلت وهو مطابق لقوله تعالى * ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس * اى ابتداء اوبالتجاوز عن الحد انتهاء (ومنها المزاح) بكسر الميم مصدر مزح اومازح وبالضم اسم ما يمزح به وهو المطايبة فى الكلام باللسان الا انه لما كان اللسان كالترجمان عن حال الجنان قال المصنف (وهو مطايبة القلب) ولا يبعد ان يكون المعنى وهو سبب لطيب القلب (وهو) اى كثيرة اواصله (مذموم) اى وفاعله ملوم (لانه يولد) اى يهيج (كثيرا من الذنوب والعيوب) اى الظاهرة والباطنة (تحقد العاقل وجراءة السفيه) اى الجاهل فعن سعيد بن العاص لابنه يابنى لاتمازح الشريف فيحقد عليك ولا الدنى فيجترىء لديك (وسقوط الوقار) اى الهيبة والعظمة فى نظر الابرار فعن عمر رضى الله عنه من مزح استخف به (وذهاب حلاوة المحبة) لانه لايخلو عن مرارة فى الصحبة ويقال المزاح مذهبة للبهاء ومقطعة للاصدقاء (والغفلة عنه تعالى) اى ذكر الرب بحسب الاغلب (وظلمة القلب) اى الناشئة عن الغفلة (وورد لاتمار اخاك ولاتمازحه) الترمذى (الا النادر الخالى عن الباطل) اى فانه غير مذموم كما ورد انى لامزح ولا اقول الا حقا لكن مثله يقدر على ان يمازح ولا يقول الا حقا واما غيره فاذا فتح باب المزاح كان عرضه ان يضحك الناس كيف كان وكثرة الضحك تميت القلب ويدل على الغفلة عن احوال الآخرة واهوالها وقد ورد لوتعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا متفق عليه من حديث انس وعائشة وقال القاسم مولى معاوية اقبل اعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قلوص له فسلم فجعل كلامنا الى النبى عليه السلام ليسأله نفر به وجعل الصحابة يضحكون منه ففعل ذلك ثلاث مرات ثم وقصه فقتله فقيل يارسول الله ان الاعرابى قد صرعه قلوصه فهلك قال وافواهكم ملائى من دمه ابن المبارك فى الزهد والرقايق وهو مرسل (كما هو المأثور) عن الحسن قال اتت عجوز الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام لاتدخل الجنة عجوز فبكت فقال انك لست بعجوز يومئذ قال تعالى * انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا * الترمذى فى الشمائل هكذا مرسلا واسنده ابن الجوزى فى الوفاء من حديث انس بسند ضعيف وروى زيد بن اسلم ان امرأة يقال لها ام ايمن جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجى يدعوك فقال ومن هو اهو الذى بعينه بياض فقالت والله مابعينه بياض قال بلى ان بعينه بياضا فقالت لا والله فقال عليه السلام ما من احد الابعينه بياض اراد به البياض المحيط بالحدقة الزبير بن بكار وجاءته امرأة اخرى فقالت يارسول الله احملنى على بعير فقال عليه

السلام نحملك على ابن البعير فقالت ما اصنع به لايحملنى فقال عليه السلام وهل من بعير الا وهو ابن البعير ابوداود والترمذى وصححه من حديث انس بلفظ انا حاملوك على ولد الناقة وروى ان الضحاك بن سفيان الكلابى كان رجلا ذميما قبيحا فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عندى امرأتان احسن من هذه الحميراء افلا انزل لك عن احديهما فتزوجها وعائشة جالسة تسمع قبل ان يضرب الحجاب فقالت هى احسن ام انت فقال بل انا احسن منها واكرم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسألة عائشة اياه لانه كان ذميما الزبير بن بكار من رواية عبد الله بن حسن مرسلا اومعضلا وللدارقطنى نحو هذه القصة مع عيينة بن حصين الفزارى بعد نزول الحجاب من حديث ابى هريرة وقال عليه السلام لصهيب وبه رمد وقد رآه يأكل تمرا فقال اتأكل التمر وانت رمد فقال انما آكل بالشق الآخر فتبسم عليه السلام قال بعض الرواة حتى بدت نواجذه ابن ماجه والحاكم من حديث صهيب وروى ان خوات بن جبير كان جالسا الى نسوة من بنى كعب بطريق مكة فطلع عليه النبى عليه السلام فقال يا اباعبد الله مالك مع النسوة فقال يفتلن ضفير الجمل لى شرود قال فمضى عليه السلام لحاجته ثم طلع عليه فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل ذاك الشراد بعد قال فسكت واستحييت قال فكنت بعد ذلك اتفرر منه كلما رأيته حياء منه حتى قدمت المدينة وبعد ما قدمت المدينة حتى طلع على وانا اصلى فى المسجد فجلس الى فطولت صلاتى فقال لاتطول فانى انتظرك فلما فرغت قال يا ابا عبد الله اماترك ذلك الجمل الشراد بعد فسكت واستحييت قال وكنت اتفرر منه حتى لحقنى يوما وهو على حمار وقد جعل رجليه فى شق واحد فقال يا ابا عبد الله اماترك ذلك الجمل الشراد بعد فقلت والذى بعثك بالحق نبيا ماشرد منذ اسلمت قال الله اكبر الله اكبر اللهم اهد ابا عبد الله قال فحسن اسلامه وهداه الله الطبرانى فى الكبير من رواية زيد بن اسلم عن خوات بن جبير ورجاله ثقات وكان نعيمان الانصارى رجلا مزاحا وكان يشرب فيؤتى به الى النبى صلى الله عليه وسلم فيضربه بنعله ويأمر اصحابه فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الصحابة لعنك الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم لاتفعل فانه يحب الله ورسوله قال وكان يشترى الشىء ويهديه الى النبى صلى الله عليه وسلم ثم يجىء بصاحبه فيقول اعطه ثمن متاعه فيقول عليه السلام اولم تهده لنا فيقول يارسول الله والله لم يكن عندى ثمنه واحببت ان ناكله فيضحك عليه السلام ويأمر لصاحبه ثمنه رواه الزبير بن بكار فهذه مطايبات يباح مثلها بل يستحب احيانا ومن الغلط العظيم ان يتخذ الانسان المزاح حرفة على الدوام ويتمسك بفعله عليه السلام فهو كمن يدور مع الزنوج ابدا ينظر الى رقصهم ويتمسك باذنه عليه

السلام

السلام لعائشة فى النظر الى رقصهم فى يوم عيدهم فهذا خطاء ومن الصغائر ما تصير كبيرة بالاصرار ومن المباحات ما تصير صغيرة بالاصرار كذا فى الاحياء (ومنها الاستهزاء وهو استحقار الغير بذكر عيوبه على وجه يضحك) اى منه على الملاء (قولا وفعلا) متعلقان بذكر عيوبه تنبيها على ان ذلك قد يكون بالمحاكاة فى الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايماء فعن عائشة حكيت انسانا فقال عليه السلام ما يسرنى انى حكيت انسانا ولى كذا وكذا رواه ابو داود والترمذى وصححه (وهو) اى بجميع انواعه (حرام لانه ايذاء) وايضا هو عمل السفهاء ولذا قال موسى اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين حين قال قومه اتتخذنا هزوا اى مهزوا بنا (وورد) فى سورة الحجرات (لايسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم) تمامه * ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن (من غير اخاه بذنب لم يمت حتى يعمله) الترمذى عن معاذ بن جبل وحسنه وذكر عن احمد بن منيع قالوا من ذنب قد تاب منه وعنه عليه السلام ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجىء بكربه وغمه فاذا اتاه اغلق دونه فما يزال كذلك حتى ان الرجل ليفتح له الباب فيقال له هلم هلم فما يأتيه ابن ابى الدنيا مرسلا وعن عبد الله بن عباس فى قوله تعالى * يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيها * الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة القهقهة بذلك وذلك كالضحك على خطه وصنعته او على صورته وخلقته (الا) استثناء من حرام اى انما يحرم فى حق من يتأذى به لا (فيمن جعل نفسه مسخرة يمزح به) وربما يفرح بسببه (فهو) اى السخرية فى حقه (كالمزاح) الذى فى اصله من جنس المباح (ومنها اظهار السر) اى افشاء سر الغير صاحبه واذاعته واشاعته (فهو من لؤم الطبع) ومنهى عنه فى لسان الشرع (وفيه الايذاء والاستحقار) اى التهاون بحق المعارف والاصدقاء (وورد لايحل لاحد ان يفشى على صاحبه ما يكره) لم يعرف بهذا اللفظ لكن ورد الحديث بينكم امانة رواه ابن ابى الدنيا من حديث ابن شهاب مرسلا وللخطيب عن على المجالس بالامانة ولابى داود عن جابر المجالس بالامانة الا ثلثة مجالس سفك دم حرام او فرج حرام او اقتطاع مال بغير حق وورد من حديث جابر (اذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهى امانة) ابو داود والترمذى وحسنه (ومنها الوعد على عزم الخلف فهو من ثلاث) اى خصال (هى علامات النفاق) فعن ابى هريرة مرفوعا ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان متفق عليه (والواجب) اى شرعا اومروءة (الوفاء فى كل وعد فهم) اى صاحب الوعد (منه الجزم وان استثنى) اى وقال ان شاء الله لانه قد يقال للتبرك اوللتبرى من الحول والقوة كما يشير اليه قوله تعالى * ولا تقولن لشىء

انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله * اى الامر وفا بذكر مشيته وارادته (فورد) اى فى قوله تعالى * يا ايها الذين آمنوا (اوفوا بالعقود) اى بالعهود وورد فى السنة (العدة) اى الوعد (دين) اى فرض كقرض (اوعطية) شك او اختلاف رواية وهو الاظهر وقد اقتصر فى الاحياء على الثانى وقال مخرجه ابو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود ورواه غيره ايضا واما اللفظ الاول فرواه الطبرانى فى الاوسط عن على وعن ابن مسعود وفى رواية ابن عساكر عن على العدة دين ويل لمن وعد ثم اخلف كرره ثلاثا ولابن ابى الدنيا من رواية ابن ربيعة مرسلا الواى مثل الدين اوافضل وقال الواى يعنى الوعد ورواه الديلمى ايضا عن على وقد اثنى الله على نبيه اسماعيل بقوله انه كان صادق الوعد يقال انه واعد انسانا الى موضع فلم يرجع اليه فبقى اثنين وعشرين يوما ينتظره وعن عبد الله بن ابى الحمساء بايعت النبى صلى الله عليه وسلم فوعدته ان آتيه بها فى مكانه ذلك فنسيت يومى والغد فاتيته اليوم الثالث وهو فى مكانه فقال يافتى قد شققت على انا ههنا منذ ثلاث انتظرك رواه ابو داود وكان عليه السلام جالسا يقسم غنائم هوازن بجنين فوقف عليه رجل فقال ان لى عندك موعدا قال صدقت فاحتكم ماشئت فقال احتكم ثمانين ضأنية وراعيها فقال هى لك ولقد احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى التى دلته على عظام يوسف كانت احزم منك واجزل حكما حين حكمها موسى فقالت حكمى ان تردنى شابة وادخل معك الجنة ابن حبان والحاكم فى مستدركه من حديث ابى موسى مع اختلاف وقال الحاكم صحيح الاسناد واجزم بالجيم والزاى اوجب ولا يبعد ان يكون بالحاء المهملة اى احوط والزم (ويعذر) اى يعد معذورا (ان ترك) اى الوفاء (بعذر) اى شرعى اوفرعى فكان ابن مسعود لا يعد وعدا الا ويقول ان شاء الله اى تعليقا لئلا يكون الوعد تحقيقا وقيل لابراهيم بن ادهم الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجئ قال ينتظره ما بينه وبين ان يدخل وقت الصلوة التى تجئ قلت وهذا من قبيل الايجاب وما سبق من باب الاستحباب (فوردفيه) اى فى المعذور (نفى الاثم ان كان فى نيته الوفاء) اى من اصله فى الوعد المذكور فلابى داود والترمذى من حديث زيد بن ارقم اذا وعد الرجل اخاه وفى نيته ان يفى فلم يف فلا اثم عليه (لكنه مقصور بصورة الخلف فالاولى الاحتراز) اى احتراسا من التهمة فى خلف الوعد واما ما فى الاحياء انه عليه السلام كان اذا وعد وعدا قال عسى فقال مخرجه لم اجد له اصلا (ومنها الكذب) بفتح فكسر وبكسر فسكون وقد عد من قبائح الذنوب وفواحش العيوب (وهو حرام) بالكتاب والسنة قال تعالى * انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله * وفى الصحيحين اربع من كن فيه فهو منافق اذا حدث كذب وفيهما عن ابن مسعود لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ولابن

عبد البر فى التمهيد بسند ضعيف عن عبد الله بن جراد انه سأل النبى صلى الله عليه وسلم هل يزنى المؤمن قال قد يكون من ذلك قال هل يكذب قال لا ثم اتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه الكلمة انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله * وفى حصره مبالغة فى نفيه عن المؤمن اومقيد بالكامل ويؤيده مارواه ابن ابى شيبة فى مصنفه من حديث ابى امامة وابن عدى من حديث سعد بن ابى وقاص على كل خصلة يطبع اويطوى عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقيل لخالد بن صبيح من يكذب كذبة واحدة هل يسمى فاسقا قال نعم (الا) استثناء من قوله وهو حرام اى ولا يحرم بل يجب (اذا وقع فى تركه) اى حصل فى ترك الكذب (افحش منه) اى منكرا عظم من الكذب (كما فى ستر الاسرار) اى بان يسأل عن ستر اخيه فله ان ينكره ويكذب فيه وكذا فى ستر اسرار نفسه من كشف عوراته فعنه عليه السلام اجتنبوا هذه القاذورات التى نهى الله عنها فمن عمل شيئا فليستتر بستر الله رواه الحاكم واسناده حسن وذلك لان اظهار الفاحشة فاحشة اخرى بل اعظم من الاولى فللرجل ان يحفظ ذمه وماله الذى يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا (والانكار عن العلم) اى وكما فى عدم الاقرار (بمكان من اختفى عن ظالم قصد قتله) اوضربه اواخذ ماله اوكشف عرضه وحاله فعن ميمون ابن مهران الكذب فى بعض المواطن خير اى من الصدق ارأيت لو ان رجلا يسعى وآخر وراءه بالسيف فدخل دارك فانتهى اليك فقال ارأيت فلانا ماكنت قائلا له الست تقول له لم اره وما نصدق فهذا الكذب واجب (اوفيه) اى اوفى تركه (احسن من الصدق) كما فى اصلاح ذات البين (فورد الاستثناء) اى استثناء حرمة الكذب (فى الحرب والاصلاح) اى اصلاح ذات البين (والحديث مع المرأة) ففى صحيح مسلم عن ام كلثوم قالت ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص فى شىء من الكذب الا فى ثلاث الرجل يقول القول يريد الاصلاح والرجل يقول القول فى الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها ولعل المراد بتحدث الزوجين مايقع بينهما من الوعد فى احد الامرين بينة عدم الوفاء فى الخبرين لما رواه ابن عبد البر فى التمهيد من رواية صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار مرسلا قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم اكذب اهلى قال لا خير فى الكذب قال اعدها واقول لها قال لا جناح عليك ولان اسرار الحرب لو وقف عليه العدو واجترأ واسرار الزوج لو وقفت عليه المرأة نشأ عنه فساد اعظم من فساد الكذب وكذا المتخاصمان يدور بينهما المعصية والعداوة فاذا امكن الاصلاح بكذب فذلك اولى من الصدق الذى لم يترتب عليه خير ثم لا يجوز الكذب ولو كان بطريق اللعب فعن عبد الله بن عامر جاء عليه السلام الى بيتنا وانا صبى صغير فذهبت لالعب فقالت امى ياعبد الله تعال اعطك فقال عليه السلام ما اردت تعطيه فقالت تمرا فقال

اما انك لولم تفعلى كتبت عليك كذبة رواه ابوداود (الا) اى لايجوز الكذب (عند استواء الطرفين فاصله قبيح) اى فى الامرين فلابد من ترجيح (والاولى الترك) اى ترك الكذب (فى حاجته) اى امر نفسه لان الصدق انجى والخلاص فيه ارجى (الا فى حاجة الغير) وهو تصريح بما علم ضمنا (ان امكن) اى تركه (لغموض الامر) اى لخفاء جواز امر الكذب فانه يختلف باختلاف الذوات وتفاوت الاوقات والحالات (ولو تعريضا) غاية من قوله والاولى الترك (لانه) اى التعريض بمعنى التلويح (تقرير على ظن كاذب) وقد ورد من حدث بالحديث وهو يرى انه كذب فهو احد الكذابين رواه مسلم فى مقدمة صحيحة من حديث سمرة بن جندب هذا وقد جوز الكذب للضرورات المبيحة للمحظورات (والا) اى وان لم يمكن ترك الكذب (فالمعاريض) متعينة وهى بفتح الميم ان يتكلم الرجل بكلمة يظهر من نفسه شيئا ومراده شىء آخر كذا فى البستان وتحقيقه فى قوله تعالى * ولاجناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء * وفى المغرب التعريض خلاف التصريح والفرق بينه وبين الكناية هو ان التعريض تضمين الكلام دلالة ليس لها فيه ذكر كقوله ما اقبح البخل تعريض بانه بخيل والكناية ذكر اللازم وارادة الملزوم كقولك فلان طويل النجاد وكثير الرماد والنجاد حمائل السيف والمعنى انه طويل ومضياف وقد ورد ان فى المعاريض لمندوحة عن الكذب ابن عدى والبيهقى عن عمران بن حصين مرفوعا وفى الاحياء وقد نقل عن السلف ان فى المعاريض مندوحة عن الكذب وغفل مخرجه ايضا عن ايراد حديثه (مثل الله يعلم ما قلته) لاحتمال كون ما نافية او موصولة او استفهامية (ومذ فارقتك ما رفعت الجنب عن الفراش الامارفعه الله تعالى) فانه يشمل الرفع الاختيارى والاضطرارى (فى الانكار عن القول) بالنسبة الى الاول (والصحة) بالاضافة الى الثانى فهما لف ونشر مرتب فى بديع المبانى ومنبع المعانى وفى الاحياء ومن امثلة المعاريض ما روى ان مطرفا دخل على زياد فاستبطأه فتعلل بمرض وقال مارفعت جنبى مذفارقت الامير الا ما رفعنى الله وقال ابراهيم اذا بلغ الرجل عنك شيئا فكرهت ان تكذب قلت ان الله ليعلم ماقلت من ذلك من شىء فيكون قوله ما هرف نفى عند المستمع وعنده الابهام وكان معاذ عاملا لعمر رضى الله عنهما فلما رجع قالت امرأته ما جئت به مما يأتى به العمال من عراضة اهليهم ولم يكن جاء به فقال كان معى ضاغط فقالت كنت امينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر فبعث معك عمر ضاغطا فقامت بذلك فى نسائها فاشتكت عمر فلما سمع عمر بذلك دعا معاذا فقال بعثت معك ضاغطا فقال لم اجد ما اعتذر به اليها الا ذلك فضحك عمر واعطاه شيئا وقال ارضها به وقوله ضاغطا يريد به ربه تعالى اى محاسبا ضابطا وكان النخعى لايقول لابنته

اشترى لك سكرا ولوزا ولكن يقول ارأيت لو شريت لك فانه ربما لايتفق له ذلك وكان ابراهيم اذا طلبه فى الدار من يكرهه قال للجارية قولى له اطلبه فى المسجد ولا تقولى ليس ههنا كيلا يكون كذبا وكان الشعبى اذا طلب فى البيت وهو يكرهه يخط دائرة ويقول للجارية ضعى اصبعك فيها وقولى ليس ههنا ومن المعاريض ما اخرجه الحسن بن سفيان والديلمى عن ابى هريرة قال ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف ناقة ابى بكر وقال يا ابا بكر ول الناس عنى فانه لاينبغى لنبى ان يكذب فجعل الناس يسألونه من انت قال باغ يبتغى قالوا ومن وراءك قال هاد يهدينى (ثم التصريح) اى بالكذب عند عدم امكان التلويح (والمعتبر النية) اى تحسين الطوية فى التصحيح (والاستفتاء من القلب) اى السليم من الغرض السقيم (ومنه) اى من جنس الكذب الملحق به ولايوجب الفسق بسببه (التسامح فى العدد) اى بذكره (مبالغة) اى زائدة (مثل قلته مائة مرة) وقد يزاد فى المبالغة الف مرة فيأثم بالمرة (ونحوها) اى العشرة (لابالتجاوز عن الحد) اى حد الكثرة (المعهودة) فى المحاورة (ولكن لايعتاده) اى لاينبغى اعتياد المبالغة (ففيه خطر الوقوع فى الاثم) اى اثم الكذب اذا لم يصل فى العرف الى حد الكثرة وكذا الاستعارة مرتبة من هذا القسم من الكذب فى المبالغة ولكنها ليست بكذب فان علماء البيان قد حققوا ذلك بالبرهان وقالوا الاستعارة تفارق الكذب من وجهين احدهما البناء على التأويل وثانيهما نصب الدليل من القرينة على ارادة خلاف الظاهر نحو رأيت اسدا فى الحمام والله اعلم بحقايق المرام ولكن عليك بالاحتياط فى مثل هذا الكلام فعن هوات التيمى قال جاءت اخت الربيع بن خيثم عائدة الى بنى فانكبت وقالت كيف انت يابنى فقال ربيع ارضعته قالت لا قال ماعليك لوقلت يا ابن اخى فصدقت (رفى شهوة الطعام) اى من الكذب التسامح فى نفى شهوة الطعام وذلك كأن يقال لانسان كل الطعام فيقول لا اشتهيه وذلك منهى عنه ان لم يكن له غرض صحيح فيه (فورد) اى عن مجاهد عن اسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة التى هيأتها وادخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعى نسوة قالت فو الله ما وجدنا عنده قرى اى ضيافة الا قدحا من لبن فشرب ثم ناوله عائشة قالت فاستحييت الجارية قالت فقلت لا تردى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذى منه قالت فاخذته على حياء فشربت منه ثم قال لى ناولى صواحبك فقلن لا نشتهى فقال عليه السلام (لايجتمعن جوعا وكذبا) كذا فى الاصل من باب الافتعال والرواية الصحيحة لا يجمعن جوعا وكذبا قالت فقلت يا رسول الله ان قالت احدانا لشىء نشتهيه لا اشتهيه ايعد ذلك كذبا فقال عليه السلام ان الكذب ليكتب كذبا حتى تكتب الكذيبة كذيبة

والحديث اخرجه ابن ابي الدنيا والطبراني في الكبير وله نحوه من رواية شهر بن حوشب عن اسماء بنت يزيد وهو الصواب فان اسماء بنت عميس كانت اذ ذاك بالحبشة لكن في طبقات الاصبهانيين لابي الشيخ من رواية عطاء بن ابي رباح عن اسماء بنت عميس رفقنا الى النبي صلى الله عليه وسلم بعض نسائه الحديث فاذا كانت غير عائشة ممن تزوجها بعد خيبر فلا مانع من ذلك (والافحش) من انواع الكذب (وقوعه في اليمين فهو من الكبائر) فورد ثلثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الكاذب والمسبل ازاره رواه مسلم من حديث ابي ذر وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود من حلف على يمين مأثم ليقتطع بها مال امرئ مسلم وقال عليه السلام وكان متكئا الا انبئكم باكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين ثم قعد فقال الا وقول الزور متفق عليه من حديث ابي بكر وهو اعم من شهادة الزور (وفي) اى وكذا الافحش وقوعه (مثل الله يعلم انه كذا) قال النووي في الاذكار وهذه العبارة فيها خطر وان كان صاحبها متيقنا (فعن عيسى عليه السلام انه من اعظم الذنوب) فانه نسبة الجهل الى علام الغيوب فان علمه تعالى تعلق بعدم وقوعه (وفي الاخبار) اى وكذا افحش الكذب صدوره في الاخبار وهو بفتح الهمزة او بكسرها اى الاعلام لاسيما الكذب على النبي عليه السلام (والرؤيا) اى وفي الاحلام (فهما عدا من اعظم الفرى) اى الافتراء ففي البخاري ان من اعظم الفرى ان يدعي الرجل الى غير ابيه او يرى عينيه مالم تر او يقول على مالم اقل وفي الاحياء وقد ظن ظانون انه يجوز وضع الاخبار في فضائل الاعمال وفي التشديد في المعاصي وزعموا ان القصد فيه صحيح وهو خطأ محض اذ قال عليه السلام من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار يعني وهو متفق عليه من طرق قاربت ان يكون متواترا فهذا لا يترك الا لضرورة اذ في الصدق مندوحة عن الكذب وفيما ورد من الآيات والاخبار كفاية عن غيرها وقول القائل ان ذلك تكرر على الاسماع وسقط وقعه وما هو جديد فوقعه اعظم فهذا هوس اذ ليس هذا من الاغراض التي تقاوم محذور الكذب على الله ورسوله ويؤدي فتح بابه الى امور تشوش الشريعة ولا يقوم غير هذا بشره اصلا فالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر اقول وقد صرح الجويني والد امام الحرمين بانه كفر هذا وعن اسماء بنت ابي بكر سمعت امرأة تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول ان لي ضرة وانى اتكثر من زوجي بما لم يفعل اضارها بذلك فهل علي فيه شيء فقال المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور متفق عليه ولابن عبد البر في الاستيعاب عنه عليه السلام لا يستكمل المؤمن ايمانه حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب في مزاحه (ومنها الغيبة) بكسر الغين (وورد فيها) اى في

حدها وتعريفها (ذكرك اخاك بمايكره) اى على سبيل المنقصة فى حال الغيبة فعن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بمايكره قيل ارأيت ان كان فى اخى ما اقول قال ان كان فيه ماتقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته رواه مسلم (وبجوز الاجمال) اى الابهام فى الغيبة (فورد ما بال اقوام يفعلون كذا) رواه ابوداود عن عائشة بسند صحيح انه عليه السلام كان اذا كره من انسان شيئا قال ما بال اقوام يفعلون كذا وكذا (الا ان يفهم المعين) اى من المبهم بقرينة فقولك بعض من قدم من السفر وبعض من يدعى العلم وبعض من رأيناه اذا كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهو غيبة لان المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم (وكذا مثل الطائفة الذين مضوا على اليوم) من جملة الابهام فان الطائفة بمعنى القوم (وانواعها) ستة (التصريح) وهو ظاهر ومنه ان عائشة ذكرت امرأة فقالت انها قصيرة فقال عليه السلام اغتبتها رواه احمد واصله عند ابى داود والترمذى وصححه (والتعريض) اى التلويح (مثل فلان تاب الله عليه) ففيه تنبيه على انه يرتكب مايجب عليه التوبة وقد يقول ذلك المسكين قد بلى بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه (الحمد لله الذى عصمنى عن مخالطة السلطان) وهذا من غيبة القراء المرائين واتباع الشيطان وهو اخبث انواع الغيبة فانهم يفهمون المقصود على صيغة اهل الصلاح ليظهروا من انفسهم التعفف عن الغيبة ولايدرون بجهلهم انهم جمعوا بين فاحشتين الرياء والغيبة (والاشارة فورد تسميته غيبة) وفى نسخة تسمية غيبة ومن ذلك قول عائشة دخلت علينا امرأة فلما ولت اومأت بيدى اى قصيرة فقال عليه السلام قد اغتبتها ابن ابى الدنيا وابن مردويه ورجاله ثقات (والغمز) اى بالعين للتشبيه او اخذ البدن للتنبيه (والمحاكاة) فورد حين حكت عائشة انسانا فقال مايسرنى وفى رواية ما احب انى حكيت انسانا وان لى كذا وكذا وقد تقدم يقال حكاه وحاكاه اذا فعلت مثل فعله واكثر مايستعمل فى القبح قال النووى ومن الغيبة المحرمة المحاكاة بان يمشى متعارجا اومتطأطئا رأسه اوغير ذلك من الهيئات بل هو اشد انواع الغيبة لانه اعظم فى التصوير والتفهيم على ما فى الاحياء (وكل ما ينبئ عنها) كذكر المصنفين فى تصنيفاتهم شخصا معينا وتهجين كلامه وتهوين مرامه الا ان يقترن به شئ من الاعذار المحوجة الى ذكره وذلك لان القلم احد اللسانين ويحصل به الغيبة تصريحا وتلويحا (فورد) اى فى سورة الحجرات (ولايغتب بعضكم بعضا) اى لايتناول بعضكم بعضا فى ظهر الغيب بما يسوءه مما فيه (ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا الآية) اى فكرهتموه والاستفهام للانكار كما قال مجاهد لما قيل لهم ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا قالوا لا اى بلسان القال اوببيان الحال قيل فكرهتموه والمعنى فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا

قال الزجاج وتأويله ان ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة اكل لحمه وهو ميت لايحس به وقالت عائشة لايغتابن منكم احد احدا فانى قلت لامرأة مرة وانا عنده عليه السلام ان هذه لطويلة الذيل فقال اقفى اقفى فلفظت بضعة من لحم احمر ابن ابى الدنيا وابن مردوية فى التفسير ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل فى الزنا قال رجل لصاحبه اقعص كما يقعص الكلب اى قتل مكانه فمر النبى صلى الله عليه وسلم وهما معه بجيفة فقال انتهشان منها فقالا يارسول الله ننهش جيفة فقال ما اصبتما من اخيكما افتن من هذه ابوداود والنسائى من حديث ابى هريرة باسناد جيد وعن ابى هريرة موقوفا ومرفوعا من اكل لحم اخيه فى الدنيا قرب اليه لحمه فى الآخرة فيقال كله ميتا كما اكلته حيا ابن مردويه فى التفسير وروى عن ابى بكر وعمر ان احدهما قال لصاحبه ان فلانا لنؤوم ثم طلبا احدا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأكلاه مع الخبز فقال عليه السلام قد ائتدمتما فقالا مانعلمه فقال بلى ما اكلتما من لحم صاحبكما رواه ابو العباس الثغرلى او الدغولى فى الآداب من رواية عبد الرحمن بن ابى ليلى نحوه كذا فى تخريج الاحياء وقال الامام الدميرى هو من كبار الحفاظ توفى سنة خمس وعشرين وثلثمائة وله مسند مشهور ففى هذا الحديث وحديث المرجوم جميعهما وكان القائل احدهما تنبيه على ان المستمع احد المغتابين وان المستمع لايخرج من اثم الغيبة الابان ينكر بلسانه فان خاف فبقلبه وان قدر على القيام اوقطع الكلام بكلام آخر فى ذلك المقام فلم يفعل لزمه الاثم ولايكفى ان يشير باليد اى اسكت اويشير بحاجبه وجبينه فان ذلك استحقار للمذكور بل ينبغى ان يعظمه ويذب عنه صريحا فعنه عليه السلام من اذل عنده مؤمن وهو يقدر على ان ينصره فلم ينصره اذله الله يوم القيمة على رؤس الخلائق احمد والطبرانى عن سهل بن حنيف ولابن ابى الدنيا عن ابى الدرداء من رد عن عرض اخيه بالغيب كان حقا على الله ان يرد عن عرضه يوم القيمة ولاحمد والطبرانى عن اسماء بنت يزيد من ذب عن عرض اخيه بالغيبة كان حقا على الله ان يعتقه من النار (الغيبة اشد من ثلاثين زنية فى الاسلام) وانما قيده بحال الاسلام لانه اقبح مما قبله فى الاحكام وقيل لان الزنى فى دار الحرب وفى عسكر اهل البغى لايوجب الحد وفيه بحث اذ عدم وجوب الحد ليس الا لكونه فى خطر انتقاله الى اهلهما والا فلايسقط عنهما بالكلية ولا انه اخف من زناه فى دار الاسلام والله سبحانه اعلم بحقايق المقام والحديث رواه ابن ابى الدنيا فى الصمت وابن حبان فى الضعفاء وابن مردويه فى التفسير بلفظ اياكم والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا ان الرجل قد يزنى ويتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لايغفر له حتى يغفر له صاحبه واما الحديث بلفظ الماتن فقد اشتهر على وجه المبالغة وليس له اصل صريح لكن قد يؤخذ من حديث انس قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربوا وعظم شانه فقال

ان الدرهم يصيبه الرجل من الربوا اعظم عند الله فى الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وان اربى الربوا عرض الرجل المسلم فالغيبة تناول العرض والحديث رواه احمد وابن ابى الدنيا وعن مجاهد فى تفسير قوله تعالى * ويل لكل همزة لمزة * الهمزة الطعان فى الناس واللمزة الذى ياكل لحوم الناس وقال الحسن والله للغيبة اسرع فسادا فى دين المؤمن من الآكلة فى الجسد وقال بعضهم ادركت وهم لا يرون العبادة فى الصوم ولا فى الصلوة ولكن فى الكف عن اعراض الناس السلف وقال ابن عباس اذا اردت ان تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك ولعله مقتبس من قوله عليه السلام طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس الديلمى عن انس وقال ابوهريرة يبصر احدكم القذا فى عين اخيه ولا يبصر الجذع فى عين نفسه وسمع على بن الحسين رجلا يغتاب آخر فقال اياك والغيبة فانها ادام كلاب الناس وقال الحسن ذكر الغير ثلاثة الغيبة والبهتان والافك والكل فى كتاب الله فالغيبة ان تقول مافيه والبهتان ماليس فيه والافك ان تقول مابلغك ولعل الاخير مأخوذ من القصة المعروفة وتعميمه مستفاد من حديث كفى بالمرء كذبا اوائما ان يحدث بكل ماسمع (والسبب) اى الباعث على الغيبة سبعة مشهورة (التشفى من الغيظ) اى الغضب الكامن فى القلب فيسبق اللسان بالطبع الى الطعن الدنى ان لم يكن له مانع من الدين القوى والورع الجلى فللبزار وابن ابى الدنيا وابن عدى والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله وللديلمى عن سهل بن سعد من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه ولابى داود والترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث معاذ بن انس من كظم غيظا وهو قادر على ان ينفذه اى يمضيه كما فى رواية دعاه الله يوم القيمة على رؤس الخلايق حتى يخيره فى اى الحور شاء (وموافقة الاقران) اى اخوان الزمان (خوفا عن التثقيل) اى عن عده ثقيلا فى ذلك المكان اذا انكر الغيبة اوقطع مجلس الصحبة ويرى ذلك من حسن المعاشرة وجميل المحاورة ولم يعلم بان الله يغضب عليه اذا طلب سخطه فى رضى المخلوقين (والتعامى) اى المحافظة (عن رد قوله لسبق الغير فى تقبيحه) اى تقبيح قوله وبيانه ان يستشعر من انسان انه سيقصده ويطول لسانه ويفتح مقاله ويفضح حاله عند محتشم اويشهد عليه بشهادة فيبادره قبل ان يقبح هو حاله ويطعن فيه ليسقط اثر مقالته وشهادته وكما اذا ذكر زيد مسألة فاعترض عليها عمرو فيكون باعثا لزيد ان يغتاب عمرا بان يقول هو جاهل اواحمق ونحوهما لتعامى ماسبق من كلامه عن بطلان مرامه (والتبرى عن فاحشة منسوبة اليه بالنسبة الى الغير) اى بنسبته الى غيره ليخلص عن عيبه وضره وحاصله انه ينسب الى شئ فيريد ان يتبرء منه فيذكر الذى فعله وكان من حقه ان يبرى نفسه ولا يذكر الذى فعله ولا ينسب غيره اليه فيكون بهذا جمعا بين الذنوب اذ به وقد

قال تعالى * ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا (والمباهاة) اى التصنع والمفاخرة بان يرفع نفسه بتنقص غيره وخفض امره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وعقله خفيف وغرضه ان يثبت فى ضمن ذلك فضل نفسه ويرى انه اعلم منه (والحسد) وهو انه ربما يحسد من يثنى الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه والطعن عليه فيريد ان يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن اكرامه والثناء على حاله ومقاله لانه يثقل عليه ان يسمع علو مرامه (والاستهزاء) اى الاستحقار له فان ذلك قد يجرى فى الحضرة فيجرى ايضا فى الغيبة (ونحوها) اى من اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت باسباب المقت (والعلاج) اى الذى به يمنع اللسان من الغيبة (ذكر ما ورد فيها) اى فى ذم الغيبة من الكتاب والسنة (ودفع السبب) اى من نحو الحسد والحقد والتكبر والغضب (بما فى موضعه) اى بما يذكر من كتب الاخلاق فى محله فان مساوى الاخلاق كلها انما تعالج بمعجون العلم والعمل المركب لها وانما علاج كل علة بمضادة سببها فليفحص عن سببها ويعالج بضدها هذا والمغتاب فاسق واذا كان من عادته ردت شهادته الا ان الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا فى امر الغيبة ولم يكترثوا بتناول اعراض الخلق وهذه بلية عامة شاملة للعباد فى جميع البلاد فهى من اكبر الفساد الامن حفظه الله من العباد (والمرخص) اى فى ذكر مساوى الغير سبعة امور (التظلم فورد) فى سورة النساء (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم الآية) فمن ذكر قاضيا بالظلم والخيانة واخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا واما المظلوم من جهة القاضى فله ان يتظلم الى السلطان وينسبه الى الظلم اذ لا يمكنه استيفاء حقه الا بذكره وقد قال عليه السلام (ان لصاحب الحق مقالا) ومطل الغنى ظلم وكلاهما متفق عليه من حديث ابى هريرة ولابى داود والنسائى وابن ماجه من حديث الشريد باسناد صحيح لى الواجد يحل عرضه وعقوبته (والاستعانة) اى بالحاكم ونحوه (على تغيير المنكر) اى ازالته (واصلاح العاصى) بتركه وتوبته (فهو ماثور) اى مروى عن الصحابة كما قيل لعمر بن الخطاب ان اباجندل قد باشر الخمر بالشام فكتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه * بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير * فتاب الله عليه ورجع بالرحمة اليه (والاستفتاء) كما تقول للمفتى ظلمنى ابى او اخى او زوجى وكيف طريق الخلاص لى (فلم تمنع هند امرأة ابى سفيان بن الحرب) اى لم يمنعها النبى صلى الله عليه وسلم عن الغيبة حال كونها (ذاكرة بخل ابى سفيان لاخذ ماله) اى لاجل اخذها من ماله (بغير علم) ففى الصحيحين من حديث عائشة ان هند قالت للنبى صلى الله عليه وسلم ان ابا سفيان رجل شحيح

لايعطينى مايكفينى انا وولدى فقال عليه السلام خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف وهذا كان بطريق الفتوى لاعلى سبيل الحكومة والدعوى (والتعريض اولى) بان يقول كيف من يأخذ مال زوجها بغير اذنه لاجل بخل (والتحذير عند خوف سراية الفسق) فاذا رأيت متعففا يتردد الى فاسق اومبتدع وخفت ان يسرى اليه فسقه اوتتعدى بدعته فلك ان تكشف له بدعته وفسقه (او الضرورة) اى اوعند خوف الضرر الكثير المنجر (الى غير فورد) اى من رواية بهز بن حكيم عن ابيه عن جده (اذكروا الفاجر بمافيه ليحذره الناس) رواه الطبرانى وغيره بلفظ اترعوون عن ذكر الفاجر اذكروه بمافيه يحذره الناس وهذا دليل السراية واما دليل الضرورة فقوله عليه السلام لامرأة استشارت النبى فى تزوج معاوية اوابى جهم اواسامة (اما معاوية فرجل صعلوك) اى فقير جدا (لامال له) تأكيد لحاله (واما ابوجهم فلايرفع العصا عن اهله) وهو كناية عن كثرة ضربه وسوء خلقه وفى رواية عن عنقه وهو يحتمل المعنى المذكور اوالكناية عن كثرة سفره وقلة اقامته فى حضره (انكحى اسامة ابن زيد) اى فانه خير منهما فى حسن عشرته وطيب نفقته (واشتهار المذكور باسم العيب) اى من الاعذار المرخصة (كالاعمش والاعرج) وكذا الاعمى والاعور والاصم والابكم والابرص والاحمر والاصفر (والعدول) اى الى وصف آخر اوعبارة اخرى (اولى) اى احرى ولذا يقال البصير للاعمى عدولا عن اسم النقص فى المبنى وان كان المآل واحدا فى المعنى وقد ذكر ابن سيرين رجلا فقال ذلك الرجل الاسود ثم قال استغفر الله انى ارانى قد اغتبته وذكر لابن سيرين ابراهيم فقال النخعى ولم يقل الاعور (واظهاره الفسق) اى اعلانه وعدم مبالاته به من المرخص كالمخنث والقواد والمجاهر بشرب الخمر والزنى والربوا ومصادرة الناس باخذ اموالهم (فورد) من حديث انس (من القى جلباب الحياء) اى غطاءه (فلاغيبة له) رواه ابن عدى وابو الشيخ نعم لوذكره بغير ما يتظاهر به اثم قال عوف دخلت على ابن سيرين فتناولت الحجاج فقال ابن سيرين ان الله حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وانك اذا لقيت الله غدا لكان اصغر ذنب اصبته اشد عليك من اعظم ذنب اصابه الحجاج وقال قوم لاغيبة فى الدين لانه ذم ما ذمه الله فذكره بالمعاصى وذمه يجوز بدليل ما روى انه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وكثرة صومها وصلاتها ولكنها تؤذى جيرانها فقال هى فى النار ابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابى هريرة وذكر امرأة اخرى بانها بخيلة قال فما خيرها اذا رواه الخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث ابى جعفر محمد بن على مرسلا قال فى الاحياء وهذا فاسد لانهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم الى تعرف الاحكام بالسؤال ولم يكن

غرضهم النقص ولايحتاج اليه فى غير مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم اقول وفيه بحث لان الصحابة كانوا عارفين بان اذى الجار والبخل من الصفات الذميمة واما قوله والدليل عليه اجماع الامة على ان من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب ففيه ان هذا عام وقد خص منها اهـ كام فلا حجة فيه ولا الـزام (ونحوه) اى ونحو المذكور (من الغرض الصحيح) بان يقول لمن يريد ان يودع عند احد انه خائن (والاصل) اى فى الغرض الصحيح (الاستفتاء من القلب) اى فى التصريح والتلويح بذكر العيب ثم اعلم ان الواجب على المغتاب ان يتوب ويندم ويتأسف على مـــافعل ليخرج عن حـق الله ثم يستحل المغتـاب ليحله فيخرج عن مظلمته وينبغى ان يستحله وقال الحسن يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وربما يحتج فى ذلك بما روى انس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة من اغتبته ان تستغفر له ابن ابى الدنيا والحارث بن اسامة فى مسنده من حديث انس بسند ضعيف وقال مجاهد كفارة اكلك لحم اخيك ان تثنى عليه وتدعو له بخير ويؤيده قوله تعالى * ادفع بالتى هى احسن السيئة * والاحسن التفصيل وهو ان لايحتاج الى الاستحلال اذا لم يصل الكلام الى المغتاب منه بخلاف ما اذا وصله الا اذا كان يتشوش بذكره فقد يكون الاعتذار اكبر من الذنب عند بعض الابرار واما قول عطاء بن ابى رباح حين سئل عن التوبة عن الغربة قال تمشى الى صاحبك وتقول كذبت فيما قلت وظلمت واسأت فان شئت اخذت بحقك وان شئت عفوت فهو غاص بالافتراء بل ينبغى ان يعترف بالخطاء فى حضور الملاء بالخلاء او الملاء فقول صاحب الاحياء وهو الاصح مبنى على انه لا فرق بين الغيبة والغربة وهو بعيد بلا مرية واما اطلاق قول القائل العرض لاعوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال فكلام ضعيف اذ فى الحديث الصحيح المتفق عليه عن ابى هريرة من كانت لاخيه عنده مظلمة فى عرض اومال فليتحللها من قبل ان يأتى يوم ليس هنالك دينار ولادرهم فيؤخذ من حسناته فان يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته فان كانت صاحب الغيبة غائبا او ميتا فينبغى ان يكثر الاستغفار والدعاء ويكثر من الحسنات تكفيرا للسيئات فان الحسنات يذهبن السيئات وكان بعض السلف لايحلل للظالم قال سعيد بن المسيب لا احلل من ظلمنى وقال ابن سيرين انى لم احرمها عليه فاحللها له ان الله حرم الغيبة عليه وما كنت لاحل ما حرم الله ابدا والظاهر ان المراد بالاستحلال جعله فى حل بمعنى عفوه عنه لينقلب حرامه بمنزلة الحلال المباح له وهذا محمل قوله عليه السلام ايعجز احدكم ان يكون كابى ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اللهم انى تصدقت بعرضى على الناس رواه البزار وابن السنى فى

اليوم

اليوم والليلة والعقيلى فى الضعفاء من حديث انس وذكره ابن عبد البر من حديث ثابت مرسلا عند ذكر ابى ضمضم فى الصحابة قال العراقى وانما هو رجل من كان قبلنا كما عند البزار والعقيلى والمعنى انى لا اطلب مظلمة فى القيامة منه ولا اخاصمه والا فلا تصير الغيبة حلالا به بل ولا تسقط المظلمة بسببه لانه عفو قبل وجوبه الا انه وعد وله العزم على الوفاء بان لايخاصم فان رجع وخاصم كان له ذلك قياسا على سائر الحقوق بل صرح بعض الفقهاء بان من اباح القذف لم يسقط حقه من حد القذف ومظلمته ومظلمة الآخرة مثل مظلمة الدنيا وعلى الجملة فالعفو افضل وثوابه اكمل وقال الحسن اذا جثت الامم على الركب بين يدى الله يوم القيمة نودوا ليقم من كان اجره على الله فلا يقوم الا من عفا عن مظلمة فى الدنيا وكأنه مستفاد من قوله * فمن عفا واصلح فاجره على الله وجاء فى قوله تعالى * خذ العفو * الآية انه عليه السلام قال يا جبريل ما هذا العفو قال ان الله يأمرك ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من حرمك وقد روى عن الحسن ان رجلا قال له ان فلانا قد اغتابك فبعث اليه طبقا من الرطب وقال قد بلغنى انك قد اهديت الى حسناتك فاردت ان اكافيك عليها فاعذرنى فانى لا اقدر على ان اكافيك على التمام وقال بعضهم لو كنت اغتاب احدا لاغتبت امى فانها اولى بان تأخذ حسناتى او آخذ من سيئاتها يوم القيمة (ومنها النميمة وهى تبليغ كلام) اى مذموم (يقال فى حق الغير اليه) متعلق بتبليغ اى الى الغير وهو المقول فيه كأن يقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا (وهو حرام) سواء كان التبليغ قولا او فعلا او كتابة اورمزا اواشارة (فورد) فى سورة ن (هماز) اى عياب اومغتاب (مشاء بنميم الآية) وهى * منع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم * والمقصود منه من جمع بين انواع من الوصف الذميم وفى رواية احمد من حديث ابى مالك الاشعرى (الا اخبركم بشراركم المشاؤن بالنميمة) آخره المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبراء العثرات وفى الصحيحين من حديث حذيفة لا يدخل الجنة نمام وفى حديث آخر قتات وهو النمام قال عبد الله بن المبارك ولد الزنا لايكتم الحديث واشار به الى ان كل من لايكتم الحديث ويمشى بالنميمة دل على انه ولد زنا استنباطا من قوله تعالى * زنيم فانه هو المدعى والمحاكم من حديث ابى موسى من سعى بالناس فهو لغير رشدة اوفيه شىء منها وللطبرانى بلفظ لايسعى على الناس الا ولد بغى والا من فيه عرق منه وقال تعالى * حمالة الحطب * قيل كانت نمامة حمالة للحديث وقال تعالى * فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا * قيل كانت امرأة لوط تخبر بالضيفان وامرأة نوح كانت تخبر بانه مجنون (والسبب) اى الباعث على ذلك ثلاثة (ارادة الشر فى القائل) اى قصد

السوء بالمحكى عنه فعن ابى ذر من اشاع على مسلم كلمة يشينه بها بغير حق شانه الله بها فى النار يوم القيمة ابن ابى الدنيا والطبرانى وعن ابى الدرداء ايما رجل اشاع على رجل كلمة وهو منها برىء ليشينه بها فى الدنيا كان حقا على الله ان يشينه بها يوم القيمة فى النار ولعل الحديثين مقتبسان من قوله تعالى * ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة * (او اظهار محبة السامع) وهو المحكى له وقد قال بعضهم لوصح ما نقله النمام اليك لكان هو المجترى بالشتم عليك والمنقول عنه اولى بحلمك حيث لم يقابلك بشتمك (او التفرج بالحديث) اى التنزه بحكاية اهل الدنيا (فعلى السامع التكذيب) اى تكذيب قول القائل وعدم قبوله فعن مصعب بن الزبير نحن نرى ان قبول السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شىء فاخبر به كمن قبله واجازه (لان النمام فاسق لايقبل قوله) لقوله تعالى * يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين * وعلى السامع ان ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله قال تعالى * وامر بالمعروف وانه عن المنكر * وان يبغضه فى الله وان لايظن باخيه الغائب السوء لقوله تعالى * اجتنبوا كثيرا من الظن * وان لايحمله ماحكى له على التحقيق والتفحص لقوله تعالى * ولاتجسسوا * وان لايرضى لنفسه بماصدر عن النمام فى حقه فلايحكى نميمته بقوله فلان قد حكى لى كذا وكذا فيكون به نماما ومغتابا ويكون قد اتى بماعنه فقد نهى روى كعب انه اصاب بنى اسرائيل قحط فاستسقى موسى عليه السلام مرات فما اجيب فاوحى الله اليه انى لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام وقد اصر على النميمة فقال موسى يارب من هو حتى نخرجه من بيننا فقال ياموسى انهاكم عن النميمة واكون نماما فتابوا باجمعهم فسقوا وقال الحسن من نم اليك نم عليك وروى عن عمر بن عبد العزيز انه دخل اليه رجل فذكر عنده عن رجل شيئا فقال له عمر ان شئت نظرنا فى امرك فان كنت كاذبا فانت من اهل هذه الآية * ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا * وان كنت صادقا فانت من اهل هذه الآية * هماز مشاء بنميم * وان شئت عفونا عنك فقال العفو ياامير المؤمنين لا اعود اليه ابدا ومثله روى عن على كرم الله وجهه ان رجلا اتاه يسعى اليه برجل فقال له يا هذا نحن نسأل عما قلته فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت ان نقيلك اقلناك فقال اقلنى يا امير المؤمنين فالسعاية قبيحة وان كانت صحيحة وقد ذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنكم بقوم يحمد الصدق فى كل طبقة من الناس الا منهم وقد بلغ سعاية بعض الى احد من العلماء فقال الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيمة تجمعنا والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين هذا وقد قال تعالى * ويقطعون ما امر الله

به ان يوصل ويفسدون فى الارض * والنمام منهم وقال عليه السلام ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره متفق عليه من حديث عـــائشة والنمام منهم وقال عليه السلام لا يدخل الجنة قـاطع رواه الشيخان من حديث جبير بن مطعم قيل اى قـاطع بين الناس وهو النمام وقيل قـــاطع الرحم وقيل قاطع الطريق والله ولى التوفيق (ومنها التكلم) اى تكلم ذى اللسانين (مع كل من المتعاديين بما يوافقه) اى تكلم كل واحد بكلام يوافقه (فهو نفاق) اى نوع من النفاق وصنف من الشقاق (فورد) عن عمار بن ياسر مرفوعا (من كان له وجهان فى الدنيا كان له لسانان فى الآخرة) رواه البخارى فى كتاب الادب المفرد وابو داود بسند حسن بلفظ من كان له وجهان فى الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيمة وهو كذلك فى الاحياء وفى الصحيحين من حديث ابى هريرة تجد من شر الناس يوم القيمة ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث وفى لفظ آخر يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقيل لابن عمر انا ندخل على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره قال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الطبرانى من طرق واصله فى صحيح البخارى وقال ابو الدرداء انا لنشكر فى وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وقالت عائشة استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو فلما دخل الان له القول واقبل عليه فلما خرج قلت يارسول الله قلت ماقلت ثم النت له القول فقال ياعائشة ان شر الناس الذى يكرم اتقاء شره متفق عليه (ومنها المدح) وهو منهى عنه فى بعض المواضع (فهو يضر المادح) اذا كان الممدوح ظالما اوفاجرا (بخطر اسرار الفاسق) اى فرحه بمدحه فلابن ابى الدنيا والبيهقى من حديث انس ان الله يغضب اذا مدح الفاسق (والرياء) فانه بالمدح مظهر للحب وقد لايكون مضمرا له ولامعتقدا لجميع ما يقوله فيصير به مرائيا منافقا (والكذب) اى حقيقة اوحكما حيث يذكره بالظن وقد لايكون مطابقا (فورد ان كان لابد احدكم ان يكون مادحا) اى لاحد (فليقل احسب فلانا) اى كذا وكذا انه صالح اومتق اونحوهما (والممدوح) اى ويضر الممدوح (بحدوث الكبر والعجب) اى والغرور فى قلبه بسبب مدحه (فورد فيه) اى فى ضرر الممدوح برواية الصحيحين من حديث ابى بكرة ان رجلا مدح رجلا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك (قطعت عنق صاحبك) زاد ابن ابى الدنيا (لو سمع) اى لو بلغه وقبله (ما افلح) لحدوث الملك وقال عمر رضى الله عنه المدح هو الذبح (ولو سلم) اى المدح (عنه) اى عن الضرر (فمندوب اليه فورد انا سيد ولد آدم) اى يوم القيمة كما فى صحيح مسلم من حديث ابى هريرة وزاد الترمذى وابن ماجه من حديث ابى سعيد الخدرى والحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد (ولا فخر) وله من حديث

عبادة بن الصامت انا سيد الناس يوم القيمة ولافخر (اى اقوله افتخارا) اى امتثالا لامره سبحانه * واما بنعمة ربك فحدث (لاافتخارا) اى تفاخرا كما يقصده الناس بالثناء على انفسهم وذلك لان افتخاره كان بالله وبقربه فى مقام انسه لا بكونه مقدما على ابناء جنسه (لو وزن ايمان ابى بكر بايمان العالم) وفى نسخة العالمين (لرجح) اى ايمان ابى بكر وغلب على ايمان غيره من غير الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين اخرجه ابن عدى فى الكامل من حديث ابن عمر مرفوعا ولفظه لو وزن ايمان ابى بكر بايمان الناس لرجح ايمان ابى بكر ورواه اسحاق بن راهويه والبيهقى فى الشعب بسند صحيح من عمر موقوفا وللترمذى وحسنه من حديث عقبة بن عامر لو كان بعدى نبى لكان عمر بن الخطاب ولابن عدى عنه لولم ابعث فيكم لبعث عمر فيكم وللديلمى عن ابى هريرة لولم ابعث لبعثت ياعمر قال سفيان بن عيينة لايضر المدح من عرف نفسه واثنى على رجل من الصالحين فقال اللهم ان هؤلاء لايعرفوننى فانت تعرفنى وقال على كرم الله وجهه لما اثنى عليه اللهم اغفرلى ما لا يعلمون ولا تؤاخذنى بما يقولون واجعلنى خيرا مما يظنون (ومنها التكلم بالمنهى عنه) اى من الاقوال الصادرة على لسان العامة وبعض الخاصة الناشئة عن الغفلة عن دقائق الخطأ فى الكلام لاسيما فيما يتعلق بالله من ذاته وصفاته (كالحلف بالآباء) ففى الصحيحين من حديث عمر ان الله ينهاكم إن تحلفوا بآبائكم ولابن عمر من حلف بغير الله فقد اشرك احمد والترمذى والحاكم فى مستدركه وفى رواية احمد والبيهقى عن قتيلة بنت صيفى من حلف فليحلف برب الكعبة وفيه تنبيه على انه لايجوز الحلف بالكعبة ولابالمصحف ولابالنبى ولابالامانة ونحوها (وتسمية العنب بالكرم) بفتح فسكون فروى الكرم قلب المؤمن وفى الصحيحين من حديث وائل بن حجر لاتسموا العنب الكرم انما الكرم الرجل المسلم ولمسلم من حديثه لا تقولوا الكرم ولكن قولوا العنب والحبلة ولابى داود من حديث ابى هريرة لايقولن احدكم الكرم فان الكرم الرجل المسلم ولكن قولوا حدائق الاعناب (وقوله ماشاء الله وشئت) لان فى العطف المطلق بالواو تشريكا وتسوية فى الكلام وهو خلاف مايوجب الاحترام فعن حذيفة لايقل احدكم ماشاء الله وشئت ولكن ليقل ماشاء الله ثم شئت وقال ابن عباس جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فى بعض الامور فقال ماشاء الله وشئت فقال عليه السلام اجعلتنى لله عديلا قل ماشاء الله وحده وفى صحيح مسلم من حديث عدى بن حاتم خطب رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال عليه السلام قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفى الاصياء فكره قوله ومن يعصهما لانه تسوية وجمع انتهى وفيه بحث لايخفى ولعل الاوجه ان يقال العدول عن الاسمين الشريفين غير

لائق وان كان المقام يقتضى الضمير اختصارا ولله در القائل
اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره * هو المسك ما كررته يتضوع

ولهذا ورد فى كثير القرآن ومن يطع الله ورسوله ومن يعص الله ورسوله
(وعبدى وامتى وربى وربتى) فعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايقل احدكم عبدى وامتى كلكم عباد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامى وجاريتى وفتاى وفتاتى ولايقول المملوك ربى ولاربتى ولكن ليقل سيدى وسيدتى فكلكم عبيد والرب هو الله سبحانه رواه الشيخان (فالصواب) اى فى مقام الخطاب (ثم شئت) بدل قوله وشئت فكان ابراهيم يكره ان يقول الرجل اعوذ بالله وبك ويجوز ان يقول اعوذ بالله ثم بك ويجوز ان يقول لولا الله ثم فلان ولايقول لولا الله وفلان (وغلامى وجاريتى) بدل عبدى وامتى (وسيدى وسيدتى) بدل ربى وربتى (ونحوها) اى من الكلمات المنهية وللنسائى وابن ماجه من حديث بريدة باسناد صحيح من قال انا برئ من الاسلام فان كان صادقا فهو كما قال وان كان كاذبا فلن يرجع الى الاسلام فهذا وامثاله مما يدخل فى مذموم الكلام ولايمكن حصره فى هذا المقام وقال ابراهيم اذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيمة احمارا رأيتنى خلقة اخنزيرا رأيتنى خلقة وعن ابن عباس ان احدكم يشرك حتى يشرك بكلبه يقول لولاه لسرقنا الليلة ولاحمد من حديث البراء من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله هى طابة هى طابة ولابى داود من حديث بريدة بسند صحيح لاتقولوا للمنافق سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد اسخطتم ربكم وكما روى لايقولن احدكم زرعت ولكن ليقل حرثت والحديث فى الاكمال للسيوطى ولعله مقتبس من قوله * افرأيتم ماتحرثون ءأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون * وكان يقول على فيه وفى نظائره بل انت وفى الحديث لايقل احدكم خبثت نفسى وليقل لقست وفى الحديث لايقل احدكم نسيت بل ليقل نسيت (ومنها سؤال العامة عما يتعذر ادراكه) اى حتى للخاصة (كسر الروح) وقد قال تعالى * قل الروح من امر ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا * والمعتقد ان الارواح اجسام لطيفة تدخل فى اشباح كثيفة وتخرج منها كما اخبر سبحانه عنها بقوله * ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى * وانما خلقت قبل الاجساد بخمسمائة عام فهى حادثة غير قديمة خلافا للحكماء ومن تبعهم من الجهلاء (وحقائق الصفات) كحقيقة كلامه سبحانه وكذا كنه معرفة سمعه وبصره وسائر كمالاته وقد قال تعالى * ولايحيطون به علما * و * ليس كمثله شئ * فكل ماخطر ببالك فالله وراء ذلك وقد قال عليه السلام سبحانك لااحصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك اى من قوله قل هو الله احد وسائر آيات الصفات من الجمالية والجلالية الدالة على كمال الذات (او بضر) اى عما يضره ولو لم يتعذر (كسر القدر) فانه بالنسبة الى الاغلب قد يتعسر فهو بحر عميق كم فيه

غريق ولامخلص منه الابان يقال فيه يفعل الله مايشاء ويحكم مايريد ولايسأل عما يفعل وهم يسألون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهديكم اجمعين خلقت هؤلاء للجنة ولا ابالى وخلقت هؤلاء للنار ولا ابالى وانما شان العوام الاشتغال بالعمل بما فى القرآن والتسليم بما جاءت به الرسل من تفاصيل الاسلام والايمان ولذا قال عليه السلام ذرونى ماتركتكم فانما اهلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فمانهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فائتوا منه ما استطعتم متفق عليه من حديث ابى هريرة وقال انس سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما حتى اكثروا عليه واغضبوه فصعد المنبر فقال سلونى فماتسألونى عن شئ الا انبأتكم به فقام اليه رجل فقال يا رسول الله من ابى فقال ابوك حذافة فقام اليه شابان اخوان فقالا يارسول الله من ابونا فقال ابوكما الذى تدعيان اليه ثم قام اليه رجل فقال يا رسول الله اى الجنة ابى اوفى النار فقال لابل فى النار فلما رأى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم امسكوا فقام اليه عمر فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فقال احسنت يرحمك الله انك ماعلمت لموفق متفق عليه وفى الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال واضاعة المال وكثرة السؤال متفق عليه من حديث المغيرة وعنه عليه السلام يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك فقولوا الله احد الله الصمد حتى تختموا السورة ثم ليتفل احدكم عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم والحاصل ان السؤال ينبغى ان يكون من اهل الكمال فيما يكون من الضروريات فى الاعتقادات والعبادات والمعاملات والله اعلم بحقائق الحالات (وكالقول بالظن) لاسيما فى العقائد المتعلقة بالرب قال تعالى * ان الظن لايغنى من الحق شيئا (وهو) اى القول بالظن اونفس الظن (ما يغير به القلب) اى بسماعه عما كان به ويحصل التردد فى بابه وانما جوز فى الفروع دون الاصول للضرورة فى قلة المنقول (فورد اجتنبوا كثيرا من الظن الآية) اى * ان بعض الظن اثم * ولما كان هذا الظن يشمل ما اذا بنى عليه خبر من موت احد اوقدومه اوسفره اوامر غيره استثنى بقوله (الا اذا اخبر عدل) اى بالموت اوالقدوم اوالسفر ونحوه (وعلم عدم العداوة) اى بالنسبة الى الميت واهله (وعامل) اى وعلم عدم باعث (آخر) كالعصبية فى نسبه والدعوة الى ملته ومذهبه (فيعذر) اى اذا اخبر عن ظن وقوعه (اذ تكذيبه سوء الظن) اى به وبكلامه (والتجسس) عطف على القول بالظن اى وكالتفحص عن حقيقة الامر (فهو هاتك الستر) اى كاشفه وفاضحه فى الخبر (فورد) فى سورة الحجرات (ولاتجسسوا والاستماع) اى وكاستماع القول بالظن (فورد) فى سورة القصص (واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه) تمامه * وقالوا لنا اعمالنا

وانكم اعمالكم سلام عليكم لانبتغى الجاهلين (المستمع شريك القائل) لم ارله اصلا وفى الاحياء المغتاب والمستمع شريكان فى الاثم ولم يخرجه العراقى وفى الطبرانى مرفوعا نهى عن الغيبة وعن الاستماع الى الغيبة (وفيه) اى فى استماعه (هيجان الوسواس) اى ثورانها (وبقاؤها فى النفس) على طريق الهواجس (ولاقصاص فى نحو الغيبة) فلامخلص لمن يقول انا اغتاب الناس وهم يغتابونى فيكون المقاصصة فى الدنيا دون العقبى (والسب والتجسس) من الاقوال الردية والافعال الدنية (لانحصاره) اى القصاص (على مورد الشرع) اى فى النفس والاطراف ونحوها من تضييع الاموال فيقتص بالضرب والقطع والقتل واخذ الامثال والابدال (وورد ان امرؤ عيرك بمافيك) اى من الخصائل الذميمة (فلاتعيره بمافيه) اى فانه لايجوز فيه المقاصصة ولايبعد ان يكون هذا محمولا على التحريض على ما هو الاولى من العفو (وقيل يقابل) اى نحو الغيبة وما عطف عليه (بما لاكذب فيه) لظاهر قوله تعالى * وجزاء سيئة سيئة مثلها (والاولى الترك) لقوله * فمن عفى واصلح فاجره على الله * لقوله تعالى * لئن صبرتم لهو خير للصابرين * (والتحقيق) فى سماع الابرار (ان لاحرمة فى الاشعار) اى فى نفسها مع قطع النظر عما فيها فان الشعر كالنثر كلام صريح حسنه حسن قبيحه قبيح (للالتذاذ) اى لايحرم لاجل التلذذ بها (والالحرم كل لذة) يلتذ منها كالماء الجارى والخضرة ونحوها ولم يقل احد بحرمتها (ولا للوزن) اى ولايحرم بمجرد التقابل والتعادل بين الكلمتين او الجملتين او المصراعين (والالحرم سماع صوت العندليب) اى المسمى بالبلبل المعبر عنه بالهزار دستان فان انغامها بلغت الالف فى الاشجار والبستان (والقمرى) وكذا الفاختة والحمامة واغرب من الكل الطوطى المسمى بالدرة التى تتفصح حتى تقرؤا الآية والسورة وتتكلم بما وقع فى البيت من امور الضرورة طبق ما وقع فى المعنى والصورة (فهو) اى صوتهما ونحوهما (موزون) اى متلائم ينتظم اوائله واواخره (لتناسب مطالعه ومقاطعه) اى مباديه ومايشعر بتناهيه (ولاللفهم) اى ولايحرم لمجرد فهم الكلام من الصوت فى ذلك المقام (والالحرم كل مفهوم) من المرام ولم يقل به احد من الاعلام (هذا) اى مضى اوخذ هذا اوالامر هذا (والشعر كلام) اى كسائر الكلام من حيث هو مباح فى اصل الاحكام (والانشاد ماثور) وعن النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه مروى ومنشور فكان عليه السلام ينقل اللبن مع القوم فى بناء المسجد وهو يقول *

* هذا الحمال لاحمال خيبر * هذا ابر ربنا واطهر *

رواه البخارى فى قصة الهجرة من رواية عروة مرسلا قال ابن شهاب ولم يبلغنا فى الاحاديث انه عليه السلام نطق ببيت شعر تام غير هذا البيت وفى الصحيحين من حديث انس

يرتجزون ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم يقول *
اللهم انه لاخير الاخير الآخرة * فانصر الانصار والمهاجرة
قال العراقى وليس البيت الثانى موزونا يعنى باعتبار المصراع الأول فتأمل وفى رواية * اللهم ان العيش عيش الآخرة فارحم الانصار والمهاجرة * وفى الصحيحين ايضا انه قال فى حفر الخندق بلفظ فبارك فى الانصار والمهاجرة وفى رواية فاغفر وفى رواية لمسلم فاكرم ولهما من حديث سهل بن سعد فاغفر للمهاجرين والانصار وللبخارى تعليقا وابى داود والترمذى والحاكم متصلا من حديث عائشة كان عليه السلام يضع لحسان منبرا فى المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اوينافح ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد حسانا بروح القدس ما نافح اوفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الترمذى حسن صحيح وقال الحاكم صحيح الاسناد ولمسلم من حديث عائشة انشاد حسان ﴿شعر﴾

* هجوت محمدا فاجبت عنه * وعند الله فى ذاك الجزاء *
* هجوت محمدا ولست بكفؤ * فشر كما لخير كالفداء *

القصيدة وانشاد حسان ايضا *

* وان سنام المجد من آل هاشم * بنو بنت مخزوم ووالدك العبد *

وللبخارى انشاد ابن رواحة *

وفينا رسول الله يتلو كتابه * اذا انشق معروف من الفجر ساطع

الابيات وللترمذى فى الشمائل انشاده ايضا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة

خلوا بنى الكفار عن سبيله * اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله

وللبغوى فى معجم الصحابة وابن عبد البر فى الاستيعاب من حديث النابغة قال انشدت النبى صلى الله عليه وسلم شعرا فقال احسنت لا يفضض الله فاك وفى الصحيحين عن عائشة لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك ابو بكر وبلال وكان بها وباء فقلت يا ابت كيف تجدك ويا بلال كيف تجدك فكان ابوبكر اذا اخذته الحمى يقول

كل امرئ مصبح فى اهله * والموت ادنى من شراك نعله

وكان بلال اذا اقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته اى صوته ويقول (شعر)

الا ليت شعرى هل ابيتن ليلة * بواد وحولى اذ خر وجليل
وهل اردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لى شامة وطفيل

وهما جبلان بمكة قالت عائشة فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة اوأشد وانقل حماها فاجعلها فى الجحفة ومن انشاد عائشة

ذهب الذين يعاش فى اكنافهم * وبقيت فى جلف كجلد الاجرب

وللترمذى من حديث جابر بن سمرة كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون الاشعار وهو يتبسم وللبيهقى فى دلائل النبوة ان النساء انشدن عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع * وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

واما ذكر السطوح والدف والالحان كما ذكره فى الاحياء فمما لا اصل له كما صرح به مخرجه وفى الجملة اشعار بفرح قدمه وسرور قدومه عليه السلام الى ذلك المقام ومن هذا القبيل قوله عليه السلام انى لا ادرى بفتح خيبر افرح ام بقدوم جعفر ولمسلم من حديث عمرو بن الشريد عن ابيه قال انشدت النبى صلى الله عليه وسلم مائة قافية من قول امية بن الصلت فى كل ذلك يقول هيه هيه اى استزاده ثم قال ان كاد فى شعره ليسلم فنفس الانشاد والسماع جائز ان بالاجماع ولابى داود الطيالسى عن انس كان يحدى له فى السفر وان انجشة كان يحدو بالنساء وكان البراء بن مالك يحدو بالرجال فقال عليه السلام يا انجشة رويدك سوقك بالقوارير ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب فى زمانه عليه السلام واصحابه الكرام وماهو الا اشعار تؤدى باصوات طيبة والحان موزونة (والنهى) اى عن الشعر (للتجرد له فهو اشتغال بما لا يعنيه فورد لان يمتلئ بطن احدكم قيحا) اى صديدا (حتى يريه) بفتح فكسر من ورى وريا كرمى رميا اى يفسده (خير له من ان يمتلئ شعرا) رواه احمد واصحاب الكتب الستة (وتضمنه) عطف على التجرد اى ولتضمن الشعر (فحشا) من الكلام (وهجاء) اى ذما لاحد من اهل الاسلام (وافتراء) اى فى مقام المرام (كنظم الكفار والمبتدعة) فى ذم المسلمين واهل السنة والجماعة (ويجوز هجاؤهم) اى ابتداء وانتهاء (ففعله حسان وامر به) كما تقدم ففى الصحيحين من حديث البراء انه عليه السلام قال لحسان اهجهم او هاجهم وجبريل معك وقد قال تعالى * والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا (والتوسع) اى ويجوز المبالغة (فى المدح ان وجد الوصف المذكور فى الممدوح) اى فى الجملة (لانه ليس بكذب) اى حينئذ بل مبالغة وتسامح لاسيما فى الشعر (لفقد قصد اعتقاد صورته) اى صورة الكذب وحقيقته (وتوارث استماع المبالغات) اى ولتواتر استماعها فى اشعار العرب وغيرهم (بلا نكير) اى بلا انكار على قائلها ومنشدها بل عد الكذب من محسنات الشعر كما قيل اكذب الشعر احسنه ويشير اليه قوله تعالى * والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون * وقد سبق التسامح فى النثر ايضا اذا اريد به المبالغة مثل مائة مرة والف مرة ويراد به الكثرة

ونظير هذا قولهم لبيك وسعديك فى اطلاق التثنية وقصد التكرير والتكثير كقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين * ومن هذا القبيل ايضا قوله تعالى * ان تستغفر لهم سبعين مرة * فانه لم يرد به حقيقة العدد اذ لامفهوم له عند ارباب الوصول بل اريد به الكثرة هنا بدليل آية اخرى * سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم (ووصف نحو الخد) وجاز نعت نحو الوجه والوجهة من البياض والحمرة (والقد) اى القامة باعتدالها فى جمالها وكمالها (والصدغ) اى الشعر المتدلى على الوجه المسمى بالزلف (على الاقرب) اى جاز ما ذكر على القول الاقرب الى الصواب اوالانسب فى بيان الرخصة المحتاج اليها فى هذا الباب وقيل لايجوز مطلقا وان وجد التفصيل الآتى وهو قوله (ان لم يحمل) اى صاحب الخد والقد وكذا السامع (على معينة سوى امرأته وامته) وذلك كمن يعشق زوجته اوسريته فيصغى الى غنائها لتضاعف لذته فى لقائه وهذا اذا كان السامع او المغنى فى بيته واما اذا كان فى مجلس من جماعته فلا يجوز له ذكر امرأته ولا جاريته وكذا لا يجوز ان يحمل على امرد صبيح الوجه بخصوصه مطلقا (اواستعار) اى جاز ما تقدم ان استعار (العارف) بالمجاز والحقيقة والصريح والكناية (سواد الصدغ لظلمة الذنب) وهو جنس المعصية الناشئة من ظلمة الغفلة (وبياض الخد لنور الطاعة) وسرور الحالة (والوصال) وفى معناه الوصل والاتصال (للقائه تعالى) اى فى دار البقاء او مقام الغناء (والفراق) وكذا الجداء والانفصال (للحجاب ونحوها) من انواع العذاب (والنصر) مبتدأ (الى الاثر) اى اثر التأثير (فى المتغنى به) من الشعر وغيره ففيه تفصيل (على الاقرب) اى بناء على القول الاقرب وقد قيل لاعبرة بالنظر الى التأثير بل هو حرام مطلقا (فمندوب) خبر اى فمستحب سماعه ومطلوب لكن بشروط بينها بقوله (ان شوق) اى المتغنى به (الى الحج اوالغزو ان كان) اى احدهما (قربة) اى واجبا (بخلاف ما اذا لم يجب) بان لم يوجد شرائط وجوب الحج (اوالابوان لايأذنان) فانه عذر فى التأخير على القول بالتراخى فى الحج (اوغلب الهلاك فى الطريق) اى برا وبحرا (ونحوه) من فقدان سائر شروط الاداء وفى الاحياء ومن الغناء المباح غناء الحجيج فانهم يدورون اولافى البلاد والطبل والشاهين والغناء وهو جائز لانها اشعار نظمت فى وصف الكعبة والمقام وزمزم والحرم وسائر المشاعر العظام ووصف البادية وغيرها من الامور الكرام تأثير ذلك تهييج الشوق الى بيت الله واشعال نيرانه ان كان ثمه تشوق ماصل اواستثارة الشوق بكل ما يشوق اليه محمود (اوحزن) اى ان اوقع المتغنى به حزنا وتأسفا (على التقصير فى الدين كالمروى عن داود عليه السلام) وقد ورد فى معرض المدح لداود عليه السلام انه كان حسن الصوت فى النياحة على نفسه وفى تلاوة الزبور

حتى كان يجتمع الانس والجن والوحوش والطيور لسماع صوته وكان يحمل من مجلسه اربعمائة جنازة وما يقرب من ذلك فى تلك الحالة وفى الحديث فى مدح ابى موسى الاشعرى لقد اعطى مزمارا من مزامير آل داود وقد تقدم وذكر فى تفسير قوله تعالى * يزيد فى الخلق مايشاء * هو حسن الصوت وقد قرئ بالحاء المهملة وقد ورد الله اشد اذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته وقوله تعالى * ان انكر الاصوات لصوت الحمير * يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن وهذا امر مجمع عليه وفى الاحياء ان الطير كانت تقف على رأس داود عليه السلام (وما) اى وكما (انشده الوعاظ على المنابر) من نظم اونثر مشتمل من الترغيبات والترهيبات فى الحج والغزو ونحوهما (او اكد) اى ان زاد المتغنى به (حبه تعالى) بذكره والتأمل فى امره والاشتغال بفكره فانه مندوب فى كل من التشويق والتحزين (مباح) اى مستوطرفاه لاثواب ولاعقاب (ان اكد) المتغنى به (السرور) والفرح (فيما يباح فيه كالعيد والعرس والولادة) اى اولها (والختان وحفظ القرآن) اى تمامه وكذا اجتماع الاخوان فى بعض الزمان للطعام والكلام وكذا قدوم بعض الاصحاب من السفر كما تقدم وتقرر (فهو ماثور) اى مذكور عن السلف والخلف بل عن النبى صلى الله عليه وسلم اما العيد ففى الصحيحين عن عائشة ان ابابكر رضى الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان فى ايام منى تدففان وتضربان والنبى صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما ابوبكر وفى رواية قال مزامير الشيطان فكشف النبى عليه السلام عن وجهه فقال دعهما يا ابابكر فانها ايام عيد قالت وكان يوم عيد تلعب فيه السودان بالدرق والحراب فاما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اماتشتهين تنظرين فقلت نعم فاقامنى وراءه وخدى على خده ويقول دونكم اى افعلوه يابنى ارفده حتى اذا مللت قال مسبك قلت نعم قال فاذهبى وفى صحيح مسلم فوضعت رأسى على منكبه فجعلت انظر الى لعبهم حتى كنت انا التى انصرفت واما العرس فقد تقدم حديث اعلنوا بالنكاح واضربوا عليه بالدف وفى معناه الولادة والختان ومما يؤيد الولادة ذبح العقيقة وهو لاصحاب الطريقة فى الحقيقة واما حفظ القرآن فهو اكبر سرورا واعظم نورا (اوشوق) المتغنى به (الى الاخوان) من الاحباء الاتقياء فى الغربة او البلدان (او المرأة او الامة) من غير تعيينهما للاجنبى فانه حينئذ مباح (حرام ان شوق) المتغنى به (الى الزنى) اوتوابعه (اوحزن) المتغنى به (على الموتى) اى فيحل به الجزع والفزع (والبلايا) اى على البلايا المتقدمة (فورد) فى الحديد (كيلا) وفى التنزيل لكيلا (تأسوا على مافاتكم) تمامه * ولاتفرحوا بما آتيكم * بالمد والقصر وفى آل عمران * لكيلا تحزنوا على مافاتكم ولاما اصابكم (وادنى رتبه) اى مراتب التغنى وسماعه (الاستماع للشهوة) ويحرم حينئذ سواء غلب على قلبه حب

شخص معين اولم يغلب لانه لايسمع وصف نحو الخد والقد والوصل والهجر الاويحرك ذلك شهوته وتنزله على صورة معينة وفق لذته ولذلك سئل حكيم عن العشق فقال دخان يصعد الى دماغ انسان يزيله الجماع وتهيجه السماع (وهو بنفخ الشيطان) المنافى لنفخ الرحمن فللديلمى من حديث على كان ابليس اول من ناح واول من تغنى ولابن ابى الدنيا والطبرانى عن ابى امامة ما رفع احد عقيرته بغناء الابعث الله اليه شيطانين على منكبيه يضربان على اعقابهما بصدره حتى يمسك (ثم للتلهى) اى الاشتغال (بمجرد النغمة) وهو المعنى بقوله تعالى * ومن الناس من يشترى لهو الحديث * الآية (والمواظبة عليه) اى من غير تخلل التوبة لديه (ذنب) اى عند الكل من العلماء والصوفية من الصلحاء وهذا محمل لكلام الائمة المجتهدين من الفقهاء فقد حكى القاضى ابو الطيب الطبرى عن ابى حنيفة ومالك والشافعى وسفيان وجماعة من العلماء الفاظا استدل بها على انهم رأوا تحريمه قال وقال الشافعى فى كتاب ادب القضاء ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته وقال الشافعى صاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته قال وحكى عن الشافعى انه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن قال واما مالك فقد نهى عن الغناء وقال اذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ان يردها وهو مذهب سائر اهل المدينة الا ابراهيم بن سعد وحده قال واما ابو حنيفة فانه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من الذنوب وكذا سائر اهل الكوفة وسفيان الثورى وحماد وابراهيم النخعى والشعبى وغيرهم انتهى كلام الطبرى ويؤيده ماورد من الاحاديث فى ذم القينة وهى الجارية المغنية فللطبرانى من حديث عائشة ان الله حرم القينة وبيعها وثمنها وتعليمها ويقويه ما رواه ابوداود عن نافع كنت مع ابن عمر فى طريق فسمع زمارة راع فوضع اصبعيه ثم اذنيه ثم عدل عن الطريق ولم يزل يقول يانافع اتسمع ذلك حتى قلت لافاخرج اصبعيه فى قال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه ابوداود وعن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل رواه البيهقى ولابن المبارك عن عكرمة بن عمار عن يحيى بن كثير مرسلا ما امتلأت دار منها حبرة الا امتلأت عبرة والحبرة الغناء ومنه قوله تعالى * فى روضة يحبرون * اى يغنون اويسرون ومر على بن عمر على قوم محرمون وفيهم رجل يغنى فقال الا لاسمع الله لكم وقال الشبلى السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة اى محنة واما ما نقل ابو طالب المكى اباحة السماع عن جماعة من الصحابة والتابعين كعبد الله بن جعفر وابن الزبير ومعاوية وغيرهم فاما محمول على سماع ليس فيه شئ من الغناء كسماع القرآن واشعار العرب ولو بالالحان واما على انه مذهبهم المختار عندهم فان المسألة

خلافية لا اجماعية وفعلهم ليس بحجة عند غيرهم فكذا ما روى عن بعض المشايخ الصوفية وقد ذكرت هذه المسئلة فى رسالة مستقلة وقد رأيت رسالة منسوبة الى الشيخ احمد الغزالى (اخو حجة الاسلام محمد الغزالى) متضمنة لتكفير منكر السماع بادلة سخيفة ظاهرة الفساد وافتية ضعيفة مالها عند الائمة رواج وكساد هذا وقد يكون مراد المصنف ان التلهى صغيرة والمواظبة والاسرار على الصغيرة كبيرة وقد يراد ان التلهى مباح والمواظبة على المباح قد تصير كبيرة كما اذا داوم على الطبل طول الايام او تبع الحبشة فى رقصهم على الدوام (ثم لترويح النفس) اى لازاحتها وازاحة تعبها (قطعا للملالة) والسآمة (من العبادة) كما يجرى ويسرى فى العادة لاهل الارادة وهى للعابدين (ثم لمقابلة حالها) اى حال النفس ومقامها (فى المعاملة منه تعالى) من تحصيل مرامها وهذا حالة العارفين وفيها خطر باعتبار تمامها ودوامها وتحقيق ذلك ان الاناء يترشح بما فيه سواء يكون صاحبه يوافقه او ينافيه فالسماع يشبه الخمر فى اخراج ما فى الباطن وبه يعرف ما فى القلب من خوف ورجاء وقلق وسكون وشوق وذوق ونشاط وانبساط فيقابل المريد حال نفسه فى المعاملة مع ربه فاذا كان فى باطنه خوف يظهر منه آثاره من نحو البكاء والحزن والانين واذا كان رجاء يتبين انواره من الفرح والسرور وكمال الحضور ومن هنا قال ابو سليمان السماع لا يجعل فى القلب ما ليس فيه ولكن يحرك ما فيه (ويشترط رعاية السنة) اى الشريعة الغراء والطريقة الزهراء (بالحمل) اى بحمل الاستماع (على ما يليق به تعالى) اى على وجه الكمال ففى بياض الخد ونحوه يتذكر صفات الجمال وفى الزلف ونحوه يتفكر فى نعوت الجلال (ثم لحبه تعالى فقط) اى مع قطع النظر عن لوازمه وتفصيل مكارمه (وهو) اى هذا المقام (لمن فنى عن حظوظ نفسه) اى بالكلية (وغاب عما سواه) اى عن خطور غير الله تعالى (حتى عن شهوده معه ايضا) المعبر عنه بالفناء عن الفناء وذلك فانه مهما فنى عن نفسه فهو من غيره افنى فكأنه فنى عن كل شئ الا عن الواحد المشهود وفنى ايضا عن الشهود فان القلب ان التفت الى الشهود والى نفسه بانه مشاهد فقد غفل من المشهود كالسكران لا خبر له عن سكره وهو نهاية مقام العارفين فى حال البقاء وقد يعبر عن هذا بمقام اللقاء ولكن هذا كالبرق الخاطف من ظهوره فى عالم السماء فان دام لا تطيقه القوة البشرية (ومنه) اى ومن حبه تعالى (تولد الوجد) اى حصول الذوق ووصول الشوق (وهو) اى الوجد (ما صادف القلب) اى وجد القلب (من شوق) اى الى الله ورضاه (وخوف) اى من حجابه وسخطه (وحزن) اى تأسف على ما فات (وقلق) اى اضطراب فى حال آت (وبجدى) من الاجداء اى يفيد الوجد (نقاء القلب) اى طهارته عن السوى من كمال الصفاء (وحصول العلم) اى زيادته المقرونة بالحلم (والمكاشفة) وهى

العلم بالله وصفاته الفاخرة وباحوال الآخرة (وربما لايمكن العبارة عنه) اى اذا كان متعلقا بالذات اوبكنه الصفات (كما عن الفصاحة والملاحة) فانهما من المعانى الدقيقة يعجز التعبير عنها ولو بالمبانى الرشيقة ثم لايبعد ان يكون السماع سبب الكشف بما لم يكن مكشوفا قبل الاستماع فان للكشف اسبابا ولفتحه ابوابا منها التنبيه والسماع تنبيه للمنبيه ومنها تغير الاحوال ومشاهدتها فى الاقوال والافعال وادراكها نوع علم يفيد ايضاح امور لم تكن معلومة قبل ذلك من الاحوال ومنها انبعاث وانبساط ونشاط القلب بقوة السماع فيقوى به على مشاهدة ماكان قصر عنه دركه كما يقوى الجمل على الحمل بحيث يطلع على الجبل بسبب سماع الحداء بانواع الغناء وحمل القلب استكشاف جماله وملاحظة اسرار الملكوت وانوار الجبروت طبق جماله ووفق جلاله ومنها الصفاء وهو سبب الكشف لارباب الوفاء وهذا نوع اسباب وفتح ابواب ورفع حجاب اى يمثل الحق لعبده فى لفظ منظوم لقرع سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف اوبالالهام اوفى صورة مشاهدة منزهة عن صورة الانام والسماع شبكة للحق يصيد به الخلق هذا وكما يسمع صوت الهاتف عند سماع القلب يشاهد ايضا بالبصر صورة الخضر عليه السلام فانه يتمثل لارباب القلوب بصور مختلفة وفى مثل هذه الحالة تتمثل الملائكة للانبياء اما على حقيقة صورتها اوعلى مثال يحاكى صورتها بعض المحاكاة (والتواجد) اى التكلف فى الوجد واظهاره من غير تحصيل القصد (مذموم للرياء) لتعلقه برؤية الخلق (لا يقصد الوصول الى الحقيقة) اى حقيقة الوجود لتعلقه برؤية الحق وذلك (لورود اللهم ارزقنى حبك) يحتمل الاضافة الى الفاعل والمفعول كما حقق فى قوله تعالى يحبهم ويحبونه وكذا قوله (وحب من يحبك وحب من يقربنى الى حبك) اى من القول والعمل وغير ذلك والحديث قد ذكر (وما سبق) اى لورود ما تقدم (من التباكى) اى ومدحه وهو التكلف بالبكاء (فى التلاوة) اى فى فصل التلاوة وذلك للتشبه باهل البكاء من الانبياء والاولياء حال القراءة ومن تشبه بقوم فهو منهم (ومشاهدة افضاء دوام ذكر الشىء) اى ايصاله واتصاله (والنظر اليه) فى اختلاف احواله (والفكر فى فضائله) ومايترتب عليه من تحسين آماله (الى عشقه) متعلق بافضاء اى بانجراره الى محبته ومودته (حتى يمتنع الخلاص عنه) اى عن تفكره وتذكره ولو تكلف بالدفع فى تصوره (وحقه) اى حق السماع وواجبه (ان لايكون المستمع) اى المغنى (ممن حرم النظر اليه) كالنسوان والمردان (الاللشيخ) اى الكبير الفانى (الآمن على نفسه) اى من الشهوة (كما فى قبلة الصائم) من التفصيل بين الامن وغيره وقال القاضى ابو الطيب استماعه من المرأة التى ليست بمحرمة له لا يجوز عند اصحاب الشافعى بحال سواء كانت مكشوفة اومن وراء ستر وسواء كانت

حرة او مملوكة انتهى ولعل وجهه ان صوت العورة لاتحل الالضرورة ولايخفى ان الامرد الحسن الوجه خطره اقوى فانه عند الشيطان اشهى وللخلق اغوى حتى قال النووى ان النظر اليه حرام ولو بلا شهوة واما قول الغزالى ان صوت المرأة فى غير الغناء ليس بعورة فلم تزل النساء فى زمن الصحابة يكلمن الرجال فى السلام والاستفتاء فى الاحكام والمشاورة فى الكلام فمحمول على ان الضرورات تبيح المحظورات (ولا الآلة) اى ولا يكون آلة الغنا (مزمارا) وكذا طبل الكوبة اوتارا وهذا مجمع عليه لانه من شعائر الاشرار واما قصب الراعى فمختلف فيه فاباحه الرافعى وحرمه النووى من اتباع الشافعى وصرح علماؤنا بان الدف مباح فى محله اذا لم يكن له جلاجل فى طرفيه لان اباحته وقعت على خلاف القياس فيقتصر على مورده وقال يزيد بن الوليد اياكم والغناء فانه يزيد الشهوة ويهدم المروّة وانه لينوب عن الخمر ويفعل مايفعله السكر فان كنتم لابد فاعلين فجنبوه النساء فان الغنا داعية للزنا (فهو) اى الغناء باعتبار فصله (شعار اهل الشرب) فى مجلسه (فحرم تبعا) اى لحرمة شرب الخمر فانه قد يفضى الى فساد الامر ويجر الى مباشرة الشر (كخلوة الاجنبية) لانها مقدمة الجماع (والنظر الى فخذها) لاتصاله بالسوءتين ثم انهما حرامان لا لذاتهما بل تبعا لحرمة الزنا اذهما قد يكونان وسيلتين الى فعله (ولانه) اى الغناء المذموم (يذكره) اى الشرب ويفكره (كالمزفت) بتشديد الفاء المفتوحة اى ظرف القير (والحنتم) اى الظرف الاخضر ونحوهما من الدبا والنقير فان الشرع حرم استعمال هذه الاشياء ولذا امر بكسر دنان الخمر وظروفها تبعا لحرمة الخمر تغليظا فى امر ثم احلها بعد بعد المدة وفيه انه ابيح هذه الاشياء بخلاف آلات الغناء فهو حجة على مبيح مطلق السماع من العلماء فالسماع حينئذ حرام كقليل الخمر وان كان لا يسكر لانه يدعو الى السكر ومامن حرام الا وله حريم يطيف به فحكم الحرمة ينسحب على حريمه ليكون حمى للحرام ووقاية له واخطارا مانعا حوله كما ورد ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه (وفيه) اى ويقع فيما اذا كان الآلة مزمارا (التشبه باهل الشرب) ومن تشبه بقوم فهو منهم حتى حرم تشبه الرجال بالنساء كعكسه وحتى قيل تترك السنة اذا صارت شعار اهل البدعة ثم قال فى الاحياء بل للتشبه باهل الفساد ينهى عن لبس القباء فى بلاد صار فيها من لباس الاجناد ولاينهى عن ذلك فى ما وراء النهر لاعتياد اهل الصلاح من الزهاد والعباد قال فلهذه المعانى حرم المزمار العراقى والاوتار كلها كالعود والرباب والبربط وغيرها واما ماعدا ذلك فليس فى معناه كالشاهين للرعاة والحجيج وشاهين الطبالين وكالطبل والقصب سوى مايعتاده اهل الشرب فانه اذا ارتفع علة المشابهة بقى على اصل الاباحة (كما) اى كالتشبه (فى الاجتماع للسماع واحضار الآلات ونصب الساقى) اى المناول

(فى ادارة السكنجبين) ونحوه من اللبن والماء والقهوة الحادثة المصنوعة من اللبن وقشره فانه اذا اجتمع قوم فى مجلس والساقى على قاعدته يدور بكأس واحد على جماعته واحد بعد واحد وفق عادته فانه يحرم السكنجبين وامثاله للتشبه (بخلاف نحو الدف) بضم الدال ويفتح (والطبل) اى طبل الحج والغزو واما طبل الكوبة فحرام لانه من شعار الفسقة وهو طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين ولعل هذين لم يكونا من شعار اهل الشرب فى زمنه عليه السلام اوفى ايام المصنف اوذكره تبعا للغزالى لجوازهما فى مذهبه واما اذا كانا من شعار اهل الفسق فينبغى ان يقال بحرمتهما للتشبه فان العلة مشتركة (ولا المتغنى به قرآنا اذ لايجوز فيه) اى فى القرآن (مد المقصور وقصر الممدود) اى فى المجمع عليهما وهما لا زمان فى التغنى المذموم (لتوافق الصوت) اى بالالحان الفسقية والانغام الموسيقية والا فالصحابة الكرام تبعا له عليه السلام كانوا يأمرون فى مجلس سماعهم ان يقرأ واحدا بصوت حسن ماتيسر من القرآن عملا بقوله عز وجل * واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق * وقد اخبر الله سبحانه عن حال الانبياء بقوله * اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا * وعن حال الاولياء من الاصفياء * ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا * الى قوله * يبكون ويزيدهم خشوعا * وفى الصحيحين ان ابن مسعود قرأ على النبى عليه السلام بامره فلما انتهى الى قوله *فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا * قال حسبك الآن ورأيت عينيه تذرفان اى تسيلان دمعا ولمسلم من حديث ابن عمر انه قرأ * ان تعذبهم فانهم عبادك * فبكى ولابن عدى فى الكامل والبيهقى فى الشعب انه قرئ عنده * ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما * فصعق اى بكى بصوت ولابى داود والنسائى والترمذى فى الشمائل من حديث عبد الله بن الشخير انه كان يصلى ولصدره ازيز كازيز المرجل واما حديث اختصام على وجعفر وزيد بن حارثة فى حضانة ابنة حمزة فقال لعلى انت منى وانا منك فجعل وقال لجعفر اشبهت خلقى وخلقى فجعل وقال لزيد انت اخونا ومولانا فجعل الحديث فرواه ابو داود من حديث على وهو عند البخارى دون ذكر الجعل وعلى تقدير صحته فالمراد به اظهار الفرح والسرور بما وقع من المدح فى الحضور وان كان الجعل فى اصله نوعا من الرقص وهو على رجل واحد فلا ينبغى ان يحمل عليه لقولهم الرقص نوع من النقص وما ابعد من استدل على جواز الرقص على الدوام بهذا الحديث الذى وقع ندرة من الصحابة الكرام فى مجلسه عليه السلام مع عدم كونه نصا فى مقام المرام وقد ورد ليس منا من لم يتغن بالقرآن وزينوا اصواتكم بالقرآن وزينوا القرآن باصواتكم (ولا النهى) اى وانما قلنا انه لايجوز ان يكون المتغنى به قرآنا اذ لايجوز فيه مد المقصور الى آخره

ولايجوز النهى (عن آية) اى عن قراءتها حيث (لاتوافق السامع) بالنسبة الى مآله من الحالات والمقامات (كاحكام المعاملات والحدود) فى باب السياسات وهذا لقصور فهم السامع عن الآيات البينات وما يتضمنهامن اللطائف والاشارات واما العارف فيلاحظ هذه المعانى من جميع المبانى كما قاله سبحانه * فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هديهم الله واولئك هم اولوالالباب * واما المؤمن فينظر الى كلام ربه كأنه يسمع منه فانيا عن غيره فيكون قلبه مطمئنا بذكره ومشتغلا بفكره كما قال تعالى * الا بذكر الله تطمئن القلوب * وقال * تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله * وقال * انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم *وقال* لوانزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعامتصدعا من خشية الله* ومن المقرر ان القرآن افضل الذكر لاشتماله على ذكر الله باعتبار توحيد ذاته وانواع صفاته واصناف حكوماته واجناس اخباره من مبدأ مخلوقاته ومنتهى مصنوعاته فالطمانينة وكذا الاقشعرار والخشية ولين القلب والوجل والخشوع وسمع عمر رجلا يقرأ * ان عذاب ربك لواقع مالهمن دافع * فصاح صيحة وخر مغشيا عليه فحمل الى بيته فلم يزل مريضا شهرا وروى ان زرارة بن ابى اوفى من التابعين كان يؤم الناس بالرقة فقرأ ليلة * فاذا نقر فى الناقور * فصعق ومات فى محرابه وسمع الشافعى قارئا يقرأ * هذا يوم لا ينطقون ولايؤذن لهم فيعتذرون * فغشى عليه وكان الشبلى فى مسجده ليلة من رمضان وهو يصلى خلف امام له فقرأ الامام * ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك * فزعق الشبلى زعقة ظن الناس انه قد طارت روحه وكان يقول بمثل هذا يخاطب الاحباب وسمع رجل من اهل التصوف قارئا يقرأ * يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية * فاستعادها من القارى وقال كم اقول لها ارجعى فليست ترجع وتواجد فزعق زعقة فخرجت روحه وسمع على بن الفضيل قارئا يقرأ * يوم يقوم الناس لرب العالمين * فسقط مغشيا عليه وسمع بكر بن معاذ قارئا يقرأ * وانذرهم يوم الآزفة * فاضطرب ثم صاح وقال ارحم من انذرته ولم يقبل اليك بطاعتك بعد الانذار ثم غشى عليه وسمع ابراهيم بن ادهم احدا يقرؤ * اذا السماء انشقت * فاضطربت اوصاله وعن محمد بن صبيح قال كان رجل يغتسل فى الفرات فمر به رجل على الشط يقرأ * وامتازوا اليوم ايها المجرمون * فلم يزل الرجل يضطرب حتى غرق ومات وقال بعض الصوفية كنت ليلة اقرأ هذه الآية * كل نفس ذائقة الموت * فجعلت اردادها فاذا هاتف يهتف بى كم تردد هذه الآية فقد قتلت اربعة من الجن لم يرفعوا رؤسهم الى السماء منذ خلقوا وقال ابو على المغازلى للشبلى ربما يطرق سمعى آية من كتاب الله فاجدنى على الاعراض عن الدنيا ثم ارجع الى احوالى والى الناس فلا ابقى على ذلك فقال ما طرق سمعك

من القرآن فاجتذبك اليه فذلك عطف منه عليك ولطف منه بك واذا ردك الى نفسك فهو شفقة منه عليك فانه لا يصلح لك التبرى من الحول والقوة فى التوجه اليه وبالجملة لايخلو صاحب القلب عن وجد عند سماع القرآن وذكر الرب فان كان القرآن لاتؤثر فيه اصلا فمثله * كمثل الذى ينعق بما لايسمع الادعاء ونداء صم بكم عمى فهم لايعقلون (ولايجوز) اى حينئذ وهو حال كون المتغنى به قرآنا (ضرب اليد والدف) لان القرآن حق محض فلايقرن بصورة اللهو كما يشير اليه قوله تعالى * افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولاتبكون وانتم سامدون * اى مغتنون ويدل عليه قوله سبحانه * وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون * وقوله عز وعلا * واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذاهم يستبشرون * ثم فى معنى القرآن كل مايكون من ذكر الله والصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فما يفعله بعض من مشايخ اليمن من الجمع بينهما منكر ظاهر لكن خفى على جماعة بحيث يحسبه العامة انه طريق الصوفية وقد يجترؤن على مثله فى المسجد وفى المقبرة وفى الاسواق ومحاضر النساء والله ولى دينه وناصر دين نبيه وزماننا هذا زمان السكوت وملازمة البيوت لظهور اهل الفساد وغلبة اهل العناد والله رؤف بالعباد ومما يؤيده ما قدمنا انه فى البخارى لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت الربيع بنت معوذ وعندها جوار يغنين فسمع احداهن تقول وفينا نبى يعلم ما فى غد فقال عليه السلام دعى هذا وقولى ما كنت تقولين وهذه شهادة بالنبوة فزجرها عنها وردها الى الغناء الذى هو لهو لان هذا جد محض فلا يقرن بصورة اللهو فالفاصلون للجمع بينهما يصدق عليهم قوله سبحانه * وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم (وينتفى) عطف على ان لايكون اى وحق السماع ان ينتفى فيه (شاغل) للخاطر مما ينافيه (من الزمان كوقت الصلوة والطعام) اى حضوره (والمكان) اى وشاغل من المكان (كالشارع) اى الجادة والاسواق (وما فيه صورة قبيحة اورائحة كريهة) فانهما منفرتان للطبيعة المستقيمة ولتعد الملائكة عنهما (والاخوان) اى وشاغل من الاخوان الحاضرين (كالمتكبر المحتاج الى رعايته) خصوصا اذا كان من ذوى الجاه والحكومة (والمتكلف) اى من الفقهاء حيث تكلف فى حضوره (المشوش) فى خاطره (بالرقص) بناء على قول بعض الصوفية ايضا الرقص من النقص (وخرق الثوب) فانه من ضيق الحال وعدم اتساع المجال مع مافيه من تضييع المال او المتكلف المتواجد من اهل التصوف المرائى بالوجد والرقص وتمزيق الثياب وقد قال سهل كل وجد لايشهد له الكتاب والسنة فهو باطل وروى ان موسى عليه السلام وعظ فى بنى اسرائيل فمزق

واحد منهم ثوبه فاوحى الله الى موسى عليه السلام قل له مزق قلبك ولا تمزق ثوبك (والمتزهد) اى المتكلف فى الزهد عن الدنيا والرغبة الى العقبى (المفلس فى الباطن) عن محبة المولى (وعديم الذوق فى السماع) بان لايكون فى طبعه لذة وشوق الى الاستماع وقد عد هذا اضل من البهائم فانه مول محسوساته هائم (والجاهل الحامل على مالايليق به تعالى) فان الصحبة قد تؤثر فى الباطن قبل الظاهر (والملوث قلبه بحب الدنيا) وهذا يستغنى عنه بقوله والمتزهد وانما ذكره لاستيعاب الانواع المحذورة فى مجلس السماع (والشهوة) اى ويحب مايشتهى من المحمدة والثناء (والمتلهى بالنغمة) اى المشتغل بمجرد النغمة وما به يتلهى (ويصغى بالحضور) اى وحق السماع ان يستمع بحضور القلب المفيد للسرور ونفى الخاطر المحظور (ولايلتفت الى الجوانب) اى ولاينظر الى الداخل والخارج من الاقارب والاجانب (ووجوه المتغنين) لانه من اسباب الفتور المانع عن الحضور الحاصل بسماعهم وكلامهم لابملاحظة وجوههم ومقامهم (ويشتغل بنفسه) ومايجب عليه من مقام انسه (برعاية قلبه) عند ذكر ربه (ومافتح عليه) من كشف لبه (ويجلس على هيئة المتأمل) فى الكلام (المستغرق) فى المقام من لجة التفريد وبحر التوحيد (ويحترز عما يشوش) اى عليه وعلى غيره ان امكن له (كالسعال والتثاؤب) وكذا العطاس فانها من الشيطان (والمنكرات كضرب اليد) اى على طبق الغناء (وتحريك الاطراف) اى التى مقدمة الرقص المعبر عنه بالوجد (والرقص) نفسه وهو بالقيام ونحوه (وخرق الثوب) اى قطعه ورميه (الا ان صار مغلوبا) على عقله (بحيث لايعلم بفعله او) اى ان كان مجذوبا (لايطيق الامتناع عنه لطريان نحو هيبة) اى عظمة الهية (او اجلال) اى خوف مع خشية ربانية (او حياء) من نعم واردة على تواتر زمانية (فيعذر) اى فى هذه الحالات عن مخالفة ظاهر الشريعة من المنكرات (كما غلب على عمر رضى الله عنه عام الحديبية) بالتخفيف افصح (ويوم مات عبد الله بن ابى) رئيس المنافقين (حمية الدين) فاعل غلب اى حمايته ورعايته بحسب ماظهر له من حسن رأيه وفق عادته (حيث انكر الصلح) اى عام الحديبية فقال عمر كما فى صحيح البخارى فاتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله الست نبى الله حقا قال بلى قال السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطى الدنية فى ديننا اذا قال انى رسول الله ولست اعصيه وهو ناصرى قال العلماء لم يكن سؤاله وكلامه المذكور شكا بل طلبا لكشف ماخفى عليه من الامر وحثا على اذلاله الكفار وظهور الاسلام وعن اهله الابرار كما عرف فى خلقه وقوته فى نصرة الدين واذلال المبطلين (والصلوة) اى وانكر عمر الصلوة (على جنازته) اى جنازة ابن ابى (والدعاء) اى فى الصلوة وغيرها (والقيام له على قبره) حيث هم النبى صلى الله عليه وسلم بفعل هذا كله

وقد وافق قول عمر حكم الله حيث نزل * ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون * ولعل همه عليه السلام كان لظاهر ما كان يبدى من الاسلام اولتألف ولده فانه كان فى انقياد الاحكام ومنع عمر لما كان يترشح من ابى آثار الكفر والظلام (وابى طيبة) رضى الله عنه اى وكما غلب على ابى طيبة حب الاسلام (حيث شرب دمه عليه السلام بعد الحجامة) تبركا بما برز من باطنه عليه السلام والحديث رواه الدار قطنى وقال حسن صحيح وقد وقع شرب بوله ودمه عن جماعة من الصحابة الكرام ولم ينكر عليهم بل نسب الخير اليهم فقال لواحد صحة ولآخر لم يمسك النار وقد بسطت عليه الكلام فى سيره عليه السلام وقد قال جماعة من العلماء الشافعية ان فضلاته عليه السلام طاهرة وانه من خصوصياته ظاهرة وهو قول امامنا الاعظم والله اعلم ومن ذلك ما روى ابن حبان ان غلاما كان فى بنى اسرائيل على جبل فقال لامه من خلق السماء فقالت الله فقال من خلق الارض فقالت الله فقال من خلق هذه الغنم قالت الله قال انى اسمع لله تعالى شأنا ثم رمى نفسه من الجبل فتقطع وهذا كأنه سمع ما دل على جلال الله وعظمته وتمام قدرته فطرب لذلك ورمى بنفسه من هنالك وفى الاحياء رأيت مكتوبا فى الانجيل غنينا لكم فلم تطربوا وزمرنا لكم فلم ترقصوا اقول المعنى بينا لكم الترغيب والترهيب فلم تمتثلوا وشوقنا بذكرنا وفكرنا فلم تشتاقوا (لكنه) اى وصف المغلوبية (ضرب تقصير) اى فيه نوع قصور منه (جل قدر ذوى الكمال عنه لاسيما الانبياء) وكذا ورثتهم من العلماء واتباعهم من الاولياء (فهم اصحاب شرايع) اى حقيقة وحكما (مكملون) اى كاملون فى انفسهم مكملون لغيرهم لقول عيسى عليه السلام من علم وعمل وعلم يدعى فى الملكوت عظيما اى فينبغى ان يكون فى الملك كريما (ويساعد) اى وحق السماع ان يعاون (الاخوان فى القيام) فى المجلس (ورفع العمامة) عن الرأس اذا سقطت عمامته (ان كان) اى التعاون (معتادا) فيما بينهم (فالمخالفة موحش) اى بعد الحضور (والاسرار) مبتدأ اى وادخال السرور (بالمساعدة فيما لم ينه عنه) اى نهيا صريحا (وصار معتادا بعد عصرهم) اى بعد انقضاء زمان السلف وانتهاء الامر الى الخلف (مستحسنة) خبر المبتدأ اى مستحسن لما روى عن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ولقوله عليه السلام خالقوا الناس باخلاقهم رواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين (وان كان) اى ما ذكر (بدعة) اى فى نفس الامر والاولى عدم حضور ذلك المجلس لئلا تحتاج الى خطر الخطير فقد قال تعالى * وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان * فاجتناب التعاون على المباح اقرب الى النجاح وعدم

الجناح لاسيما وقد قال عليه السلام من احدث فى امرنا ما ليس منه فهو رد اى مردود وقال كل بدعة ضلالة فعليك باتباع السنة وترك البدعة نعم البدعة المحذورة ما تزاحم السنة المأثورة ولم يقع نهى عن الصور المذكورة (ويخفى به) اى وحق السماع بالنسبة اى المقتدى ان يخفى بالسماع (لئلا يقتدى العوام) به فى جواز مطلق الاسماع وعموم انواع السماع (ويظهر المنع) اى للعوام (فهو يضر الاكثر للاعانة على الهوى) اى لغلبة هوى النفس حتى على المبتدئين من المريدين (ويتخلف الكامل المعرفة) اى فى لبه (والمحبة) لربه عن مجالس التغنى والسماع فى غالب امره (للاستغناء) اى لاستغناء الكامل فى مقام الفناء والبقاء (عن المحرك الخارجى) من سماع الغناء كما اشار اليه الصديق حيث رأى الاعراب يقدمون ويسمعون القرآن فيبكون فقال كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا اى اشتدت وقويت لتحمل ما نزل بنا وقيل للجنيد ما بالك تركت السماع فقال * وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب * وقال بعضهم صحبت سهل بن عبد الله ستين سنة فما رأيته تغير عند شئ كان يسمعه من الذكر والقرآن فلما كان فى آخر عمره قرأ رجل بين يديه * فاليوم لايؤخذ منكم فدية * الآية فرأيته قد ارتعد وكاد يسقط فلما عاد على حاله سألته عن ذلك فقال نعم ياحبيبى ضعفنا وكذلك سمع مرة قوله تعالى * الملك يومئذ الحق للرحمن * فاضطرب فسأله ابن سالم وكان من اصحابه وقال قد ضعفت فقيل له وان كان هذا من الضعف فما قوة الحال فقال لايرد عليه وارد الا وهو يبتلعه بقوة حاله وقال الجنيد لايضر نقصان الوجد مع فضل العلم اذ فضل العلم اتم من الوجد (الا بغية الاسرار) اى ادخال السرور فى قلوب اصحاب مجالس التغنى بشروطه (بالمساعدة) فى الموافقة وترك المخالفة بالمباعدة (وتعليم) اى والا بغية تعليم (ضبط الجوارح) من الاقوال والافعال (مع كمال الحال والاسلم) فى جميع الاحوال والاقوال (الاجتناب عن مطلق السماع) ولو بشروط مع الاصحاب (لمكان الاختلاف) اى فى هذا البـــاب والصوفى فى طريقة الاختيار العزيمة دون الرخصة والخروج عن الخلاف مستحب بالاجماع ومنه السماع المشهور فى الاسماع (وندرة تحقق الشروط) فى غالب مجـــالس الاستماع (لدقة مكائد النفس) اى هو اجسها (والشيطان) يحملها على وساوسها وما احسن قول الحصرى ماذا اعمل بسماع ينقطع اذا مـات من يسمع منه اشارة الى ان السماع من الله هو الدائم فالانبيـاء

وكمل الاولياء فى لذة السماع على الدوام فلا يحتاجون الى تحريك كالعوام وقال
بعض المشايخ الكرام ليتنانجونا من هذا السماع رأسا برأس وقال
ابو القاسم النصرابادى لابى عمرو بن نجيد انا اقول اذا اجتمع
القوم فيكون منهم قوال يقول خير من ان يغتابوافقال
ابو عمرو الرياء فى السماع وهو ان ترى من
نفسك حالا ليس فيك شرمن
ان تغتاب ثلاثين
سنة

* * * *

قد تم طبع الجلد الاول من شرح عين العلم
ويليه الثانى اوله الباب العاشر